د. عبد الرحمن العيسوي

مشكلات الطفولة والمراهقة

اسسها الفسيولوجية والنفسية



دار العلوم العربية
للطباعة والنشر

مشكلات الطفولة والمراهقة

أسسها الفسيولوجية والنفسية

دكتور عبد الرحمن العيسوي
استاذ ورئيس قسم علم النفس
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

دار العلوم العربية
بيروت - لبنان

دار العلوم العربية

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الناشر
دار العلوم العربية
للطباعة والنشر
مقابل جامعة بيروت العربية
بناية عنان
هاتف: ٣٠٧١٧٣
ص.ب: ٩٥٣٥ - ١١
بيروت - لبنان

« إهـــداء »

إلى الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات وكل من يهتم بطلائع المجتمع لعل فيه بعض النفع في تنشئة الأجيال الصاعدة على أسس من العلم والخلق .

د. عبد الرحمن العيسوي

خير ما نتأسى به من القرآن الكريم :

﴿ وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين ﴾ سورة النساء / ٣٦ .

﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ سورة الفرقان /٧٤ .

﴿ وتفاخر بنيكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ سورة الحديد /٢٠ .

﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ سورة النساء /١١ .

﴿ وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنه وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ سورة الأنفال /٢٨ .

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ سورة الإسراء /٣١ .

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ سورة البقرة /٢٣٣ .

﴿ لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ﴾ سورة البقرة /٨٣ .

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾ سورة العنكبوت /٨ .

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ﴾ سورة لقمان /١٤ .

﴿ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ سورة مريم /٣٢ .

﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ سورة البقرة /٢٣٣ .
﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ سورة النحل /٤ .
﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴾ سورة الكهف /٣٧ .
﴿ فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ﴾ سورة الحج /٥ .
﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما ﴾ سورة الكهف /٨٠ .
﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً ﴾ سورة فاطر /١١ .
﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ﴾ سورة غافر /٦٧ .
﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ سورة القصص /٧ .
﴿ وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ سورة النجم /٣٢ .
﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ سورة البقرة /١٧٠ .
﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم ﴾ سورة الرعد /٢٣ .
﴿ ونقرّ في الأرحام ما نَشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ﴾ سورة الحج /٥ .
﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾ سورة النور /٥٩ .
﴿ أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما ﴾ سورة الشورى /٥٠ .
﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ سورة الأعراف /١٨٩ .
﴿ أنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾ سورة النجم /٤٥ .
﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ سورة النحل /٧٢ .
﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾ سورة الروم /٢١ .
﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ سورة النبأ /٨ .
﴿ ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء ﴾ سورة الشورى /١١ .
﴿ ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ﴾ سورة النور /٥٨ .
﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ سورة هود /٨٧ .

وخير ما نتأسى به
إهتداء بالسنة النبوية المطهرة

قال رسول الله ﷺ : أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقة على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ : كخ كخ إرم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة . متفق عليه .

وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب ، رسول الله ﷺ قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله (ﷺ) وكانت يدي تطيش من الصفحة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » متفق عليه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ، ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته » متفق عليه .

ـ وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، قال رسول الله ﷺ « مروا أولادكم

بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليهـا وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » حديث حسن رواه أبو داود .

ـ جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال : « يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك . متفق عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

يسرني أن أقدم للقارىء العربي الكريم كتابي « مشكلات الطفولة ولا شك أن موضوع الطفولة والمراهقـة من الموضـوعات المهمـة والحيويـة في حياتنـا المعاصرة ، وخاصة في ضوء تلك الدعوات المباركة التي تستهدف إعادة بناء الإنسان على الأرض العربيـة ليكون قـادراً على التصدي لتحـديات العصـر ، وحمل راية التقدم ورفع مشعل التنوير والتثقيف ، ونشر العلم والمعرفة والوعي والإدراك .

الإدراك والوعي بحقوق المواطن وواجباته وتربيته على البذل والعـطاء ، وأن يتعلم كيف يعطي قبل أن يطالب بالأخـذ ، وأن يدرك مخـاطر الغـزوات الفكرية التي تستهدف النيل من عضد الشخصية العربية ، ومن العقل العربي ، ذلك لأن القوى الإستعمارية كانت وما زالت تتربص بنا الدوائر انتهازاً للفرصة للانقضاض على المصالح المشتركة للأمة العربية والإسلامية .

ونحن حين نتصدى لتربية الأجيال الصاعدة تربية سوية وسليمة ، وحين نستهدف تكوين المواطن الصالح إنما نقوم بعملية استثمار ، لأنه على قدر ما ينفق المجتمع من ماله وجهده في سبيل تربيـة النشىء والحفاظ على صحتـه الجسمية والعقلية وقيمه الروحية والوطنية ، على قدر ما يرتد عائد هذا الاستثمار المبارك في شكل خبرات وطنية نافعة وأيدي وسواعد وعقول ، تبنى المجتمع وتبذل له العطاء . وليس غريباً أن يقال في حق عصرنا الحالي أننا نعيش عصر

« الثروة البشرية » ذلك لأن الدول العظمى حققت ما حققته من إنجاز وتفوق لا بفضل ثرواتها المعدنية أو الزراعية ، وإنما بفضل ثرواتها البشرية المتمثلة فيما تمتلك من العلماء والخبراء والمفكرين والمبدعين والقادة والمصلحين .

والكتاب الذي أضعه بين يدي القارىء الكريم ليس إلا صيحة مدوية في أذهان المسؤولين في وطننا العربي الكبير للاهتمام بالطفولة والمراهقة ، وتوفير الرعاية الصحية والبدنية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية والعلمية والمهنية للجيل الصاعد ، ونحن نحسن « صناعة » هذا الجيل المنشود إذا توليناه منذ نعومة أظفاره أي منذ الطفولة الباكرة بل والأجدر من ذلك منذ فترة الحمل في شكل رعاية الحوامل أمهات المستقبل . وللكتاب أهمية خاصة يستمدها من أهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان فهي المرحلة التي توضع فيها الجذور أو الأصول الأولى لشخصية الإنسان . وبحكم ما تمتاز به شخصية الطفل من المرونة وعدم اكتساب الخبرة ، فإن ما يلقاه من خبرات تترك بصماتها قوية في مرحلة الرشد والكبر . ولا شك أن حياة الإنسان سلسلة متصلة الحلقات يؤثر فيها السابق في اللاحق ، ولذلك فالطفولة السوية تقود إلى مراهقة سوية ، والمراهقة السوية بدورها ، تقود إلى رشد سوي .

ولا شك أن هناك كثيراً من التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع والتي تستوجب توجيه العناية والبحث والدرس في قضايا الطفولة والمراهقة ، من ذلك نزول المرأة إلى ميدان العمل خارج المنزل ، إلى جانب تفشي بعض الأمراض الاجتماعية كالإدمان ، والعنف ، والتعصب ، والتزمت ، والتطرف .

مما يتوجب معه ضرورة التدخل لحماية الطفولة والمراهقة فضلاً عن الموادت ، والبدع ، المستوردة من الخارج والتي يصدرها أعداء العروبة والإسلام .

ومرحلة المراهقة من أهم مراحل النمو في حياة الإنسان ، لأنها تمثل مرحلة الانتقال ، ومراحل الانتقال دائماً تكون حساسة وحرجة . فهي انتقال من الطفولة إلى الرشد أو الرجولة ، وفيها يصبح المراهق طريد مجتمع الكبار والصغار على حد سواء ، تتنازعه كثير من الصراعات منها صراع الأجيال أو صراع الثقافات ، أو الصراع بين ولائه للأسرة ، مصدر الأمن والحماية

والرعاية ، وولائه لجماعة الأنداد والزملاء .

يضاف إلى ذلك ما يعانيه الفتى والفتاة من اضطرابات وآلام جسمية ونفسية ناتجة عما يطرأ على جسدهما من تغيرات فسيولوجية ، كالقذف ، والحيض ، ونمو الثدي ، والأرداف ، والحوض ، ونعومة الصوت بالنسبة للفتاة ، ونمو الشعر ، والشارب ، والعضلات ، وخشونة الصوت بالنسبة للفتى .

وهي أمور ، رغم كونها طبيعية ، إلا أن المراهق قد يخجل منها بسبب ما يلقاه من تعليقات المحيطين حولها .

وقد يعاني الطفل ، أو المراهق ، من كثير من الأمراض والأزمات الجسمية ، والنفسية ، والعقلية . فضلاً عن التعرض للجنوح ، فقد يصاب بفقر الدم ، أو قصر النظر ، وقد يعاني من الأرق ، والقلق ، والاكتئاب ، والتمرد ، والعصيان ، والثورة ، والشك في القيم الاجتماعية أو الإسلامية ، وقد يوجه كثيراً من الانتقادات الظالمة للوالدين ، أو الكبار عامة . ويعاني كثير من الأطفال من المخاوف الشاذة ، أو الفوبيات ، ومن الأحلام ، والكوابيس المزعجة ، ومن التبول اللاإرادي . وهناك حالات قليلة من فصام الطفولة والمراهقة فضلاً عن حالات التأخر الدارسي والجنوح .

ولذلك فإن لعملية التنشئة الاجتماعية الصالحة أهمية كبيرة في حياة الطفل والمراهق ، وكذلك لعملية العلاج النفسي ، أهمية كبيرة في تحقيق التكيف لمن افتقده .

ولا تقل الوسائل الوقائية عن الوسائل العلاجية في قدرها وفي أهميتها .

ويعالج الكتاب موضوعات شتى في مجال الطفولة والمراهقة من بينها :

بيان حقوق الطفل في ضوء الدراسات النفسية الحديثة . وبعض المشكلات السلوكية كالكذب . إلى جانب بيان الأنماط الإيجابية والسلبية في تربية الطفل ، مع استعراض لتطور الشعور الخلقي لدى الأطفال ، وبيان الكيفية التي يتعلم بها . ويتعرض الكتاب لتنمية بعض المشاعر الإيجابية كالشعور بالانتماء . ويتعرض الكتاب كذلك لتفسير السلوك الإنساني من الناحية الفسيولوجية ، والوراثية . ويتصدى الكتاب للنمو اللغوي واضطرابات النطق

والكـلام . ويوضـح دور الأم في عملية التنشئـة الاجتماعيـة . وكذلـك علاج اضطرابات الطفولة ، وأساليب التربية الشمولية في الإسـلام . ودراسة مشـاعر الأحباط ، والعنف ، والجنوح ، والجريمة ، وعقدة أوديب ، وعقدة إلكتـرا ، ومشكلة السرحان وشرود الذهن ، ونزعة النـرجسية . ويتعـرض الكتاب لبيـان الأسلوب الأمثل في الاستذكار وطرق التفوق . وكيفية تعديل اتجاهات الشباب والمـراهقين . والتـربيـة النفسيـة للطفـل ، وأصـولهـا الإسـلاميـة . ومشكلة الانفعالات ، وظاهرتي الانبساط ، والانطواء . والنوم واضطراباته . وخصائص النمو في مرحلة المراهقة . والانفعالات ومثيراتها .

هذا وأرجو أن يحقق الكتاب بعض النفع ، والله ولي السداد والتوفيق .

المؤلف

أد / عبد الرحمن محمد العيسوي

أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية الآداب

بجامعة الإسكندرية

الفصل الأول
التعريف بالمصطلحات المستخدمة في الكتاب

- علم نفس الطفل .
- مرحلة الطفولة .
- الطفولة المبكرة .
- الطفولة الوسطى .
- الطفولة المتأخرة .
- الطفل المعوق .
- رعاية الأحداث وحمايتهم .
- تشغيل الأحداث .
- جنوح الأحداث .
- جناح الأطفال .
- مص الأصابع أو الأبهام .
- الكذب المرضي .
- فقدان النوم أو الأرق أو السهاد .
- النكوص .
- اكتئاب الطفولة .
- المرحلة الشرجية .
- الأخصاء
- مرحلة المراهقة
- الرشد .
- البلوغ .
- التبول الليلي اللاإرادي
- التأخر الدراسي .

التعريف بالمصطلحات

تعريف علم النفس الطفل Child Psychology

فرع من فروع علم النفس يُعنى بدراسة الكائن البشري ، في مسيرة نموه وتطوره ، من مرحلة الولادة إلى النضج والبلوغ . موضوعة دراسة سلوك الولد قبل إدراكه سن البلوغ، ويعمد على تطبيق المعلومات والمبادىء العامة اللازمة لفهم نفسية الولد والوقوف على طبيعة نموه وتطوره .

(أسعد رزوق ، ص ٢١٩ ، ١٩٧٧)

يضاف إلى ذلك دراسة المشكلات والأزمات والأمراض والانحرافات التي يتعرض لها الطفل . ومن تعريفات علم النفس الطفل كذلك تعريف أحمد زكي بدوي بأنه فرع من فروع علم النفس يبحث في نمو الحياة العقلية للأطفال وسلوكهم ، وذلك منذ الولادة حتى النضج . (ص ٥٨ ، ١٩٨٦) ويلاحظ قصور هذا التعريف على الحياة العقلية بينما هناك الجوانب الجسمية والنفسية والاجتماعية .

أما مرحلة الطفولة Childhood

فهي الفترة ما بين نهاية الرضاعة وسن البلوغ ، وتنقسم عادة إلى ثلاث مراحل :

أ ـ الطفولة الأولى أو الباكرة early childhood وهي بين نهاية الرضاعة وسن السادسة .

ب ـ الطفولة الوسطى mid-childhood بين السادسة والعاشرة .

حـ ـ الطفولة الأخيرة Late-childhood بين سن العاشرة والثانية عشر وهي ما تسمى قبل المراهقة Preadolescence .

ومرحلة الطفولة تعبر عن الفترة من الميلاد ، وحتى البلوغ . وتستخدم أحياناً لتشير إلى الفترة الزمنية المتوسطة بين مرحلة المهد والمراهقة .

وتنقسم مرحلة الطفولة إلى فترتين متميزتين :

١ ـ **مرحلة الطفولة المبكرة :** من عامين إلى خمسة أعوام وفيها يكتسب الطفل المهارات الأساسية مثل المشي واللغة بما يحقق قدراً كبيراً من الاعتماد على النفس .

٢ ـ **مرحلة الطفولة المتأخرة :** من العام السادس ، وحتى الثانية عشر وتنتهي هذه المرحلة ببلوغ الطفل ، ودخوله مرحلة مختلفة كثيراً عن سابقتها وهي مرحلة المراهقة .

(شاكر قنديل ، ص ٢٦٦ ، بدون تاريخ)

ويلاحظ أن هذا التقسيم من أجل الدراسة والوصف وحسب، أما حياة الإنسان فهي سلسلة متصلة الحلقات ولا توجد حدود فاصلة بين هذه المراحل .

وهناك كثير من مشكلات الطفولة منها :

الطفل المعوق Handicapped Child الطفل الذي يتدنى مستوى أدائه عن أقرانه بشكل ملحوظ في مجال من مجالات الأداء ، وبشكل يجعله غير قادر على متابعة الآخرين ، إلا بتدخل خارجي من الآخرين ، أو بإجراء تعديل كلي في الظروف المحيطة به .

وقد يكون هذا التأخر عن الآخرين في قدرة واحدة ، أو في اثنتين أو أكثر من ذلك ، وفي الحالة الأخيرة يقال إن الإعاقة مركبة ، ويمكن تصنيف أنواع الإعاقات وفقاً للآتي :

١ ـ تخلف في القدرة العقلية العامة وبدرجات متفاوتة ، ومن ثم تختلف درجات التعويق العقلي .

٢ ـ تعويق في إحدى حواس الاتصال « السمع ـ الإبصار ـ الكلام) .

٣ ـ تعويق في الأعضاء والوظائف العصبية والبدنية « الشلل الكلي ، أو الجزئي ، والعاهات الجسمية بمستوياتها » .

٤ ـ تعويق في الجوانب الاجتماعية والانفعالية . كالقصور الشديد في البيئة أو الاضطرابات النفسية الحادة .

٥ ـ تعويق في قدرات التحصيل ، أو عيوب في عمليات التعامل مع الرموز المكتوبة والمقروءة .

وقد يكون الانحراف بسيطاً في درجته ، بحيث يصحح باستخدام بعض الأساليب والممارسات التقليدية ، مثل تعديل طرق التدريس ، أو محتوى المنهج المدرسي ، أو تكثيف الأنشطة التعليمية . وقد يكون حاداً بحيث يتطلب إجراءات خاصة ومتخصصه .

(شاكر قنديل ، ص ٢٦٥ ، مرجعه سابق)

ويتوقف أثر الإعاقة على مدى قبول الفرد لها واتجاهه نحوها .

رعاية الأحداث Child Protection

هي كل إجراء يتخذ مع الحدث لتنمية قوة مقاومته والحد من قوة استجابته للمؤثرات الضارة المحيطة به بغرض حمايته من الوقوع في الانحراف . وبذلك تتضمن رعاية الأحداث كثيراً من المعالجات والتوجيه والإرشاد الفردي والجماعي والرعاية الطبية والتدريب المهنى والتأهيل .

وتواجه الخدمة الاجتماعية أنواعاً مختلفة من الأطفال :

فمنهم الطفل المهجور abandoned ، والطفل المحروم deprived ، والطفل الذي لا مأوى له homeless ، والطفل غير الشرعي Illegitimate ، والطفل الذي تساء معاملته maltreated والطفل ذو العاهة الجسمية أو الاعاقة Physically handicapped ، والطفل المُشكل Problemed child ، والطفل غير

المتكيف maladjusted وتتم معالجة هؤلاء وذلك عن طريق دراسة حالـة كل طفل وتقرير العلاج المناسب له .

تشغيل الأحداث Child Labour

يستخدم الأحداث في الأعمال المختلفة قبل أن يتم نموهم ويترتب على تشغيلهم في سن مبكرة أو في أعمال شاقة إعاقة نموهم الجسماني والحيلولة بينهم وبين الحصول على التعليم الأساسي . ولذلك يحدد تشريع العمل الحد الأدنى للسن التي يجوز فيها تشغيل الأحداث ، كما يحدد ساعات للعمـل ، والأعمال التي يمكنهم مزاولتها . ويمنع تشغيلهم ليـلاً أو في أعمال شـاقة أو مضرة بالصحة .

(أحمد زكي بدوي ، ص٥٨ ، مرجعه السابق)

وبحدد ذلك قانون العمل وقانون رعاية الأحداث والتعليم الإلزامي

جُناح أو جنوح Delinquency

تستخدم هذه اللفظة للدلالة على الهفوات التي يرتكبهـا الأحداث ضـد القانون أو النظام الاجتماعي السائد . ومنها « الجنحة » نسبة إلى المخالفة التي لا تبلغ درجة الخطورة بحيث ينبغي اعتبارها جريمة . وتطلق هذه اللفظة عادة مقـرونـة بـالأحـداث الجـانحين أو جنـاح الأحــداث أو جنـوحهم Juvenile Delinquency يستعمـل هذا الاصـطلاح في العادة للدلالـة على المخالفـات والهفوات القانونية التي يرتكبها الأحداث الذين دون السادسة عشر أو الثامنة عشر من العمر . وتجري محاكمة هؤلاء الأحداث الجانحين في محـاكم خاصـة ، مثلما يصار إلى وضعهم في إصلاحيات لتقويم اعوجاجهم وإرشادهم نحو جادة الصواب[1] .

(أسعد رزوق ، ص ١٠٠ ، مرجعه السابق)

ولقـد قام سكـوت (١٩٦٤) ببحث تبين منه انخفـاض النسبة المئـوية للضعف العقلي المسبب للجناح ، وارتفاع النسبة المئوية لاضطرابات الشخصية

المؤدية للجناح ، حتى بلغت ٦٠٪ ، وقام « صيلي » و « برونر » بتصنيف بواعث الجناح ، فوجدا أنه إما محاولة لتحقيق إشباع تعويضي بديل بارتكاب المغامرات والشغب ، وإما محاولة لتقوية الأنا الذي جرحته مشاعر الدونية أو عدم الكفاءة ، بالانضمام إلى الجماعات المنحرفة ، أو بأن يقوم الحدث وحده بالبرهنة لنفسه على شجاعته وقيمته ، وإما محاولة لتحقيق الإشباع بالانتقام عن وعي أو بلا وعي ، وبطريقة - مباشرة أو غير مباشرة ، وربما كان محاولة تدفعها رغبة خفية لعقاب الأبوين ، باتباع سلوك يؤذيهما وينغص حياتهما ، وإما محاولة لإرضاء وتضخيم ذاته باتباع سلوك معاد للمجتمع ، وإما استجابة لدوافع غريزية معطلة أو مهملة ، في شكل سلوك جنسي خاطىء ، وإما رغبة في إنزال العقاب بنفسه استجابة لشعور واع أو غير واع بالذنب . (عبد المنعم الخفي ، ص ٢٠٠ ، ١٩٧٨) . ويؤكد هذا التعريف الإتجاه المتعدد العوامل الذي يأخذ به المؤلف في تفسير الأمراض والانحرافات[١] .

أما جناح الأطفال **Child delinquency** فيتضمن الهروب من المدرسة ، والتجول ، والكذب ، والسرقة ، ورفض تناول الطعام ، ورفض الكلام ، والقسوة والثورات المزاجية . وكل هذه الأفعال ليست شاذة فكل الناس الأسوياء قد يأتون هذه الأفعال في يوم من الأيام ، لكن المشكلة أن يتكرر هذا السلوك من الطفل حتى يصبح عادة ، وعندئذٍ يحدث ما لا تحمد عقباه . وتدل هذه الأفعال على وجود صراع بين دوافعه وما تسمح به البيئة أو تتطلبه . وليس من اللازم أن تبلغ درجة الصراع عند الطفل الدرجة المتعارف عليها للصراعات عند الراشدين ، وكثيراً ما تكون هناك إزاحة عن السبب الأصلي للاضطراب والتشخيص العلاجي هو الذي يحدد أسباب عدم الرضى عند الطفل[٢] .

(عبد المنعم الخفي ، ص ٢٠ مرجعه السابق)

مص الأصابع و (الأبهام) Thumb sucking

ضرب من السادية الفمية التي يمارسها الأطفال أو الولد حين يعمد إلى وضع إبهامه في حلقة أو إلى مص إصبعه بشكل عام . ويعتبره المحللون النفسيون من الظواهر الدالة على مغزى جنسي له علاقة بالكبت والاستعاضة عن وضع الثديين . (أسعد رزوق ، ص ٢٩٠ ، مرجعه السابق) ويميل المؤلف إلى

باعتباره سلوكاً تعويضاً عما يعانيه الطفل من الفشل والإحباط والحرمان .

الكذب المرضي Pathological lying

ميل لدى المرء ، من حالات طرفية للغاية أحياناً وبدون أي دافع ظاهر ، نحو رواية القصص الخيالية أو المتخيلة باعتبارها قصصاً حقيقية أو واقعية تمتاز بهذا الميل بعض أنواع الاضطراب العقلي والخلل الذهني .

ومن أنواع الكذب : الظرفي المفرط Pseudologia Fantastica وهو ميل هاجس أو تركيبي في صميم تكوين المرء النفسي والجسمي ، يحمل صاحبه على الكذب في ظل ظروف معينة وإلى درجة مفرطة للغاية ، حيث يطلق العنان لخياله في التلفيق والتزوير . (أسعد رزوق ، ص ٢٥٨ ، مرجعه السابق) وقد يلجأ الطفل للكذب تقليداً لما يراه من جانب الكبار .

فقدان النوم أو الأرق أو السهاد Insomnia

قد يكون استجابه وقتية لإثاره ، أو لاضطراب انفعالي ، وقد يكون خاصية دائمة تميز نمط نوم الفرد . ويرتبط الأرق الوقتي بالحالة الفيزيقية كالتعب الشديد أو تغير مكان النوم ، أو تغيير نوعية الأكل المعتاد أو تناول بعض العقاقير التي تؤدي إلى الأرق . ويؤدي القلق والخوف والشعور بالذنب إلى الأرق ، وقد يكون الأرق عرضاً بسيطاً ، ولكنه قد يرتبط بحالات مرضية كالاكتئاب أو الهوس . وترتبط شدة الأرق ، بشدة الاضطراب الانفعالي وبخصائص الشخصية . (عبد المنعم الحفني ، ص ٣٩٥ ، مرجعه السابق) .

النكوص regression :

ويعني العودة القهقرى لمراحل النمو السابقة والتي سبق للطفل أن تخطاها وتجاوزها ، ولكن يعود إليها ربما إثر تعرضه لأزمة انفعالية لوجود مولود جديد بالأسرة أو سحب الآباء والأمهات لعطفهم عليه أو نتيجة ذهابه للمدرسة لأول مرة ، فيرتد الطفل إلى عادة بل فراشة وهو نائم بعد أن كان قد تجاوزها وتمكن من التحكم في عضلات مثانته أو يعود إلى البكاء والصراح والعويل أو إلى الثأثأة أو التهتهة وما إلى ذلك .

اكتئاب الطفولة Anactitic depression :

عبارة عن نوع من الاكتئاب العصابي أي المرضي الذي يظهر في الطفولة عندما يحرم الطفل من الإشباع والتأييد العاطفي .

المرحلة الشرجية Anal stage :

مصطلح من مصطلحات علم النفس التحليلي يطلق على مرحلة من مراحل النمو الجنسي النفس وفيه يتركز الاهتمام بالنواحي الشرجية . ويستمد الطفل لذته منها .

الأخصاء Castration[1]

الشعور بالخوف من إخصاء أو إقصاء الأعضاء التناسلية في الفرد وخاصة الأطفال .

مرحلة المراهقة Adolescence Stage

هي مرحلة النمو التي تبدأ من سن البلوغ أي في سن ١٣ تقريباً ، وتنتهي في سن النضج أي حوالي الثامنة عشرة أو العشرين من العمر ، وهي سن النضوج العقلي والانفعالي والاجتماعي وتصل إليها الفتاة قبل الفتى بنحو عامين وهي أوسع وأكثر شمولاً من البلوغ الجنسي لأنها تتناول كل جوانب شخصية المراهق .

أما الراشد Adult هو الذي تزيد سنه عن ٢١ سنة ويتمتع بالأهلية الكاملة أي أهلية الوجوب وأهلية الأداء . وتمارس الجماعات الفطرية بعض الطقوس عند بلوغ سن الرشد كطقوس البلوغ Puberty rites ، وطقوس التكريس initiation rites . (أحمد زكي بدوي ، ص ٩ ، مرجعه السابق) ومن أشهر ما كتب عن المراهقة والبلوغ مارجريت مد حيث درست المراهقة في المجتمعات ، البدائية .

ومن تعريفات المراهقة له كذلك ، أنها فترة الحياة الواقعية بين البلوغ والنضج . وإنها تقع بالتقريب فيما بين سن ٩ سنوات و ١٩ سنة ، وتتميز بتغيرات جسمية ونفسية ملحوظة . فيجيء الحيض للبنت بانتظام ، كما يظهر

(١) Shanmugan, T.E, Abnormal psychology.

ارتفاع ثدييها ويستدير جسمها بوجه عام . أما الولد فإنه يصبح قادراً على القذف المنوي ، كما ينجم عن تضخم صندوقه الصوتي خشونة في صوته ويصير أفراد كلا الجنسين أكثر إحساساً بالخجل الذي يشتد بسبب ما يلقونه من صعاب في السيطرة على التغير ما لم يعتادوه في أجسامهم وأصواتهم ، ويصبحون أيضاً حساسين تجاه ملابسهم ، بحيث يبدأ المراهق غير المنظم في تكريس كثير من الوقت لمظهره والعناية به ، وتتميز هذه الفترة بالحساسية الزائدة والوقوف على القيم المجردة بحيث يصبح هناك اهتمام بالشعر ، والدين . (مكدونالد لاول ، ترجمة يوسف ميخائيل ، ص ٧ ، ١٩٧١) والمراهقة ، في المجتمعات المتحضرة محاطة بكثير من الاضطرابات والأزمات .

والرشد مفهوم يشير إلى أن الفرد قد تجاوز مرحلة الطفولة والاعتمادية ، وأصبح مكتمل النمو في كل ومعظم مظاهره ، وبلوغ الرشد Adult hood مرحلة لا تتحقق بدنياً قبل بلوغ الفرد سن الحادية والعشرين من عمره ، أما بلوغ الرشد النفسي ، والاجتماعي ، فهو حالة قد تواكب الرشد البدني وقد تتخلف عنه وفقاً لكل حالة فردية ، ولكن السن التي تستقر بعدها معظم عمليات النمو والتغيرات الجسمية والانفعالية السريعة هي سنه ٢١ سنة تقريباً . حيث يصبح الفرد قادراً على تحديد كيانه الذاتي ، ويتبلور مفهومه عن نفسه ، ويصبح أقدر على الإشباع لمعظم حاجاته ، ومن ثم يكتفي بنفسه ، ويتعمق لديه الوعي بالمسؤولية والقدرة على ضبط الذات ، والتحكم في النزعات الجامحة ، وتتحدد الاتجاهات ، ويتبلور لديه بنمط ذاتي لحياته . (شاكر قنديل ، ص ٢١١ ، مرجعه السابق) .

البلوغ Puberty نضج الوظائف الجنسية والخصائص الجنسية الثانوية . والبلوغ هو الفترة التي يتحقق فيها النضج التناسلي ، وعلامته بداية الطمث بالنسبة للفتاة ، والقذف المنوي بالنسبة للولد ، وتمتد بين سن ١٢ و ١٥ ، ويعدها البعض مرادفه لفترة المراهقة ويقسمها آخرون إلى ثلاث مراحل :

أ ـ قبل البلوغ .
ب ـ البلوغ .
جـ ـ بعد البلوغ .

(عبد المنعم الحفي ، ص ١٩١ ، مراجعة السابق)

وهناك فرق بين المراهقة والبلوغ حيث يعتبر البلوغ بداية فقط لمرحلة المراهقة ويعبر عن الجانب الجنسي أو التناسلي فقط أما المراهقة فتتضمن سلسلة من التغيرات الجسمية كالقذف عند الذكر والطمث عند الأنثى وإلى جانب ذلك تغيرات نفسية وعقلية تتمثل في النضوج النفسي والتفكر والقدرة على ممارسة التفكير المجرد أو التفكير في الأمور المعنوية . ويواجه المراهق كثيراً من المشكلات والأزمات والصراعات والتوترات ويشعر بالقلق والشك والريبة وفقدان الثقة في ذاته ويميل إلى المثالية والتصوف ويحدث في هذه المرحلة ما يعرف باسم اليقظة الدينية . وتحتاج مرحلة المراهقة لكثير من الاهتمامات بغذاء المراهق ورياضته ونشاطه الترويحي والثقافي والعلمي والكشفي[1] .

التبول الليلي اللاإرادي أو بوال ليلي **Nocturnal Enuresis** التبول اللاإرادي هو عدم قدرة المثانة على الاحتفاظ بالبول أو عدم القدرة على ضبطه . وقد اشتق البوال من المرض على وزن فعال وقد ورد في مختار الصحاح « أخذه بوال » فكأن البوال هو تلك الحالة المرضية التي تحدث ليلاً أو نهاراً في النوم أو في اليقظة ، وقد يحدث البوال في بعض الحالات ليلاً فحسب ويسمى **Nocturnal Enuresis** .

وأول ما يجب فعله عند حدوث البوال وبخاصة بعد تلك المرحلة العمرية التي يتعود الطفل فيها على ضبط مثانته إنما هو الفحص الطبي حتى يمكن استبعاد الأسباب الجسمية التي تسبب البوال .

فإذا تأكدنا من عدم وجود أسباب جسمية ، فإن البوال يشير إلى أسباب نفسية وعادة ما يكون ضمن زملة أعراض **Syndrom** ، ومن ثم لا بد من دراسة الحالة للتعرف على الأسباب النفسية التي تسبب البوال ، وفي الأطفال يكون العلاج عن طريق اللعب أو السيكودراما ، وفي الكبار يغلب أن يكون البوال ضمن زملة عصابية كالهستيريا[2] .

ومما ينصح به الآباء تفريغ مثانة الطفل قبل أن يهرع إلى فراشه ، وعدم

---

(١) د. عبد الرحمن عيسوي : سيكولوجية النحو ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ١٩٨٦ .

(٢) حسين عبد القادر : معجم علم النفس والتحليل النفسي .

شرب كميات كبيرة من السوائل قبل النوم وتعويد الطفل على الاستيقاظ في وقت محدد أثناء نومه حتى يتعود على هذه العادة ويستيقظ من تلقاء نفسه إلى جانب المعالجة العضوية إذا تبين وجود سبب عضوي .

التأخر الدراسي : Underachievement .

هو حالة تأخر أو تخلف أو نقص أو عدم اكتمال النمو التحصيلي نتيجة لعوامل عقلية أو جسمية أو اجتماعية أو انفعالية ، بحيث تنخفض نسبة التحصيل دون المستوى العادي أو المتوسط .

وللأغراض التربوية يعرف التأخر الدراسي إجرائيا على أساس الدرجات التحريرية التي يحصل عليها التلميذ في الاختبارات في جميع المواد .

والتخلف الدراسي نوعان :

أ ـ تأخر دراسي عام ويرتبط بالغباء حيث تتراوح نسبة الذكاء بين ٧٠ : ٨٥ .

ب ـ تأخر دراسي خاص في مادة بعينها كالحساب مثلاً ويرتبط بنقص القدرة .

(حامد زهران ، ص ٥٠٢ ، ١٩٧٧) ويكمن علاج التأخر الدراسي في معرفة الأسباب التي أدت إليه ، فقد يكون ناتجاً عن ضعف السمع أو الأبصار لدى الطفل ، وقد يكون ناتجاً من اعتلال الصحة والضعف العام . وقد يرجع إلى صعوبة المادة الدراسية وانخفاض مستوى ذكاء الطفل . وقد يرجع إلى سوء طرائق التدريس أو سوء العلاقة بين التلميذ والتوتر والصراع والحرمان . وقد يرجع إلى صعوبات منزلية وتعثر إيجاد مكان مريح وهادىء يستذكر التلميذ فيه دروسه . وقد تكلفة الأسرة بأعمال تشغله عن الواجبات الدراسية وعلى ذلك يكون العلاج موجهاً نحو أسباب الضعف لإزالتها . .

الفصل الثاني
العوامل الوراثية والبيئية المؤثرة في السلوك

- الدراسة العلمية للعوامل الوراثية.
- التشابه بين الآباء والأبناء.
- صعوبات النمو .
- الضعف العقلي .
- علم الوراثة السكانية .
- أثر الوراثة في سلوك الحيوان .
- تجارب التعلم والوراثة .
- أثر الوراثة في سلوك الإنسان .
- دراسات أطفال التبني .
- العوامل الولادية أو الميلادية .
- الوراثة والمرض العقلي .
- أثر الذكاء في التعلم .
- أثر تعليم ما بعد الحضانة .
- فسيولوجيا السلوك.
- أثر الجهاز العصبي والغدي في الشخصية.
- الغدد الصماء .
- الانفعالات.
- الانفعالات في المدرسة البنائية .
- الاستجابات الداخلية .

الدراسة العلمية للعوامل الوراثية

تعريف الوراثة :

يمكن تعريف الوراثة Heredity بأنها تلك الصفات والخصائص التي تنتقل من الآباء والأجداد إلى الذرية عبر ما يعرف باسم ناقلات الوراثة أو الجينات Genes وهي وحدات الفعل الوراثي Hereditary وهي التي تكمن في الكروموزومات Chromosomes ويحتوي كل كرموزوم على العديد من الجينات . وتوجد هذه الكروموزومات في شكل أزواج . فرد من هذه الأزواج يأتي من الأب والآخر يأتي من الأم .

وفي علم النفس يمكن النظر للوراثة على أنها تلك التأثيرات الكلية البيولوجية التي تنتقل من الآباء والأجداد والأمهات ، تلك التأثيرات التي تحدد الطرق التي سوف يستفيد الفرد من خلالها من بيئته ، وعلى ذلك فالوراثة هي انتقال بعض الصفات من الوالدين والأجداد إلى الذرية Offesprings والتي تميل إلى إظهار بعض الصفات في الذرية . كما تشير الوراثة إلى الكروموزومات الموجودة في الخلية الجرثومية والتي تتضمن عوامل تسمى الجينات . حيث تستقبل الخلية المخصبة Fertilized cell عن طريق غزوها عن طريق الحيوان المنوي تستقبل بعض الجينات من الأم والأخرى من الأب . ويؤدي هذا إلى أن الكائن المكون سوف يمتلك بعض السمات Traits التي تشبه تلك السمات عند الآباء والأمهات . ولكن هذه لسمات تتأثر أيضاً بالعوامل البيئية المحيطة بالفرد في ثنايا عملية نموه . والسمه الناتجة عن ذلك تسمى الفينوتيب Phenotype ويحددها التفاعل Interaction بين الجينات والظروف البيئية Paratype وعلى

ذلك فإن السمات لا تختلف من حيث هي وراثية أو بيئية مكتسبة إلا في الدرجة وحسب فأي سمة إنما هي محصلة للتفاعل بين عناصر البيئة والعوامل الوراثية ، فلا يمكن أن نقول أن الإنسان إبن البيئة وحدها أو إبن الوراثة وحدها وإنما هو نتاج لكلا الطائفتين من العوامل . فالطول مثلاً Height رغم كونه وراثياً في المحل الأول ، إلا أن الطول الحقيقي الذي يصل إليه الفرد لا يمكن أن يتحقق إلا في ضوء تنوع غذاء الإنسان وملاءمته The variety and adequancy of the diet وبالمثل فإن سمة سلوكية كالذكاء Intelligence فرغم وجود عناصر وراثية في تحديدها ، ولكن المستوى العقلي الحقيقي الذي يصله الإنسان يعتمد على العديد من المثيرات و الغذاء أيضاً في سني النمو .

ولكن السؤال المهم ليس في الاختيار بين الهيئة أو الوراثة ، ولكن كم نستطيع أن نعرف كم من الحدود ووجوه القصور ملقى من الوراثة على استعدادات وإمكانات الفرد ، أي معرفة مواطن الضعف أو العجز في العناصر الوراثية لشخص ما ، ثم معرفة مدى إمكانية قدرتنا على تغير هذه الاستعدادات بتغيير البيئة الملائية ومعرفة كم من الخسائر تتحقق من تعرض الفرد لعناصر بيئية غير صالحة .

ويوضح علم الوراثة الحديث Modern genetics كيف تنحدر السمات الفيزيقية لدى الذرية من سمات الآباء والأجداد . أما علم الوراثة السلوكية Be-haviour genetics وهو فرع حديث من علم الوراثة ، فيهتم بميراث السلوك أو بوراثة السلوك أكثر من اهتمامه بالبناء الفيزيقي . ولكن السلوك الموروث هو نتيجة لعضو أو لعنصر فيزيقي موروث . فالسلوك الذكي ناتج من تكوين فيزيقي ذكي . والبناء أو التكوين الموروث لا يبدو لنا مباشرة ، وإنما يظهره باعتباره تفاعلاً بين عناصر البيئة والوراثة . ومن هنا يصبح السلوك هاماً مثله مثل البناء الفيزيقي الموروث . فقدرة الفأر على الجري في متاهة ما لا تقل أهمية عن وزن دماغه بالنسبة لعالم السلوك .

التشابه بين الآباء والأبناء :

في الوقت الذي تعلمنا فيه الوراثة دراسة التشابه بين الآباء والذرية ، فإنها تعلمنا كذلك أن نبحث فيما وراء هذا التشابه السطحي Superficial

resemblances والحقيقة أن وجود نقص في هذا الشأن بين الآباء والأبناء هـو الـذي يعطينـا مفتاح فهم كيفيـة عمل ميكـانزمـات الوراثـة أي آليات الـوراثة Mechanism of heredity فقد توجد صفة في الأب أو في الأم ولكنها لا تظهر من الابن ، أو توجد صفة من الابن ولا توجد في الاب أو من الام . ومعروف أن جسم الخلية يحتوي على ٤٦ من الكروزومومات وعند الأخصاب أو التلقيح Conception يستقبل الإنسان ٢٣ كروموزوم من الحيوان المنوي Sperm الصادر عن الأب ومثلها صادرة عن بويضة الأم Ovum وتكون هذه الكروموزومات ، الـ ٤٦ ، أزواجاً منها تبلغ ٢٣ زوجاً وهذه الأزواج تتضاعف وتتكاثر Duplicate كلما نما الفرد في كل خلية من خلايا الجسم .

وتتزاوج أيضاً الجينات أي ناقلات الوراثة بمعنى أنها تصبح هي الأخرى زوجية بمعنى انضمام ناقلة من الحيوان المنوي والأخرى تأتي من البويضـة . وليس لـدينا طـريقة دقيقـة لحصر أو لعـد الجينات مثلمـا يحدث في إحصـاء الكروموزومات لأنها لا تظهر في المجهر كأعضاء مستقلة . ولكننا نستطيع أن نقول أن هناك ١٠٠ ناقلة في كل كروموزوم بشري أو ربما أزيد من هذا العدد ، ونعرف ذلك في ضوء دراسة الكائنات الأخرى . ويسبب كثرة أعداد الجينات والكروموزومات ، فإنه من المتعذر أن توجد ذات الوراثة في اثنين من الأخوة . هذا فيما عدا التوائم العينية Identical twins وهي التوائم التي تتكون من انشطار بويضة واحدة مخصبة في الرحم ويكون لكل منها نفس صفات الفرد الآخر . وتختلف هذه التوائم في مقدار التشابه بين أفرادها عن التوائم العادية Fraternel twins or dizgotic التي يتكون كل فـرد منها من بـويضة مستقلة مخصبـة في الرحم .

والجينـات قد تكـون متنحية أو متـراجعـة Recessive أو تكـون سـائـدة ومتسيطرة Dominant ، فإذا كان كل من زوجي الجينة Gene pairs من النوع المسيطر ، فإن السمة المنقولة بواسطة هذه الجينات تظهر على الفرد . أما إذا كان أحد الزوجين مسيطراً والآخر متنحياً فإن سمة الجينـة المسيطرة هي التي ستظهر . ولكن مثل هذا الشخص صاحب هذه السمة سوف يحمل أيضاً الجينة المتنحية أو المتراجعة والتي يمكن أن تظهر ليس فيه هو نفسه وإنما تظهر في

ذريته في أبنائه . أما السمة المتنحية فإنها تظهر فقط عندما يكون كل من الفردين من الجينات متنحياً ومعنى ذلك أن :

سمة مسيطرة + سمة مسيطرة أخرى تعطي السمة المتسيطرة .
سمة مسيطرة + سمة متنحية تعطي السمة المتسيطرة .
سمة متنحية + سمة متنحية تعطي السمة المتنحية .

وهناك أهمية خاصة لأحد أزواج الكروموزومات هذه وهو الزوج المتصل بالجنس وبعض السمات الجنسية الأخرى . فالمعروف أن الأنثى العادية لديها اثنان من كروموزوم ـ ×، بينما الذكر العادي لديه كروموزوم × واحد فقط ولديه كروموزوم Y آخر .

فالأنثى لديها ٢ كروموزوم ×
والذكر لديه ١ كروموزوم × + ١ كروموزوم Y

وراثة الأنثى	وراثة الذكر
٢ كروموزوم × واحد من الأم والآخر من الأب	١ كروموزوم × من الأم ١ كروموزوم Y من الأب

وعلى ذلك فالطفلة الأنثى ترث ١ كروموزوم × من الأم وآخر مثله من الأب ، بينما الولد الذكر يرث ١ كروموزوم × من أمه بينما يرث ١ كروموزوم Y من أبيه . ونظراً لأن كروموزوم Y من النوع الضعيف فإنه يعمل في عملية الوراثة كما لو كان يحمل فقط الجينات المتنحية . أما كروموزوم × فإنه إما أن يحمل جينات متسيطرة أو سائدة أو متنحية . وعلى ذلك ، فإن السمة المتنحية في الذكر مثل عمى الألوان Colour blindness تحدث فقط عندما يرث الذكر جينة متنحية خاصة بعمى الألوان من أمه . ويلاحظ أن نسبة الإصابة بعمى الألوان في الإناث أقل منها في الذكور لأن الأنثى لكي يكون لديها عمى الألوان ، لا بد أن ترث عمى الألوان من كل من والدها ووالدتها التي إما أن تكون مصابة بعمى الألوان أو على الأقل حاملة لجينة متنحية خاصة بعمى الألوان .

وعلى ذلك فإن معرفتنا بنوع الكروموزومات يساعدنا في فهم السمات الإنسانية وكيف تتكون وراثياً . بل إن المعطيات الجديدة الخاصة

بالكروموزومات البشرية تساعد في فهم كثير من الصعوبات التي تواجه عملية النمو في الإنسان .

صعوبات النمو :

من بين هذه الصعوبات التي تواجه سير النمو لدى الذكور مجموعة الأعراض المرضية المعروفة باسم كلينفلتر Klinfelter's Syndrome حيث تعجز أعضاء التناسل في الذكر Genitas وتفشل في النمو الطبيعي . وفي الغالب هناك مقياس لأعضاء خلايا الجلد في الذكور الأسوياء يعرف باسم كروماتين Chromatin يعطي نتيجة سلبية أو يكون في الأسوياء سالباً ، أما في مرض كلينفلتر فتكون نتيجته إيجابية كما هو الحال في الإناث الأسوياء . ومعنى ذلك أن الذكر يشبه الأنثى في هذه الحالة . ولقد تبين أن هذا النمط من الشذوذ في النمو يرجع إلى وجود كروموزوم جنسي زائد أو إضافي . فالشخص الذي يمتلك اثنين من صبغية أي من كروموزوم × ولديه كروموزوم واحد من نوع الـ Y يصبح لديه ٢٤ صبغة أي أكثر من الشخص العادي بوجود صبغية واحدة زيادة عنده .

وهناك صبغية تشبه هذه الصبغية ، ولكنها عند الاناث ، تؤدي إلى ظهور مجموعة أعراض تعرف باسم مجموعة أعراض تيرنار Turner's Syndrome ويظهر على صاحبها نقص أو ضعف في نمو الصفات الجنسية الثانوية Secon-dary sex characteristics في السن التي يتوقع فيها للفتاة أن تصل إلى مرحلة البلوغ الجنسي ، وأن تحدث عندها التغيرات المتعلقة بالبلوغ Pubertal changes .

ومعروف أن الصفات الجنسية الثانوية تتضمن تلك الصفات البعيدة نسبياً عن وظيفة الجنس ذاتها أي التناسل . ومن هذه الصفات في الأنثى نمو الشعر فوق العانة وتحت الإبط ونمو الأرداف وبروز عظام الحوض ونعومة الصوت ونمو الثديين . ويقابلها عند الذكر نمو العضلات وخشونة الصوت ونمو شعر الشارب والذقن وما إلى ذلك .

في هذا المرض تصبح المرأة سلبية في اختبار كروماتين Chromatin (والكروماتين عبارة عن مادة في نواة الخلية) مثلها مثل الرجل . ولقد اتضح أن لديها ٤٥ صبغية فقط حيث ينقصها صبغية واحدة من نوع الـ × .

الضعف العقلي :

وهناك حالة أخرى ليست متصلة بالنمو الجنسي ، وإنما متصلة بالضعف العقلي Mental subnormality وتعرف باسم المنجولية أو المنغولية Mongolisn أي العته المنغولي .

وفي هذا الاضطراب يشبه وجه المريض وجوه الجنس المنغولي ، وهي حالة وراثية يتميز فيها المريض بوجود جمجمة مفرطحة وأصابع قصيرة ولسان عريض . ولقد تبين أن الشخص المنغولي لديه صبغية صغيرة إضافية أو زائدة ربما تكون ناتجة عن توالد صبغياته أو تكاثرها .

علم الوراثة السكانية :

وفي إطار ما يعرف باسم الوراثة السكانية Population genetics تعتمد السمات الأساسية السائدة في مجموعة سكانية معينة على نوع الجينات المنتشرة في هذا المجتمع أو ذاك . وفي ضوء هذا الفرع من العلم يمكن جمع المادة عن الآباء والأبناء في نفس الوقت في خلال عمر عالم واحد بعينه دون الحاجة إلى جمع تاريخ حياة الأسرة عبر عدة أجيال . والمأمول في القريب أن تتم دراسة الوراثة السيكولوجية بهذا المنهج كدراسة الاهتمامات السيكولوجية مثلاً .

وفي إحدى دراسات هذا النوع من علم الوراثة ونعني به الوراثة السكانية أمكن اكتشاف نوع من الضعف في إحساس التذوق أو الذوق Taste deficiency ووجد أنه يوجد بنسبة ٣٠٪ من مجموع السكان . فهناك مادة كيميائية تسمى Phenylthio - carbamide عندما توضع في الفم وهي بتركيز ضعيف يشعر بطعمها المر ٧٠٪ من مجموع السكان بينما تكون عديمة الطعم بالنسبة لبقية الناس . وبطبيعة الحال فإن الإنسان لا يختار شريكة حياته وفقاً لقدرتها على التذوق للطعوم المختلفة ، وعلى ذلك فإن توزيع هذه القدرة الحاسة بين السكان يتبع التوزيع العشوائي . بمعنى أنه بين كل ١٠٠ من الأزواج والزوجات فإن نسبة الذواقة إلى عديمي التذوق لهذه المادة تكون ثابتة . ومن هنا يمكن التنبؤ بحالات الذواقة وعديمي التذوق على اعتبار أن عدم التذوق عبارة عن سمة متنحية بينما التذوق سمة متسيطرة . ومن هنا فإن الأبناء المنحدرين من أبوين عديمي التذوق يكونون أيضاً مثلهم عديمي التذوق . وعندما يمتلك الأبوان كلاً

من الجينة المتسيطرة والمتنحية فإن نسبة الذواقة إلى عديمي التذوق تصبح ٣ : ١ في الأبناء . أما إذا كان أحد الوالدين متسيطراً في جيناته فإن الأطفال يكونون ذواقين .

أما بقية السمات أو الخصائص السيكولوجية فإنها لا تخضع لمثل هذا التنبؤ العلمي ، وذلك لأن هذه السمات تتدخل في عملية اختيار الإنسان لشريكة حياته ، وعلى ذلك لا يمكن افتراض توزيع عشوائي في مثل هذه السمات . من ذلك الأنطواء أو الانبساط قد يدخل في عملية اختيار الإنسان لزوجته مثلاً . كذلك فإنه من الصعب أن تعتمد السمات السيكولوجية على جينة واحدة بعينها أي على فرد واحد من أزواج الجينات .

وتكشف تجارب تربية الحيوانات عن تأثير الوراثة على السلوك الحيواني .

أثر الوراثة في سلوك الحيوان :

تؤثر الوراثة ، بالطبع ، على سلوك الحيوانات المختلفة . ومن ذلك أن بعض سلالات الفئران تصاب بالتقلصات أو التشنجات Convulsions عندما تتعرض للأصوات العالية ، بينما هناك سلالات أخرى لا تصاب بهذا . وعندما تم تهجين أو مزج هذه السلالات ظهرت التقلصات كما لو كانت موروثة أو كما لو كانت هذه النوبات المرضية موروثة Inherited كسمة متسيطرة .

كذلك فإن الألفة والوحشية Wildness and tameness صفتان وراثيتان في الحيوان . فلقد أدى التغيير في فرد من أزواج الجينات إلى تحويل السلالة الغير أليفة إلى سلالة أليفة .

تجارب التعلم والوراثة :

لقد أجرى العديد من الدراسات على أثر الوراثة في عملية التعلم عند الفئران ، أي على القدرة على التعلم عندها . وعن طريق مزج أو خلط أو تهجين تلك الفئران التي كان أداؤها ضعيفاً أو رديئاً في متاهات التعلم مع زملاء لهم ضعاف أيضاً في القدرة على التعلم في المتاهات ، أدى هذا الخلط أو التهجين إلى تكوين سلالة « غبية » من الفئران . وعن طريق تهجين تلك الفئران التي أدت آداء طيباً في متاهات التعلم مع زملاء آخرين أدوا أيضاً بطريقة

حسنة . أسفر هذا التهجين عن تكوين سلالة (ذكية) . ولكن هذه التجارب يوجه إليها النقد من ناحيتين :

أ ـ أن قضية الذكاء والغباء كانت مرتبطة فقط بتعلم المتاهات .

ب ـ أن هذه السلالات لم تكن نقية خالصة تماماً من الناحية الجينية أو الوراثية ، وعلى ذلك يصعب استنتاج محددات وراثية من هذه التجارب .

ولكن هناك تجارب أكثر حداثة تغلبت على هاتين الصعوبتين عن طريق استخدام نوع من المتاهات أقرب ما يكون إلى اختبارات الذكاء العام وعن طريق التحكم في نقاء الوراثة وذلك باستخدام التهجين بين الأخوة والأخوات من الفئران . ولقد نجحت هذه التجربة في عزل السلالات الذكية من الغبية خلال عدد محدود من الأجيال .

وهناك مجموعة أخرى من التجارب أجريت على فراشة الفاكهة على نزعة هذه الفراشات نحو الانجذاب نحو مصادر الضوء وعن طريق تهجين أصحاب النزعة القوية في الانجذاب نحو الضوء مع زملاء لهم ، لهم نفس القدرة ، وكذلك مزج الضعاف في هذه القدرة مع ضعاف أيضاً فيها أمكن عزل السلالات القوية عن الضيفة . وعبر عدة أجيال تكونت سلالات جديدة من الأقوياء والضعفاء . وتمتاز هذه التجربة بعدة مزايا عن تجارب الفئران منها :

أ ـ أن تكوين الأجيال المتعاقبة يستغرق وقتاً أقل في التربية .

ب ـ الخريطة التفصيلية للجينات والكروموزومات أمكن عملها بصورة أوسع وأعمق .

أما بالنسبة للإنسان ، فأننا لا نستطيع أن نجري عليه تجارب من هذا النوع وتبلغ نفس مستوى الضبط والتحكم وذلك لعدة اعتبارات منها العقبات الاجتماعية حيث أننا لا نستطيع أن نكون زيجات بين الناس وفقاً للمطالب الوراثية في التجربة . وحتى إذا كان في الإمكان التخطيط للزواج أو خضوعه للتخطيط العلمي الوراثي ، فإن طول مدة حياة الإنسان يجعل من الصعب على العالم متابعة عدة أجيال اللهم إذا اعتمد على السجلات القديمة للأسر وهي سجلات في الغالب غير مستوفاة .

وعلى كل حال هذه الصعوبات لم تحل بين العلماء وبين التقرير في مسائل مثل لون العينين ولون الشعر وشكله وكثير من أجزاء الجسم . أما الأدلة على وراثية السمات السيكولوجية فإنها أكثر صعوبة في الحصول عليها .

أثر الوراثة في سلوك الإنسان :

القاعدة الأساسية المألوفة للوراثة يعبر عنها بحيث أن السمات الموحدة يحددها زوج واحد من الجينات ، ولكن معظم السمات التي تم معرفة محدداتها الوراثية ليست بهذه البساطة .

فلون العين الأحمر في فراشة الفاكهة لا يعتمد على زوج واحد من الجينات ، وإنما على تركيب مكون من نحو ٥٠ جينه أو على عمل هذه المجموعة من الجينات أو الصبغيات . والسمات التي تختلف على بعد معين مثل الطول بمعنى أنها توجد بنسب أو بمقادير متفاوتة في الناس ، يحددها أكثر من جينة واحدة . والذكاء مثله مثل الطول يختلف على امتداد مقياس ما من الضعف العقلي إلى العبقرية **From subnormality to great briliance** وبالمثل كافة السمات المعقدة لا تعتمد على جينة واحدة ، وإنما تعتمد على تضافر عدد منها .

أثر الوراثة في الذكاء :

نستطيع أن ندرس أثر الوراثة في الذكاء أو في غيره من السمات المعقدة عن طريق فحص مقدار التشابه بين الآباء والأبناء أو بين الأبناء فيما بينهم أو بين الأقارب بدرجات مختلفة كأولاد العمومة والخؤولة . ولتحديد كم وكيف هذا التشابه نستخدم أحد المحكات أو المعايير الإحصائية أو المؤشرات الإحصائية وهو معامل الارتباط Coefficient of correlation وهو عبارة عن مقياس إحصائي لتحديد كم وكيف العلاقة بين متغيرين أو أكثر . كالذكاء عند الآباء وعند الأبناء . أو الطول والوزن أو الذكاء والتحصيل أو الفقر والجريمة . . . الخ .

فإذا كان الذكاء ينتقل وراثياً من الآباء إلى الأبناء لتوقعنا وجود معامل ارتباط إيجابي بين ذكائهم ، أي الآباء والأبناء . وكلما قيس هذا الارتباط في سن مبكرة للطفل كلما كان أكثر دلالة على وراثية الذكاء . أما عندما يتقدم

الطفل في العمر ، فإن العوامل البيئية والاكتساب يتـدخلان ولا يمكن إبعـاد أثرهما بسهولة .

ولكن هذه المسألة تنقلنا إلى صعوبة أخرى وهي مدى إمكانية قياس ذكاء الأطفال الصغار جداً . ولكن معظم المقاييس المبكرة أو التي تطبق على الأطفال وهم في سن مبكرة جداً وجد أنها لا تنجح في التنبؤ بالـدرجات التي سـوف يحصل عليها الطفل على اختبار الذكاء فيما بعد .

وهناك دراسة تضمنت مجموعة من الأطفال الأمريكـان الذين ولـدوا في كاليفورنيا في عامي ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ وكانت الدراسة طويلة الأمد أو طويلة المدى A Long-term study ولقد تضمنت العينة ٦١ طفلاً رضيعاً منها ٣١ ذكراً و ٣٠ أنثى . وخضعت هذه العينة لدراسة تتبعية بلغت ١٨ عاماً وبقي مستمراً في كل مراحل التجربة ٤٠ طفلاً فقط .

ولقد تم قياس ذكاء الأطفال مرة كل شهر خلال الخمسة عشر شهراً الأولى من حياتهم وذلك باستخدام مقياس كاليفورنيا العقلي للسنة الأولى The Califor-nia First Year Mental Scale ثم استمر قياسهم كل ٣ شهور مرة حتى بلغوا سن الثلاث سنوات وذلك بتطبيق مقياس كاليفورنيا لأطفال ما قبل المدرسة .

وتم استخدام ذات المقياس كل ستة شهور حتى سن الخامسة . وفي سن السادسة أصبح المقياس يستخدم مرة كل سنة وكان المقياس هو اختبار ستانفورد - بينيـه The Stanford Binet Test مـع اختبـار تيـرمـان ـ مـاكنيمـار الجمعي The Terman - Mcnemar Group Test وكـذلك اختبـار وكسلر ـ بيليفو لـلأطفال للذكاء ـ The Wechsler Bellevue . وقد لجأ الباحثون إلى تنوع الاختبـارات التي استخدموها ، وذلك لتحاشي تأثير ألفة الأطفـال مع الاختبـار أو معرفتهم بمفرداته وإجاباتها وحفظها ومن ثم عدم صدق النتائج .

ومثل هذه الدراسة تعطي مؤشراً لمدى ثبات درجات الذكاء التي يحصل عليها الطفل في مرات القياس المتتالية أو المتلاحقة ومدى تغيرها ، وكـذلك تكشف نتائج مثل هذه الدراسة عن السن التي يظهر فيها التشابه في الذكاء بين الآباء والأبناء . . ولقد أطلق على هذه الدراسة اسم دراسة باركلي للنمو The Berkeley Growth Study .

وهنا نتساءل كيف يمكن التنبؤ بدرجات الطفل على الاختبارات المقبلة من معرفة درجته على الاختبارات الحالية والتي أجريت عليه وهو في سن مبكّرة ؟ .

لقد تمت مقارنة درجات الأطفال في الذكاء وهم في سن الست سنوات على اختبار ستانفورد ـ بينيه . وتم حساب معاملات الارتباط بين درجات نفس الأطفال وهم في سن السادسة ودرجاتهم وهم فيما قبل السادسة من العمر . أما معامل الارتباط الآخر والذي قيس في هذه الدراسة فهو بين درجات الأطفال في الذكاء في أعمار مختلفة مع عدد السنوات التي قضاها الوالدان في التعليم .

والجدول الآتي يلخص معاملات الارتباط بين درجات الذكاء في سنوات ما قبل المدرسة ودرجاتهم وهم في سن السادسة ، وكذلك معاملات الارتباط بين متوسط سنوات بقاء الأب في المدرسة وبين ذكاء أبنائه .

السن عند القياس		معامل الارتباط مع		معامل الارتباط بين الذكاء وتعليم الآباء
	عدد الأطفال	درجات الـ ٦ سنوات	عدد الأطفال	معامل الارتباط
١ ـ ٣ شهر	٤٨	- ,١٣	٦١	- ,١٤
٤ ـ ٦ شهر	٤٨	- ,٠٧	٦٠	- ,٢٩
٧ ـ ٩ شهر	٤٥	,٠٢	٥٩	- ,٠٨
١٠ ـ ١٢ شهر	٤٨	,٢٠	٥٨	- ,٠٢
١٣ ـ ١٥ شهر	٤٥	,٣٠	٥٦	- ,٠١
١٨ ـ ٢٤ شهر	٤٨	,٥٠	٥٣	,٢٩
عامان	٤٨	,٥٩	٤٨	,٥٠
ثلاثة أعوام	٤٨	,٦٣	٤٩	,٤٧
أربعة أعوام	٤٥	,٧٧	٤٥	,٥٠
خمسة أعوام	٤٧	,٨٥	٤٧	,٥٨
ستة أعوام	—	—	٤٨	٥٧ و

ويلاحظ أن معاملات الارتباط خلال السنة الأولى مع السنة السادسة تكاد تكون صفرية أو معدومة . ولم يصل حجم معامل الارتباط ٥٠ و إلا بعد سن

العامين . وبالمثل عند سن الثانية يبدأ ظهور الارتباط بين تعليم الأب وذكاء الإبن حتى يصل إلى ٥٧ و . في سن السنوات الست . ولكن يلاحظ اختلاف محتويات الاختبارات نفسها ، فهي غير لفظية فيما قبل الثانية ثم تتدخل فيها بعد ذلك مفردات لفظية ، أما في سنوات المدرسة فإن الذكاء يبدو ثابتاً . ولقد وجد أن حجم معامل الارتباط يتغير وفقاً للفاصل الزمني بين تطبيقات الاختبار ولذلك فهو :

٨٩, إذا لم يكن هناك فاصل زمني .
٨٤, إذا كان هناك فاصل زمني قدره ٢٠ شهراً .
٧٠, إذا كان الفاصل خمس سنوات .

وعندما يصل الطفل إلى سن المدرسة وبذلك يمكن قياس ذكائه إحصائياً يمكن إيجاد معامل ارتباط بين ذكائه وذكاء والده أو والدته . وباستخدام عينة كبيرة بلغت ٤٢٨ من الآباء وآبائهم ، وعينة تبلغ ٥٣٤ من الأطفال وأمهاتهم كانت درجات أي من الوالدين تترابط بمقدار ٤٩ و مع طفل المدرسة . مثل هذا الارتباط يبلغ نفس الحجم الموجود في العلاقة بين الطفل والوالدين في سمات جسمية كالطول . ومثل هذا الارتباط يعطى أدلة على تأثير الوراثة في نشأة الذكاء . الأمر الذي يجعلنا نقرر أن الذكاء سمة وراثية .

دراسات أطفال التبني :

من بين الطرق المستخدمة لفصل أثر البيئة عن الوراثة دراسة أطفال التبني الذين لا تربطهم بآبائهم أية صلة دم أو صلة وراثية ، ولكنهم يعيشون معهم وبذلك يتأثرون بعوامل بيئية . وفي الغالب ما يوضع أطفال التبني في مؤسسات اجتماعية تجري اختبارات دورية وتحتفظ بنتائجها ، ولذلك من الممكن إجراء الدراسات التتبعية لنفس الأطفال عبر عدة سنوات Follow - Uup studies وهنا يبرز أمامنا سؤالان هما :

١ - هل يرتبط ذكاء الطفل المتبنى في الشهور الأولى من عمره مع ذكاء والده الحقيقي أكثر أم مع ذكاء والده في التبني Foster Parents وهل يترابط هذا الذكاء مع مستوى تعليم الأب في التبني ؟ .

٢ ـ وهل يؤدي الجو المنزلي الأفضل الذي انتقل إليه الطفل بالتبني إلى ارتفاع ذكاء الطفل بصفة عامة بصرف النظر عن وجود الارتباط ؟ .

للإجابة على هذين السؤالين نستطيع أن نستعرض نتائج بعض الدراسات منها دراسة أجريت في جامعة ستانفورد الأمريكية تمت فيها مقارنة العلاقة بين أطفال التبني وبين ذكاء آبائهم في التبني ، والعلاقة بين ذكاء الأطفال وذكاء آبائهم الحقيقيين . ولقد تضمنت هذه الدراسة ٢١٤ طفلاً من أطفال التبني ، ١٠٥ طفلاً عملوا كمجموعة ضابطة كانوا يعيشون مع آبائهم الحقيقيين . وكان متوسط عمر التبني هو ٣ شهور وجميعهم تم تبنيهم قبل سن ١٢ شهراً . وهناك دراسة أخرى أجريت في جامعة مينسوتا الأمريكية The University of Minnesota وتضمنت ١٩٤ طفلاً من أطفال التبني وكانوا جميعاً أطفالاً غير شرعيين وتم تبنيهم قبل بلوغ سن الستة شهور . ومثل هذا العدد من الأطفال الذين يعيشون مع آبائهم مثلوا المجموعة الضابطة .

وفي دراسة ثالثة أجريت في جامعة إيوا The State University of Iowa وفيها أعطيت الاختبارات للأطفال بصورة متكررة كلما تقدموا في السن . وتم وضعهم في مؤسسات التبني قبل سن الستة شهور . وتمت مقارنة درجاتهم في الذكاء بدرجات الذكاء التي كانت منخفضة لأمهاتهم الحقيقية . وعملت عدة تقارير عن هؤلاء الأطفال أخرها عندما وصلوا إلى سن ١٣ عاماً .

والجدول الآتي يلخص هذه النتائج ، حيث يعرض معاملات الارتباط بين ذكاء الأطفال وآبائهم الحقيقيين والذين لم يعيشوا معهم :

العينـة	عدد الأطفال	معامل الارتباط لمتوسط عمر ١٣ سنة
الآباء الحقيقيون وأبنائهم الذين لم يعيشوا معهم وتشمل :		
أ ـ الأم الحقيقية والطفل (ذكاء)	٦٣	٠,٤٤
ب ـ تعليم الأم الحقيقية والطفل (ذكاء)	٩٢	٠,٣٢
جـ ـ تعليم الأب الحقيقي (ذكاء)	٦٠	٠,٤٠

وتم القياس لأطفال تتراوح أعمارهم من ١٠ ـ ١٨ سنة بمتوسط حسابي

قدره ١٣ سنة وتم القياس باستخدام اختبار ستانفورد - بينيه ولم تكن معاملات الارتباط ذات دلالة إلا مع الآباء الحقيقيين رغم عدم إقامة الأطفال معهم .

والجدول الآتي يعرض معاملات ارتباط ذكاء الأطفال في التبني والأطفال العاديين .

	ذكاء أطفال التبني	ذكاء أطفالهن الحقيين	الفرق
بالنسبة لذكاء الأم :			
دراسة ستانفورد	٠,١٩	٠,٤٦	٠,٢٥
دراسة مينسوتا	٠,٢٤	٠,٥١	٠,٢٧
بالنسبة لذكاء الأب :			
دراسة ستانفورد	٠,٠٧	٠,٤٥	٠,٣٨
دراسة مينسوتا	٠,١٩	٠,٥١	٠,٣٢
بالنسبة لمستوى بيت التبني :			
دراسة ستانفورد	٠,٢٥	٠,٤١	٠,١٦
دراسة مينسوتا	٠,٢٦	٠,٤١	٠,١٥

وذلك لأنه لوحظ أن مؤسسات التبني لا تسلم الطفل لآباء التبني جزافياً ، وإنما يتم ذلك وفقاً لنوع من الاختيار . فالطفل الذي يبدو أكثر ذكاء يسلمونه لأسرة أكثر غنى أو ثراء أو تعليماً .

وبالطبع عند قياس ذكاء الطفل الذي يعيش مع والده الحقيقي أيضاً فإننا نكون أمام التأثير المزدوج من كل من البيئة حيث أنه يعيش معه ومن الوراثة أيضاً . أما في حالة قياس ذكاء طفل التبني مع ذكاء والده في التبني فإننا نقيس أثر عامل البيئة فقط حيث لا توجد رابطة وراثية بين الطفل وأبيه في هذه الحالة . ولقد وجد أن الأطفال الحقيقيين يشبهون آبائهم الحقيقيين أكثر من أطفال التبني . مما يدل على أن أثر الوراثة في الذكاء أقوى من أثر البيئة . ويظل هذا التشابه قائماً بين الأطفال وآبائهم حتى وإن لم يعش الطفل مع والده .

ولقد وجد أن الانتقال إلى بيوت التبني يؤدي إلى تحسين مستوى ذكاء الطفل ربما بسبب الغنى الثقافي أو المعرفي في البيت الجديد . فالطفل يرتفع

ذكاؤه في حالة الانتقال لأسرة تتبناه عما يتوقع لذكائه أن يكون مع أسرته الأولى . ولكن كم يبلغ حجم هذه الزيادة ؟ .

الصورة ليست واضحة ، ولكن هناك على القليل زيادة قدرها ١٠ نقاط من نقاط نسب الذكاء . ويرجع ذلك لجو الاستقرار والدفء والتعاطف وحيث يرحب بالطفل المتبنى وفي الغالب ما يكون طفلاً واحداً ولذلك تتوفر لديه الفرصة لنمو إمكاناته إلى أقصى مداها .

وأكبر زيادة لوحظت كانت في دراسة جامعة إيوا حيث أنجبت أمهات من كان متوسط ذكائهن ٩١ وهو ذكاء منخفض ودون المتوسط وصل متوسط ذكاء أطفالهن بعد التبني من ١٠٩ ـ ١١٧ نسبة ذكاء ـ ذلك عندما بلغ سن أطفالهن ١٣ عاماً وبعد أن عاشوا في منازل أفضل منذ الطفولة الباكرة .

والجدول الآتي يوضع نسبة الذكاء لأطفال التبني مقارنة بالأطفال الحقيقيين من أسر متشابهة المستوى :

الدراسة	أطفال التبني	نسبة الذكاء	الأطفال الحقيقيون	نسبة الذكاء	الفرق
دراسة ستانفورد	٢١٤	١٠٧	١٠٥	١١٥	٨
دراسة مينسوتا	١٩٤	١١١	١٩٤	١١٠	١
الفرق	-	٤	٥	-	

ويمكن استخلاص نتيجة مؤداها أن البيئة المنزلية الجديدة والتي تبدأ في مرحلة مبكرة من عمر الطفل لها تأثير فعال في نمو الطفل من الناحية العقلية والاجتماعية . ولكن هذه البيئة مهما تحسنت لا يمكت أن تخلق من العدم ، أو أن توصل جميع الأطفال إلى مستوى واحد ، ولكنها توفر الفرصة الجيدة لكي يصل كل طفل إلى أقصى ما لديه من إمكانات وراثية To develop fully his biological potentialities .

وهناك ظاهرة تستحق الدراسة وهي ميل أطفال الجيل الحاضر إلى الطول أزيد من آبائهم ومرد ذلك تحسن ظروف التغذية وإمكان السيطرة على الأمراض وانتشار الألعاب الرياضية . ولقد لوحظ وجود هذا الطول بمقارنة الإيطاليين

المقيمين في مدينة نيويورك بزملائهم في إيطاليا ، وكذلك زيادة طول اليابانيين منذ الحرب العالمية الثانية ، وكذلك هناك زيادة تدريجية في متوسط طول الطلاب الجامعيين في أمريكا .

ولقد وجد أن تقرير أثر الوراثة والبيئة يختلف باختلاف المنهج العلمي المستخدم في المقارنة ، فالدراسات التي تعتمد على تطبيق وقياس معاملات الارتباط بين الآباء والأبناء تميل إلى توكيد عامل الوراثة ، بينما المقارنات التي تعتمد على حساب المتوسطات الحسابية تميل إلى توكيد عامل البيئة .

والجدول الآتي يوضح مقدار التشابه بين طول الآباء وأبنائهم :

أزواج من الأطفال	عدد الأزواج من الأطفال	معامل الارتباط
أخوة من ذات الجنس	٥٢	٠,٦٠
توائم عينية	٥٢	٠,٦٤
	٥٠	,٩٣

دراسة التوائم في قضية التربية والوراثة :

تدل الدراسات على أن هناك تشابهاً متوسطاً بين الأخوة العاديين في الطول أي الذين ينحدرون من أم واحدة وأب واحد حيث يبلغ حجم معامل الارتباط ٠,٦٠ والتوائم العادية لا تختلف وراثياً عن الأخوة العاديين من حيث تكوينها من بويضة مستقلة لكل منهما Separate Ova أما أعلى درجة من التشابه فتوجد بين أفراد التوائم العينية حيث يبلغ معامل الارتباط ٠,٩٣ وهي توائم موحدة وراثياً لأنها تنشأ من بويضة واحدة The same egg or ovum وهما دائماً من نفس الجنس (ذكر أو أنثى) ويشبه كل منهما الآخر إلى درجة كبيرة جداً . أما التوائم العادية فليس من الضروري أن يشبه أحدهما الآخر .

والجدول الآتي يوضح مقدار التشابه في ذكاء الأخوة العاديين والتوائم العادية ثم التوائم العينية في الذكاء مقاساً باختبار بينيه .

الأزواج من الأطفال	ن	معامل الارتباط
الأخوة العاديون	٣٨٤	٠,٥٣
التوائم العادية	٥٢	٠,٦٣
التوائم العينية	٥٠	٠,٨٨

درجات التشابه الوراثي :

ويمكن تدرج وجوه الشبه بين الأقارب بالترتيب الآتي :

١ ـ الأخوة العاديون من أفراد نفس الجنس .
٢ ـ التوائم العادية .
٣ ـ التوائم العينية .

فأكبر درجة من التشابه توجد عند التوائم العينية . ثم يلي ذلك التوائم العادية ، وأخيراً الأخوة العاديون . وقد يرجع السبب في تشابه التوائم العادية إلى أنهم يعيشون في الأسرة في ظرف إجتماعي واقتصادي واحد ، ولذلك يتمتعون بتغذية واحدة ، كذلك فإنهم يخضعون لمعاملة واحدة تقريباً من الآباء حيث أن الآباء يكونون في نفس السن وفي نفس المستوى الاقتصادي .

والسؤال الذي ما زال يبحث عن إجابة هو هل يؤدي اكتشاف بعض العوامل إلى تعديل دور الوراثة في تكوين الذكاء ؟ .

هناك دراستان اعتمدتا على تطبيق اختبارات ثرستون للقدرة العقلية الأولية (الذكاء) على مجموعتين من التوائم العينية والتوائم العادية، Identical and fraternal twins by Thurstone's tests for primary Abilities وفي كلا الدراستين تم إيجاد معاملات ارتباط عالية بين أزواج التوائم العينية ، أكثر منها لدى أزواج التوائم العادية . ولكن هذه الفروق لم تكن متساوية في جميع الاختبارات الفرعية ، وإنما الفرق كان كبيراً في البعض دون البعض الآخر ، من هذه الاختبارات ، فلقد ظهرت فروق أكبر في العوامل الآتية :

أ ـ القدرة المكانية .
ب ـ القدرة اللفظية .
جـ ـ الطلاقة الفكرية .

وعلى ذلك يمكن افتراض عناصر وراثية أكبر في هذه العوامل . ولكن التوائم العينية وغير العينية في الغالب ما تتربى مع بعضها البعض ، ومن ثم تخضع لنفس الظروف البيئية .

عزل كل توام يعيش في بيئة مختلفة :

ولذلك فإن الأدلة على تأثير الوراثة نستمدها من دراسة هذه التوائم العينية إذا تربت منفصلاً فرد عن زميله الآخر .

وهناك دراسة اعتمدت على ١٩ زوجاً من التوائم العينية الذين فصل كل أخ منهم عن أخيه ليعيش في بيئة مختلفة من سن مبكرة من حياته ، ثم تم بعد ذلك دراسة سماتهم . ومن بين نتائج هذه الدراسة ما يلي :

١ - على الرغم من انفصال الأزواج في التربية ، ظل التشابه في الذكاء أعلى في التوائم العينية عنه في التوائم العادية التي تربت مع بعضها البعض . وكان معامل الارتباط ، وفقاً لمقياس بينية ، هو ٠,٧٧ بينما كان هذا المعامل ٠,٦٣ . بالنسبة للتوائم العادية التي تربت معاً . وتؤكد هذه النتائج - أي شدة التشابه بين التوائم العينية - دور الوراثة في نشأة ذكاء الإنسان .

والجدول الآتي يعرض معاملات الارتباط الدالة على التشابه والدال بدوره على أثر الوراثة في الذكاء لدى الأطفال :

أزواج من الأطفال	عدد الأطفال	معامل الارتباط
الأطفال العاديون	٣٨٤	٠,٥٣
التوائم العاديون	٥٢	٠,٦٣
التوائم العينية	٥٠	٠,٨٨

٢ - لقد لوحظ وجود فرق في حجم معامل الارتباط بين التوائم العينية التي تربت معاً وتلك التي تم عزل كل زوج منها في بيئة مستقلة . ويدل هذا الفرق على انخفاض درجة التشابه حيث انخفض معامل الارتباط إلى ٠,٨٨ والسبب في ذلك هو أن أفراد العينة تم تقسيمهم إلى مجموعتين مجموعة في :

أ - بيئة فقيرة جداً ثقافياً .

ب - بيئة غنية جداً ثقافياً .

ومعنى ذلك أن البيئة كانت متطرفة في الجودة أو في السوء فإنها تؤثر حتى في درجة التشابه بين التوائم العينية . وعلى كل حال يمكن استخلاص النتائج الآتية من التجارب التي أجريت على الأخوة وعلى التوائم :

بما أن التوائم العينية تشبه بعضها بعضاً في الذكاء أكثر مما تشبه التوائم العادية بعضها بعضاً ، إذن تلعب الوراثة دوراً رئيسياً في نمو وتحديد الذكاء . ويظل هذا التشابه قائماً حتى سن متقدمة .

ولقد تأكدت هذه الحقيقة من دراسة أجريت على ٥١ زوجاً من إناث التوائم العادية وغير العينية حتى بلغت سن الستين عاماً . حيث ظل التشابه قائماً في حالة التوائم العينية ، ولكن الاختلاف لوحظ بين أفراد التوائم غير العينية .

كل من البيئة والوراثة واحدة بالنسبة للتوائم العينية :

ولكننا لسنا على يقين تام من أن التشابه الأعظم بين التوائم العينية يرجع كلية إلى الوراثة من عدمه . ذلك لأن البيئة بالنسبة للتوائم العينية تكون أكثر تشابهاً عنها بالنسبة للتوائم غير العينية من حيث أنهم يشبهون بعضهم بعضاً تماماً ، ومن ثم تميل الأسرة إلى معاملتهم في المأكل والمشرب والملبس بطريقة متشابهة . أما التوائم العادية فإنها تختلف عن بعضها البعض في السمات الفيزيقية كالطول أو العرض أو الوزن . ولذلك قد تولد هذه الاختلافات اختلافات في التعامل معها .

هذا وحيث أن التوائم العادية تشبه بعضها بعضاً ، أكثر من الأخوة العاديين Ordinary siblings وعلى ذلك فلا بد أن يكون للبيئة أثراً في نمو الذكاء ، ذلك لأنه من الناحية الوراثية ، فإن التوائم العادية لا تختلف عن الأخوة العاديين . ويرجع ذلك إلى أنهم يعيشون بيئة داخلية رحمية واحدة Intrauterine enviroment .

العوامل الولادية أو الميلادية :

ويخضعون لمؤثرات ولادية واحدة Congenital effects أي تلك المؤثرات التي تحدث في فترة الحمل وعملية الولادة ، وهي مؤثرات تختلف عن المؤثرات

الوراثية من حيث أنها ليست منقولة من الوالدين ، وتختلف عن المؤثرات البيئية الخارجية من حيث أنها غير مكتسبة من احتكاك الطفل بعالمه الخارجي . وإنما ترجع إلى ظروف التغذية والظروف الغدية لدى الأم في فترة الحمل والولادة Nutritive or glandular during pregnancy .

هذه الظروف القبل ولادية Prenatal تعتبر مؤثرات بيئية على عملية النمو .

كذلك فإن التوائم العينية تعيش ظروفاً بيئية أكثر تشابهاً عن بيئة الأخوة العاديين بعد الولادة . من ذللك أن حجم الأسرة يتغير ، وسن الوالدين يتغير ، وخبرة الوالدين تتغير من طفل إلى آخر إذا كان الأطفال مولودين فرادى . ومثل هذه الظروف ، ولا شك ، تلعب دوراً في تشكيل كثير من السمات السيكولوجية كالانطواء أو الانبساط أو الكرم والبخل . كذلك فإن مستوى الأسرة الاجتماعي والاقتصادي يتغير ، ونظرية الآباء في التغذية والتربية تتغير من عصر إلى آخر .

والخلاصة أن كلاً من الوراثة والبيئة يؤثر في نمو الذكاء . ولكن تحديد الأثر النسبي لكل منهما ما زال أمراً صعباً . وبشكل تقريبي نستطيع أن نقول أن :

أ ـ السمات الفيزيقية أقل تشكيلاً بعناصر البيئة .
ب ـ السمات العقلية أكثر تشكيلاً نسبياً بالعوامل البيئية .
جـ ـ السمات السيكولوجية أكثر تأثراً من (ب) بالعوامل البيئية .

والآن لنبحث في تأثير الوراثة في جانب من جوانب شخصية الفرد ألا وهو الإصابة بالأمراض العقلية أو النفسية .

الوراثة والمرض العقلي :

لا شك أن المرض العقلي يعد مشكلة إجتماعية ونفسية وعقلية ، ونظراً لما له من خطوره على حياة الفرد والمجتمع ، فلقد أجريت فيه العديد من الدراسات بغية التعرف على العوامل السببية التي تكمن وراء الإصابة بالمرض العقلي ، وهل هذه العوامل وراثية أم بيئية ؟ .

ولقد اهتمت هذه الدراسات ، بنوع خاص ، بمرض فصام الشخصية Schizophrenia ولعبت التوائم أيضاً دوراً هاماً في مثل هذه الدراسات ، ذلك

لأنه إذا أصبح أحد أفراد هذه التوائم مصاباً بالفصام أي الجنون أو الذهان العقلي فإلى أي مدى يحتمل إصابة شقيقة الآخر؟ وإذا كان هناك أسباب وراثية ، فإن فرصة إصابة الشقيق سوف تكون أكبر في التوائم العينية عنها في التوائم العادية ، وفي التوائم العادية أكثر من الأخوة العاديين .

الحقيقة أن هذا هو ما أكدته عدة دراسات لخصها كولمان وروث KALI-MAN and ROTH في بحثهما عن العوامل الوراثية في فصام ما قبل المراهقة أي ذلك الفصام الذي يصيب الطفل فيما قبل سن الخامسة عشر ، وعلى الرغم مما يوجه لهذه الدراسات من انتقادات إلا أن هناك ، على القليل ، بعض العوامل في التعرض للإصابة بفصام الطفولة أو بعض صور هذا المرض . وذلك لأنه لوحظ أن هناك بعض حالات الفصام يظهر فيها العامل الوراثي وأخرى يظهر فيها العامل البيئي .

وتؤكد هذه الدراسات علاقة التفاعل Interaction الدقيق بين العوامل البيئية المكتسبة والعوامل الوراثية ، بمعنى وجود علاقة الأخذ والعطاء أو التأثير والتأثر أو التأثير المتبادل بين البيئة والوراثة لدرجة تجعلنا نقول أن الإنسان ، بحق ، هو ابن البيئة والوراثة معاً ، بمعنى أنه المحصلة النهائية لعملية التفاعل بين الاستعدادات الوراثية وبين عناصر البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش في كنفها . من عناصر البيئة الاجتماعية العوامل الآتية :

١ - فرص التعليم التي تتاح للفرد .
٢ - أسلوب تربية الآباء والأمهات .
٣ - المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة .
٤ - المستوى التعليمي للوالدين .
٥ - حجم الأسرة .
٦ - عدد الأخوة والأخوات من الذكور والإناث .
٧ - ترتيب الطفل بين الأخوة والأخوات .
٨ - كون الطفل وحيداً أو في وسط مجموعة من الأخوة .
٩ - الأصدقاء والأنداد وأبناء الجيرة وزملاء النادي وغيرهم .
١٠ - ظروف التغذية ومدى ملاءمتها لمراحل النمو المختلفة .

١١ ـ النشاط الرياضي والترويحي والكشفي ، وفرص تعلم الهوايات .

١٢ ـ النظم السياسية والاجتماعية والعقائد والاتجاهات السائدة في المجتمع ككل ، والثقافة العامة والمحلية للطفل .

وفيما يتعلق بالذكاء والتعليم وجدت نتائج تشير إلى وجود علاقة بينهما .

أثر الذكاء في التعليم :

يتمشى مستوى ما يصل إليه الفرد من التعليم ، أو مقدار ما يقضيه من سنوات في التعليم مع مستوى ذكائه . فلقد وجد معامل ارتباط قدره ٠,٧٣ في عينة كبيرة الحجم بلغت ٤٣٣٠ رجلاً من رجال القوات المسلحة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية طبق عليهم اختبار التصنيف العام للجيش The army general classification test وجد هذا المعامل بين ذكائهم وبين أعلى مستوى تعليمي وصلوا إليه في المدرسة . فالشخص الأكثر ذكاء هو الذي يعيش سنوات أطول في التعليم ، أما الشخص الأقل ذكاء فإنه يتخلف عبر المراحل التعليمية . ولذلك نلمس ارتباطاً بين الذكاء والتحصيل التعليمي . كذلك لقد وجد أن البقاء في المدرسة يؤدي إلى معرفة الطالب بكيفية التعامل مع أسئلة اختبارات الذكاء ، وبذلك تتحسن درجته على هذه الاختبارات . كذلك فإن ظروف الآباء الحسنة التي تساعد على بقاء أبنائهم مدداً أطول في المدرسة ، تساعد أيضاً في اكتسابهم درجات أعلى في الذكاء . ولذلك ظهرت دراسات تناولت أثر المدرسة أو الحياة المدرسية Schooling على الذكاء ، وتبين من هذه الدراسات أن أطفال الحضانة يتفوقون بمقدار ٥ نقاط من نقاط نسبة الذكاء عن زملائهم الذين لم يذهبوا إلى دور الحضانة .

ولكن دراسة دور الحضانة هذه تتعرض لكثير من الانتقادات والصعوبات من بينها ما يلي :

أ ـ هناك عوامل انتقائية تجعل بعض الآباء يرسلون أبنائهم لمدارس الحضانة ، بينما هناك آخرون لا يرسلون أطفالهم . فقد يكون هؤلاء أكثر غنى أو ثراء أو أكثر تعليماً ، أو قد يكون كل من الأب والأم من العاملين ، وقد يكونوا من الأكثر ذكاء .

ب ـ الاختبارات التي تطبق فيما قبل سن العام ليست لها قدرة كبيرة على التنبؤ

بذكاء الطفل في المستقبل .

جـ ـ مقدار وجود الترابط العاطفي بين الطفل ومن يطبق الاختبار عليه .

د ـ ما لوحظ من وجود تغيرات في درجات الأطفال تختلف باختلاف المواسم التي تجري فيها الاختبارات .

هـ ـ عدم التكافؤ بين بطاريات الاختبارات التي تطبق ، بمعنى أن الاختبارات المختلفة ليست متساوية في الصعوبة والسهولة .

والحقيقة أن لمدرسة الحضانة تأثيرات كثيرة ، منها تنمية قدرة الطفل على التكيف الاجتماعي مع الأطفال الآخرين ومع الكبار أيضاً .

أثر تعليم ما بعد الحضانة :

ولكن ما هو أثر التعليم فيما بعد الحضانة ؟

هناك أدلة مستمدة من تطبيق اختبارات الذكاء في هاواي HAWAU سنة ١٩٢٤ ثم بعد ذلك بأربعة عشر عاماً أي في عام ١٩٣٨ وتوضح نتائج هذه الدراسة التتبعية وجود زيادة في ذكاء الأفراد . والتفسير المقبول لهذه الزيادة هو وجود أنواع أكثر جودة من التعليم ، وإتقان اللغة الإنجليزية وغير ذلك من الظروف البيئية التي تحسنت عبر الـ ١٤ عاماً بالنسبة لذات الأفراد .

الذكاء عبر العصور :

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً حدث تحسن في مستوى الذكاء في الفترة الواقعة بين الحربين الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ والثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ يرجع هذا التحسن لتحسين مستويات التعليم .

ففي دراسة تناولت ٧٦٨ جندياً أمريكياً من البيض ومن غير الضباط أو صف الضابط Nonofficer servicemen في الحرب العالمية الثانية وطبق عليهم كل من اختبار :

أ ـ .A.G.C.T المستخدم في الحرب العالمية الثانية .

ب ـ صورة منقحة من اختبار الفا للجيش The Army ALPHA TEST .

والذي كان مستخدماً في الحرب العالمية الأولى مع إبقاء نفس مستواه في

الصعوبة كما طبق في عام ١٩١٨ .

ولقد كشفت النتائج عن وجود تحسن في الدرجات الخاصة بالحرب العالمية الثانية ، حيث بلغ الوسيط Median في اختبار الألفا ١٠٤ نسبة ذكاء . بينما كان هذا الوسيط ٦٢ في نتائج التطبيق خلال الحرب العالمية الأولى ومعنى ذلك وجود فرق قدره ٤٢ نقطة . وبلغة الإحصاء وصلت الدرجة ١٠٤ إلى الميئن الـ ٨٣ بالنسبة لدرجات الحرب العالمية الأولى . ومعنى ذلك أن هناك ٥٠٪ من جنود الحرب العالمية الأولى وصلت إلى المستوى الذي وصل إليه ١٧٪ في تطبيق الحرب العالمية الأولى . إذا المعروف أن الوسيط هو الدرجة التي ينقسم عندها توزيع الدرجات إلى نصفين متساويين ، بحيث تكون قيم أو درجات النصف الأول أعلى من قيمة الوسيط ودرجات النصف الآخر أقل من قيمة الوسيط . فالوسيط يقع في منتصف التوزيع ، أي عند ٥٠٪ من مجموع الأفراد أو من مجموع الدرجات . ومعنى ذلك أنه يقابل المئين الـ ٥٠ . والمئين عبارة عن نقاط على توزيع الدرجات كل نقطة تمثل ١٪ من مجموع هذه الدرجات . فالشخص الذي تضعه درجته في المئين الأول من التوزيع معنى ذلك أنه يقع ضمن الواحد في المائة الأوائل بالنسبة لزملائه لأن توزيع الدرجات يقسم إلى ٩٩ نقطة ميئنية .

وقد ترجع هذه الزيادة إلى تحسين مستويات التعليم ، وإلى ألفة الجنود مع محتويات ومضامين الاختبارات المتداولة ، وإلى تحسن ظروف القياس ، وإلى ارتفاع مستوى الإقبال أو الدافعية والحماس لأداء الاختبارات . فمستوى تعليم الجنود في الحرب العالمية الأولى كان التقدير الثامن أو المستوى الثامن الابتدائي ، بينما كان هذا المتوسط هو العام الثاني في المدارس الثانوية High school وحيث أن أسئلة هذه الاختبارت تتطلب إجابات مكتوبة ، فإن التعود على أداء الامتحانات يساعد على الأداء في هذه الاختبارات .

المستوى المهني ومستوى الذكاء :

هل هناك علاقة بين ارتقاء الفرد في المستويات المهنية التي يصل إليها وبين مستواه في الذكاء ؟ بعبارة أخرى هل لنا أن نتوقع أن يختلف ذكاء المدير العام عن ذكاء بائع الفول المدمس ؟ .

الحقيقة أننا إذا صنفنا مجموعة من الناس وفقاً لمستوياتهم المهنية ، والتي تبدأ مثلاً من أستاذ الجامعة إلى بائعي الصحف أو جامعي الحصاد في المزارع لوجدنا أن هذا التصنيف يتفق مع تصنيفهم في مستوى ما يملكون من ذكاء . ومعنى ذلك أن هناك اتفاقاً بين المستويات المهنية العليا والدنيا ومستويات الذكاء . ذلك لأن الذكاء هو القدرة التي تساعد الفرد على الارتقاء في التعليم والارتقاء في السلم الوظيفي أو المهني ، فلا يمكن أن نتخيل أن شخصاً عبقرياً يقبل أن يستمر في عمل رتيب وروتيني مثل الكواء أو البواب أو بائع الصحف . سرعان ما يشعر بالرتابة والملل والضيق ، وسرعان ما يهجر مثل هذا العمل إلى عمل آخر يتحدى ويثير ذكاءه الطبيعي . وبالمثل فإننا لا نتوقع أن نلمس ضعاف العقول بين طبقة مديري العموم أو رؤساء مجالس الإدارات أو مشاهير العلم والفن والأدب .

والحقيقة أننا أمام هذه الملاحظات وغيرها من نتائج الاختبارات لا بد وأن يفترض وجود علاقات متبادلة بين كل العوامل الآتية :

أ ـ الذكاء .
ب ـ المستوى المهني .
جـ ـ المستوى التعليمي .

ومن هنا فليس غريباً أن يميل أبناء العلماء وأساتذة الجامعات وكبار الأطباء والعلماء والفنانين والمستشارين وغيرهم إلى امتهان مهن آبائهم دون أن يعزى ذلك لعوامل الوساطة أو المحسوبية كما يتصور العوام من الناس . وإنما القدرات العقلية موروثة إلى جانب ميراث المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية الأفضل لأبناء مثل هذه الطوائف .

هناك معاملات ارتباط بين مستوى المهنة ومستوى الذكاء ، بمعنى أن الزيادة في أحدهما يتبعها زيادة في الآخر ، والنقص في أحدهما يتبعه نقص في الآخر . فكلما زاد الذكاء زاد مستوى المهنة رقياً والعكس صحيح .

لماذا يرتبط الذكاء بالمهن العالية ؟

وهنا نتساءل وما العوامل المسؤولة عن هذا الارتباط ؟ لا شك أنها العوامل

الوراثية والبيئية معاً أو بعبارة أدق التفاعل بين عناصر البيئة ومحدداتها وبين الاستعدادات والمحددات الوراثية . حيث يحدث نوع من الاختيار الطبيعي ، فالأشخاص الأكثر ذكاء يدخلون المهن التي تحتاج إلى ذكائهم . ويوفر هؤلاء فرصاً أجود لأبنائهم في التعليم والتغذية . وبطبيعة الحال نحن نتحدث هنا عن الأغلبية الإحصائية التي يقوم عليها العلم ويعتمد الاستنتاج عليها وهذا لا يمنع ولا يحول دون وجود حالات تشذ عن هذه القاعدة ، فنجد بين أرباب المهن البسيطة جداً مرتفعي الذكاء ، ونجد بين أرباب المهن التخصصية متوسطي الذكاء أو من هم دون المتوسط . ولكن النزعة الإحصائية العامة تشير إلى تمشي الذكاء مع المستويات المهنية ، بمعنى أنه كلما زاد الذكاء زاد المستوى المهني ارتفاعاً . وإن كان هذا لا يمنع من وجود عناصر أخرى تسهم في نجاح الفرد وتقدمه إلى جانب الذكاء من هذه العوامل ما يلي :

عوامل النجاح والتقدم في الحياة :

١ - مقدار ما يمتاز به الفرد من الصبر والمثابرة والجلد وقوة الاحتمال .

٢ - مقدار ما يتمتع به من الطموح والأمل والرجاء والتفاؤل .

٣ - مقدار ما يوجد لدى الفرد من الدافعية والرغبة والحماس والاهتمام بعمله .

٤ - مدى تمشي عمل الإنسان مع اهتماماته ورغباته وهواياته .

٥ - مبلغ تمتعه بالصحة الجسمية والعقلية والنفسية .

٦ - مقدار تكيفه النفسي والاجتماعي والعائلي أو الأسري .

٧ - كثير من السمات الخلقية كالإخلاص في العمل والتفاني فيه وتكريس الجهود له والأمانة والصدق والجدية وتحمل المسؤولية والشعور بالواجب .

٨ - القدرة على التخطيط بين الأهداف والوسائل والإمكانات .

٩ - الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجتمع .

١٠ - مقدار ما يتوفر للإنسان من التراث العلمي أو الميراث الثقافي .

وخلاصة القول في مشكلة الوراثة يوجزها أرنست هلجارد ERNEST R. HILGARD في كتابه مقدمة علم النفس Introduction to psychology ١٩٦٢ هي :

١ ـ أن مناهج علم الوراثة يمكن تطبيقها في دراسة السلوك ، كما تطبق في دراسة تكوين الإنسان أو الكائنات الحية عموماً . وهنا يلزم التمييز بين الفينوتيب Phenotype أي السمات أو الصفات التي تعبر عن نفسها تميزها عن الجينوتيب The Genotype المحددات الوراثية التي سوف تنقل إلى الذرية أو إلى الأبناء . كما يحدث عندما ندرس السمات الفيزيقية .

٢ ـ أن كلًا من الكروموزوم والجينات مسؤول عن الجانب الوراثي أو العناصر الوراثية في السلوك كما هما مسؤولان عن التركيب الفيزيقي . فالعامل المسؤول عن التركيب الجسمي هو أيضاً مسؤول عن السلوك .

٣ ـ وحيث أن هناك بعض الجينات المتسيطرة والبعض الآخر متنحياً يمكن عمل بعض التنبؤات المرتبطة بالجنس حول سمات الذرية الناتجة عن نوع معين من التهجين .

٤ ـ عندما تطبق هذه المناهج وتلك الدراسات على كل السكان نصبح أمام مناهج تعرف باسم « مناهج الوراثة السكانية » وهي مناهج تفيد في دراسة وراثة السلوك الإنساني .

٥ ـ أسفرت تجارب تربية الحيوان Breeding animal experiments أن هناك ألواناً من السلوك من الممكن أن تكون موروثة كالسلوك داخل المتاهات ، وإدراك الأضواء في فراشات الفاكهة .

٦ ـ وحيث أنه يصعب إجراء الانتقاء في التربية أو التكوين فيما يتعلق بالإنسان Selective breeding ، وحيث أن السمات الإنسانية أكثر تعقيداً ، فإننا نعتمد على دراسات تعتمد على دراسة التشابه على اعتبار أن هذا التشابه يعكس علاقات دموية كما رأينا بين الأخوة والأخوات أو بين التوائم بنوعيها .

٧ ـ نلاحظ أن دراسة التشابه بين الطفل ووالده في الذكاء تواجه صعوبة ناتجة عن صعوبة قياس الطفل فيما قبل سن الثانية . وببلوغ الطفل الثانية يصبح هناك تأثير للبيئة المنزلية وغيرها على الذكاء .

٨ ـ لقد دلت مقارنة ذكاء الطفل بذكاء والده أن هناك تشابهاً في الذكاء يشبه

ذلك التشابه الموجود في الطول .

٩ - توفر تجارب أطفال التبني فرصة لعزل أثر البيئة المنزلية على الذكاء .

١٠ - يدل معامل الارتباط بين ذكاء هذا الاب الفعلي وذكاء ابنه الحقيقي أنه أعلى من الارتباط بين ذكاء هذا الطفل ووالده في التبني حتى وإن تم التبني وانتقل الطفل إلى بيئة والده الجديد ، وهو في الشهور الأولى من حياته . فالطفل الرضيع يظل يشبه والده الحقيقي في الذكاء حتى وإن ابتعد عنه وهو في سن مبكرة جداً وانتقل إلى والده من التبني .

١١ - يرتفع الذكاء نتيجة لانتقال الطفل إلى البيئة المواتية أو الجيدة في منزل التبني بدرجة تفوق ما كان يتوقع له في ضوء قياس ذكاء أمه الحقيقية .

١٢ - في دراسة التشابه بين الأخوة والأخوات نجد أن التوائم توفر أدلة أكثر وضوحاً نظراً لوجود نوعين من التوائم العينية والتوائم العادية . هذان النوعان من التوائم يختلفان في درجة امتلاكهما من العوامل الوراثية . فالعامل الوراثي أكبر في التوائم العينية عنه في التوائم العادية .

١٣ - النتائج المستمدة من دراسة التوأئم توضح أن المسؤول عن نمو الذكاء كل من العوامل البيئية والوراثية معاً .

١٤ - تدل دراسة الوراثة في الإصابة بفصام الطفولة أن هناك نوعين من الفصام أحدهما يتأثر بالعوامل الوراثية ، بمعنى أنه إذا أصيب أحد أفراد التوائم كان التوأم الآخر عرضة للإصابة مثله . أما النوع الآخر فيبدو فيه أثر البيئة عن الوراثة .

١٥ - الأطفال الأكثر تقدماً في مراحل التعليم يحصلون على درجات أعلى في الذكاء . ذلك لأنه - جزئياً - الطفل الأكثر ذكاء يستمر لمدد أطول في التعلم عن زميله محدود الذكاء . وعلى كل حال مزيد من التعليم قد يقود إلى مزيد من درجات الذكاء .

١٦ - أرباب المهن العليا يحصلون على درجات أعلى في الذكاء .

١٧ - تكشف مقارنة أطفال القرية والمدينة أن أطفال المدينة في الغالب - وإن

لم يكن دائماً ـ يحصلون على درجات أعلى من أطفال الريف . وقد يرجع هذا الفرق بين الريف والحضر Rural - Urban difference إلى أي من التفسيرين الآتيين :

أ ـ أن الناس الأكثر ذكاء قد جذبتهم المدينة أكثر من الأقل ذكاء . ولأنه معروف أن العناصر القوية والممتازة هي التي تلجأ إلى الهجرة .

ب ـ أن الحياة في المدينة توفر أنواعاً من المثيرات والاهتمامات والإمكانات كالكتب والصحف تؤدي إلى ارتفاع درجات الذكاء .

١٨ ـ تكشف دراسة الفروق السلالية أي بين الأجناس أو السلالات المختلفة عن أنه يصعب تصميم اختبار يصلح لقياس أبناء جميع السلالات ، ومن ثم يصعب تحديد الفروق السلالية في الذكاء Racial differences وعلى كل حال ، فإذا وجدت فرق في الاختبارات الحالية فإنها لا يمكن أن تقرر وجود فروق وراثية أو استعدادية في الذكاء بين البيض والسود مثلاً .
وتواجه دراسة الفروق السلالية في الذكاء عدة صعوبات منها ما يلي :

أ ـ هناك صعوبة في تمثيل الجماعات السلالية تمثيلاً صحيحاً في عينة البحث . والمعروف أن العينة لا بد وأن تمثل المجتمع الأصلي المأخوذة منه حتى يمكن تعميم نتائجها .

ب ـ صعوبة العدالة والإنصاف والحياد في أثناء تطبيق الاختبارات .

جـ ـ تأثير التعاطف أو الرابطة العاطفية مع الأشخاص الذين نقيس ذكائهم حيث يميل الباحث الأبيض إلى محاباة الأطفال البيض عنه عندما يقيس ذكاء أطفال الزنوج والعكس صحيح عندما يكون الباحث زنجياً .

د ـ هناك تداخل في درجات الذكاء بين أبناء السلالات المختلفة بمعنى أن هناك من الزنوج من يفوق ذكاؤه ذكاء البيض . وهناك فروق فردية كبيرة في الذكاء بين أفراد السلالة الواحدة أكثر مما يوجد بين سلالة وأخرى .

وعلى ذلك لا يمكن وصف سلالة جميعها بالذكاء المفرط أو

الغباء المفرط ، كـذلك لا يمكن الحكم على ذكـاء شخص ما من معرفة انتمائه السلالي ، أي الجماعـة السلاليـة التي ينتمي إليها . فالزنوج مثلاً بينهم العباقرة وضعاف العقول مثلهم مثل البيض تماماً .

« فسيولوجيا السلوك »

تعريف السلوك وأنواعه :

يعرف السلوك في مجال الدراسات النفسية ، بأنه كل استجابة داخلية أو خارجية تحدث نتيجة لتعرض الإنسان أو الحيوان لمثيرات داخلية أو خارجية . ولذلك يمكن النظر إلى السلوك وتصنيفه كالآتي :

أ ـ سلوك فطري أو موروث يولد الإنسان مزوداً به أو على القليل مزوداً باستعداد عام للقيام به ، من ذلك الامتصاص والبكاء والإخراج والنوم والجنس . وهو سلوك عام يشترك فيه جميع أفراد الجنس البشري ، بصرف النظر عن الاختلافات الثقافية والحضارية ، وهو سلوك غير مكتسب من البيئة .

ب ـ سلوك متعلم أو مكتسب من التفاعل والاحتكاك بالبيئة الاجتماعية والمادية التي ينشأ الفرد فيها ، ومن ذلك التدخين أو القراءة والكتابة أو الرقص أو السباحة والجري وركوب الخيل والعزف الموسيقي . . . الخ . .

جـ ـ سلوك شعوري يدركه الفرد ، ويعترف به ، ويعرف أهدافه ومراميه ، كذهابه للجامعة بقصد التعلم .

د ـ سلوك لا شعوري لا يدركه الفرد ولا يعترف به ولا يعرف مغزاه أو أهدافه ، مثل ذلك : فلتات اللسان ، وزلات القلم ، ونسيان المواعيد . والعقد والأمراض النفسية والأحلام . . . الخ .

هـ ـ سلوك حركي ظاهر ، كالجري أو المشي أو الكلام بصوت مسموع .

و ـ سلوك ضمني مستتر خفي كالتفكير أو التأمل أو أحلام اليقظة .

ز ـ سلوك داخلي غدي كإفراز بعد الغدد الصماء .

ح ـ سلوك إرادي كالجري أو المشي ، وسلوك لا إرادي كضربات القلب وعملية التنفس وتقلصات المعدة وعملية الهضم وما إلى ذلك .

ط ـ هناك السلوك السوي الطبيعي كالخوف من الأسد ، وسلوك غير سوي أو شاذ كالخوف من الماء أو الرعد والبرق ، أو الأماكن الواسعة أو الضيقة ، أو الخوف من الخيول والعناكب وما إلى ذلك .

ى ـ سلوك بسيط كالانعكاسات الأولية كحركة الركبة أو رمش العين ، وسلوك معقد كالتفكير أو التحدث بلغة أجنبية أو قيادة السيارة .

هذا السلوك يصدر عن الكائن الحي بكليته ، أي بما فيه من قوى جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية . يؤكد هذا السلوك أن الإنسان وحدة جسمية نفسية عقلية روحية خلقية إجتماعية متفاعلة متكاملة ، بمعنى أن سلوك الإنسان يتأثر بما يلي من العوامل :

١ ـ العوامل الجسمية أو الفيزيقية كالطول والوزن .
٢ ـ العوامل العقلية كالذكاء أو الغباء .
٣ ـ العوامل النفسة كالانفعال أو الهدوء .
٤ ـ العوامل الاجتماعية كالحرية والاستقلال .
٥ ـ العوامل الخلقية كالامانة والصدق والوفاء
٦ ـ العوامل الروحية كالإيمان بالله وبالرسل والرسالات السماوية .
٧ ـ العوامل العلمية وما لدى الإنسان من معارف وخبرات .

فالسلوك ظاهرة بالغة التعقيد والتشابك ، تتداخل فيه العديد من العوامل .

فالكائن الحي ينمو ويتعلم ويتفاعل ، أي يؤثر ويتأثر بالبيئة الاجتماعية كالأسرة والنظم والقوانين واللوائح والعقائد وجماعات الأقران والأنداد والأعراف والتقاليد والعادات والمثل العليا . كما يتفاعل مع عناصر البيئة الفيزيقية المحيطة به بما فيها من أودية وسهول ، وظروف مناخية ، وما فيها من مظاهر الحضارة المادية ومبان ومصانع ومزارع ، وجبال وصحارى ومرتفعات وبحار وأنهار ومحيطات وما إلى ذلك من عناصر البيئة المادية أو الجغرافية أو الفيزيقية . .

كلها تطبع شخصية الإنسان بطابع معين ، فسكان الصحـارى يختلفون ، في طباعهم ، عن سكان المدن والسهول والسواحل . وسكان القرية يختلفون في سماتهم عن سكان الحضر . . . الخ .

وفي دراسة السلوك يفضل أن نستخدم اصطلاح الكائن الحي Organism عن اصطلاح الإنسان ، ذلك لأننا نتعلم الكثير من الكائنات غير البشرية ممـا يفيدنا في فهم سلوك الإنسان .

وما لدى الإنسان من عادات وتقاليد وأفكار ومثل وعقائد وطموحات إنما تتمركز في دماغه أو جهازه العصبي His nervrous system وكثير مما ندرسه في الإنسان يعبر عنه من خلال تعبيراته الجسمية ، أو سلوكه الجسمي .

الإنسان تنظيم بالغ الدقة :

وفي دراسة الإنسان من الناحية الفسيولوجيـة ينظر إليـه ككائن من لحم وجلد ، ولكن دون أن نغفل ما لديه من طاقات عقليـة أو فكريـة أو ذهنية أو نفسية .

وعن طـريق دراسة الكـائنات الفقـريـة أي ذات الفقـرات Vertebrates وكذلك الثـدييات Marmmals أو الحيـوانات العليـا . Primates نعرف تـطور الجهاز العصبي The evolution of the nervous system فعندما نعرف الجهاز العصبي في كائنات أولية بسيطة يساعدنا هذا في معرفة الجهـاز العصبي لدى الإنسان وكيف يسهم هذا الجهاز في سلوك الإنسان . وهنا نتساءل ومـا الذي يساعد الإنسان في التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة التي تواجهه ؟ أي تلك الظروف التي تجعله قادراً على الاستجابة الصائبة لبيئته Responsivenss وكيف يمكن تخزين خبرات الإنسان في ذاكرته أو كيف يمكن إيداع الأفكار والذكريات والمعلومات والحقائق في مستودع الذاكرة أو الدماغ عموماً ؟ .

تلك الذكريات أو تلك الاتجاهات العقلية وتلك العـادات الذهنيـة التي تجعلنا نستفيد من ماضينا في حـاضرنـا ومستقبلنا . كيف يستفيـد الإنسان من ماضي خبراته في حاضره الراهن ؟ الجهاز العصبي يلعب دوراً هاماً في تخزين هذه الخبرة ، وفي استدعائها للعمل عند اللزوم .

وإذا ما تساءلنا كيف يعمل هذا الكائن البشري ؟ وهل يعتبر الكائن البشري مجرد تجميع لعدة أعضاء يغلفها أو يربطها غلاف من الجلد ؟ هل الإنسان مجرد أعضاء Organs موجودة بجوار بعضها البعض أو مرصوص بعضها فوق البعض ؟ الإنسان ليس مجرد مجموعة من الخلايا Cells ، ولكنه في الحقيقة تنظيم دقيق لهذه الخلايا في شكل أعضاء منسقة ومتكاملة ومتفاعلة ، فالكائن البشري عبارة عن تنظيم Organization دقيق فيه كثير من الإعجاز والدقة والمهارة التي تبعث على الإيمان بالله العظيم الخالق المبدع . فلكل عضو في الإنسان نظام يتبعه ويسير عليه في تعاون وتناسق مع غيره من الأعضاء ، ولا يمكن أن تعمل الأعضاء بصورة عفوية أو ارتجالية وإنما بصورة فيها كثير من التخطيط والحكمة الإلَهية .

جسم الإنسان وحدة متناسقة :

ولذلك من خواص جسم الإنسان أنه وحدة موحدة Unitary organism أو كائن موحد متسق منظم . فالأعضاء تتناسق مع بعضها البعض وتتضافر وتتعاون ، ولذلك الكل يعمل في وئام وانسجام ونعومة ورقة وسهولة دون خلط أو عنف أو اضطراب .

أهمية دراسة العضلات :

وهنا يطرح أمامنا سؤال هام نفسه وهو :

لماذا يهتم عالم النفس الفسيولوجي بمعرفة الهيكل العظمي في الإنسان Skeketon وبناء العضلات وتركيبها Structures of muscles and tendons وأوتارها أو أطوالها أي تلك الأوتار التي تربط العضلات مع بعضها البعض والتي تجعل العضلة تعمل ؟ .

يحتاج إلى ذلك في حالات كثيرة منها :

١ - إذا أراد أن يعرف حدود الأداء الإنساني ومداه أي قدرة الإنسان على السلوك العضلي المعين .

٢ - لمعرفة آخر مدى من الثقل تستطيع العضلة أن تحمله كما هو الحال عند تشغيل العمال لرفع أوزان معينة أو تشغيل آلات أو رافعات ذات ثقل معين

حتى لا يصاب العمال بالتشوهات الخلقية أو يشعروا بالتعب والإرهاق أزيد من اللازم ، وحتى يمكن تصميم الآلات والماكينات والأسلحة بما لا يفوق طاقة الإنسان العضلية .

٣ ـ لمعرفة أقصى سرعة يمكن للعضلة أن تتقلص أو تنكمش أو تتحرك ، كحركة عضلة الذراع عند رفع شيء معين ، أو تحريك آلة معينة ، كما يحدث عند سائق سيارة النقل مثلاً .

٤ ـ لمعرفة أثر التدريب والتمرين على وزن وقوة وعمل عضلة معينة .

٥ ـ لمعرفة الشعور بالتعب في العضلات ومن ثم يعرف المواد الكيميائية التي تنتج عن تشغيل العضلات أزيد من اللازم .

لكي يقوم الجسم بعمله العضلي هناك تكامل ميكانيكي بين أعضائه Mechanical integration يجعل من السهل القيام بالحركات والأوضاع والأعمال الماهرة وتعبيرات الوجه والكلام أو النطق بالكلمات أو الوقوف والجلوس Fustures . فالمهارات اليدوية تعتمد على العضلات وعلى التآزر الحركي أو تآزر وتناسق الأصابع والتآزر بين وظائف العين والرجل أو القدم أو اليد أو غير ذلك من الأطراف . وما عليك إلا أن تتأمل الحركات المنسقة التي تقوم بها عند قيامك بقيادة سيارتك أو عند تشغيل العامل الماهر لآلته أو عند فكها وتركيبها . ومعروف أن عالم النفس يهتم بالنشاط العضلي لأن العضلات هي التي تتحكم في حركات الإنسان أو سلوكه الحركي كالجري أو اللعب . وهناك أنواع كثيرة من العضلات .

أنواع العضلات :

يوجد في الأنسان ثلاث أنواع رئيسية من العضلات هي :

١ ـ Striate or striped muscles أي العضلات المخططة كعضلات الرجل والذراع وهي التي تظهر من تحت الجلد وهي العضلات الإرادية التي تتحرك طوعاً للإرادة أي الحركة الإرادية .

ب ـ العضلات الناعمة Smooth muscles وهي العضلات التي تتحكم في حركات الجهاز الهضمي أو الأعضاء الهضمية Digestive organs وغيرها

من الأعضـاء الداخلية Internal organs والأوعية الـدمويـة The blood vessels .

جـ ـ العضلات القلبية Cordiac muscles وهي التي توجد فقط في القلب .

العضـلات المخططة هي روابط لـلألياف Fibers لكي تكـون مستعـدة للتغيرات السريعة في السلوك أو في العمل . أما العضلات الناعمة أو الملساء فهي أكثر بطئاً في الحركة أو في العمل ، ولكن حركاتها قد تكون قوية ، وتقاوم هذه العضلات الشعور بالتعب . وعندما تتقلص أو تنكمش العضلة Contiacts فإن هذا الانكماش يؤدي إلى حدوث حركة في أحد المفاصل Joints كما هو الحال في المشي أو رفع الأشياء من على الأرض . وإذا كان المفصل غير قادر على الحركة ، فإن العضلة تستمر في الانقباض ، في حالة من التيقظ أو اليقظة والانتباه ولكن بشيء من الهدوء ، فإن العضلات تتحرك أو تثار عن طريق فيض غير منتظم من المثيرات العصبية وهو الذي يحفظ قدراً طبيعياً أو معقـولاً من التقلص يسمى النغم العضلي أو النسق العضلي أو القوة أو التوتر العضلي mus-cle tone أو التناسق العضلي .

ويختلف هذا النمط العضلي من شخص إلى آخر ، ومن حالة إلى أخرى فهو مرتفع عند الشخص الرياضي أو الممتلىء بالحيوية والنشاط ، وهو ضعيف عند الشخص المتعب أو المرهق . أما إذا انخفض هذا المعدل العضلي أزيد من اللازم ، فإن الفرد ينهار أو يسقط كما يحدث في حالة الإغماء أو الضعف الشديد . أما إذا ارتفع هذا النغم العضلي أزيد من اللازم ، فإننا نكون أمام نوع من الشلل يعرف باسم الشلل الارتعاشي أو الرعاش أو الرعشي أو الارتجافي Spastic paralysis وفي حالة الشلل الرعاش هـذا مع درجـة عاليـة من النغم العضلي ، يصبح من المستحيل القيام بالحـركات الملسـاء أو الناعمـة . وقد يصاب الإنسان بهذه الحالة نتجة لجرح أثناء عملية الولادة Birth injury .

كيفية عمل العضلات :

كيف يحدث التوتر العضلي أو الشد العضلي هذا ؟

يحدث هذا التوتر العضلي أو تلك القوة العضلية بصورة آلية ميكانيكية من

خلال عمليات الانعكاس ، ولكننا نستطيع ، إرادياً أن نزيد من التوتر Tension في عضلاتنا ، كما نفعل ذلك عندما نبرز عضلات الذراع دون أن نحركه . وهناك بعض الناس الذين يشدون عضلاتهم بصورة مستمرة ، ومن ثم يعجزون عن الاسترخاء . مثل هذه الحالة من التوتر العضلي تسبب للفرد الشعور بالتعب والإرهاق . وقد يصاحبها اضطرابات بسيطة أو خفيفة في الشخصية .

التدريب على الاسترخاء :

ولا شك أن هناك علاقة وثيقة بين الحالة العضلية والحالة النفسية ، ولذلك انتهج علماء النفس طريقة لتدريب المرضى على الاسترخاء التام لجميع أطرافهم وعضلاتهم ومفاصلهم وتعبيرات الوجه عندهم فيما يسمى « بالعلاج السلوكي » حيث يستطيع الإنسان أن يتخلص من حالة القلق والتوتر النفسي أو الحصر عن طريق التدريب على الاسترخاء التام كما يحدث في حالات مثل اليوجا . وعن طريق التدريب على الاسترخاء يتعلم المريض كيفية التحكم في عضلاته وانفعالاته ويتمكن من البقاء على الاسترخاء يتعلم المريض كيفية التحكم في عضلاته وانفعالاته ويتمكن من البقاء هادئاً ومتحرراً من التوتر والشد العصبي أو العضلي ومن ثم القلق .

ويمكن للإنسان أن يزيد إرادياً توتره العضلي أو شد عضلاته دون القيام بالحركات العضلية ، وذلك عن طريق زيادة توتر العضلات المضادة أو المقاومة .

Antagonistic muscles هذه العضلات توجد في شكل أزواج من العضلات . وبذلك فإن توتر أحد أزواجها يؤدي إلى توتر الزوج الآخر أو الفرد الآخر من العضلة . لأن أحد الأزواج يشد أو يجذب الفرد الآخر من العضلة .

ففي الذراع العلوي تكون العضلة ذات الرأسين Biceps تكون عضلة قابضة Flexor حيث تؤدي إلى ثني الذراع حتى الكوع بينما العضلة الباسطة Triceps تكون بمثابة عضلة المد أو الفرد أو البسط Extensor حيث تؤدي إلى فرد الذراع أو بسطه حيث تقاوم العضلة القابضة وتميل إلى فرد أو مد الذراع عن طريق التقلص من عند الكوع . ويعمل التحكم العصبي للعضلات ، بحيث إذا نقلص أحد أزواج العضلة أو أنشد فإن الفرد الآخر منها يسترخي . ويعرف هذا

باسم مبدأ الأعصاب أو الأمداد العصبي المتبادل أو المتعاكس Reciprocal unnervation وله أهمية كبيرة في المشي إلى الأمام وفي حركات الذراع . وعندما نحرك العضلات بصورة إرادية نستطيع أن نستفيد من هذه العلاقة التبادلية أو التعاكسية لكي نمارس الحركات الحرة أو أننا نقلص كلاً من العضلتين المتضادتين في نفس الوقت وبذلك يزداد التوتر العضلي .

التكامل عبر المجرى الدموي :

لا شك أن نظام الدورة الدموية يلعب دوراً هاماً في قدرة الجسم على القيام بوظائفه بصورة متناسقة أي القلب ووظائفه والأوعية الدموية والأجهزة المساعدة الأخرى . ويسهم هذا الجهاز الدموي في تكامل الجسم عن طريق إرسال مواد كيميائية في كل أجزاء الجسم ومنها العضلات والمفاصل .

ويمكن أن ندرس في هذا الصدد عملية التمثيل الغذائي وعمليات الهدم والبناء في خلايا الجسم Metabolic .

وكذلك من الأهمية بمكان دراسة تلك المواد التي يحملها مجرى الدم وهي الهرمونات Hormones وتعني كما يدل على ذلك اشتقاقها اليوناني أنها عبارة عن منشطات Activators وهي عبارة عن الإفرازات الداخلية Internal secretions للغدد الصماء Endocrine glands وتتوزع في أجزاء الجسم عبر الأوعية الدموية . وهذه الغدد الصماء أي عديمة القنوات تصب إفرازاتها داخل الدم نفسه .

Ductless glands تؤثر على مسار النمو في الإنسان وعلى السلوك وعلى الشخصية . وتتميز هذه الغدد عن الغدد القنوية Duct glands كالغدد الدمعية أو الغدد اللعابية التي تفرز إفرازاتها خارج الجسم أو في الوعاء الجسمي أو التجويف الجسمي Body cavities وليس إلى مجرى الدم . وهناك ستة غدد صماء أمكن فهم وظيفة هرموناتها وإن كنا ما زلنا في حاجة إلى جمع المزيد عن وظائفها وتأثيراتها . وهذه الغدد هي :

١ ـ الغدة الدرقية Thyroid gland .

٢ ـ الغدد جارات الدرقية Parathroids .

٣ ـ غدة البنكرياس Pancreas .

٤ ـ الغدد الأدرينالية Adrenal glands .

٥ ـ الغدد الجنسية Sex glands or gonads .

وهي عبارة عن البيض Ovories عند الأنثى والخصيتين Testes عند الذكر .

٦ ـ الغدة النخامية Pituitary .

الخلاصة :

وفي النهاية يمكن إيجاز النقاط الرئيسية ذات الأهمية في بيان تأثير العوامل الفسيولوجية على السلوك .

١ ـ الجسم الإنساني عبارة عن عضو معقد وحساس وقادر على الاستجابة ويتكون بالطبع من العظام والعضلات والمجاري الدموية تلك التي تحمل الهرمونات لنشرها في كل الجسم . وله جهاز عصبي يسيطر على كل أجزائه .

٢ ـ ومن بين الآليات أو العمليات التي تسمح بالتآزر العضلي الرقيق تلك الإمدادات العصبية المتبادلة حيث يمكن التفاعل بين العضلات المتعارضة .

٣ ـ للغدد الصماء أهمية كبيرة من خلال ما تفرزه من هرمونات تنساب في مجاري الدم وتظهر أهمية هذه الغدد في النواحي الآتية :

أ ـ بعض جوانب السلوك المرتبط بالانفعالات .

ب ـ الشخصية ونموها وصقلها وسماتها .

جـ ـ الدافعية أو الدوافع التي تحرك السلوك .

ومن أهم هذه الغدد الصماء بالنسبة للسلوك الغدد الآتية :

أ ـ النخامية .

ب ـ الدرقية .

جـ ـ الغدد الأدرينالية .

د ـ الغدد التناسلية .

و ـ الغدد جارات الدرقية .

٤ - ولا شك أن عالم النفس الفسيولوجي يهتم اهتماماً كبيراً بالدماغ والجهاز العصبي بسبب صلتهما القوية بالسلوك وكذلك يهتم عالم النفس الفسيولوجي بدراسة تطور الدماغ والجهاز العصبي . ولقد لاحظنا على الكائنات ذات الخلية الواحدة أنها تستجيب مباشرة للبيئة دون أن يكون لديها جهاز عصبي تخصصي أو متخصص . وهناك بعض الحيوانات متعددة الخلايا مثل الإسفنج وليس لديها جهاز عصبي . ولم تظهر بدايات الشبكة العصبية إلا في حيوانات مثل السمك الهلامي . هذه الشبكة تتكون من مجموعة من الخلايا العصبية التي يطلق على كل منها اسم النيرون . والعضلات فيها تنقبض محلياً حيث تثار الأعصاب . وتذهب الإثارة في كل الاتجاهات من نقطة الإثارة . وهناك بعض أنواع الأسماك وهو السمك الهلامي لديه بعض التآزر وحركات السباحة عن طريق وجود تركيز من الأعصاب في حلقة عند هامش ما يشبه المظلة لهذه الكائنات البحرية . ولكن لا يوجد تآزر مركزي ولا يوجد ما يماثل الدماغ .

أما في نوع آخر من السمك ويسمى السمكة المفرطحة فيوجد نوع من الجهاز العصبي الذي يوجد في الأنواع العليا . وفيه يسير التيار العصبي الذي يشبه « السلم » حيث يوجد حبل عصبي ودماغ بدائي .

٥ - وفي الحيوانات الفقرية تطور الدماغ حول حبل واحد مثقوب من الأعصاب يسير في خلف ظهر الحيوان مع وجود بعض التضخم عند النهاية الأمامية التي تشبه الرأس . ويوجد ثلاث نقاط متضخمة وهي التي أصبحت الدماغ الجبهي والدماغ الأوسط والدماغ الخلفي وترتبط هذه الأدمغة الفرعية بالحبل الشوكي . وهذا النمط العصبي يبقى موجوداً في سلم التطور في دماغ الإنسان .

٦ - وحتى في الفقريات البدائية مثل كلب البحر نما فيها أجزاء أكثر تخصصاً في الدماغ الجبهي مثل الفصوص الشمية والدماغ والثلايموس والهيبوثلاموس . ويتكون الدماغ الأوسط ، في هذه المرحلة من التطور ، من الفصوص البصرية وهي متصلة بالجهاز البصري ، أما الدماغ الخلفي فيحتوي على المخيخ وعلى النخاع .

٧ ـ وعلى الرغم من حدوث كثير من التطورات والتغيرات ، فإن أكثر التغيرات التي طرأت على دماغ الفقريات العليا هي نمو الدماغ الجديد أي اللحاء الدماغي . أما الدماغ الأوسط فلقد نقص حجمه النسبي .

٨ ـ ويمكن النظر لدماغ الإنسان على أساس أنه مكون من ثلاث طبقات هي :
أ ـ اللب البدائي .
ب ـ الدماغ القديم وهو نام من اللب البدائي .
جـ ـ الدماغ الجديد وهو طبقة خارجية ، وهو نام عن الدماغ القديم بدوره .

بالنسبة للب البدائي في داخل جذع الدماغ يخدم الوظائف الخاصة بحفظ الحياة مثل التنفس وعمليات الهدم والبناء في الجسم ، ويحافظ على مستوى توازن وظائف الجسم قريباً من التوازن الثابت أو المستقر من خلال عملية حفظ التوازن . والمسؤول عن عمليات التوازن هذه هو الهيبوثلاوس مثله مثل الترمومتر في حفظ الحرارة والترموستات في أجهزة التبريد .

وهناك نظام تنشيط ويقع في جذع الدماغ ويتحكم في عمليات الكلام والمشي واليقظة والانتباه . وعلى المستوى التالي يوجد تكوينات تمتد على امتداد النصف الكروي للدماغ ويوجد اللحاء القديم أو البدائي . وتنظم هذه السلوك المسلسل مثل الغذاء والهجوم والهروب من الخطر وغير ذلك من الأنشطة الأساسية التي تتضمن التفاعل مع البيئة .

وأخيراً يتحكم اللب الخارجي للدماغ الجديد وهو اللحاء الدماغي في عمليات التمييز وإدراك الفروق ، وعمليات الاختيار والتعلم والنفكير أي العمليات العقلية العليا . أي تلك العمليات التي تمتاز بالمرونة وعدم الجمود أو البعد عن النمطية والروتين .

أما المناطق الإسقاطية فتمثل المدخلات الحسية النوعية أو مراكز الإحساس للتحكم في الحركات النوعية . أما بقية الدماغ فتتكون من مناطق الترابط .

٩ ـ الجهاز العصبي الذاتي يتكون من جزئين :
أ ـ القسم الثمباثاوي .

ب ـ القسم الباراثمباثاوى .

وألياف هذا الجهاز تتحكم في عمل الأحشاء وعمل الغدد ، ومن ثم فإن الجهاز العصبي الذاتي لـه أهمية في ردود الفعـل الانفعاليـة . وينشط القسم الثمباثاوي في أعمال الإثارة ، بينما الجهاز الباراثمباثاوي ينشط في حال الهدوء أو السكون أو الهمود . ولكن التعارض أو التناقض بين هذين القسمين ليس عاماً ولكنهما يتعاونان بصورة معقدة .

١٠ ـ ولفهم الطريقة التي يعمل بها الجهاز العصبي ، فإن علماء النفس يقبلون فكرة الابتداء بدوران الانعكاس الذي يبدأ بإثارة عضو حساس أو عضو حاس هو المستقبل أو هو جهاز الاستقبال العصبي حيث ينقل طاقة المثير إلى أن تتحول إلى نبض عصبي أو سلسلة من هذه النبضات تلك التي تسافر إلى الحبل الشوكي والدماغ عن طريق خلايا التوصيل أو التوريـد Afferent ويتم الانتقال والتكامل في أحد مراكز الجهاز العصبي ، ثم ترتد النبضات العصبية عبر أو عن طريق خلايا التصدير Efferent إلى العضو المستجيب أو الـذي يتعين عليه أن يستجيب أو العضـلات أو الغدد أو الخلايا الحركية Effectors .

١١ ـ يتكـون الجهاز العصبي من خـلايا تسمى النيـرونـات . وتستقبـل هـذه النيرونات عن طريق ما بها من شعيرات وعن طريق جسم الخلية المثيرات الحسية ، وتنقل النبضات العصبية عن طـريق محورهـا . وهناك نـوعان هامان من السفر للنبض العصبي أحدهما هو الذي يمر بالألياف العصبية والآخر يمر عبر الربط بين النيـرونات وتسمى هـذه النيرونـات نيرونـات الوصل أو الربط Synapses .

الانتقال الذي يحدث عبر الألياف يحدث عن طريق عملية كهربائية كيميائية تتضمن شحن أيونات الصـوديوم والبـوتاسيـوم عبر غشـاء أليف العصبي .

ويسير النبض بسرعـة كبيرة تبلغ ٣٠٠ قـدماً في الثـانية في بعض أعصاب الثدييات . كذلك فإن الانتقال الذي يحدث عبر خلايا الوصل

عن طريق وسيط كيميائي . والمحور وحده لا يصدر ما يكفي من المادة المنشطة لكي يطلق النيرون نبضاته وعلى ذلك يتعين أن تصل عدة نبضات مع بعضها لكي تحدث الاستجابة . ويعمل النيرون بمبدأ أما أن يطلق نبضاته كلها أو لا يطلقها كلها ، ويتبع ذلك فترة من السكون . وعلى كل حال يبدو أن ردود الفعل طويلة المدى والتدريجية التي تحدث في الشعيرات تؤثر في النشاط الكهربائي للدماغ بطريقة مختلفة عن إخراج محور النيرون .

١٢ ـ وما زالت مشكلة تفسير الأساس العصبي أو النيروني لعملية الذاكرة ما زالت مشكلة محيرة من بين الآراء الموجودة في التفسير العصبي لعملية التذكر ما يلي :

أ ـ دوران إعادة الذبذبة حيث تستمر بعض العقد العصبية في الانطلاق حتى بعد توقف المثير .

ب ـ افتراض حدوث نوع ما من النمو في الخلايا الواصلة .

جـ ـ افتراض نظام تشغيل ـ توقيف لتسجيل الذاكرة يشبه ذلك النظام الموجود في الكومبيوتر .

٦ ـ افتراض نوع ما من الذاكرة الكيميائية وفي ذلك يوجد أنسجة مساعدة أو معضدة عبارة عن خلايا من الغراء تلعب دوراً في حدوث عملية التذكر . وهذه الخلايا رغم كثرتها في الدماغ إلا أنها لا تلعب دوراً رئيسياً أو مباشراً في نقل الألياف للنبضات . لا يوجد حتى الآن معرفة فسيولوجية أكيدة أو حاسمة عن تخزين الذاكرة في الدماغ ، كل ما نعرفه ينحدر إلينا من دراسة السلوك .

١٣ ـ توضح دراسة المبالغة في زيادة أو في قلة الإثارة ، أن هاتين الحالتين تؤديان إلى فقدان التوازن . فقلة الإثارة قد تؤدي إلى نمو أعراض فقدان الاستجابات المتكيفة ونمو أعراض الهلاوس وذلك في الراشدين . أما في حالة التعرض للضغط الشديد فإن مجموعة أعراض التكيف العامة تظهر وقد تؤدي إلى الإصابة بالأمراض .

أما في حالة السواء فهي التوسط والاعتدال .

التكامل العصبي أو النيروني :

المعروف أنه من بين وظائف الجهاز العصبي التحكم في العضلات التي تستخدم بدورها الأجهزة الهيكلية في الجسم ، وعلى سبيل المثال الجهاز العصبي يتولى تنظيم ضربات القلب والتنفس Respiration ودوران الدم The cirulation of the blood وبالمثل ينظم إفراز الغدد . فالعملية العصبية تسيطر على العمليات الآلية والكيميائية في تكاملها . والميزة الخاصة للجهاز العصبي أنه يوفر الأساس السليم للأعمال المعقدة والمحتاجة إلى التعديل أو التنسيق واللازمة لحدوث عملية التعلم من خلال الخبرة ، ويساعد في زيادة القدرة على التكيف لظروف البيئة المتغيرة .

ولكننا في علم النفس لا نهتم كثيراً باستعراض تفاصيل نظرية التطور التي هي موضوع من موضوعات علم الحياة Biology ، ذلك العلم الذي يعد أحد أقطابه تشارلز دارون DARWIN وهو عالم طبيعة بريطاني (١٨٠٩ - ١٨٨٢) صاحب نظرية التطور والنشوء في البقاء للأصلح ومن أشهر كتبه « أصل الأنواع The origin of the species .

والقاعدة الأساسية أن الكائنات الحية تختلف وتتباين فيما بينها ومن ثم فإن هناك كائنات أكثر قدرة على التكيف من غيرها . وتعطي هذه الميزة مزيداً من القدرة للكائن الحي في مجال التنافس في البيئة التي يعيش في وسطها ، بل قد تساعده على البحث عن بيئة أكثر ملاءمة .

وهذه السمات الخاصة بالتكيف أو تلك الخاصة بعدم التكيف موروثة ، وباستمرار الحياة تستمر الاختلافات ، وتنجح بعض الكائنات في معركة الحياة بينما يموت البعض الآخر . وهذا ما يعبر عنه بعملية الاختيار الطبيعي . ويوضح علم الوراثة الحديث كيفية حدوث هذا الاختلاف وذلك الاختيار ليس عن طريق التحويل أو التغير أو الاستبدال المفاجىء أو الطفري ، وإنما عن طريق نقل أو تغير الجينات ، وهي المحددات الوراثية وذلك عن طريق عمليات التهجين وعزل الأزواج عن بعضها البعض . وبمرور الوقت تتكون سلالات خاصة جديدة .

الاهتمام بكل ما يتصل بالسلوك :

ولا يهتم علم النفس الفسيولوجي كثيراً بقضايا التطور ونظرياته إلا في حدود ما يساعد على فهم السلوك الإنساني الذي هو الموضوع الرئيسي لعلم النفس ، ولذلك يهتم بدراسة الأجهزة التي تسهم إسهاماً مباشراً في تشكيل سلوك الإنسان ، ومنها الجهاز العصبي أو تطور الدماغ ، لأنه هو الذي يقوم على تفسير وتأويل المدخلات أو المثيرات الحسية Sensory inputs الواردة من البيئة ، ومعرفة معناها ومغزاها ومدلولها ، ومن ثم يتصرف حيالها التصريف الملائم . والجهاز العصبي هو الذي يحقق التآزر أو التوافق والتناسق في استجابات الإنسان . ويساعد الجهاز العصبي في عمليات التفكير والتذكر .

الجهاز العصبي في الكائنات الدنيا :

هناك كائنات حية تعيش بلا جهاز عصبي مثل الأمبيا Amoeba لأنها تتكون من خلية واحدة ، ويستجيب جسم الخلية للمثيرات . ولذلك تتحرك الأمبيا وتتحاشى المثيرات السامة وتبتلع الطعام ، ولا بد أن هناك نوعاً من النقل العصبي في جسم الخلية لأن حركات هذا الكائن تحدث على مقربة من المثير كالطعام مثلاً . وبالمثل الإسفنج Sponge كائن متعدد الخلايا ولكن ليس له جهاز عصبي . وتتصرف خلاياه بصورة فردية أي كل منها على حدة . الألياف العصبية فيه متطورة نسبياً ؛ ولذلك يوجد فيه بدايات للتقلص العضلي Muscular contraction ولكن دون إمداد عصبي للعضلات . ولذلك لا بد أن هناك نوعاً من التآزر يثير أو يحرك خلية ما تقوم بدورها بتحريك أو إثارة خلية أخرى مجاورة لها . ولكن لا يمر هذا التأثير عبر أية ألياف عصبية رابطة .

بداية الجهاز العصبي توجد في الشبكة العصبية The nerve net ، والتي توجد في الحيوانات عديمة الأحشاء أو عديمة الجهاز الهضمي ، مثل الحيوانات البحرية اللافقرية ، وهي ذات تجويف بطني يقوم بوظيفة القناة الهضمية مثل سمك المرجان والسمك الهلامي Coelenterates . في مثل هذه الحيوانات البسيطة تصبح الخلايا متخصصة وتنتشر أو تتوزع بالتساوي على السطح الخارجي أو الحدود الخارجية للجسم . وعندما تحدث إثارة في أي جزء من الشبكة العصبية تنتشر أو تتوزع الإثارة في هذه النقطة وتؤدي إلى حدوث تقلص

موضعي في العضلات في المنطقة التي أثيرت فيها النيرونات العصبية . ولكن لا يوجد شيء معقد يحكمه جهاز عصبي .

في بعض أنواع السمك الهلامي Jelyfishes تتمركز بعض الألياف العصبية الخاصة بالشبكة العصبية في شكل حلقة في جسم الحيوان تشبه هذه الحلقة الرأس . في إحدى التجارب الشيقة التي أجريت في هذا الصدد منذ وقت مبكر (١٩٢٢) ، وأجراها العالم هارفي E.N. Harvey (١٩٢٢) على هذه الأسماك حيث قطع الحلقة العصبية وبدا يوجه إثارة مكان هذه الحلقة ، ولكن استمرت الإثارة في الانتقال لمدة ١١ يوماً . ومن خصائص الشبكة العصبية أن التيار العصبي من الممكن أن ينتقل في أي من الاتجاهات .

وهناك نوع من السمك المفرطح يظهر فيه تطور أكثر للجهاز العصبي ، حيث تتجمع الخلايا العصبية في شكل حبل عصبي ، وهو عبارة عن نمو بدائي من الحبل الشوكي Spinal cord تتمركز حول الرأس لكي تكون شيئاً يشبه الدماغ .

وهكذا يتطور الجهاز العصبي من اللافقريات Invertebrates مثل الحشرات Insects ثم إلى الفقريات ومنها الإنسان . ويوجد لديه أعلى درجات التعقيد في جهازه العصبي .

في الإنسان ، كما في غيره من الفقريات ، توجد ثلاث تجمعات عصبية مرتبطة مع بعضها البعض ، تقع في الدماغ ، هذه الأدمغة الفرعية الثلاثة يمكن تمييزها في الإنسان أيضاً وهي :

أ ـ الدماغ الأمامي أو الجبهي Forebrain .
ب ـ الدماغ الأوسط Midbrain .
جـ ـ الدماغ الخلفي Hindbrain .

ولا شك أن فهم الصور البدائية للدماغ في الفقريات يساعدنا في فهم كيفية تكوين دماغ الإنسان . ففي دماغ كلب البحر الأمامي مثلاً يوجد البصلة الشمية المختصة بحاسة الشم Olfactory bulb . ويستخدم هذا النوع من

السمك المعلومات الآتية إليه من حاسة الشم في توجيه سلوكه . أما الثلاموس Thalamus فيعمل كمحطة في الوسط للمثيرات الآتية من أعلى من الحبل الشوكي والذاهبة إلى أسفل الدماغ بينما يعمل الهيبوثلاموس Hypothalemus على ربط كثير من العمليات المنظمة والداخلية .

أما الدماغ الأوسط فيتكون أساساً من الفصوص البصرية Optic Lobes والمرتبط بالعين ويقوم على تنظيم السلوك عن طريق المثيرات التي تؤثر في العين .

والدماغ الخلفي يحتوي على المخيخ Cerebellum ، ويعمل على احتفاظ الكائن بالتوازن وغير ذلك من العمليات . أما اللب Medulla أو النخاع وهو عبارة عن النسيج الموجود في الحبل الشوكي Spinal cold قلة تأثير على الاحتفاظ بالعمليات الحيوية مثل التنفس Respiration ودوران الدم .

وهناك تطورات كثيرة حدثت في أدمغة الثدييات Mammalian brains كان أهمها ظهور غطاء للدماغ يسمى اللحاء أو القشرة الجديدة Neocortex أو اللحاء المخي كما يعرف في الإنسان .

ولقد حدثت تغيرات في الحجم التناسبي للدماغ وللدماغ الأوسط .

ويبلغ الدماغ أعلى درجات التعقيد في الإنسان بالمقارنة إلى كافة الفقريات الأخرى ، ولكن كيف يمكن أو كيف أمكن للعلماء دراسة الدماغ البشري ؟ .

هناك مناهج معينة استخدمها كل من علماء النفس وعلماء التشريح العصبي وعلماء الفسيولوجيا العصبية في دراسة الدماغ البشري .

مناهج دراسة الدماغ :

يمكن تمييز عدد من المناهج المستخدمة في دراسة الدماغ البشري منها المنهج التطوري والذي يعتمد على دراسة التطورات التي طرأت على دماغ الإنسان بالمقارنة بالكائنات الأد ى . وعن طريق المقارنة نجد أن هناك أجزاء من دماغ الإنسان تشبه تماماً أدمغة الكائنات الأدنى . وهذه الأجزاء كانت تكوّن دماغه القديم . وفي خلال عملية التطور ظهرت أجزاء أخرى وأصبح لها السيادة

على ذلك التكوين القديم ، وأصبحت تكوّن دماغ الإنسان الجديد إذا صح القول . وهذا الدماغ هو الذي يعطي للإنسان ما يمتاز به عن الكائنات الأدنى . ولا شك أن المحازاة بين دماغ الإنسان والأدمغة الأكثر بساطة تقودنا إلى استنتاج وظائف متشابهة إلى مزيد من الدراسة والبحث .

وهناك طريقة أخرى لدراسة تطور الدماغ ، وذلك من خلال التطور أو النمو في الأجنة Embryological development ذلك لأن دماغ الجنين في مراحله الأولى من النمو يكشف عن وجوه الشبه بين الدماغ البشري وغيره من الأدمغة الأدنى .

المنهج الثاني في دراسة الدماغ يعتمد على دراسة ما يلي :

أ - الأمراض .
ب - الجروح أو الإصابات الرأسية .
جـ - إزالة أو استئصال أجزاء من الدماغ .

هناك بعض الأورام والأمراض التي تدمر بعض أجزاء من الدماغ أو النسيج الدماغي ، وكذلك الأعيرة النارية وإصابات الحوادث من الممكن أن تتلف أجزاء من الدماغ أو من الحبل الشوكي . وعن طريق ملاحظة الأعراض التي أدى إليها أو التي سببها الجرح مثل الشلل أو فقدان الإحساس أو غير ذلك من الاضطرابات ، عن طريق ملاحظة هذا يمكن استنتاج الوظيفة التي يقوم بها هذا الجزء من الدماغ أو ذاك . وإذا كانت هذه الأعراض نتيجة لأورام معينة ، فإن ملاحظة الأعراض تساعدنا في التعرف على مكان الورم الذي أدى إلى حدوث الأعراض المرضية Symptoms وعندما تتم إزالة الأورام ، فإن الأعراض قد تزول ، ومن هنا نحصل على مزيد من المعلومات عن العلاقة بين هذا الجزء من الدماغ وتلك الأعراض .

وبدلاً من الانتظار حتى تحدث الأورام أو الحوادث ، فإن العلماء يقومون بإجراء عمليات الإزالة والاستئصال هذه على الحيوانات . وفي بعض مرضى الإنسان تمت إزالة بعض الأجزاء المخية .

من المناهج المستخدمة كذلك الاعتماد على انحلال أو فساد الخلايا The

study of nerve degeneration ويتم ذلك عندما يتم تدمير جزء من الدماغ ، فإن الأعصاب المتصلة بهذا الجزء قد تفسد أو تنحل ، وعندئذ يمكن تتبع الممرات الخاصة بهذه الألياف العصبية الرابطة ، وذلك عن طريق استخدام المجهر الدقيق . بعض العلماء يستخدمون نوعاً من الصبغة Stain لتلوين أو لصبغ بعض الأنسجة العصبية دون ان تصبغ البعض الآخر ، وعن طريق هذه الألوان يمكن تتبع التيار العصبي أو الممرات العصبية .

ومن المناهج المستخدمة كذلك في دراسة الدماغ الاعتماد على تقديم المثيرات Stimulation فإثارة أجزاء معينة من الدماغ عن طريق تيار كهربي خفيف جداً تؤدي هذه الاثارة الكهربية إلى التأثير على السلوك . حيث يمكن إثارة بعض اجزاء من الدماغ تحت تأثير التخدير الموضعي Local anesthetics وهنا يستطيع المرضى أن يصفوا خبراتهم عند إثارة أجزاء خاصة من الدماغ. ولقد ساعدت مثل هذه الدراسات في رسم ما يمكن أن يسمى خريطة للحاء الدماغ أو قشرته.

وحديثاً استطاع العلماء الذين يجرون تجاربهم على الحيوانات أن يزرعوا أقطاباً كهربية مستديمة في أدمغة بعض الحيوانات لإثارة أجزاء خاصة منها ، كذلك أمكن إثارة بعض الاجزاء عن طريق وضع بعض العقاقير الموضعية عليها .

المنهج الخامس في دراسة الدماغ هو دراسة تيارات الفعل action current ذلك لانه عندما يستمر الفعل العصبي ، فان تياراً خفيفاً يتكون وعن طريق وضع أو إدخال أقطاب كهربية في اماكن خاصة تتصل او ترتبط بأجهزة للقياس ، نستطيع أن نعرف عما إذا كان أو أن نتنبأ عما إذا كانت المثيرات التي تبدأ مثلاً من الاذن تصل إلى ذلك الجزء من الدماغ الذي زرع فيه القطب الكهربي أم لا .

ومعروف أن الدماغ ككل يصدر بدوره موجات كهربية نقية امكن قياس هذه الموجات الدماغية عن طريق جهاز يعرف باسم Electroencephalogram (E.E.G.) وقد ساعد هذا الجهاز في دراسة الجهاز العصبي المركزي وانشطته . وعلى ذلك نعرف تأثير المؤثرات او الإثارات في نسق هذه الموجات الناتجة من

جزء معين من الدماغ . وعلى ذلك نعرف أن هذا المثير بالذات يؤثر في هذا الجزء بالذات من أجزاء الدماغ ودون سواه من الاجزاء .

تتكون لدينا المعرفة عن الدماغ ووظائفه عن طريق استخدام هذه المناهج وغيرها وبذلك يقل ما كان يكتنفه من غموض تدريجياً . وفي دماغ الانسان كثير من التفاصيل والجزئيات إلى جانب ذلك اللحاء النامي الذي يجعل الدماغ الحالي يختلف عن الدماغ القديم . وجميع اجزاء الدماغ تترابط مع بعضها بصورة بالغة التعقيد .

دماغ الثدييات :

ويمكن وصف دماغ الثدييات على أنه يتكون من ثلاث طبقات Layers هي :

أ ـ لب أو محور بدائي .

ب ـ دماغ قديم .

جـ ـ طبقة خارجية للدماغ الجديد نمت على الطبقة الثانية . وجميع هذه الطبقات مترابطة . اللب المركزي والذي يحتوي على أجزاء من الدماغ الخلفي والدماغ الأوسط والثلاموس Thalamus والهيبوثلاموس وهو أكبر من جذع الدماغ The brain stem ويعمل على حفظ الحياة حيث ينظم عمليات التنفس والأيض أو الهدم والبناء في الجسم ، ويعمل على تنظيم عمل الغدد الصماء ، والاحتفاظ بحرارة الجسم ، أي الاتزان الحيوي Homeostasis ومعنى ذلك المحافظة على ثبات العمليات الكيميائية الحيوية وتوازنها لتحقيق الاستقرار الداخلي أو لثبات البيئة الداخلية الحيوية في الإنسان . ومن ذلك الاحتفاظ بقدر متوازن من الملح في الدم ، وكذلك الاحتفاظ بالمعدل المطلوب من ضربات القلب ومن ضغط الدم .

الاحتفاظ بالتوازن الداخلي :

وعندما يتعرض الإنسان للضغوط ، فإن الاتزان الداخلي يختل ، وهنا تقوم العمليات من أجل استعادة التوازن والقضاء على حالة عدم التوازن في الوظائف . فإذا كنا في حالة دفء شديد فإننا نفرز العرق ، أما إذا كنا في حالة

برودة شديدة فإننا نرتجف أو نـرتعش ، وذلك لاستعـادة درجة حـرارة الجسم العادية . وإذا فكرنا في درجة الحرارة وتوازنها بمعنى الترمومتر لقلنا أن لجسمنا الترمومتر الخاص به أو اتزانه الحيوي الخاص .

يتعرف هذا الجهاز الداخلي على الأجزاء التي فقدت الإتزان بغية إعادتها إلى حالة التوازن . القدرة على الاتزان هذه توجد في الهيبوثلاموس بالقرب من الخط الأول الخاص بالتجويف Ventrocles بالقرب من تجويف صغير عند مركز الدماغ . وأدوات الاتزان هذه يمكن النظر إليها كما لو كانت تكوينات حساسة للمتغيرات الكيميائية التي تمثل تغذية رجعية من بقية أجـزاء الجسم . وهناك تكوين شبكي Reticular formation يعمل على حفظ حالة اليقظة في الكائن ، كما يحدث عندما يتحول الكائن من حالة النوم إلى حالة اليقظة ، ومن حالة عدم الانتباه إلى حالة الانتباه والوعي . يعمل هذا اللب اللاإرادي في الدماغ على حفظ كثير من العمليات الهامة التي تحفظ حياة الكائن .

على كل حال معظم المعلومات عن حفظ التوازن وعن التكوين الشبكي حديثة .

المناطق المتخصصة :

ولقـد كشفت الدراسـات التي تناولت وظـائف الدمـاغ أن هناك منـاطق متخصصة في هذا الدماغ specialized areas تختص كل منطقة بنوع خاص من الـوظائف . فلقـد لاحظ مارشـال هول عـالم الفيزيـاء الاسكتلندي (١٧٩٠ ـ ١٨٥٧) MARSHALL HALL السلوك المنعكس ، حيث قـام بقـطع رأس بعض الحيوانات ، أي قطع مركـز الجهاز العصبي فيهـا ومع ذلـك لاحظ أن الحيوان يظل يتحرك لفترة ما . واستنتج هول من هذه الملاحظات وجود عدة مستويات للسلوك تعتمد على بعض مناطق الدماغ وهي :

١ ـ الحركات الإرادية وتعتمد على الدماغ الكبير أو هي وظيفة لهذا الدماغ .
٢ ـ الحركات المنعكسة وتعتمد على الحبل الشوكي .
٣ ـ الحركات اللاإرادية وتعتمد على الإثارة المباشرة للعضلات .
٤ ـ والحركات التنفسية وتعتمد على نخاع الدماغ Medulla .

عمليات استئصال الأدمغة :

وهناك أيضاً بحوث بيير فلورنس PIERRE FLOURENS (١٧٩٤ - ١٨٦٧ م) التي واصل فيها بحوث هول ، حيث استأصل ، بطريقة منظمة ، الدماغ والدماغ الأوسط ، وكذا النخاع ثم المخيخ والحبل الشوكي في بعض الحيوانات . ولاحظ أن هناك تغيرات تعتري سلوك الحيوان بعد عملية الاستئصال هذه . ولاحظ كذلك أن العمليات العقلية العليا يتم تنظيمها عن طريق الدماغ . وأن الدماغ الأوسط يحتوي على مراكز للإنفعالات البصرية والسمعية ، بينما يعمل المخيخ على التحكم في التآزر أو الاتزان . أما النخاع فهو عبارة عن مركز للتحكم في التنفس وضربات القلب وغير ذلك من العمليات أو الأنشطة الحيوية . ولهما الفضل في تناول الدماغ ووظائفه بالدراسة المنهجية والتجريبية التي تختلف عن دراسة فراسة الجمجمة Phrenology حيث كان يستدل على قوة الدماغ من شكل الجمجمة . وعن طريق منهج الاستئصال هذا أمكن معرفة وظيفة كل مركز أو منطقة من مناطق الدماغ وما الذي يحدثه إزالة جزء من الدماغ على سلوك الكائن الحي . ويرجع أهمية هذين الرجلين إلى أنهما قدما لعلم النفس منهج استئصال الأعضاء ومعرفة أثر ذلك على سلوك الحيوان .

اكتشاف مركز الكلام :

ولقد شهد منتصف القرن التاسع عشر مولد منهجين من المناهج الإكلينيكية اكتشف أحدهما بول بروكا PAUL BROCA (١٨٢٤ - ١٨٨٠ م) وذلك في عام ١٨٦١ م . أما الاكتشاف الثاني فكان عبارة عن منهج الإثارة الكهربية والذي أعلنه فرتش وهتزج FRITSH and HITZIG في عام ١٨٧٠ م . ولقد اكتشف بروكا مركز الكلام في الدماغ The speech center ولذلك يسمى منطقة بروكا Broca's area . ولقد حدث أن كان بروكا مكلفاً بالعناية بأحد المرضى الذي ظل سنوات طويلة غير قادر على الكلام . ولقد فحصه بروكا بدقة فائقة قبيل أن يموت مباشرة ، وبعد وفاته قام بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة ، حيث اكتشف وجود تلف في التلافيف الثالثة الجبهية في قشرة دماغ هذا المتوفى ، وبناء على ذلك أعلن

أن هذه التلافيف هي مركز الكلام The third brontal convolution of the cerebral cortex .

ولقد كان هذا الحادث السبب في الاهتمام بالمنهج الإكلينيكي ، كما كان بداية لاكتشاف مراكز الكلام واصبح الاستئصال منهجاً مقبولاً لدى علماء النفس باعتباره أخف الأضرار في حالة تعرض المريض لحالات من التلف والتدمير والأورام والجروح والإصابات .

منهج الإثارة بالتيارات الكهربية :

ولقد عمل كل من فرتش G. FRITSCH (١٨٣٨ - ١٩٢٧) وزميله هتزج HITZIG (١٨٣٨ - ١٩٠٧) عملاً معاً لاكتشاف القشرة الدماغية عن طريق تيارات كهربية خفيفة . وكان الرأي السائد آنذاك أن الدماغ لا يستجيب للمثيرات . ولقد وجدا أن إثارة بعض المناطق الأمامية تؤدي إلى الاستجابات الحركية . ونظراً لفشل الأجزاء الخلفية من الدماغ في إخراج الاستجابة العضلية ، ولذلك استنتجا أن العمليات الحركية تتمركز في الفصوص الأمامية .

ولقد امتد استخدام التيارات الكهربائية منذ ذلك الحين وتم اختراع كثير من الأجهزة الدقيقة في السنوات الأخيرة لدراسة وظائف الدماغ .

ولقد اتسع نطاق هذا العمل على يد دافيد فريار (١٨٤٣ - ١٩٢٨) DAVID FERRIER حيث استفاد من طريقة الإثارة الكهربائية وطريقة الاستئصال في اكنشاف بعض مناطق الدماغ ، وخاصة تلك الخاصة بالرؤية والسمع Vision and audition حيث تبين أن الرؤية تقع في الفص الخلفي أو المؤخرى أو القفوى Occipital Lobe أما الرؤية فتقع في الفص الصدغي Tem-poral Lobe .

تنظيم درجة حرارة الجسم وإفراز العرق :

هناك تجارب أجريت على ذلك الجزء من الهيبوثلامس الذي يختص بالتحكم في عملية إفراز العرق Perspiration نتيجة لتغير درجات الحرارة . من هذه التجارب تجربة قام الباحث فيها بوضع جهاز لقياس درجة الحرارة فوق طبلة الأذن Ear drum وذلك لقياس درجة الحرارة قريباً من الهيبوثلامس . ووضع

المفحوص بحيث يمكن قياس ما يفقده الجسم من حرارة ، ذلك الانخفاض الذي يحدث نتيجة لإفراز العرق . وأمكن تغيير درجة حرارة جسم المفحوص عن طريق تغيير درجة الحرارة الخارجية أو عن طريق إجهاد المفحوص Exertion ماذا كانت نتيجة هذه التجربة ؟ .

لقد كشفت هذه التجربة عن وجود علاقة واضحة جداً بين درجة الحرارة الداخلية ومعدلات العرق أو إفراز العرق Stwenating وكان هناك درجة حرارة معينة يحدث العرق بعدها ولا يحدث قبلها .

الدماغ الحشوي :

وهناك ما يعرف باسم الدماغ الحشوي Visceral brain ويختص ببعض التحكم الداخلي الخاص بعمليات الهضم Digestion والدورة الدموية ، ولكن لهذا الجهاز بعض الوظائف العليا الأخرى مثل بعض أنواع التذكر ، وكذلك عمليات التغذية Feeding أو الهجوم والاستعداد للهجوم والشعور بالخطر ، والغزل بين الحيوانات الذي يسبق الاتصال الجنسي ، وغير ذلك من الأفعال التي كان يطلق عليها اصطلاح أفعال غريزية Instinctive لأنها تختص بعدد من الأجناس الحيوانية وتحدث عندها جميعاً دون أن تتلقى أية تعليم واكتساب من البيئة .

ولقد لاحظ بعض العلماء أن المرضى الذين يصابون بتلف في هذا الجهاز يعجزون عن القيام بسلسلة من الأعمال المقصودة . بمعنى أن حدوث أية إعاقة تجعلهم يعجزون عن تذكر ماذا كانوا يعملون أو ينوون أن يعملوا ، وإذا ما صعدنا إلى السطح الخارجي للدماغ لوجدنا اللحاء الدماغي .

اللحاء الدماغي :

اللحاء الدماغي (أو القشرة الدماغية) عبارة عن المادة الرمادية ، وهو الذي يغطي أو يغلف النصفين الكرويين للدماغ هذان النصفان في قمة الدماغ ويمثلان الدماغ الجديد . هذا اللحاء يتحكم في معظم وظائف الإنسان . وهو طبقة من التلافيف المكونة من المادة الرمادية . ويقسم اللحاء الدماغي إلى مناطق ، تختص كل منطقة بالإشراف على نوع من النشاط .

فهناك بعض المناطق التي يؤدي إثارتها إلى بعض الاستجابات الحركية مثل الحركة أو النقلة أو أنشطة في بعض أجزاء الجسم ، أو بعض التأثيرات الحسية كالإحساس والشعور والوعي أو اليقظة .

وإذا حدث وأدى وجود ورم معين إلى الضغط على هذه المناطق تحدث اضطرابات في الاستجابات . كذلك عندما يصيب هذه المناطق التلف من جراء الأمراض أو الجروح ، فإن وظائفها تتغير أو تعاق . ولكننا لا نستنتج من ذلك أن هذه الوظائف تسيطر عليها هذه المناطق وحدها ودون سواها . لكن قد تكون منطقة معينة أساسية وجوهرية بالنسبة لوظيفة معينة ، ولكنها لا تكفي لحدوث هذه الوظيفة .

وبالنسبة للنصفين الكرويين فهما نصفان متساويان أو متكافآن تماماً أحدهما يقع في الجهة اليمنى والآخر في اليسرى . وهناك أن تقسيم عميق بينهما يجري من الأمام إلى الخلف . ولذلك فأول تقسيم للدماغ هو :

أ ـ النصف الكروي الأيمن .

ب ـ النصف الكروي اليساري .

يقوم النصف الأيمن بالسيطرة على الجانب الأيسر من الجسم ، بينما يقوم النصف الأيسر من الدماغ بالسيطرة على الجانب الأيمن من الجسم .

ويقسم كل نصف كروي بدوره إلى أربعة فصوص هي :

١ ـ الفص الجبهي The frontal lobe .

٢ ـ الفص الجداري Parietal Lobe .

٣ ـ الفص المؤخري أو القفوي Occipital Lobe .

٤ ـ الفص الصدغي Temporal Lobe .

يقع الفص الجداري عند قمة الدماغ ، أما الفص القفوي أو المؤخري فيقع عند مؤخرة أو في خلف الدماغ . أما الفص الصدغي فيقع في جانب الدماغ .

مناطق الدماغ :

ويمكن تمييز وظائف عدة على هذه الفصوص منها :

١ ـ المنطقة الحركية Motor area .
٢ ـ المنطقة الحسية Sensory area .
٣ ـ المنطقة البصرية Visual area .
٤ ـ المنطقة الكلامية Speech area .
٥ ـ المنطقة السمعية Speech area .
٦ ـ منطقة الترابط Association area .

ففي المنطقة الحركية تحدث الإثارة الكهربائية بعض الحركات ، وإذا ما أصيبت هذه المنطقة بالجروح أو ما إلى ذلك ، فإنها تصاب بـالشلل . وهذه المنطقة مقسمة بدورها وظيفياً بحيث يختص جزء منها بحركة اللسان والفم وآخر لحركة أصبع القدم .

ويؤدي إثارة المنطقة الحسية إلى حدوث خبرات حسية كما لو كان جزء من الجسم تم لمسه أو تحريكه . وبالمثل فإن الإصابة أو المرض يؤديان إلى اضطرابات في الحواس ، ولكنهما لا يؤديان إلى الفقدان التام للحواس أو إلى حدوث حالة التخدير Anesthesia فالشخص الجريح قد يعجز عن الأخبار عن الوضع الذي يتخذه ذراعه أو يده عندما تكون عيناه مغلقتين . وقد يعجز عن التعـرف على الأجسام عن طريق لمسها . ولكنـه قد يـظل قادراً على إدراك الحالات المتطرفة من درجات الحـرارة . ولكنه قـد يعجز عن إدراك الفـروق الدقيقة والصغيرة والمتدرجة عن الدفىء والبرودة .

وفي المنطقة السمعية يوجـد قسمان : (أ) أحـدهما يختص بـالأصوات العالية (ب) والآخر بالأصوات الخافتة .

التعاون بين المناطق :

أما المنطقة الرابطة فإنها تقوم على ربط الظواهر التي تتطلب أكثر من حس بذاته ، وكذلك تتدخل في عملية التعلم والتذكر والتفكير . ولكن المعلومـات حول هذه المنطقة محيرة . ذلك لأن حدوث اضطراب في هذه المنطقة يؤدي إلى اضطراب في الكلام . ولقد وجد أن مرضى الصرع يظهرون بعض خبرات الهلاوس ، ولكن هذه الأعـراض لا تظهـر إلا عند مـرضى الصرع Epileptic patients .

ولا بد أن هناك أجزاء أخرى من الدماغ تسهم في عملية التذكر . ولكن المناطق الأخرى لا تكون عديمة الفائدة ، وإنما تساعد في حدوث هذه العمليات . فالفص الجبهي له أهمية في العمليات التي لا بد وأن تظهر متسلسلة . فهناك تعاون بين المناطق وبعضها وخاصة في العمليات المعقدة .

ولا نعرف حتى الآن ، على وجه الدقة واليقين ، كيف تعمل المناطق الرابطة ، ولكن المناهج الحديثة ، سواء الجراحية أو الكهربية ، تخبرنا بعض الشيء عن وظائف هذه المناطق .

ويعتقد أحد علماء الفسيولوجيا وهو بربرام PRIBRAM, K.H . أن مناطق الربط هذه لها وظائفها المتخصصة الخاصة بها ، وإن كان تخصصها يوجد في نظام آخر يختلف عن ذلك التنظيم في مناطق الإسقاط الحسي Projection . فعلى سبيل المثال مناطق الإسقاط البصري الأولية وتقع في خلف الدماغ لا تستطيع التمييز ما لم تثار مناطق أخرى تقع في الفص الصدغي .

والدماغ الأمامي Forebrain قد يستخدم في بعض وظائف الذاكرة . وهناك أجزاء أخرى تساعد في التعلم وفي حل المشاكل أي التفكير وفي اكتساب اللغة واستعمالها .

ولقد استبدل بريبرام (١٩٦٠) كلمة الترابط بالمناطق الداخلية أو بالنظام الداخلي لأن كلمة ترابط أو ربط تتصل وتختلط مع مفهوم علم النفس الترابطي .

الجهاز العصبي الذاتي :

يمكن تقسيم الأعصاب التي تنحدر من الجهاز العصبي المركزي والتي تذهب إلى أجهزة الاستجابة ، يمكن تقسيمها إلى مجموعتين هما :

أ ـ المجموعة التي تذهب إلى العضلات المخططة .

ب ـ تلك الأعصاب التي تذهب إلى العضلات الملساء والغدد .

الأعصاب التي تتجه إلى العضلات المخططة تصنف مع الجهاز المركزي ، بينما تلك الأعصاب أو الخلايا المتجهة إلى العضلات الملساء والغدد تصنف مع بعضها لتكون الجهاز العصبي الذاتي The autonomic nervous system .

وهناك تمييز تشريحي هو أن الألياف العصبية في الجهاز العصبي الذاتي دائماً لها روابط مع النيرونات الأخرى هي خلايا الوصل Synapse هذه النيرونات تكون خارج الدماغ أو الحبل الشوكي ، وتذهب إلى غدة أو عضلة ، بينما هذه الخلايا الواصلة أو الرابطة لا توجد في الألياف العصبية الموصلة إلى العضلات المخططة .

ولكن لماذا سمي الجهاز العصبي المركزي بهذا الاسم ؟

لقد استمد هذا الجهاز اسمه من كون الأنشطة التي يتحكم فيها ذاتية أو تنظم نفسها بنفسها Self regulating من ذلك الهضم والدورة الدموية تلك التي تستمر في عملها حتى عندما يكون الإنسان نائماً أو فاقداً للوعي .

ويمكن النظر لهذا التقسيم على النحو الآتي :

تنقسم الأعصاب المنحدرة من الجهاز العصبي المركزي أما إلى . . .

أعصاب العضلات المخططة   أعصاب العضلات الملساء

أو

الجهاز العصبي الثمباثاوي   الجهاز العصبي الباراثمباثاوي

حيث تنقسم خلايا الجهاز العصبي الذاتي - بدورها - إلى قسمين أحدهما يكون الجهاز العصبي الثمباثاوي Sympathetic والآخر يكون الجهاز العصبي الباراثمباثاوي Parasympathetic .

القسم الأول وهو الثمباثاوي فيوجد على العمود الفقري ويرتبط به عن طريق الأعصاب الشوكية ، ويوجد في شكل سلسلة من الألياف العصبية وكتل من أجسام الخلايا (العقد العصبية) Ganglia وهذه الألياف تمتد إلى الأعضاء الحشوية المختلفة . وتسمى هذه السلسلة بالسلسلة الثمباثاوية . وتشمل ألياف الجهاز العصبي الثمباثاوي تلك الألياف المتجهة إلى :

١ - حدقة العين	٦ - الغدد الأرينالية	١١ - المستقيم
٢ - الغدد اللعابية	٧ - الكليتين	١٢ - أعضاء التناسل
٣ - الكبد	٨ - الأمعاء أو المصارين	١٣ - الأوعية الدموية
٤ - المعدة	٩ - الحالب	١٤ - الغدد العرقية
٥ - البنكرياس	١٠ - القولون	١٥ - خصل الشعر في الأطراف السفلى

هذا بالنسبة لخلايا الجهاز العصبي الثمباثاوي ، أما الخلايا أو الألياف الأخرى المكونة للجهاز العصبي الباراثمباثاوي فتنحدر إلى الأعضاء الآتية :

١ ـ حدقة العين
٢ ـ الغدد اللعابية
٣ ـ القلب
٤ ـ المعدة وغيرها من أعضاء الهضم
٥ ـ الحالب
٦ ـ القولون
٧ ـ الأعضاء الجنسية
٨ ـ المستقيم

فلا يوجد روابط بين هذا الجهاز مع الغدد الأدرينالية .

ويميل القسم الثمباثاوي Sympathalic division للعمل كوحدة متحدة . ففي حالة الانفعال يعمل على زيادة سرعة ضربات القلب ، وفي نفس الوقت ، يعمل على توسيع أو تمديد الشرايين Artesies الخاصة بعضلات القلب ، بينما يضيق Constricting الشرايين الخاصة بالجلد وأعضاء الهضم . ويؤدي عمله كذلك إلى زيادة العرق وإلى إفراز الأدرينالين . والحقيقة أن الاستجابة لإفراز الأدرينالين وعمل الجهاز الثمباثاوي يشبه بعضهما البعض تماماً . وهذان العملان : الكيميائي والنيروني أو العصبي يعضد كل منهما الآخر في حالة الانفعال القوي .

هذا بالنسبة للقسم الثمباثاوي من الدماغ ، أما القسم الباراثمباثاوي فله اختصاصات أخرى .

القسم الباراثمباثاوي :

ينقسم هذا الجهاز إلى قسمين من الألياف العصبية :

أ ـ الأول ينبع من منطقة الجمجمة Cranial region فوق الجهاز الثمباثاوي .

ب ـ والثاني ينبع من منطقة عظام العجز Sacral region تحت ألياف الجهاز العصبي الثمباثاوي .

وخلافاً لما هو عليه الحال في الجهاز العصبي الثمباثاوي ، فإن الجهاز العصبي الباراثمباثاوي يعمل بصورة تدريجية حيث يؤثر في عضو واحد في وقت

واحد . ولا يؤثر في أكثر من عضو في ذات الوقت كما يفعل الجهاز العصبي الثمباثاوي .

فإذا كنا نقول أن الجهاز العصبي الثمباثاوي ينشط في حالة الأفعال العنيفة وفي حالة الثورة والتهيج ، فإن زميله يعمل ويسيطر في حالة الهدوء أو السكون أو الهمود Quiescence ويساعد هذا الجهاز في عملية الهضم . وعلى الجملة يساعد في الوظائف التي تحفظ وتحمي المصادر الجسمية . ومعروف أنه لا يرتبط بالغدد الأدرينالية التي تسيطر في حالة الإثارة الشديدة أو الثورة والانفعال .

وهنا يروق لنا أن نتساءل عن العلاقة بين هذين الجهازين أي الثمباثاوي والباراثمباثاوي وعن مبلغ التعاون أو التنافس بينهما ؟ .

العلاقة بين الجهازين :

عندما ترتبط كل من خلايا الجهاز العصبي الثمباثاوي وخلايا أو ألياف الجهاز العصبي الباراثمباثاوي معاً في عضو واحد أو في غدة واحدة أو في عضلة واحدة ، فالقاعدة العامة أنهما يعملان عكس بعضهما البعض . فالجهاز العصبي الثمباثاوي يسرع من ضربات القلب ، بينما يعمل الجهاز الآخر على خفضها أو تخفيضها بحيث تعمل بصورة أكثر بطئاً .

وبالمثل فإن الجهاز العصبي الثمباثاوي يقمع عمليات الهضم ، بينما يعمل الجهاز الآخر على تسهيل مهمة الهضم . ولكن هناك حالات استثنائية لقاعدة العمل المضاد هذه . ففي بعض الحالات يعمل الجهازان في حالة نشاط في وقت واحد ، وفي حالات أخرى يعملان معاً في تتابع أو تسلسل .

فالجهاز العصبي الثمباثاوي ينشط ويسيطر في حالة الخوف والإثارة ، قد يحدث في حالة الانفعالات العنيفة أن تنساب مثانة الفرد أو قولونه لا إرادياً . والنشاط الجنسي عند الذكر يشترك فيه الجهازان . فعملية الانتصاب يقوم بها الباراثمباثاوي وعملية القذف يقوم بها الثمباثاوي . فالجهازان في معظم الحالات متعارضان ولكنهما يتفاعلان في العمليات بالغة التعقيد . وما زالت عملية التفاعل بينها تحتاج إلى مزيد من الدراسة لأحكام فهمها .

ويمكن تلخيص نشاط هذين الجهازين بالنسبة للأعضاء والغدد المختلفة على النحو الآتي :

العضـــو	عمل الثمباثاوي	عمل الباراثمباثاوي
القلب	زيادة سرعته	قمع هذه السرعة
الأوعية الدموية في الجلد	تضيق	لا يوجد
*الأوعية الدموية في العضلات المخططة	تضييق ، أو توسيع	لا يوجد
الأوعية الدموية في القلب	توسيع	تضييق
الأوعية الدموية في أحشاء البطن	تضيق	لا يوجد
حدقة العين	توسيع	تضيق
الغدد الدمعية	احتمال وظيفة إفرازية	الإفراز
الغدد العرقية	الإفراز	لا يوجد
الشعر والجلد	وقوف الشعر	لا يوجد
الغدد الأدرينالية	الإفراز	لا يوجد
الكبد	إخراج السكر أو إطلاقه	لا يوجد
الغدد اللعابية	إفراز	إفراز
المعدة	قمع الإفراز وبعض الإثارة	إفراز وإعاقة
المصارين ـ الأمعاء	قمع	زيادة الحركة والحركة الذاتية
المستقيم	قمع	إخراج البراز
المثانة	قمع	إخراج البول
أعضاء التناسل في الذكر	قذف المني	الإثارة أو التهيج والانتصاب

والآن نأتي إلى نقطة هامة بالنسبة لعالم النفس ودارس السلوك ألا وهي كيفية عمل الجهاز العصبي .

كيف يعمل الجهاز العصبي ؟

إذا أردنا أن نفهم السلوك فهماً صائباً فلا بد لنا من التعرف على وظائف الجهاز العصبي وكيف تتم هذه الوظائف . وإذا أردنا فهم هذا السلوك علينا أن نرتد إلى أبسط صوره لكي ننتقل إلى فهم الصور المعقدة من السلوك . وأبسط صور السلوك تتمثل في الإنعكاسات الأولية أي دورة أو دوران الانعكاس the reflex circuit . والمعروف أن الإثارة والتهيج أو التقلص والتشنج من الوظائف

البدائية للبروتوبلازم Protoplasm كما نجده في الكائنات ذات الخلية الواحدة .
وعندما ينمو الجهاز العصبي ، فإن الاستجابة تنقسم إلى :

أ ـ استقبال المثير Reception of the stimali .

ب ـ انتقال الأثر العصبي Transmission .

جـ ـ تكامل الأثر العصبي Integration .

د ـ تنشيط أو إثارة العضلات والغدد Activation .

فهناك المستقبلات العصبية المتخصصة Specalized receptors التي تنقل الطاقة من البيئة إلى الأعصاب . وتمثل الأعصاب أدوات الوصل أو الربط Connectors ثم تعود أو ترتد التيارات العصبية أو الإثارات أو النبض العصبي Impulses إلى العضلات لكي تعمل عن طريق الأعصاب المصدرة Effectors .

ويمثل دوران الانعكاس تفسيراً لقانون : مثير ـ استجابة .S-R الذي تنادى به المدرسة السلوكية في علم النفس والذي تعتبره مبدأً عاماً لتفسير السلوك ووصفه . فجميع استجابات الفرد ترتد إلى هذه العلاقة البسيطة (مثير يعطي استجابة) أو (م ـ س) ، فإذا توفر المثير لا بد وأن تحدث الاستجابة آلياً أو ميكانيكياً دون تدخل من إرادة الإنسان أو وعيه أو شعوره أو دوافعه ، وإنما تحدث الاستجابات بصورة آلية ميكانيكية . ومعنى ذلك في ضوء الفكر السلوكي ، إذا وخزك دبوس في إصبع قدمك فلا بد وأن تتقلص القدم أو تنكمش بعيداً عن موطن الخطر . وتتناسب الاستجابة كما وكيفا ومع كثافة المثير وشدته .

ولكن هذه الفكرة الآلية غير مقبولة في جميع الأوساط السيكولوجية ، وكذلك فإن فكرة تفتيت السلوك أو تجزئته غير مقبولة أيضاً . وإلغاء شعور الإنسان ولا شعوره غير مقبول في ظل الاتجاهات السيكولوجية غير الاتجاه السلوكي .

من هذه الانعكاسات الأولية حركة الركبة أو قفزة الركبة عندما تصدم بشيء صلب Knee jerk واتساع إنسان العين عندما نسلط عليه الضوء . ولكن هذه الانعكاسات على بساطتها تتأثر بأجزاء أخرى مما يجري في بقية الجسم . فحركة الركبة من الممكن أن تزداد إذا وضع الإنسان يديه خلف عنقه . فهناك

عوامل من الممكن أن تزيد أو تعوق هذه الانعكاسات الأولية وبالطبع يصعب تفسير عمليات أكثر تعقيداً في ضوء فكره الانعكاسات الأولية كالتذكر والتصور أو التخيل والتفكير .

والحقيقة أنه يصعب فهم سلوك الإنسان في ضوء الفكرة التقليدية الخاصة بوجود الحواس الخمسة عنده . فبعض هذه الحواس ـ كحاسة اللمس ـ تنقسم إلى عدة أنواع ، بل أن كثيراً من حركات جسم الإنسـان وأوضاعـه وحركـات العضلات لا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى النظريات القديمة .

والحقيقة أن أعصاب الاستقبال Receptors عبارة عن محولات أو ناقلات للطاقة ، حيث تقوم على نقل الطاقة من البيئة وتحويلها إلى عمليات كيميائية تلك التي تنتج بدورها مثيرات كهربائية عصبية كيميائية Electrochemical nervous impulses الأعصاب المنبة تقـوم على نقل الاستجـابات إلى العضـلات والغدد .

ومن الأهمية بمكان أن العمليات الداخليـة الوسيـطية التي تحـدث بين حدوث المثير ثم حصول الاستجابة . . هذه العمليات لا يمكن مشاهـدتها أو قياسها مباشرة ، وإنما نحن نستنتجها استنتاجاً أو نفترض وجودها من الشواهد السلوكية التي يمكن ملاحظتها . فما يحدث بين الإدخال والإخراج من المثيرات غير معروف بصورة مباشرة ، وإنما نحن نستدل عليه Inference وتسمى متغيرات متداخلة أو وسيطية Intervening variables ولا تعتبر هذه العمليات الوسيطيـة المفترضة استجابات ما لم تحدث في عضلات أو في غدد كما يحدث عندما يقطب الإنسان جبينه في عملية التفكير العميق .

والجـدول الآتي يلخص عمل أعصـاب الاستقبال في الإنسـان والعضو المسؤول عن كل نوع من المثيرات الحسية وموقع مركز الإحساس والمدركات الحسية كالأصوات والروائح والألوان والطعوم والأضواء والآلام والأوضاع .

العضو الجسمي أو النسيج	موضع الإحساس	الخبرة الحسية أو التمييز الحسي
العين	ـ الشبكية	ـ الألوان البيضاء والسوداء والإدراك البصري للأشياء وللمكان وللحركة

الأذن الداخلية	ـ قوقعة الأذن أي محارة الأذن	ـ إدراك النغم والضوضاء والكلام والموسيقى ومصادر الأصوات في الفراغ
	ـ حويصلة الأذن أي كيس صغير في الأذن	ـ الأوضاع الثابتة أو الساكنة للجسم بالنسبة للجاذبية وللحركات الزائدة
	ـ القنوات الهلالية أو النصف دائرية	ـ دوران الرأس
الأنف	ـ الغشاء السمعي في الجزء العلوي في يمين التجويف الأفقي وفي يساره	ـ الروائح
	ـ نهاية عصب حساس في غشاء الأنف	ـ التهييج والثورة
اللسان والفم والزور	ـ البصلات الذوقية على سطح وحواف اللسان وبنسب أقل في أنسجة أخرى من الفم والزور	ـ إدراك طعم الحلاوة والملح والحموضة والمرارة
الجلد	ـ نهايات أعضاء مختلفة الأعضاء ونهايات الأعصاب الخاصة بالحساسية الفارقة تنتشر بالتساوي في السطح الخارجي للجلد والطبقات الأعمق من الجلد	ـ اللمس الخفيف والضغط العميق والدفء والبرودة والألم
الأعضاء الداخلية	ـ متعددة	ـ الألم الصادر من الانتفاخ وأيضاً بعض الأجزاء من بعض أعضاء اللمس والدفء والبرودة والضغط
العضلات والمفاصل والأوتار	ـ محور العضلات وتثار وعند شد العضلات نهايات الأوتار وتحدث عند تقلص العضلات . أعضاء نهايات الإحساس بالضغط في الأنسجة التي تقع حول المفاصل	ـ أوضاع وحركات بعض أجزاء الجسم

ويقع بين خلايا الاستقبال وخلايا النقل نوع آخر من الخلايا هو خلايا الوصل Connectors وتنقسم هذه المجموعة الأخيرة إلى ثلاثة أنواع هي :

أ ـ الأعصاب الموردة Afferent nerves أي تلك التي تورد أو توصل الإثارة العصبية إلى الدماغ أو إلى الحبل الشوكي .

ب ـ المراكز العصبية وتشمل الروابط الداخلية والروابط المتبادلة بين الخلايا العصبية والتي تربطها أعصاب الربط أو الوصل Synapses وتقع في الدماغ

والحبل الشوكي ، وإن كان هناك بعض الروابط التي تقع خارج الدماغ والحبل الشوكي في شكل عقد عصبية Ganglia وتقوم على عمل الوظائف المركزية ، ولذلك تسمى بالمراكز .

جـ - خلايا التصدير أو الخلايا المصدرة Efferent nerves حيث تنقل التيارات العصبية من المراكز إلى الأعضاء . وهنا يمكن تمييز هذه الأنواع من الخلايا :

١ - الخلايا العصبية الموردة Afferent .

٢ - الخلايا العصبية المنبهة Effector .

٣ - الخلايا العصبية المصدرة Efferent .

٤ - الخلايا العصبية الحركية Motor .

٥ - الأعصاب الحسية Sensory .

٦ - الأعصاب الشوكية Spinal .

٧ - أو الحشوية Visceral .

فالأعصاب المصدرة ترتبط بالأعصاب المنبهة . والمعروف الآن أن الخلايا الموردة تنظم أيضاً كمية المدخول الحسي خلال عملية الإدخال Gaiting حيث تتحكم في كمية الإثارة التي تسمح بدخولها وتتحكم في الكمية الواردة من الإثارة الحسية والتي يسمح بعد ذلك بانتقالها .

مكونات النيرون :

والآن يروق لنا أن نفحص بشيء من التفصيل والدقة مكونات أو محتويات الخلية العصبية التي يطلق عليها النيرون . ومعروف أن النيرون هو وحدة التركيب الأولية في الجهاز العصبي وكل نيرون عبارة عن خلية حية .

ويتكون النيرون من الأجزاء الآتية :

أ - النواة Nicleus .

ب - جسم الخلية ويحتوي على النواة .

جـ - الفروع أو الشجيرات أو الشعيرات العصبية وتشبه الفرشاة .

د - محور الخلية Axon .

يقوم كل من جسم الخلية والشعيرات باستقبال المثيرات العصبية من خلايا

الاستقبال أو من الخلايا الأخرى . ويقوم المحور بنقل الإثارة إلى النيـرونات الأخرى أو إلى الخلايا المنبهة . والحقيقة أن العصب عبارة عن رزمة أو حزمة ، وقد يحتوي مئات من الألياف العصبية الناتجة من العديد من النيرونات والمحاور الآتية من العديد من النيرونات مما قد تزيد عن الألف ويكون وصلات أو روابط مع الشعيرات وأجسام النيرونات الأخرى .

والحقيقة أن خلية الوصل أو الربط لا تمثل ربطاً مباشراً ، فهناك دائماً انفصال فيزيقي بسيط وعبر هذا الانفصال يسافر التيار العصبي أو يقفز . فالخلية العصبية ترتبط بغيرها من الخلايا .

كيفية انتقال المثيرات العصبية أو كيف تسافر التيارات العصبية :

عندما ينقل النبض العصبي أو التيار العصبي Nerve impulse فإنه يجري بسرعة في العصب ، ولكننا لا نستطيع أن نقارن أو أن نوازي بين حركته وحركة التيار الكهربائي الذي ينتقل عبر الأسلاك . فالكهـرباء تنتقـل أو تسير بسـرعة الضوء ، بينما يسير النبض العصبي بسرعة تتراوح مـا بين ٦٠ - ١٠٠ قدم في الثانية في عصب حركي للضفدعة وربما بسرعة ٣٠٠ قدم في الثانية في أسرع الألياف العصبية في الحيوانات ذات الدم الدافىء .

وأحياناً يشبه التيار أو النبض العصبي الفيوز وحركته Fuse ذلك لأننا عندما نضيء فيوزاً معيناً ، فإن جزءاً منه يضيء الجزء الآخر ، وبذلك يكون النبض قد أثير أو تولد وأعيد توليده ، على امتداد الطريق . ولكن الأمر أكثر تعقيداً من هذا التشبيه .

فعمل النيرون عبارة عن عمل كيميائي / كهربي . عندما يثار ليف عصبي هناك تداخل بين الأيونات المكونة له على سطح الليف العصبي ، وعلى ذلك تتغير خواصه الكهربائية ، بحيث تنتج تياراً كهربائياً صغيراً . هذا التيار يمكن تسجيله أو قياسه عن طريق بعض الآلات الدقيقة . وهناك في الحيوانات الدنيا توجد عقد عصبية تساعد على زيادة سرعة النبض العصبي بسرعـة تبلغ عشرة أضعاف السرعة العادية لدى الحيوانات التي لا يوجد لديها هذه العقد .

وهنا نتساءل كيف تنتقل البواعث أو المثيرات العصبية أو النبض العصبي

من خلية إلى أخرى أو من مجموعة من الخلايا إلى مجموعة أخرى ؟ يتوقف على هذا الانتقال العصبي أو الوصلي Sunaptic transmission تسهيل أو إعاقة أو تآزر أو تكامل النبضات العصبية خلال الطريق الذي تعمل فيه مجموعة النيرونات مع بعضها البعض .

فالنيرون الواحد ينقل النبض أو يشعله أو يطلقه عندما يصله النبض بصورة قوية بما فيه الكفاية . ونظراً لعدم قيام محور النيرون بالنقل إطلاقاً قبل حدوث هذا ، فإن النيرون يتبع مبدأ الكل أو لا شيء في السلوك أو في الفعل . فالنيرون ينطلق ثم يتوقف لمدة قصيرة تبلغ عدة أجزاء من الألف من الثانية ثم يبدأ يتحرك .

وعلى كل حال ، كشفت البحوث الحديثة عن بقاء النبض لمدد أطول في الشعيرات العصبية تتراوح هذه المدة من ١٥ ـ ٣٠ من الألف من الثانية . وقد يرجع ذلك إلى تكثيف التيار الكهربي ذلك التكثيف الذي يظهر في قياس موجات الدماغ . وعلى ذلك كشفت الدراسات عن وجود نوع من النشاط المتدرج الذي يختلف عن مبدأ الكل أو لا شيء والذي سبقت الإشارة إليه .

ويعتقد البعض الآن أن هناك نوعاً من المادة التي تطلق عندما يصل النبض العصبي نهاية المحور ، وأن هذه المادة هي التي تنشط أو تثير النيرون التالي . فالنيرونات تعمل بشكل معقد . ويفسر لنا هذا ضرورة وجود تكيف دقيق في عمليات عقلية مثل التعلم والتذكر والتفكير .

ومعروف أن هناك ما يزيد على ١٠ بلايين نيرون في دماغ الإنسان ، وتعطى هذه النيرونات ، إذا عملت جميعاً ما يقدر بعشرة واط من الكهرباء .

التساؤل الكبير :

الحقيقة أننا ما زلنا لا نعرف على وجه الدقة واليقين ماذا يحدث في الدماغ عندما نتعلم شيئاً ما وعندما نختزن المعلومات أو عندما نتذكر أو نستدعي المعلومات من الذاكرة ، ومن ثم نستفيد بما سبق أن تعلمناه في الماضي . والحقيقة أن معارفنا العلمية إنما تؤسس على ملاحظة السلوك الذي يمكن قياسه وملاحظته أكثر مما ترتكز على العمليات الداخلية التي تتم في داخل الدماغ .

وهناك محاولات لتفسير مثل هذه العمليات منها :

هناك من يقولون أنه عند تخزين المعلومات يتم تغيير في الوصلات العصبية ربما في نمو نهايات النيرون أو في النسيج المحيط أو ربما تحدث بعض التغيرات الكيميائية .

وهناك احتمال آخر مؤداه عمل عقد عند النيرونات المترابطة التي تستمر في العمل حتى بعد إزالة كافة المثيرات أو المؤثرات .. وعلى كل حال لا يوجد لدينا إجابة نهائية لهذه المشكلة .

محاولات تفسير ما يجري داخل الدماغ :

لم ييأس العلماء إزاء غموض العمليات الداخلية التي تتم داخل الدماغ والتي ينتج عنها عمليات عقلية عليا معقدة كالتعلم والتذكر والخلق والإبداع والتفكير أو تخزين المعلومات في مستودع الدماغ . وهناك محاولات عديدة لسبر أغوار هذا الغموض من ذلك ما يلي :

١ ـ احتمال وجود إعادة ذبذبة للدورة العصبية أو لعقد النيرونات Lops of neurons تلك التي تستمر في العمل حتى بعد انسحاب المثيرات أو إزالتها أو إبعادها . ويؤيد هذا الفرض استمرار التغيرات الكهربائية في بعض أنسجة الدماغ المعزولة أو المفصولة حيث تستمر لعدة ثوان بعد إثارة قصيرة .

والمعروف أن الدماغ يعمل حتى في حالة نوم الإنسان ، وخلال الراحة أيضاً ، فالنشاط الكهربائي للدماغ يصل إلى ١٠ ذبذبة في الثانية . توضح هذه الحقيقة إمكانية إعادة الذبذبة للدورة الكهربائية التي تنطلق عند هذا المعدل . فالدماغ يعمل عند تخزين الطاقة الكهربائية به . وتقف النيرونات مستعدة لمساعدة أو إعاقة النبض الآتي إليها . ولكن يعوق هذه الفكرة أن هناك بعض الحيوانات التي أمكن إيقاف نشاط الدماغ عندها عند تعرضها لدرجة حرارة تزيد عن الأربعين درجة . حيث اختفت موجات الدماغ وتوقفت عن الظهور عند هذه الدرجة من الحرارة ، ولكن هذا الحيوان عندما أعيد تسخينه تذكر ماذا كان يفعل حيث كان يجري في متاهة معينة .

٢ ـ وعلى الرغم من أن النيرونات لا تتكاثر عن طريق الانقسام كما تفعل الخلايا الأخرى غير العصبية ، إلا أن الخلايا العصبية تنمي محاور جديدة وكذلك شعيرات بعد التعرض للجرح أو الإصابة ولهذه المحاور وتلك الشعيرات الجديدة قدرة على الاتصال بخلايا الاستقبال والخلايا المنبهة أو خلايا التنبيه وغيرها من الخلايا. وعلى ذلك يمكن افتراض وجود نوع من النمو لتحقيق نوع من الربط الوثيق بين النيرونات التي تعودت على الانطلاق معاً . وقد يتضمن هذا النمو نمو أجزاء أو أقسام أخرى للنيرون . فهذه نظرية ليست شائعة الآن كما كانت من قبل ، ولكنها تمثل وجهة نظر ما .

٣ ـ نظراً لوجود نزعة لدى النيرونات نحو الوحدة أو نحو قيام وحدات من النيرونات للانطلاق ككل ، ثم يأتي فترات من عدم النشاط أو السكون . هناك ميل لقبول تشبيه النيرونات بجهاز الحاسب الآلي أي الكومبيوتر ، ذلك الجهاز الذي يتضمن نظام التشغيل أو الإطفاء ويقولون أن الدماغ يعمل مثل هذه الأجهزة فهو تجمع من الأعصاب أما أن يكون دائراً و شغالاً أو متوقفاً بطريقة تسمح بتخزين المعلومات للاستعمال في المستقبل .

٤ ـ وهناك احتمال وجود ذاكرة كيميائية مثل البطارية الكهربائية التي تخزن فيها الكهرباء . وهناك أدلة على تغيرات داخلية كيميائية بين النيرون وبين البروتين المحيط به في الخلية الموردة . هذه الخلايا البروتينة تمثل ٨٠% من خلايا الدماغ . هذا الغراء العصبي أو المدعم للجهاز العصبي لم يكن له دور معروف سوى دور تعضيدي أو دور في تغذية النيرونات فقط لأنه لا يساهم مباشرة في وظيفة الليف العصبي في نقل النبض العصبي . وأخيراً اتضح أن هذه المادة المساعدة تستجيب عندما تثار تستجيب استجابة كهربائية وتتقلص تقلصاً ميكانيكياً . وهناك احتمال أن تقدم هذه الخلايا نوعاً من النظم المساعدة لعملية ترميز الذاكرة Coding وعلى ذلك يمكن افتراض أن الذاكرة يتم ترميزها كيميائياً ، أي وضع رموز لها كيميائياً ويثار هذا الترميز عندما يخرج أنزيم Enzyme عن طريق إثارة مجموعة معينة من النيرونات المتصلة بالمادة المخزونة في الذاكرة . ويؤيد هذه الفكرة

التجارب التي أجريت في حقل الكيمياء العضوية للدماغ حيث أظهرت هذه التجارب بعض الفروق أو الاختلافات في كيمياء الدماغ في أدمغة سلالات زكية من الفئران وفي أدمغة سلالات أخرى غبية .

ويحتمل أن الذاكرة تكمن بطريقة ما في الوصلات العصبية Synapses فإن تخزين ذاكرة حادث واحد بعينه تتوزع باتساع على امتداد أجزاء مختلفة من الدماغ . وفكرة تخزين الذاكرة كيميائياً لا يلزمها أن يكون للذاكرة مكاناً خاصاً في الدماغ ، فلا يوجد مركز خاص بالذاكرة في الدماغ .

تحدثنا عن مظاهر السلوك التي تحفظ على الكائن حياته وتكيفه وتوازنه أي ما يعرف باسم السلوك التكيفي . ولكن هناك مستويات مختلفة لهذا السلوك التكيفي .

مستويات السلوك التكيفي :

من المعروف أن الجسم يميل إلى الاحتفاظ بحالة طبيعية أو سوية من الاتزان Equilibsium or homeostasis فعندما يتعرض الجسم للتغير، فإن اتزانه يختل ، وهنا تثار الآليات أو العمليات لإعادة حالة الاتزان . وحياة الكائن الحي ليست حياة سكون أو جمود أو هدوء وهمود ، ولكنها حياة حركة وفعل .

والحقيقة أن الإنسان السوي يبحث عن المثيرات وعن الإنشطة . وتتضح لنا هذه الحقيقة تماماً من ملاحظة الأطفال الصغار وهم يلعبون أو مشاهدة الحيوانات .

والمستوى المطلوب هو التوسط بين حالة الهدوء أو السكون التام والمطلق وحالة الحركة الزائدة أو النشاط المفرط . وتمثل حالة النوم واليقظة حالة الهدوء والحركة . ولكل من الحركة الزائدة والسكون أضرارهما . فالحركة الزائدة تؤدي إلى الانهيار والإرهاق والسكون الزائد له أيضاً بعض الأضرار .

ماذا يحدث إذا بقي الإنسان ساكناً ساكناً لمدة يوم كامل أو يومين ؟

السكون والحركة :

هذا ما أراد معرفته أحد العلماء حيث دفع أجراً لبعض طلاب الجامعة ووضعهم في غرفة ساكنة جداً خالية من كل ما يلفت الانتباه أو يشغل البال كالصور واللوحات وجعل الواحد منهم ينام في سريره دون أي حركة ولبسوا أقنعة وصمامات تمنع وصول الإثارة إليهم حتى من أنفسهم أو مما يصدر منهم من حركات . ولم يقلق مضاجعهم سوى تدخل الأخصائي النفسي في فترات محدودة للقياس المطلوب فقط . وظلوا على هذا الحال ثلاثة أيام .

وفي خلال فترات العزل هذه انخفضت درجاتهم على اختبارات الذكاء

بصورة حادة ، ولوحظ بعض الاضطرابات في عملية الإدراك عندما رفع الطلاب أقنعتهم . وفي بعض الأحيان ظهرت الهلاوس أثناء فترة العزل . هلاوس سمعية وبصرية وشمية تشبه تلك الأعراض التي يصاب بها مرضى الفصام أي الجنون حيث يدرك هؤلاء المرضى أشياء لا وجود لها كأن يسمعوا أصواتاً تناديهم أو تسبهم .

العلاج بالعمل :

وتوضح هذه التجارب أن السلوك السيكولوجي يعتمد على الإسهام الفعال مع البيئة . ولقد وجد الأطباء أنه من المفيد في المستشفيات العقلية الإبقاء على المريض في حالة نشاط وحيوية . ولذلك يشجعون المرضى على ممارسة الألعاب الرياضية وممارسة الهوايات والاشتغال ببعض الأعمال اليدوية والحرفية البسيطة . وغير ذلك مما يعرف في العلاج النفسي باسم العلاج عن طريق العمل Occupational therapy وهو من المناهج الناجحة في علاج الأمراض النفسية والعقلية حيث يظل ذهن المريض مشغولاً بعيداً عن أحلام اليقظة والأفكار السوداء والوساوس ، وحيث يجد نفسه ويشعر بالثقة في نفسه من خلال النجاح في أداء أي عمل مهما كان بسيطاً . فضلاً عن أن هذه المستشفيات تمنح مرضاها بعض الأجور نظير ما يقومون به من أعمال ، فلا بد من توفر مستوى معقول من النشاط ومن الإثارة ليعيش الإنسان .

عرفنا أن حالة السكون قاتلة . فما هو الوضع بالنسة للإثارة الزائدة أي ما هو أثر تعرض الإنسان لحالات شديدة من الضغط Stress .

الإثارة الزائدة :

عندما تضع الظروف الإنسان تحت جو من الضغط والتوتر والشد ، فإن جهاز التوازن عنده يعجز عن العمل بصورة سوية سهلة . وإذا استمر الضغط ، فإن الكائن الحي قد يؤذي نفسه من خلال محاولاته صد هذا الضغط والتغلب عليه . وهناك كثير جداً من الأمور والمصادر التي تضع الإنسان تحت ظروف ضاغطة منها :

أ ـ العدوى والأمراض .

ب ـ الضغط العصبي .

جـ ـ الجروح الفيزيقية .
د ـ البرودة أو الحرارة الزائدة .
هـ ـ التعب الزائد .
و ـ الأضواء الزائدة .
ز ـ الضوضاء والأصوات العالية .

والحقيقة أن ظروف الحياة العصرية تضع كثيراً من الضغوط فوق الإنسان وتجعله ينوء بحملها .

دراسة أثر التعرض للضغوط :

لقد اهتم الدكتور هانس سيلاي HANS SELYE وهو أستاذ الطب في جامعة مونتريال بدراسة ما يحدث للناس عند تعرضهم لحالات طويلة من الضغط المستمر والشديد . ولقد اقترح وجود نوع نمطي من السلوك المضاد للضغط المنتظم وأطلق على هذا النمط من السلوك اصطلاح مجموعة أعراض التكيف أو زمرة أعراض التكيف العام General adaptation sỳndrome ويمر هذا النمط أو ذلك النموذج العام بثلاث مراحل هي :

١ ـ رد فعل انتباهي وفيه لا يتم حصول الكائن على التكيف بعد . وفي هذه المرحلة ينخفض نشاط الكائن الحي كحالة من الصدمة ، ثم يتبع ذلك حالة من التحريك الزائد للقوى الداخلة في الكائن لمقابلة التهديد الذي يواجهه بمعنى أنه يقوم بعمل صدمة مقابلة أو صدمة مضادة .

٢ ـ مرحلة المقاومة وفيها يصبح التكيف للتهديد ملائماً .

٣ ـ مرحلة التعب أو الإرهاق وفيها يفقد الكائن حالة التكيف التي سبق أن اكتسبها ولقد أجرى هذه التجارب على الفئران وخلص إلى القول بأنه إذا استمر الضغط ، فإن الكائن قد يصاب بما سماه أمراض التليف Diseases of adaptation ويهم عالم النفس تلك الأعراض التي تنتج عن حالة القلق أو سقوط الضغوط على الإنسان ، والتي تعرف باسم الأمراض السيكوسوماتية أي الأمراض النفسجسمية ، وهي مجموعة الأمراض التي لها أسباب نفسية كالقلق والتوتر والانفعال والضيق ولكن أعراضها تتخذ شكلاً جسمياً Psychomatic disorders من هذه الأمراض قرحة المعدة Stomack ulcers .

الوضع المثالي يتمثل في حالة التوسط بين مستوى السكون الزائد والضغط الشديد ، ذلك الضغط الذي يؤدي إلى انهيار الفرد وشعوره بالتعب والإرهاق وإلى إصابته بالأمراض . فحالة التوازن تحرر الجهاز العصبي وتحميه من التلف .

ويخلص هلجارد في كتابه مقدمة لعلم النفس HILGARD, E.R introduction to psychology إلى القول بأن الاحتفاظ بحالة التوسط والاعتدال بين السكون التام والنشاط الزائد تجعل الإنسان يحيا حياة هادئة سعيدة وموفقة ، وتجعل الإنسان ينعم بالتكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش في كنفه .

الفصل الثالث
اضطرابات الطفولة

- اضطرابات الطفولة.
- العلاج السلوكي مع الأطفال.
- علاج النشاط الزائد عن طريق العلاج السلوكي.
- علاج حالات التأخر العقلي عن طريق التعلم.
- العلاج عن طريق العقاقير.
- الشعور بالغيرة.
- ظاهرتا الانطواء والانبساط في الشخصية الانسانية
- سيكولوجية النظافة.
- النمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام.
- النمو اللغوي والكلامي.
- دور التقليد في النمو اللغوي.
- أثر الثقافة في النمو اللغوي.
- الفروق الجنسية والفردية في الكلام.
- منطقة الكلام في الدماغ.
- الاضطرابات اللغوية والكلامية.
- الأفيزيا.
- تعريف اللجلجة وتصنيفها.
- الفرق الجنسي في اللجلجة.
- العلاج النفسي لاضطرابات النطق والكلام.
- مشكلات الكذب عند الأطفال وعلاجها.

اضطرابات الطفولة

يصاب الأطفال بكثير من الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية، ولكن منذ البداية ينبغي أن نقرر أن ما يعتبر شذوذاً بالنسبة للراشد الكبير يعد سلوكاً طبيعياً بالنسبة للطفل، ونستطيع أن نفكر في العديد من حيث الأمثلة من ذلك البكاء والصراخ وبل الفراسن، كذلك يختلف تفكير الطفل عن تفكير الراشد الكبير.

وإليك قضية ترويها طفلة في الرابعة على لسان عالم النفس جان بياجيه Jean piaget توضح كيف يختلف تفكير الطفل عن تفكير الراشد الكبير. لقد كان هناك ولد صغير ضحك عندما مات والده، ولكن بعد دفن والده بكى وأصبح عليهم أن يؤاسوه أو يخففوا عنه، أما أنا فلم أكن في حاجة إلى المؤاساة لأنني بنت كبيرة. وبعد ذلك أصبح هذا الولد أباً. أصبح أباً على حين فجأة دون أي إنذار. ولكن لم يعرف أنه أصبح أباً. لقد كان نائماً في فراشه وكان صغيراً وهو نائم على يد أمه. وفي الصباح قالت له أمه: «أصبح فراشك صغيراً جداً عليك. لقد كانت رجلاه طويلتين جداً وسمينتين. لقد أصبح كبيراً في كل جسمه، لقد أصبح أباً فجأة أثناء الليل لأن والدته قد أعطته ملعقة مملوءة بالبطاطس، وبعد ذلك كان له أخت صغيرة أصبحت أماً أيضاً فجأة دون أية إنذارات».

هذه الفتاة صاحبة هذه القصة فتاة سوية تماماً وحسنة التكيف ومع ذلك، فإن قصتها لم تزد عن كونها خيالية أو وهمية، وتتضمن كل أنواع السحر والغرابة أو الشذوذ. إن تفكيرها قد يطابق تماماً تفكير الشخص الذهاني أي المريض بالذهان العقلي أي المرض العقلي.

وليس هذا النمط قاصراً على أطفال الأربعة المواسم. فالأطفال الأكبر سناً

ما يزالون يكشفون عن بعض أنماط من أبواب السلوك الشاذ أو الغريب في بعض المناسبات .

لقد وقفت طفلة وهي في السابعة من عمرها تتحدث لجان بياجيه عالم النفس الارتقائي قائلة . في ذات مرة كتبت لأرنب أخبره أنني أريد مقابلته . ثم أضافت بطريقة فلسفية « إنه لم يأت لمقابلتي ، ولكن صديقتها البالغة من العمر ثمان سنوات كان لديها تفسير جاهز لفشل الحيوان بالوفاء بالموعد . حيث قالت :

لقد وجد والدي الخطاب في الحديقة ، وأنا أتوقع أن الأرنب قد أتى ومعه الخطاب ولم يجد « كور » الفتاة الأخرى التي كتبت الخطاب فعاد ثانية لأنه عرف أن « كور » ليست موجودة هناك ولقد فكر أنها نسيت الموعد وبعد ذلك ذهبت بعيداً » .

فهل نفكر ونهتم نحن بهؤلاء الأطفال وهل نستشر الأخصائي أو المرشد النفسي في شأنهما ؟ بالطبع نحن لا نفعل ذلك لأننا نتوقع أن يكون عقل الطفل مختلفاً تماماً عن عقل الراشد الكبير .

أما فيما يتعلق بردود الفعل الانفعالية لدى الطفل ، فإنها تختلف أيضاً عن نظرائها عند الكبار ، فالطفل قد يضطرب من خبرات لا تزعج الراشد الكبير . وعلى سبيل المثال الأطفال من سن سبعة شهور حتى ثلاث سنوات قد يضطربون كثيراً من جراء الانفصال عن الأم والذهاب لمكان غريب للإشراف عليهم . ولقد لاحظ بعض علماء النفس الأطفال الذين تم وضعهم مؤقتاً في دور الحضانة ولاحظوا أن خبرة الانفصال هذه تؤدي إلى ظهور بعض الأمراض أو الاستجابات الخاصة ، ماذا يحدث عند نقل الطفل لدار الحضانة ؟ .

في البداية يبدي الطفل معارضة عنيفة ، وفي بعض الحالات قد يبكي نساعات طويلة ، ولا تستطيع الممرضة ، مهما بلغت مهارتها ، أن تؤاسيه ويظهر الأطفال علامات تدل على فقدانهم لأمهاتهم وحاجتهم المرة إليهن . فقد يرفض الطفل بشدة الانفصال ويجري وراء أمه بغية اللحاق بها وترك المدرسة . وقد ير في نفسه . وعند النوم قد يبكي أيضاً وعندما كان يغلب التعب الطفل ينام ، فإنه كان ليستيقظ صائحاً أين أمي ؟ .

وبعد فترة من الانفصال يتوقف الطفل عن البكاء لفقدانه الأمل في الحصول على أمه . ولكنه قد يعود إلى البكاء المتقطع ، وقد ينسحب أو ينطوي ويميل إلى السلبية والسكون ، ولا يطلب شيئاً من الناس المحيطين به . ويظل كما لو كان في حالة عميقة من الحداد . والحقيقة أن غياب الأم يؤثر في كل علاقات الطفل الأخرى .

وباستمرار الانفصال الطويل يقل انزعاج الأطفال ، ويبدأون في قبول انتباه الممرضة ، وقد يقبلون أن يبتسموا ويلعبوا ، وعندما يعود الطفل إلى أمه بعد تجربة الانفصال الجزئية هذه ، فإنه يضحك ويفرح . ولكن قد يظل الطفل لفترة شاعراً بالانفصال والانعزال عن الأم ، وقد يتصورها أو يتعامل وإياها كما لو كانت إنسانة غريبة عنه ، وقد لا يقبل على تقديم التحية لها عندما يراها مرة ثانية ولا يرتمي في أحضانها . وبعد فترة من اللقاء تبدأ العلاقة تمتلىء بالدفىء ، ولكن الأطفال يظهرون غضبهم من الأم لتركهم ويبدو عليهم القلق كما لو كانوا خائفين من الانفصال ثانية .

ويظل الأطفال يظهرون نوعاً من الارتباط أو الالتصاق بالأم لعدة شهور ، وكل ما يذكر الطفل بالانفصال يجعله يأتي باستي بات درامية حزينة .

في مثل هذه الدراسة السابقة والتي أجراها بولباي Bowlby.J. كان الباحث يقف بعيداً عن الأطفال ويرقبهم عن بعد ولكن هناك دراسات أخرى تدخل الباحث وحاول أن يسبب الخوف للطفل ، ففي حالة طفلة لم تتجاوز العامين من عمرها كانت قد قضت ١٣ يوماً في الحضانة بعيداً عن والديها وبعد أربعة شهور من عودتها إلى منزلها زارها الباحث الذي تسبب في الحضانة في تخويفها فماذا كان رد فعلها سمع الباحث.وهو يقترب من باب منزل الطفلة صوت الطفلة عالياً وهي تضحك وتمرح وتلعب وتحدث ضوضاء كبيرة وما أن فتحت أمها الباب حتى صاحت مستغربة قائلة لا . . . لا . . . لا . ثم جرت فوق السلم ثم جلست ثم قالت ثانية لا . . لا ثم التقطت دميتها وقذفت بها الزائر وهي نفس الدمية التي كانت تلعب بها في الحضانة . وبينما جلس الزائر والأم في الحديقة لم تستطع الفتاة الجلوس معهما فظلت تتجول مضطربة . ثم أخذت تجري وترمي نفسها فوق الحشائش غير عابئة بما يحدث لجسمها من آلام ، ثم أظهرت

بعد ذلك عدواناً تجاه الأم حيث رمت نفسها فوقها وأخذت في عضها . وكانت تجري بعيداً كلما اقترب الزائر منها وكانت تضربه أو تعضه إذا اقترب منها .

الأطفال يصابون بمعظم الأمراض العقلية والنفسية التي يصاب بها الكبار فهم يصابون بالفوبيا وخاصة فوبيا المدرسة School phobia ويصابون بالتأخر العقلي mental retardation . كما يصابون بالشلل الدماغي Cerebral Palsy وكذلك يصابون بفقدان القدرات الإدراكية Aphasia حيث يصعب على الطفل الإتصال Communication كفقدان القدرة على الكلام من حيث النطق به أو فهم معاني الكلمات ذلك الفقدان الذي قد ينتج من الجروح الدماغية brain injurys . وكذلك يصاب الأطفال بفقدان القدرة على أوالعجز في القراءة Dys lexia .

ويصاب الأطفال بالعجز عن التحصيل الدراسي وكذلك قد تعتري الطفل نوبة من النشاط الزائد ويطلق على ذلك أحياناً اصطلاح perectivity أو اصطلاح Hyperkinesis ومعناها ضعف القدرة على الانتباه مع الحيوية الزائدة غير الهادفة ، والعجز عن التركيز عن نشاط معين لمدة طويلة ، والشعور بعدم الراحة وغير ذلك من المشاكل الانفعالية وقد يصابون بذهانات الطفولة Childhood Psychoses .

المشكلات التي تواجه علاج الأطفال :

من بين المشاكل الأولى قضية علاج الأطفال نفسياً هي أن الأطفال لا يطلبون أنفسهم العلاج ، ولكن الكبار ، سواء أكانوا المعلمين أو الآباء أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي هم الذين يطلبون إحالة الطفل إلى العلاج .

ويتمخض هذا الموقف عن عدد من المسائل الأخلاقية فالكبار الذين يحالون إلى المستشفيات العقلية رغم إرادتهم قد يستطيعون رفض تلقى المعالجة ، ولكن هل للأطفال مثل هذا الحق ؟ وهل لنا أن نخضع الطفل لبعض المعالجات المتطرفة كالصدمات الكهربائية ؟ هناك فريق من العلماء، يقترح خضوع الأطفال للمعالجة الكهربائية ، وهناك بعض الحالات التي لم تتجاوز في العمر تسعة سنوات ومع ذلك أجرى لهم جراحات دماغية لعلاج النشاط الزائد وحتى بعد تطبيق هذه الأنماط من المعالجات يبقى على الطبيب

النفسي أن يعيد الطفل إلى حالة التكيف . إذ المعروف أن الأطفال يفكرون ويتصلون بطريقة تختلف عن طرائق الكبار في التفكير والاتصال ولو إلى حد ما ، فالمعالج الذي يطلب من المريض الصغير أن يستلقي فوق أريكة التحليل وأن يترك العنان لأفكاره ومشاعره لكي تفيض أو تتداعى مثل هذا المعالج لا يحتمل أن يحقق نجاحاً كبيراً ولذلك من القواعد الأساسية في علاج الأطفال أن يتمكن المعالج من التفاعل أي الأخذ والعطاء مع الطفل على مستوى الطفل نفسه .

أما بالنسبة للأحداث الجانحين فهم يميلون إلى الجمود والبرود أكثر من المرضى الكبار ، ولذلك يتعين على المعالج أن يمنح الأطفال تأييداً أو تعضيداً أكثر ، وأن يتعاطف وإياهم أكثر مما يفعل مع الكبار وقد يحتضن أو يعانق المعالج الطفل الصغير ، كذلك فإننا لا نحكم على سلوك الأطفال المرضى أو المعوقين بمعايير الكبار أو مستوياتهم ، فللطفل معاييره ومستوياته الخاصة ، كما أن له منطقه الخاص ، ونتيجة لذلك على المعالج أن يكون أكثر تسامحاً مع السلوك العدواني المضطرب في المرضى الصغار ، بمعنى أنه يتوقع منهم درجة أكبر من العدوان ، وعلى سبيل المثال فإن طبيب الكبار يصبح يقظاً إذا أخذ مريضه الراشد في القذف بالأشياء ورميها وفي إتلاف قطع الأثاث ، ولكنه لا يندهش كثيراً إذا أتى طفل صغير بمثل هذا العنف . بل قد يصبح من الضرورة ، في بعض الأحيان ، على المعالج أن يشجع تصريف العدوان ، أو تفريغه أو التنفيس عنه من خلال توفير بعض اللعب . وليرى لكي يمارس الطفل عدوانه عليها كبديل من أجل تطهير ذاته ولقد ابتكر علماء النفس كثيراً من المناهج لعلاج الأطفال ، من ذلك العلاج الأسري ، وكان الاتجاه التحليلي أو الدينامي من أوائل المناهج التي استخدمت لعلاج اضطرابات الأطفال ، وإن كان فرويد نفسه حصر جل عمله في المرضى الكبار ، ولكن ابنته آنا فرويد **Anna Freud** كانت من الرائدات في مجال العلاج التحليلي عن طريق اللعب للأطفال ، ذلك المنهج الذي أصبح يستخدمه كثير من علماء النفس .

علاج الأطفال عن طريق اللعب :

لقد استخدم منهج العلاج عن طريق اللعب في علاج الاضطرابات المختلفة في الأطفال ، ومنها القلق **Anxety** والاضطرابات السيكوسوماتية أي

تلك الأمراض التي تنشأ من أسباب نفسية وتتخذ أعراضها شكلاً جسمياً ومن ذلك ما يلي :

١ ـ الربو .
٢ ـ قرحة المعدة .
٣ ـ قرحة القولون .
٤ ـ السمنة .
٥ ـ ضغط الدم المرتفع .
٦ ـ بعض الأمراض الجلدية .
٧ ـ بعض أمراض الفم والأسنان .
٨ ـ الصداع النصفي .

وكذلك اضطرابات الخلق أو السلوك ، والنشاط الزائد ، وفصام الشخصية وتتم الجلسات في غرفة مخصصة للعب يوجد بها بعض الدمى واللعب والأقراص الخشبية والتباشير وما إلى ذلك . في البداية يعمل المعالج على إيجاد علاقة عاطفية بينه وبين الطفل ، وبعد ذلك يطلب من الطفل أن يتسلى أو يلعب بأي من اللعب التي توجد أمامه . وقد يشترك المعالج في الألعاب ، كما أنه يشارك في المحادثة مع الطفل ، ولكنه يدرس في نفس الوقت ، مردود فعل الطفل أو استجاباته . وعندما يشعر المعالج أن المريض قد أصبح واثقاً فيه يبدأ في تقديم التفسيرات أو الشروح ، ويستخدم ما أبداه الطفل في أثناء لعبه كأداة أو كعربة ينقل عليها الأفكار ، وهناك الاتجاه التسامحي في العلاج والمعروف باسم العلاج المتمركز حول المريض ، وفيه ينحصر دور المعالج على عمل الانعكاسات لما يقوله ويفعله المريض Reflections يشجع المعالجون التحليليون الطفل المريض على تصريف وتفريغ انفعالاته وصراعاته . وقد يتم علاج الأطفال في المنازل أو المستشفيات أو في المدارس الخاصة أو في مراكز رعاية الأطفال ، حيث يتلقى الأطفال الرعاية طوال اليوم والليل ، وتمثل المدرسة الخاصة مجالاً خصباً لهذا النوع من العلاج ، وحيث يقيم الأطفال ومعظم أعضاء هيئة التدريس في داخل المدرسة بعد أن يتلقوا تدريباً مكثفاً للتعامل مع هؤلاء الأطفال ، ويذهب بعض علماء النفس في تفسير ذهانات الطفولة بأنها ترجع إلى

رفض الآباء للطفل في سن الرضاعة ، ويبقى المشرفون فترة طويلة حتى يعوضوا الطفل عن حرمانه السابق . ويمتاز الجو في داخل هذه الدور بالتسامح . ويعامل الأطفال في الشهور الأولى من دخولهم كما لو كانوا أطفالاً رضع ، وقد يضطر المشرفون إلى إطعام الطفل بأيديهم ، وقد يعتري الطفل ، في بداية دخوله ، حالة من الانسحاب التام أو الخرس . وجدير بالملاحظة أن العلاج في هذه الدور قد يستغرق سنوات طويلة حتى ينحل جمود الطفل أو تجمده ، ويبدأ في الكلام ، ولكن هذه الدور تحقق تقدماً ملحوظاً ، إنما يعترض ذلك إخراج الآباء للطفل من الدار .

العلاج السلوكي مع الأطفال :

ويطبق علماء النفس منهجاً آخر في العلاج مع الأطفال هو العلاج السلوكي ، حيث تم تطويع تقنيات العلاج السلوكي للتطبيق على الأطفال من ذلك ابتكار وسيلة لسلب أو لخفض الحساسية في الأطفال Desensitization حيث أمكن علاج القلق والفوبيا في الأطفال ويمر العلاج بالخطوات الآتية :

١ - تحديد مدى مخاوف الطفل وكثافتها وظروفها ووضع هرم حصري متدرج لها ، يبدأ من أكثر المواقف إثارة للخوف إلى أقلها .

٢ - يستخدم المعالج المحادثة والتعاطف والاستجواب لفهم الصور الذهنية لدى الطفل عن الأبطال تلك التي يستمدها في الغالب من الراديو والسينما والأدب أو من خياله الخاص ، كما يتعرف على الشخصيات التي يتقمصها الطفل ، والعمل على إشباع رغباته ويطلب من الطفل أن يغمض عينيه حيث يبدأ المعالج في قص قصة عليه من القصص المرتبطة جداً بحياة الطفل اليومية ، بحيث يمكن للطفل أن يصدقها ، وقصه أخرى تتضمن البطل المفضل لدى الطفل كشخصية رئيسية في القصة . وعندما يصبح المريض الصغير مسترخياً بما فيه الكفاية ومستغرقاً في القصة ينطق المعالج بعض مفردات الهرم الحصري الخاص بالطفل ويلصقها بحكاية الطفل . ويخبر المعالج الطفل بأن عليه أن يرفع إصبعه إذا شعر بالخوف أو بعدم السعادة أو بعدم الراحة وعند ظهور أول علامة من علامات القلق أو عدم الراحة ، فإن المعالج يسحب المفردة المثيرة للخوف من القصة ويحاول مرة

ثانية أن يعيد المريض الصغير إلى حالة الاسترخاء ويستمر هذا الإجراء حتى يتم سحب حساسية الطفل وقد يستغرق هذا أكثر من جلسة . وشبيه بهذا المنهج ذاك المنهج الذي ابتكره آذرن ١٩٧٤ Azrin والقائم على أساس الاشتراط الأدوي opeant Conditioning لعلاج البوال الليلي أو عادة بل الفراش في الأطفال Enuresis في غضون الثلاثينات من هذا القرن أخذ موورر ١٩٣٨ Mowrer في علاج التبول اللاارادي بوضع وسادة مكهربة في فراش أو سرير الطفل . تلك الوسادة التي تصدر جرساً أو صوتاً أو رنيناً عندما تصبح مبتلة ، ويحتاج هذا المنهج إلى شخص متدرب إلى جانب آباء الطفل ، حيث يتعين عليه أن يضحي بجزء من نومه . في الخطوة الأولى يربط جهاز الجرس في سرير الصغير وقبل موعد النوم بساعة يخبر المدرس الآباء عما سيحدث في الليل ، وبما أن الطفل سوف يستيقظ في أثناء الليل عدة مرات على أن يتم إيقاظه تماماً . على أن يتلقى الطفل في كل مرة ينجح فيها في الذهاب إلى المرحاض مكافأة الآباء ومديحهم . وفي كل مرة يفشل فيها عليه أن يقوم بعدة أعباء منها تغير فرش الفراش . ووفقاً لآراء الصغار هذا المنهج فإن الطفل يتخلص من عادة بل الفراش bed-Wetting خلال عدة أسابيع . ولقد ابتكر بعض علماء النفس السلوكية مناهج أخرى سلوكية لعلاج الأطفال منهم شاربي ١٩٧٠ Sharpe الذي أخضع طفلاً في سن الثالثة عشر من عمره ، كان يرفض الذهاب إلى المدرسة لمنهج يسمى بمنهج الاشتراط التقززي أو النفوري . أو الاشمئزاز Aversive Conditioning .

ومن ذلك ما يعرف باسم أحداث انفجار ضمني أو داخلي ، implosion حيث طلب من هذا الطفل أن يتخيل أشياء وأحداثاً مفزعة ومخيفة ستحدث له إذا ذهب للمدرسة بمعنى إحداث فيضان أو فيض من المشاعر بقصد جعل المريض قلقاً وشغوفاً وذلك بقصد مساعدة المريض على التحكم فيما بعد في مخاوفه من ذلك إخبار الطفل بأنه سوف يتعرض للإهانة العلنية أمام جميع التلاميذ زملائه ، وأن والديه سوف يرفضانه . وهكذا من الإهانات والأمور الغريبة « ولقد أصبح هذا الطفل حزيناً جداً في أثناء هذه الجلسة ، ولكنه في اليوم التالي ذهب فوراً إلى المدرسة . وهو الأمر الذي عجز عن عمله منذ فترة

طويلة من الزمن . ولكن هناك كثيراً من علماء النفس الذين يرفضون هذا المنهج حتى مع الكبار وبالتالي فهو منهج مرفوض بالنسبة للأطفال وفي حالة تطبيقه على المعالج أن يتخذ كثيراً من الحيطة حتى لا يزيد الطين بلة ، ويكثف من فوبيا الطفل . وكذلك هناك كثير من علماء النفس الذين يتحفظون على استخدام العلاج بالنفور والتفزز وإحداث الآلام الجسدية في المرضى من خلال العلاج السلوكي . ولذلك تقتصر هذه المناهج على علاج الأطفال الصغار المضطربين جداً والذين يؤذون أنفسهم كثيراً . فبعض الأطفال يؤذون أنفسهم ويضربون رؤوسهم في الحائط ويرتمون على الأرض ويخربشون وجوههم ويعضون أنفسهم ويحدثون كثيراً من الجروح في أجسامهم وهناك بعض العلماء الذين استخدموا العقاب والتوبيخ والصياح والصدمات الكهربائية لإزالة هذا السلوك . ومن أمثال هؤلاء لوڤاس Lovass .

وذلك عن طريق أيضاً إثارة الطفل لتعلم بعض العادات المقبولة إجتماعياً والملائمة ، كما يعير الناس الاهتمام ، ويستجيب بعاطفة للكبار ، وأن يحفظ بعض الكلمات الطيبة . على أن يلقى هذا السلوك الإيجابي التعزيز بالمكافئة المختلفة ، كتقديم الطعام والحلوى والمديح والتهاني والمعانقة أي عن طريق استخدام برنامج للتدريب اللفظي في حالة الأطفال الذين يعجزون عن الكلام وكان البرنامج يتضمن العمل مع الأطفال ستة أيام في الأسبوع لمدة سبع ساعات في اليوم مع السماح لفترة راحة لمدة خمس عشرة دقيقة مع كل ساعة من ساعات العلاج . وكان المريض والمعالج يجلسان وجهاً لوجه وقريبين جداً بعضهم البعض ، وتضمن هذا البرنامج جلوس المعالج بطريقة يمنع فيها ، فيزيقياً الطفل من مغادرة الموقف التدريبي عن طريق ضم الطفل بين رجليه وإذا استجاب الطفل استجابة صائبة تلقى المكافأة على شكل جزء من الطعام مباشرةً بينما كان يتلقى الطفل العقاب على شكل صياح المعالج مثلاً على السلوك الغير ناجح أو التخريبي أو عدم الانتباه أو السلوك غير الدقيق ، ولكنه لم يعرض هؤلاء الأطفال للعقاب على السلوك اللفظي غير الصائب .

وفي هذا البرنامج كان المعالج يتفاعل مع الطفل لساعات طويلة لتشجيعهم على تقليد الأصوات البسيطة ثم محاولة تعليمهم بعض الكلمات ،

ولكن يبدو أن هذا المنهج عديم الفائدة ويتسم بالبرود وفضلاً على اعتماده على العقاب وهو فكرة مرفوضة لدى غالبية علماء النفس ، كما يرفضون التعزيز السلبي .

واستخدم علماء آخرون التعزيز المتمايز للسلوك الآخر differntial rein- tércément for other behaviour حيث يتم مكافأة الطفل على الانغماس في سلوك مضاد للسلوك الذي يعترض عليه . واستخدم آخرون منهاج يسمى Con- tingent removal of reinforcement الإزالة العرضية للتعزيز ويسمى ايضاً خارج الوقت time-out عندما يسلك الطفل سلوكاً معيناً فإن المعالج يغادر الغرفة أو يضع الطفل في غرفة بمفردة لفترة من الزمن .

وفي إحدى البرامج كان الأطفال يعطون جلسات للاسترخاء تتراوح ما بين ٤ دقائق عند بداية الجلسات ووصلت إلى ١٣ دقيقة بعد الجلسة إل ١٠٥ . وقد لا يفهم الطفل بالضبط المقصود بكلمة استرخاء ، ولكن التعليمات كانت تتضمن أن يكون مستريحاً ، وأن يتنفس بسهولة ويسر وأن يكون هادئاً ومستقراً مع تحريك الذراعين برقة والأرجل والرقبة عن طريق المعالج نفسه .

وأخيراً استطاع أن يشعر بالاسترخاء relaxation .

علاج النشاط الزائد عن طريق العلاج السلوكي :

اهتم علماء النفس السلوكيون بعلاج الحالات الأخف من الأطفال أرباب الاضطرابات النفسية . ومن هؤلاء أصحاب الميل للنشاط الزائد . ومن أجل هذه البرامج العلاجية طلب المعالج من الأم أن تلاحظ ابنها البالغ من العمر ١١ عاماً بكتابة قائمة بالسلوك الإيجابي والسلوك السلبي الذي يأتيه الطفل .

وفي كل مرة كان يسلك هذا الغلام سلوكاً إيجابياً كان يطيع أمه أو يضع ملابسه كان يمنح درجة بينما كان يخسر درجة إذا انغمس في السلوكيات السلبية ، من ذلك الكذب والتمرد أو يعمل سباقاً حول المنزل . وكانت تجمع درجاته في نهاية كل يوم . وإذا كانت هناك درجات إيجابية ، فإنه كان يأخذ بدلاً منها نقوداً في صباح اليوم التالي بعد أن تم وضع تسعيرة عادلة للدرجات مع دفع حوافز في نهاية الأسبوع إذا وصلت الدرجات إلى حد معين .

علاج حالات التأخر العقلي عن طريق التعلم :

تم ابتكار منهج لعلاج الأطفال المتأخرين عقلياً تأخراً بسيطاً mildly retarded children وذلك خلال السبعينات من هذا القرن ، وانتشرت فكرة تعديل السلوك behaviour modification وخاصة عندما فتحت المدارس العامة بعض فصولها للتعليم الخاص . ففي إحدى الحالات أعطيت الطفلة تعيينات بسيطة ومنحت وقتاً أطول لحله ، وكانت تتعلم كيف تتفق أو تتباين الأشياء وكانت تقرأ النصوص للمعلم وأعطيت فرصاً من الوقت الحر لكي تلون رسومها أو للرسم أو حل الألغاز وكانت تأخذ مكافآت عن كل مشكلة تنجح في حلها .

مثل هؤلاء الأطفال لا يتعلمون من خلال ربط المعاني بالمادة كما أنهم كانوا ضعافاً في التفكير أو الاستدلال وفي الفهم وفي القدرة على التعميم أو نقل المعلومات من موضع إلى آخر ، وكانوا ضعفاء في الذاكرة وكانوا عاجزين في عمليات التجريد . ولكنهم كانوا يتعلمون أكثر من خلال التدريب الميكانيكي أو الآلي والمران التكراري وعن طريق التذكر الآلي الأصم أي التذكر دون الفهم ، وذلك لمفردات المنهج مع تجزئة مفردات المنهج إلى أجزاء وخطوات صغيرة وكان التعلم يسير على خطوات بطيئة وبطريقة تعتمد على التكرار .

ويشك في أن ما يصلح لطفل يصلح لجميع الأطفال الآخرون ، ولذلك يدعوا البعض إلى انتهاج منهج فردي أكثر individualized approach ذلك المنهج الذي يأخذ في الحسبان كل جوانب القوة والضعف في التلميذ المعين . ولكنهم مثل هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى تفاعل أكثر من قبل المعلم ، حيث يقدم للطفل وسائل الإثارة والغنى والثراء أكثر من مجرد التكرار والتدريب الآلي . ولذلك ينصح أن يتم الاهتمام بمدارس التعليم الخاص أو المدارس الفكرية وتزويدها بالمعلمين المؤهلين والمعدات على أن يتلقى المعلمون تأهيلاً خاصاً وأن يتسموا بالتضحية والبذل والعطاء ، وأن يكونوا من أرباب الخبرات الواسعة والإلمام بالعالم المحيط بهم وبالمجتمع مع الإلمام بالفنون أو الموسيقى والدراما مع المهارات الفيزيقية الملائمة . ولكن هناك فقر في هذه الإمكانات ويصعب توفير الرعاية الفردية للطفل المتأخر عقلياً . حيث يقل عدد المعلمين المدربين تدريباً جيداً حتى في مجتمع كالمجتمع الأمريكي . ولكن هناك كثيراً من ضعاف العقول ممن نجحوا في الحياة العملية بفضل جهودهم الخاصة أكثر

من تأثير التعليم الذي يتلقونه .

العلاج عن طريق العقاقير :

يستخدم العلاج بالعقاقير Drug Therapy . مثل هذه العقاقير تستخدم في علاج الأطفال الصغار من الأدوية المهدئة Tranquilizers . وذلك للحالات المتدهورة أو حالات التخلف العقلي الشديد أو حالات الانسحاب ومن ذلك أيضاً عقار Neuroleptics . وهو عبارة عن مجموعة من العقاقير المهدئة التي تستخدم في علاج الفصام Schizo phrenia ومنها عقار Tharazine وعقار Haloperdol والعقاقير أكثر أنواع المعالجات للمصابين بالحيوية الزائدة Hyper-actinvity وأشهر هذه العقاقير عقار Ritalin وغير ذلك من العقاقير المنشطة Stimulants مع أن هؤلاء الأطفال يبدو كما لو كانوا مثارين أزيد من اللازم . ويفترض بعض علماء النفس أن هؤلاء الأطفال لديهم جهاز عصبي غير ناضج ، ولذلك يفترض أن هذه العقاقير تهدىء أو تسكن أو تلطف أو تخفض من ثورة الأطفال . ويعترض كثير من علماء النفس على استخدام مثل هذه العقاقير ويعتبرونها ضارة بصحة الطفل . ومن بين الأضرار تكوين بعض العادات مثل عادة « الاعتمادية » على العقار ، بل إن بعضها قد يؤدي إلى ظهور بعض أنماط السلوك الفصامية ويهاجم كثير من العلماء انتشار استخدام العقاقير في علاج الأطفال ويمثل استخدام العقاقير في علاج الأطفال خطورة كبيرة إذا علمنا أن في مجتمع كالمجتمع الأمريكي يوجد نسبة تتراوح ما بين ٣ : ١٠٪ من مجموع تلاميذ المدارس الأمريكية يعانون من العجز التعليمي أو من فشل الوظائف الدماغية ، ومعنى ذلك وجود من ١,٥ : ٤ مليون طفل يحتاجون إلى علاج خارج دائرة التربويين وهناك اتجاه يقول إنه إذا كان لا بد من استخدام العقاقير فلا ينبغي أن يكون العقار هو جوهر أو صلب العلاج . ولكن العقار قد يوصف كجزء فقط من اتجاه متعدد العناصر في العلاج من ذلك العلاج النفسي للطفل والإرشاد النفسي للآباء وعلى أي حال لا يصلح العقار وحده لأن الطفل قد يعتقد أنه ليس مسؤولاً عن سلوكه المرضى . وقد يعطي العقار شعوراً مزيفاً قد لا يدركه الآباء(١) .

---

(١)

يقول روس ROSS (P. 249) أن المعالج يستهدف التعرف على أنماط السلوك الغير مرغوب فيها والعمل على إزالتها ثم غرس أنواع أخرى بديلة من السلوك المرغوب فيه . فالطفل زائد الحيوية علينا.أن نفكر ماذا سيفعل هذا الطفل عندما يختفي هذا السلوك الشاذ وذلك حتى لا يتحول الطفل من النشاط والحيوية الزائدة إلى الخمول والانسحاب والانطواء والسكون الزائد عن الحد . أو الجلوس محملقاً في الفضاء الخارجي . ولذلك يقترح روس وضع خطه منظمة للسلوك الذي سيحل محل النشاط الغير مرغوب فيه بحيث يكون للسلوك الجديد هدف وغاية ، وبحيث يكون سلوكاً بناءً وينطوي على المجاملة الاجتماعية ، وذلك حتى لا يكون هناك فراغ سلوكي . ويلزم أن يخصص نحو ربع الوقت في المدرسة لعلاج السلوك الهدام . وبتقدم الطفل في الشفاء يصبح من الممكن أن ينخفض هذا الوقت على أن يملأ الفراغ مرة أخرى . ففي حالة علاج أحد الأطفال من حالة الحيوية الزائدة وعدم الانتباه الى الدرس طلب من هذا الطفل أن يجلس ساكناً ، وأن يأخذ قطعة من الحلوى كلما صمت أو كف عن الحركة لمدة عشر ثوان . وبعد ذلك تم تعزيز الطفل على الفترات التي يقضيها في الدرس وبعد ذلك انضم إلى غرفة الدرس وشارك التلاميذ في أعمالهم ووزعت الحلوى عليهم جميعاً وذلك للحصول على تعضيد زملائه وعلى التعزيز الاجتماعي . واستمر ذلك لمدة ثلاثة أسابيع .

على كل حال يمكن استخدام العلاج السلوكي سواء مع طفل واحد أو مع جماعة من الأطفال باستخدام التعزيزات المناسبة ، ويفيد التشريط في علاج النشاط الزائد وفي تحسين مستوى تحصيل الطفل . وتؤدي الاعتراضات التي تواجه نحو استخدام العقاقير مع الأطفال إلى التوسع في استخدام العلاج السلوكي . لقد كانت آنا Anna فرويد من الناس الذين اهتموا باستخدام التحليل النفسي مع الأطفال . ولقد أمكن استخدام اللعب في علاج الأطفال. وبطبيعة الحال لا يتوقف العلاج عن طريق اللعب على التحليل النفسي ، ولكنه يطبق في مجالات أخرى . ويمتاز العلاج النفسي مع الأطفال بقصر مدة العلاج وأن الاتصال اللفظي ليس هو المنهج الوحيد ، وإنما يمكن الاتصال بالطفل بطرق أخرى . ويجب أن يكون المعالج أكثر نشاطاً ويمكن المزج بين التقنيات التحليلية وغير التحليلية وبذلك تقل فرصة عملية التحويل Transference أي تحويل مشاعر

الطفل وعواطفه من موضوعها الأصلي إلى المعالج . وقد تكـون هذه المشـاعر سلبية أو إيجابية .

ويفسر بعض علماء النفس التحليلي الاضطرابات النفسية في الطفولة بالقول بأن الطفل يستجيب لبيئة إذا كانت غير مؤاتية بالاتجاهات السلبية مثل الحنق أو السخط والغضب والانتقام والثورة والكراهية وما إلى ذلك .

وحيث أن الذات الوسطى الواعية للطفل ترفض قبول هذه المشاعر السالبة فإنها تكتب في الجزء اللاشعوري من الذات الوسطى . ومعروف أن الكبت واحد من العمليـات الدفـاعية الـلاشعوريـة التي ينسى الإنسان بمـوجبها الـذكـريـات والخبرات والرغبات والدوافع الشاذة أو المؤلمة . ولكن بقاء هذه الخبرات مكبوتة في اللاشعور لا يعني موتها ، ولكنها تظل حية تؤثر في سلوك الطفل تأثيراً سلبياً أي على الجانب الإيجابي من الذات الوسطى . وهناك كتابات كثيـرة حول منـاهج علاج الأطفال وخطواته من ذلك عملية التفسير وعملية التصريف أو التفريـغ أو التطهير الانفعالي والعلاج باللعب والإيحاء وعن طريق تغيير البيئة وبإقامة العلاقات الطيبة . وهناك محاولات استهدفت التعبير عن ذلك الجزء اللاشعوري والسلبي من الذات بواسطة المعالج . والمنطق الذي يكمن وراء هذا المنهج أن الطفل يستطيع أن يتعامل تعاملاً أفضل مع اتجاهاته السلبية المكبوتة عندما تعرض عليه من شخص لآخر .

الشعور بالغيرة

مقدمة عامة .

الغيـرة عند الأطفـال تظهـر في حالات مثـل ميلاد أخ أو أخت للطفـل الصغير ، وفي مثل هذه الحالة يرتد الطفل إلى حالة طفلية ، أو يعود إلى عادات الطفولة المبكرة التي قد يكون قد هجرها منذ وقت بعيد ومن أمثلة ذلك التبول اللاإرادي أو يطلب أن تطعمه أمه أو تلبسه . وقد تظهر الغيرة المكبوتة في شكل أنزال العقاب أو الزجر أو التعنيف بلعبه أو في منفذ آخر . وفي الغالب ما لا تظهر الغيرة وحدها حيث يصاحبها كثير من الانفعالات الأخرى مثل الغضب أو الثورة . ومعظم الدراسات التي أجريت على موضوع الغيرة توضح أسباب الغيرة وأثرها على سلوك الطفل ، ولكنهـا لا توضـح كيف ينمو الشعـور بالغيـرة في الطفل . ولقد وجد أن الأطفال الكبار في الأسرة يميلون إلى الغيرة أكثـر من غيرهم من الأطفال كما أنهم يميلون إلى ارتكاب الجرائم والمخالفات . ويرجع ذلك إلى أن الآباء لم يكونوا قد اكتسبوا الخبرة الكافية في تربية طفلهم الأول ، ولذلك يكون خاضعاً لكثير من التجارب والمحاولة والخطأ من خلال الصفحات القادمة نشرح تعريف الغيرة وأسبابها وطرق علاجها .

تعريف الغيرة كما يعرفها الباحث :

تعرف الغيرة أنها شعور يتكون من الخوف والغضب والشعور بالتهديد في حياة الطفل أو عندما يجد الطفل تحدياً لارتباطاته العاطفية وقد تظهر هذه الغيرة في شكل عدوان على الأخ أو الأخت وقد يعبر عنها في شكل أرتداد على الذات فيؤذي الطفل نفسه . ويجب ألا يخلط الآباء بين المنـافسة التي لا ينبغي أن تزعجهم وبين الغيرة لأن المنافسة الإيجـابية تـدفع الـطفل إلى النجـاح وبذل الجهد .

أن الغيرة تجربة انفعالية تكاد تكون عامة بين جميع الأطفال وتختلف عن الحسد لأن الحاسد يحسد شخصاً آخر علي شيء يمتلكه هذا الشخص ولا يملكه هو أما الغيور فأنه يغير لأنه يمتلك شيئاً ما ويخشى أن يأخذه غيره والطفل الكبير عندما ترزق أسرته بمولود جديد لا يرغب أن يشاركه فيما يتمتع به من مزايا وقد يعبر عن غيرته هذه بالعدوان الجسمي عليه أو بإهماله أو بعدم الاعتراف بوجوده ، وقد يعبر عن غيرته في شكل بوال أو بمص الأصابع أو رفض تناول الطعام أو الشقاوة .

أيهما أكثر غيرة البنات أم البنين :

أظهرت إحدى دراسات الكاتب ان قيمة الشعور بالغيرة فيما بين ٣ ـ ٤ سنوات وقد بينت تلك الدراسات أن نسبة الغيرة في البنات أكثر منها في البنين ، كذلك فأنها عند الأذكياء أكثر منها عند قليلي الذكاء وكذلك أسفرت تلك الدراسة على أن الغيرة تكون بنسبة أكبر بين الأطفال الذين لا يوجد فارق كبير في السن أي أنها توجد بين الأطفال المتقاربين في السن ، وهذا واضح لأن الشاب الكبير أكثر غيرة . من الأطفال الذين يأتون بعده لأنه في يوم ما كان يمثل مركز الاهتمام في الأسرة وكان محط أنظار الجميع وأصبح يشارك في ذلك غيره ممن ترزق الأسرة بهم من الأطفال .

سلبيات الغيرة :

يرى الكاتب أن الغيرة تسبب مجموعة من السلوك كالآتي :

١ ـ الغيرة تسبب وجود صراعات خفية في الحياة النفسية للفرد وعلاقته بالآخرين .

٢ ـ الشخص الذي يغير من الآخرين ينال دائماً سخطهم وعدم رضائهم عنه .

٣ ـ الغيرة تجعل صاحبها يشعر بالذلة والمهانة وعدم الثقة بالنفس .

٤ ـ وينتج من الغيرة الشعور بالنقص والانطواء والعزلة عن الحياة الاجتماعية .

الأسباب التي تؤدي إلى الغيرة :

يرى الكاتب أن الغيرة ترجع إلى الأسباب الآتية :

١ ـ شعور الطفل بميلاد طفل جديد كثيراً ما تبعد الأسرة طفلها أثناء وضع أمه .

ويجب تجنب هذه المأساة النفسية عن طريق تمهيد عقله بأن هذا المولد هو أخ له وزميل وصديق يلعب معه ويمرح وإياه .

٢ ـ القسوة والشدة في العقاب الذي يتبعه بعض الآباء في التفرقة بين الأطفال أو كثرة المديح والإطراء .

٣ ـ يجب أن يؤمن الآباء أن الغيرة ليست سمه وراثية ولكن الطفل يكتسبها نتيجة لظروف بيئية معينة مثل العقاب والتفرقة والمديح والتدليل .

٤ ـ شعور الفرد بالغيرة نتيجة حقوقه المهدورة وتمتع غيره بالمزايا الأخرى أو المراكز الاجتماعية .

٥ ـ من الحالات الشائعة للغيرة غيرة الطالب الراسب عن زملائه الناجحين ويحاول الانتقام منهم عن طريق لصق التهم وإذاعة الشائعات عنهم .

توصيات لعلاج الغيرة :

١ ـ عدم عقد المقارنات بين الطفل وغيره من الأطفال مما ينتج عنه هبوط مواهب الطفل وقدراته .

٢ ـ إشعار الطفل بالثقة بالنفس والسعادة .

٣ ـ تنوع أنشطة الطفل حتى يستطيع أن يشعر بالنجاح والسعادة .

٤ ـ يجب معاملة جميع الأطفال على قدم المساواة .

٥ ـ يمكن للأسرة تنظم عملية الانجاب بحيث لا يكون هناك فاصل زمن كبير يؤثر على ميلاد الطفل الثاني .

٦ ـ يجب أن تتاح للطفل فرصة إقامة علاقات مع غيره من الأطفال على أساس الحب والتعاون والثقة وعدم التنافس والعدوان واحترام الآخرين .

ظاهرتا الانطواء والانبساط في الشخصية الإنسانية وعلاقتهما بأساليب التربية

الطرز أو الأنماط أو التصانيف :

منذ القدم والإنسان يميل إلى تصنيف من حوله من النـاس إلى طرز أو أنماط معينة على أساس ما يمتازون به أو يمتلكون من صفات جسمية أو عقلية أو مزاجية . فالنمط أو الطراز هو فئة أو مجموعة من الناس يشتركون في صفة من الصفات مع اختلافهم في درجة اتسامهم بهذه الصفة . ومن أقدم هذه التصانيف تصنيف « هيبوقراط » الذي قسم الناس فيه إلى أربعة طرز حسب المزاج الغالب عليهم وهي :

١ - **الطراز الدموي** : ويتميز صاحبه بالتفاؤل والمرح وامتلاء الجسم وسهـولة الاستثارة وسرعتها ، والتقلب في السلوك ، وهو ما يعرف في العامية باسم « الهوائي » .

٢ - **الطراز الصفراوي** : ويمتاز صاحبه بقوة الجسم والعنف وسرعة الغضب .

٣ - **الطراز السوداوي** : ويمتاز صاحبه بالتأمل وبطء التفكير والتشاؤم والنزوع إلى الاكتئاب وثبوت الاستجابة .

٤ - **الطراز البلغمي أو اللمفاوي** : وصاحبه بطيء الاستثارة والاستجابة ، خامل بارد بدين يميل إلى الشره .

وقد زعم القدماء أن كل طراز يتميز بغلبة عنصر في الدم أو في الجسم كالصفراء أو البلغم ، وإن كان هذا التفسير لا يقره العلم الحديث .

تصنيف الناس إلى أنماط محددة فاصلة :

أن فكرة تقسيم الناس إلى أنماط مختلفة تقود إلى فهم جزئي للشخصية :

فهم لجانب واحد من جوانبها ، بمعنى أننا ننظر للصفات التي يحتويها هذا النمط أو ذاك ونهمل ما قد يوجد بين المنطوي والمنبسط مثلاً من فروق في القدرات والسمات والاتجاهات الأخرى . فالمنبسط قد يكون غبياً أو ذكياً ، طموحاً أو بليداً ، غيرياً أو أنانياً ، ومن ثم فإن مجرد وضع لافتة عليه يكتب عليها « منبسط » تخفي حقائق قد تكون ذات أهمية ودلالة في فهم شخصيته وتفسير سلوكه .

وقد يروق لنا أن نتساءل كيف يتكون مفهوم النمط ؟
أننا نكون مفهوم نمط ما عن طريق ملاحظة مجموعة من الصفات أو السمات أو القدرات المختلفة التي نستدل على وجودها من ملاحظة مجموعة من الاستجابات السلوكية الجزئية ، ثم بعملية تجريد عقلية تخرج إلى تكوين مفهوم السمة ، ومن مجموع السمات يتكون مفهوم النمط . فالنمط مفهوم افتراضي تجريدي نظري يعطي أكثر مما يوجد في أي فرد معين بذاته .

والواقع أن فكرة تقسيم الناس إلى أنماط ذات حدود فاصلة لا تنطبق إلا على الأقلية المتطرفة فقط ، فكما أن غالبية الناس ليسوا عمالقة أو أقزاماً . كذلك فإن السواد الأعظم من الناس ليسوا منطويين ولا منبسطين وإنما هم معتدلون . فيدل التجريب على أن كل منا خليط من الانطواء والانبساط ولكن السيادة النسبية لأحد هاتين الظاهرتين هي التي تجعلنا نضع هذا الفرد في هذا النمط أو ذاك . أن الطبيعة البشرية ترفض التقسيم الحاسم وتفضل التدرج والانسياب . فمن النادر أن نجد نمطاً خاصاً صرفاً ، ولكن دائماً يكون لدى الفرد وظيفة أو عدة وظائف غالبة مسيطرة بحيث يمكننا أن نصفه بها . ولكن دائماً تأتي وظائف ثابتة بعد هذه الوظيفة ، ومن ثم فإن مفهوم النمط لا يمكن أن يكون جامعاً مانعاً ، ومن الحقائق الأخرى المتعلقة بنقد هذه الفكرة ، أن الانطوائيين يختلفون بعضهم عن بعض في كثير من الصفات ، وأنهم لا يشبهون بعضهم بعضاً إلا في الصفات الانطوائية فقط . وإلى جانب ذلك فإن نظريات الطرز لا يمكن أن تتخذ مبدأ لتفسير السلوك ولكنها وسيلة من وسائل الوصف فقولنا بأن هذا الشخص منسحب من المجتمع لانه من النمط المنطوي ، لا يضع أيدينا على عوامل محدودة يمكن ملاحظتها وتعديلها . ولذا فلتفسير السلوك

المنطوي ، يجب أن نبحث في بنية الفرد وفي تاريخ حياته المرضي . وفي قدراته الجسمية والعقلية على العوامل المؤثرة التي دفعته إلى الإنطواء ، ومن ثم فإن حصولنا على عوامل ملموسة محسوسة يمكننا من تعديل سلوكه الانسحابي .

فوائد عملية للانماط :

والآن قد يتسائل البعض ما هي إذن أهمية الانماط في علم النفس ؟

نقول إن هذا التقسيم عام وتقريبي ، وأن غالبية الناس تقع في المناطق الوسطى من أي مقياس يعد لقياس أي نمط من الانماط النفسية . ولكن لهذه التصانيف قيمة عملية . فنحن لدينا فكرة عن شخصية الفرد الالماني والانجليزي والعربي . فبالرغم من عدم امكان جمع كافة الصفات والخصائص التقليدية المفروض توافرها في الشخصية الفرنسية مثلاً في فرنسي معين . فإننا لا زلنا نستطيع ان نميزه عن غيره من الاجناس الاخرى . كذلك في المقاييس الاحصائية فاننا نستخدم مفاهيم احصائية تشابه فكرة الانماط . فاننا نطلق عبارة « المتوسط الحسابي » ونحدد قيمته لكي نعبر عن المستوى التحصيلي مثلا لمجموعة معينة من الناس ، ثم نضع هذا المتوسط لكي يعبر عن مستوى المجموعة كلها ، بينما قد يندر ان يكون اي فرد بعينه من المجموعة حاصلاً على هذه القيمة . ان النمط يحتوي على اكثر مما يوجد في فرد واحد بعينه ، والانماط لا توجد في الطبيعة ولكنها توجد في عين الملاحظ الباحث . ونحن حين نستخدم مفهوم النمط لكي يعبر عن طائفة من الناس ، فانما نستخدمه لاغراض اقتصادية ، فبدلاً من سرد طوائف من السمات والخصائص التي يتميز بها شخص ما ، فاننا نكتفي بذكر انه من النمط المنطوي مثلاً . فالفرد لا يقال انه يمتلك نمطاً معيناً ، وإنما يقال انه يناسب نمطاً معيناً .

والآن يبرز السؤال : هل تفيد معرفة الانماط التي ينتمي إليها الناس في إقامة علاقات اجتماعية ناجحة معهم ؟ .

الواقع أننا قد نجد شخصاً يشكو من السلوكيات الصاخبة ويشكو آخر بمرارة من الروتين والهدوء القاتل المميت، وكلاهما يشعر أنه يساء فهمه ، وقد يؤدي هذا

إلى حالة شعور برثاء الذات . وهنا تصبح ضرورة نمو كل منهما حتى يتلاقيان ضرورة حتمية ، وقد يحتاج الأمر إلى مساعدات السيكولوجي .

تعريف ظاهرتي الانطواء والانبساط :

والآن نتساءل : ما هو المعنى الذي يقصده علماء النفس بالانطواء والانبساط ؟ .

تتكون كلمة الانبساط من مقطعين Extra وتعني إلى الخارج أو إلى السطح . Version, وتعني تحويل أو توجيه ، وبذلك ، يصبح المعنى اللفظي لكلمة الانبساط هو توجيه أو تحويل العقل إلى خارج ذاته ، إلى العالم الخارجي ، عالم الأشياء والناس ، وبالمثل تتكون كلمة الانطواء من مقطعين Intro وتعني في الداخل ، ثم Version وتعني تحويل . وبذلك يصبح المعنى القاموس لكلمة الانطواء هو تحويل العقل إلى الداخل وانعكاسه على نفسه . فالمنبسط أو الخارجي أو السطحي تصبح كل رغباته واهتماماته موجهة نحو الناس والأشياء والطبيعة ، بينما تنحصر اهتمامات المنطوي في ذاته وفي مشاعره وإحساساته وأفكاره وخيالاته .

قبل أن ينشر « يونج » هاتين اللفظتين ، كان يستعمل عبارات مثل العقلية الموضوعية ، والعقلية الذاتية ، والعقلية الخشنة ، العقلية النضرة الغضة الرقيقة . ولكن أمثال هذه العبارات إن دلت على شيء فإنما تدل على الجانب العقلي وحسب بين ظاهرتي الانطواء والانبساط ولا تشير الى جوانبها على النفسية أو الفسيولوجية .

ترجع نظرية تصنيف الناس إلى انطوائيين وانبساطيين . أو إلى داخليين وخارجيين ، أو باطنيين وسطحيين ، إلى عالم النفس السويسري « يونج » Jung الذي عاش فيما بين عامي ١٨٧٥ - ١٩٦١ وإن كانتا قد عرفتا قبله ، فقد استعملهما بعض الكتاب في القرن ١٦ ، ولكن الفضل في نشرهما وإقامة نظريات متكاملة وتحليلهما ؛ جع إلى « يونج » وإليه أيضاً يرجع القول بأن الانبساط في تطرفه يصبح هـ تيرياً ، والانطواء في مغالاته يصبح حالة من العزلة التامة وكراهية الناس . وفي تعريفه للانبساط يقول : أنها تحويل الليبيدو التي

هي الطاقة النفسية والجسمية نحو الخارج ، نحو الأشياء والناس . أما في حالة الشخص المنطوي فإن هذه الطاقة تتجه إلى الداخل ، إلى الذات .

ولقد نزع بعض الكتاب إلى إطلاق اسم (السمه) على ظاهرتي الانطواء والانبساط ، بينما نزع البعض الآخر تسميتها « اتجاه » ولكن النظرية التحليلية تؤكد أنهما ليسا سمة واحدة ولا اتجاهاً واحداً . فالاتجاه هو حالة عقلية أو اتجاه عقلي نحو موضوع واحد معين ، هو إصدار حكم بالقبول أو الرفض ، بالرضا أو الاستنكار ، بالتأييد أو المعارضة ، بالحب أو الكره ، كالاتجاه نحو الأسرة أو نحو الصهيونية (العالمية) . وعلى ذلك فللاتجاه موضوع محدد معين . أما السمة Trait فإن دائرة موضوعاتها واسعة كسمه الكرم مثلاً أو العطف ، فالعطوف يكون عطوفاً على الناس وعلى أقاربه وعلى الحيوان . . . وهكذا . أما إذا كان عطوفاً فقط على شخص معين ، فإنه يمتلك إتجاه العطف نحو هذا الشخص . أما إذا كان عطفه بوجه عام ، فإنه يتصف بسمة العطف عامة . أما النمط فإنه مجموعة من السمات التي تكون في الغالب مترابطة ومن تجريدها تخرج إلى تكوين مفهوم الطراز .

ولقد أدى التحليل العاملي إلى الاعتقاد أن ظاهرتي الانطواء والنماط ظاهرتان معتقدتان بمعنى احتواء كل منهما على عوامل نوعية أخرى يمكن ملاحظتها بدرجة عالية من الاستقلال ، بحيث يمكن تمييز كل عامل عن غيره من العوامل الأخرى . وعلى الجملة ، فإننا نستطيع أن نميز أنواعاً أربعة من الانطواء والانبساط . انطواء وانبساطاً فسيولوجياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً .

فالشخص المنطوي اجتماعياً ليس بالضرورة أن يكون منطوياً عقلياً أو نفسياً . . . وهكذا . ومما يؤيد ما نذهب إليه ، أن « جلفورد » أثبت وجود عوامل مستقلة تكون هذه الظاهرة ، وهذه العوامل هي :

١ ـ اتجاه نحو الخوف من البيئة والهروب منها .
٢ ـ حساسية انفعالية أو عاطفية نحو البيئة .
٣ ـ نزعة تركيز حول الذات .

وقد ميز بعض البحاث العوامل الآتية :

١ ـ الانطواء الاجتماعي أو الخجل .

٢ ـ الانطواء العقلي أو الفكري .
٣ ـ الخمول .
٤ ـ الحزن .
٥ ـ القمع أو الكبت .

ومن الملاحظ أن الشخص الخجول مثلاً ليس من الضروري أن يكون حزيناً أو مهموماً . كذلك ليس من الضروري أن يكون الشخص المنسحب اجتماعياً مرهف الحس بحيث تجرح مشاعره وإحساساته بسهولة وسرعة . ونحن إذا ما قبلنا الرأي القائل بتعدد العوامل المكونة لهاتين الظاهرتين ، فإننا يجب أن نتساءل : ما هي الخصائص والسمات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تميز الشخص المنطوي عن المنبسط ؟ .

وفي إجابتنا عن هذا التساؤل ، أود أن أؤكد أن هذا التقسيم إلى صفات جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية ، القصد منه التحليل وسهولة الفهم . وهنا ينبغي أن نؤكد أن الشخصية الإنسانية وحدة نفسية عقلية جسمية ، وحدة ديناميكية متطورة متكاملة ، وأن فصل أثر العوامل العقلية عن النفسية ، أو أثر العوامل الجسمية عن النفسية ، أمر بالغ الصعوبة . فالعوامل المكونة للشخصية الإنسانية متشابكة متداخلة ، ومن هنا كانت صعوبات القياس النفسي .

صفات المنطوى والمنبسط :

أود أن أخرج من حيز التجريد والتعميم إلى مجال الوقائع الملموسة ، وإلى الإشارة إلى وحدات السلوك الفردية الجزئية التي تميز السلوك المنطوي والمنبسط ، فأعرض صورة لنماذج من سلوك كل منهما .

الصفات الجسمية :

فعلى المستوى الفسيولوجي ، لوحظ أن المنبسط ترتفع عنده القدرة السمعية ، وأنه أكثر تأثيراً بحالات نقص الأوكسجين في الدم ، وأنه يميل إلى الحركة والحيوية والنشاط ويؤثر المناشط الحركية : كالرحلات والألعاب الرياضية وتسلق الجبال ، ولا يجد صعوبة في القيام « بدور العسكري » . وقد أشار البعض إلى العادات النوعية للمنبسط على أنه يتحدث بثقة ، يفتح منديله

المنطوي ثم بثقة وضوضاء ينفض أنفه ، يبصق على بعد مسافة طويلة ، يعطس بصوت مرتفع . وعلى المائدة يشغل حيزاً كبيراً ، يجلس في المقدمة ، يمشي بصدره منتفخاً ، إذا ما جلس يضطجع على كرسيه واضعاً رجلاً فوق أخرى ، يضع قبعته فوق أحد حاجبيه وكأنه يكتفي بالرؤية بعين واحدة ، ويصف البعض المنطوي بأنه يمشي متهيباً متمهلاً في خفة ونعومة وكأنه يخاف أن يلمس الأرض ، يسير وعيناه منخفضتان لا يجرؤ على الحملقة في وجوه المارة . إذا ما جلس فإنه يضع نفسه خلف المتحدث خلسة ، قبل أن يتحدث يستجمع ما يريد أن يقوله أولاً ، يهرب إذا شعر أن العيون ترقبه ، يجلس وكأنه لا يشغل حيزاً من المكان ، يكبس قبعته في رأسه كي تخفي وجهه ، ينكمش ويتضاءل وهو ينظر لساعته ، إذا ما سألته الجلوس جلس فقط على حافة المقعد في حذر ، وإذا ما تحدث فبصوت منخفض ، ينتظر حتى يصبح وحده فيعطس ويبصق تقريباً فوق نفسه .

وفي الحالات المتطرفة من الانطواء ، نجد الفرد قد أهمل مطالب جسده ، ومطالب المجتمع الذي يعيش فيه .

أما فيما يتعلق بالناحية الجنسية لدى كل منهما ، فالمنطوى أكثر شعوراً بالذنب نتيجة لتأثره بوصايا الوالدين ، وعلى ذلك فإنه يحاول أن يخفي سلوكه الجنسي ويحيطه بالسرية التامة. وعلى ذلك تظهر بعض حالات الانحرافات الجنسية لديه ، فيؤثر الخيال الوهمي ، ويفضل قراءة القصص العاطفية على العلاقات العاطفية الواقعية ، ويستجيب لأفلام العشق والغرام ، ولا يشارك في حفلات الرقص أو في مناشط الأندية ، له أصدقاء على قلتهم من نفس الجنس فقط .

وقد ذهب بعض الكتاب إلى نعته بالتأنيث والنعومة عامة . كذلك ذهب البعض إلى القول بأن المنبسط يميل في الأغلب إلى البدانة وامتلاء الجسم ، بينما المنطوي يميل إلى النحالة .

الصفات العقلية :

يميل المنطوي إلى تحليل نفسه ونقدها ، ويكثر التفكير في الصغائر

والدقائق ، ويتصف تفكيره بالذاتية وعدم الموضوعية ، فقد ينعكس العقل على ذاته ، فيكثر التأمل في ذاته وفي مشاعره وإحساساته وآلامه وآماله .. يميل إلى الخيال الجانح ، والاستغراق في الأوهام ، وتستولي عليه أحلام اليقظة التي يحقق فيها آماله وتطلعاته التي يعجز عن تحقيقها في عالم الواقع ، فتجده يحارب وينتصر ويجمع الثروة ويحرز النجاح والتقدم في عالمه الخيالي .. كذلك إذا كان لنا أن نقارن بين تفكير المنطوي والمنبسط ، وبين ألوان من الفكر الفلسفي الحديث ـ فالمنطوى مثالي ، رمزي ، ذاتي ، نظري . بينما المنبسط واقعي ، عملي ، تجريبي ، حسي . كذلك نجد المنطوي يفضل المناشط والألعاب العقلية الداخلية ، بينما المنبسط يفضل المناشط الرياضية والحركية .

الصفات الانفعالية :

تظهر ظاهرتا الانطواء والانبساط أكثر ما تظهر في الميدان العاطفي الانفعالي . فالمنطوي يؤثر العزلة والاعتكاف ويحب الانفراد ، ويميل إلى التهيب والخجل والحساسية المفرطة .

يغلب عليه التردد فيفكر كثيراً فيما يعمل قبل أن يبدأ ، كثير الارتياك والحيرة ، كثير الندم والتحسر على ما فات ، حساس للنقد والإهانة ، يأخذ كل شيء مأخذاً شخصياً ، شكاك في نيات الناس ودوافعهم ، كتوم يحتفظ بأسراره لنفسه ، يكبت عواطفه وانفعالاته ، يحدث نفسه ، ويشغله كثيراً ما يظنه الناس فيه . أما المنبسط فإنه سريع التكيف للمواقف الجديدة ، سريع التعارف على الناس ، سريع الاستجابة ، لا يعبأ بالنقد ، غير مفرط الحساسية (لا يؤذيه النقد) .

وفي هذا الصدد يقول يونج «هناك طائفة من الناس في لحظات استجاباتهم لموقف معين في البداية ينسحبون إلى الوراء ، وكأنهم يهمسون بكلمة « لا » غير مسموعة ، ثم بعد ذلك يبدأون في رد الفعل .. وهناك طائفة أخرى من الناس الذين يقابلون نفس الموقف بأقدام واستعداد أولي للاستجابة ، وكأنهم واثقون أن سلوكهم صواب بداهة ، وعلى ذلك فإن رد فعل المنطوي يتصف بالسلبية ، بينما يتصف المنبسط بالإيجابية والثقة والتفاؤل والانشراح والجرأة ، ويميل إلى كثرة التحدث وحب الظهور ، ويمتاز بسهولة التعبير اللفظي عن نفسه .

الصلة بينه وبين العالم الخارجي وثيقة . فالقيمة الكبرى عنده للموضوع الخارجي وليس للذات ، وإذا ما حدث خلاف بينه وبين العالم الخارجي ، فإنه لا يستسلم بالانسحاب ، ولكنه يتعارك وإياه ويجادله حتى ينتصر ، ويحاول إعادة تشكيل الموقف الخارجي حتى يتلاءم وإياه . أما المنطوي فذات السيادة عنده هي الضرورة الذاتية الداخلية الباطنية ، ولا تظهر عواطفه وانفعالاته بسهولة ، لا يعقد صداقات بسهولة ، ولكن إذا عقدها فتتصف بالعمق والـولاء والإخلاص والوفاء .

يميل الانبساطيون إلى التفاؤل والتحمس ، على الرغم من أن تحمسهم دائماً لا يدوم طويلاً . فالمنبسط يعقد صلات مع الناس بسرعة ، ولكنه يقطعها بسرعة أيضاً ، فهو راغب في كل جديـد ، وله صـلات بكلا الجنسين وبكـل الأعمار ، ويقتحم المحادثات في جرأة وجسارة .

يسير في حياته بلا خطة موضوعة وبلا طموح كبير ، يأخـذ الحياة كمـا تأتي ، ويستمتع بكل دقيقة إلى منتهاها دون الإمعان في التفكير في المستقبل ، وكأنه يتمثل بالقول : لا تشغل البـال بماضي الـزمان ، ولا بـآت العيش قبل الأوان ، واغنم من الحاضر لذاته .

أما المنطوي فهو صوفي حالم تجول في رأسه الأسئلة الميتافيزيقية .

الصفات الاجتماعية :

تؤدي رغبة المنطوى في العزلة إلى ضيق دائرة أصدقائه وأعدائه أيضاً ، فهو قليل الأصدقاء ، قليل الأعداء ، فهو يؤثر العزلة على الاختلاط ، والفكر على العمل ، يشعر بالعزلة والضياع في وسط المجتمعات الكبيرة ، يدفعه حسه المفرط إلى الخوف من أن يكون مثاراً للضحك والسخرية ، ويميل إلى أن يكون حي الضمير مؤدب وناقد ، ومن ثم لا يظهر مواهبه ، وعلى ذلك فإنه يهمل ، ويحرز نجاحاً أقل من زميله المنبسط . وبسبب عدم انخراطه في المجتمع ، فإنه غالباً ما يدين بلون شـاذ من العقائـد ، وعلى الرغم من عـدم تمتعه بـالبريق الاجتماعي ، وعدم سعيه إليه ، فإنه إن عقد صداقات فإنها تتسم بالعمق .

ولقد دلت الدراسات الحديثة على أن المنطوي يختار مثالـه الأعلى من

نماذج من الأدباء ورجال الدين . أما المنبسط فإنه يختارها من العلماء وأصحاب الصناعات . ولكن قد يحدث العكس حين يختار المنطوي أحد أبطال المخاطرات حيث يبدي رغبته في تقمص شخصية تمتلك ما يفتقده هو .

المنبسط يشارك في الحفلات الاجتماعية ، وحفلات الرقص ويقبل عليها بلا خجل أو ارتباك ، فخور بنفسه ، مهتماً بهندامه . أما المنطوي فإنه لا يهتم بهندامه طالما أنه لا يجلب عليه انتباه الآخرين ، يستمتع بالاستغراق في الاستبطان والافكار ، ويؤذيه الإحباط والفشل ، ويفكر في آلام الناس ، ولا يستطيع أن يقوم بدور ما على خشبة المسرح ، كما لا يمكنه أن يقلد أصوات أو حركات الناس أمام مجموعة كبيرة ، ويميل إلى الخضوع . أما المنبسط فهو يحب القيادة والزعامة .

بين الانطواء والانبساط :

هذه اللمحات عن صفات كل من الانطواء والانبساط ، تجعلنا نتساءل : أيهما أفضل ، أننبسط أم ننطوي ، أو بعبارة أخرى أن نربي أبناءنا في المدارس على الانطواء أم على الانبساط ؟ .

يعيب المنبسط ميله نحو السطحية والتفاؤل المفرط ، وافتقاره إلى النقد الذاتي ، وعدم الحساسية وتبلد الضمير ، واعتقاده أن التأمل « علة نفسية » . ويعاب على المنطوي عزلته التامة وأنانيته ، وشكه وارتيابه ، وفتور عاطفته ، وانسحابه من المجتمع .

وفي الحضارة الغربية الحديثة ، يفضل الاتجاه المنبسط ، حيث يوصف صاحبه بعبارات مشجعة ، مثل اجتماعي إيجابي نشيط ناجح . . . وهكذا . ويزعم بعض علماء النفس أن الشرق على العكس من الغرب ، يشجع الاتجاه الانطوائي . ولقد ذهب بعضهم إلى القول : أن الحضارة الإسلامية تشجع على الانطواء ، بينما المسيحية الغربية تحصن على الانبساط .

وفي الرد على مثل هذا الزعم نقول : أن الإسلام دين دنيا وآخره ، ويجمع الروحانية والواقعية . والمواطن المثالي في نظر الإسلام هو المواطن العامل المنتج غير المتواكل ، فهو يحض الناس على المشاركة الاجتماعية ،

كصلاة الجماعة ، والحج ، ويدعو إلى التعاون والمؤازرة ، والأخذ والعطاء ، « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

في ردي على هذا التساؤل : أيهما نختار ؟

أود أن أسترجع قول أرسطو : الفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيلة . إفراط وتفريط . الوضع المثالي أن نكون وسطاً بين الانطواء والانبساط ، أن نأخذ بقدر من كل ، وأن نربي أطفالنا في مدارسنا وبيوتنا على الاعتدال والتوسط ، ولكن كيف يتسنى للمدرس هذا الجمع ؟ . يقودنا ذلك إلى ضرورة معرفة الأسباب المؤدية لكل من الانطواء والانبساط .

الأسباب التي تؤدي إلى الانطواء والانبساط :

يذهب بعض علماء النفس إلى القول بأن ظاهرتي الانطواء والانبساط ، ترجعان إلى عوامل فطرية وراثية ، وحجتهم في ذلك أن التمييز بين السلوك المنطوي والمنبسط يمكن ملاحظته في الطفولة المبكرة ، حيث تظهر على الطفل المنبسط دلائل سرعة التكيف مع البيئة ، وانتباهه الزائد نحو الأشياء المحيطة به ، خاصة نحو تأثيره عليها ، فهو يتحرك ويلعب ويعيش وسط الأشياء في ثقة وجراءة ، ويدرك ما يحيط به إدراكاً سريعاً ولكنه عشوائياً ، وإن كان أقل خوفاً من الطفل المنطوي ، فإنه ينمو أسرع منه ، ويختلط بالأشياء فلا يستشعر حدوداً تفصله عنها ، وهو يدفع نفسه إليها ، ويخاطر بنفسه في استكشاف ما تقع عليه يديه . أما الطفل المنطوي فإنه يميل إلى الخوف والتردد ـ ويعكف عن المواقف الجديدة ويقترب منها في خوف ، وترقب . ويذهب دعاة الوراثة إلى القول بأن هاتين الظاهرتين تحددهما أيضاً عوامل داخلية فسيولوجية كإفرازات الغدد الصماء ، والجهاز العصبي المركزي وبعض التفاعلات الكيماوية والتغيرات التي تطرأ على الهرمونات وعمليات الأيض والتمثيل المختلفة ، ومن ذلك ما وجدوه من تحول الانطوائي إلى السلوك المنبسط إثر تناول جرعات متتالية من الكحول ، وقد وجدوا أنه كلما زادت درجة انطوائية الشخص كلما زادت كمية الكحول اللازمة لتحويله إلى السلوك المتحرر ، كما وجد أن المنبسط رأسه سهلة التأثير بالمشروبات الكحولية حيث تكفي كميات قليلة لتحويله إلى حالة فقدان الوعي التام ، ولقد وجدوا أن المورفين والشاي والقهوة والأفيون تجعل

الفرد ينزع إلى الحساسية والانطوائية ، كذلك ذهبوا إلى تدعيم أثر الوراثة بما لاحظوه من ارتباط بين البدانة والانبساط والنحالة والانطواء . وفي الرد على هذا الزعم نقول أن الملاحظة تدحض هذا ، والأدلة على ذلك ما لوحظ من أن أبناء البيئات الريفية أكثر انطواء من أبناء الحضر وأبناء الطبقات الفقيرة أكثر انطواء من أبناء الطبقات المتوسطة والعليا .

كذلك لوحظ أن التوأم الذي يتربى مع أمه يكون أكثر انبساطاً من زميله الذي حرم منها ، كذلك يميل الطفل الوحيد أن يكون منطوياً . وتعتمد هاتان الظاهرتان اعتماداً كبيراً على ما يلقاه الطفل من معاملة المحيطين به فالطفل الذي يحرم من إشباع حاجاته الأولية والذي يجد صداً دائماً من قبل الكبار حين يريد التعبير عن نفسه لا بد وأن ينزع إلى الانسحاب . كذلك وجد أن مواقف الإحباط التي يتعرض لها الطفل في المدرسة تشعره بالألم . ومن ثم فإنه يتفادى هذا الإحساس المؤلم بالانسحاب كإحدى الحيل الهروبية من المواقف غير المرغوب فيها . كذلك العكوف على توجيه النقد الهدام للطفل وذمه وبخس قدراته من شأنه أن يقوده إلى الشعور بالنقص وعدم الثقة بنفسه . ومن ثم يلجأ إلى الانطواء وكذلك التربية الإتكالية حيث يحرم من الفرص التي يتمرس فيها على تحمل المسؤولية والقيام بأدوار قيادية ، من شأنها أن تدفعه إلى الانزواء في المناسبات التي تتطلب مثل هذا السلوك ، كذلك غلق الطريق أمام الطفل للتعبير عن نفسه من شأنه أن يقوده إلى الصمت والاستغراق في الأحلام . والتسلط على الطفل والسيطرة عليه والإفراط في القسوة والعنف والكبت والحرمان والإهمال والمعايرة والتوبيخ وما إلى ذلك ، له أثر في اتجاه الطفل نحو الانطواء أو الانبساط . وللمدرس وأسلوب التربية أكبر الأثر في هذا .

الواقع أننا لا نستطيع أن نزعم أن الانطواء والانبساط اكتساب صرف ، أو وراثة محضة . ولكن الإنسان ابن الوراثة والبيئة معاً . فالوراثة تضع البذور وتحدد الإطار العام الذي لا يمكن أن تتعداه العوامل البيئية . فالبيئة لا تخلق من العدم ، والوراثة وحدها لا تجدي . . أننا لا نستطيع أن نحول الأقزام إلى عمالقة ، ولا البلهاء إلى عباقره . ولكن بذور البرتقال مثلاً تحتوي على شجرة برتقال ، ولا تستطيع تربية كائنة ما كانت أن تخلق من بذور التفاح برتقالاً .

كـذلك التـربة الصـالحة لنمـو البرتقـال قد تكـون من العوامـل المعوقـة لنمو التفاح . . . وهكذا فإن البيئة تصقل وتوجه النمو، تسمح بالذكاء مثلاً أن يخبو أو يظهر ثم توجه سيره وطريقه ، فأما تفوق في العلم أو في « الجريمة » .

إذا قبلنا أن الشخصية الإنسانية محصلة لتفاعل مجموعة العوامل الوراثية والبيئية ، يبقى تحديد الأهمية النسبية لكل منها أمر بالغ الصعوبة . . على أنني أميل إلى استخدام لفظ الوراثة بمعنى كل ما يولد مزوداً به الـطفل ، أو على القليل ما توجد جذوره عند ميلاد الطفل . . ولست أعني بها فقط مجرد الانتقال من الآباء إلى الأبناء . ذلك أن الرحم وما يقع عليه من تغييرات خارجية وداخلية يعد بيئة للطفل . وإن ميلاد الطفل ليس إلا مـرحلة جديـدة من مراحـل نموه (فقط) . فكل ما هو غير مكتسب أو متعلم فهو فطري . فالتهشات التي قد يتعرض لها مخ الطفل أثناء الولادة المتعسرة ليست مكتسبة ، وليست منقولة عن آبائه . لكنها ذات تأثير بالغ على شخصيته . هذا قد يبرر ما لوحظ من أن بعض أفراد الأسرة الواحدة قد يكون منطوياً بينما البعض الآخر منبسطاً . ولتوضيـح صعوبة تحديد ما هو وراثي وما هو مكتسب : هب أن أماً منطوية أنجبت طفلاً ولوحظ على سلوكه بعد أن بلغ سناً تسمح لنا بملاحظته أنه أيضاً منطوي . هنا لا نستطيع أن نجزم بأنه ورث انطوائيته ولم يكتسبها لأنه يحتمل أن تكون الأم قد ربته على القيم الانطوائية وغرست فيه السلوك المنطوي ، وأن يكون هو قد نقل عنها تقليد الانطواء . أن تجد في أصحاب الوراثة الواحدة ـ كما هو الحال في التوأم العينية ـ أن العوامل البيئية عندهم متشابهة إن لم تكن موحدة على أننا في قبولنا للدور الوراثي يجب أن نقرر أن هذا الدور مشروط بنوع السمة . فالسمات الفسيولوجيـة يغلب عليها العـامل الـوراثي ، بينما السمـات الخلقية والنفسيـة كالاتجاه نحو الأسرة أو نحو العروبة فهي خاضعة للتعليم والاكتساب والواقع أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن كثيراً من السمات والقدرات التي كان يظن أنها محدودة بعوامـل وراثية صرفة ، أمكن تعديلها . ففي الذكاء مثلاً أمكن تعديل مستوى بعض الأفراد عن طريق وسائل تربـوية صـالحة ، وعن طـريق تحسين التغذية ، واستخدام وسائل وقائية وعلاجية معينة . .

كـذلك دل البحث العلمي على أن الأمـراض الطويلة ، والإدمـان على

المخدرات ، وحالات سوء التغذية ، والحوادث وما إليها تؤدي إلى انخفاض نسبة ذكاء الفرد .

الاتجاه في البحوث النفسية الآن هو تعضيد أثر العوامل المحسوسة الملموسة . أننا لا نستطيع أن نفسر السلوك الانطوائي لشخص ما بمجرد القول بأنه « ورث » هذا أو بأن ذلك راجع إلى « غريزته » . كما أننا لا نستطيع تفسير السلوك المنحرف مثلاً لدى طفل ما بالقول بأن « الإجرام في دمه » أو أن غريزة المقاتلة هي التي تدفعه إلى ارتكاب الجريمة أو أن العوامل العصبية هي المسؤولة عن هذا السلوك أو ذاك . أننا لا نستطيع أن نعزي السلوك إلى عوامل غيبية في داخل الفرد ، لأن ذلك يغلق باب البحث عن العوامل الحقيقية المسؤولة عن السلوك والتي يمكن ملاحظتها وقياسها والتحكم فيها وتعديلها . وعلى ذلك فلتقرير العوامل المسؤولة عن سلوك ما ، لا بد وأن نبحث في بيئة الفرد الاجتماعية والمادية ، وفي تاريخيه المرضى والنفسي ، وفي قدراته الحقيقية التي يمكن قياسها .

أما القول بالغريزة أو « بالقدر » أو بالوراثة ، فإنه يسد الطريق أمامنا في علاج الشخص أو تحويله أو التنبوء بسلوكه . ولكن تفسيرنا لسلوك طفل ما داخل حجرة الدراسة ، سلوكاً هروبياً بالقول بأنه ضعيف في القدرة على القراءة ، ومن ثم يتحاشاها حتى لا يكون مثار سخرية زملائه . . مثل هذا التفسير يضع أيدينا على عامل واقعي حقيقي ملموس يمكننا التحكم فيه وتعديله عن طريق تدريب الطفل على عمليات قراءة إضافية ، ومن ثم تحويله إلى الاعتدال .

وبذلك يصبح المجتمع والتربية والإرشاد النفسي ، قادرين على القيام بعمل إيجابي لتحقيق مزيد من التكيف للفرد .

كذلك فإني أود أن أشير إلى أن ما يوجد بين ظواهر الانطواء في بعض السمات الأخرى ، كالخجل أو الخوف من ارتباط ليس بالضرورة دليلاً على أن أحد الظواهر المترابطة سبباً في وجود الآخر . فالعلاقة الارتباطية ليست بالضرورة علاقة سببية أو عليه ، فقد يرجع العاملان المرتبطان إلى عامل ثالث مسؤول عنهما . فالقول بأن هذا الطفل منطو لأنه نزاع إلى الخوف ، أو أن الخوف والانطواء مرتبطان ، لا يدل على أن الخوف سبب الانطواء .

وكذلك تجدر الإشارة إلى أن العوامل المكونة للشخصية الإنسانية . ليست مطلقة في أثرها على السلوك . فالعامل الواحد قد يؤدي إلى أكثر من وظيفة ، أي أن العامل الواحد تختلف وظائفه باختلاف العوامل المتقابلة معه أو المواقف المحيطة بالفرد . فالذكاء قد يقود إلى الانبساط ، ولكن إذا ما وضع طفل لامع الذكاء وسط مجموعة أقل منه ذكاء ، فمن المحتمل ألا يجد رغبة واشتياقاً في مشاركتهم في مناشطهم . كذلك إذا وضع الفرد في مجموعة لا تنتمي إلى طبقته الاجتماعية أو سنه ، فإنه ربما يميل إلى الانطواء . كذلك الذكاء الخارق قد يقود صاحبه إلى العكوف على العلم والقراءة والبحث والابتعاد عن ضوضاء المجتمع . ولذلك يجب على الإدارات التعليمية والتربوية أن تقسم التلاميذ إلى مجموعات متجانسة .

فكرة وجود وظائف مختلفة للعنصر باختلاف العناصر المتحدة معه ، ليست غريبة في عالم الكيمياء مثلاً .

وعلى الجملة فإن الوراثة تعطي المادة الخام التي تشكلها البيئة وتصقلها وتحدد كم وكيف نموها ، ما ينطبق على البيئة الاجتماعية المحدودة التي يلاقيها طفل ما تتصف بالدفىء والحنان ، أو القسوة والإهمال ، ينطبق على الفلسفة الاجتماعية برمتها . فالمجتمع الدكتاتوري الذي تتحكم فيه القلة وتحرم الأغلبية الساحقة من الإشباع ومن التقدير الاجتماعي ، يؤدي إلى انسحاب هذه الأغلبية وميلها نحو السلبية . أما المجتمع الذي يؤمن بالأخذ والعطاء وتكافؤ الفرص وعدالة توزيع الثروة والسلطة والإدارة والأعمال ، وروح الانتماء إلى المجتمع الأكبر ، وإلى احترام الملك العام والصالح العام .

ويجب أن تنمو في المواطن روح الإيجابية والاهتمام بالمشروعات العامة ومناقشتها ، والمساهمة في بنائها ، وفي تعميم نفعها ، ويتأتى ذلك عن طريق تربية الفرد على إحساسه بقيمته وبدوره في العمل والإنتاج والتخطيط والتقويم . ويرسخ هذا الشعور عندما يرتد عائد عمله وجهده إليه بصورة عملية .

والتربية هي التي تشعر الفرد بالكرامة والحرية والاستقلال ، وتحميه من الشعور بالسخرة والاحتكار والضياع . أن النشأة على أساس احترام مبادىء الأخاء والمساواة والعدل ، تجعل الفرد ينشأ متكيفاً متخلصاً من مشاعر

السخط والكراهة ، ومن مشاعر النقص والحرمان . وبالتالي من النزوع إلى الانسحاب والانطواء .

أن النظم الاجتماعية التي يكافأ فيها الفرد على عمله وجهده ، لا يشب الفرد على مشاعر الظلم والاضطهاد . كذلك للفلسفة الاجتماعية التي تؤمن الفرد على حياته ومستقبله ورزقه ، تحميه من الشعور بالقلق والتوتر والخوف ، وهذه من العوامل المؤدية إلى الانطواء .

والمجتمع الذي يستهدف إتاحة الفرصة أمام أكبر عدد من أبنائه لكي ينالوا أعلى قدر ممكن من التعليم ، يشجعهم على أن يمارس كل فرد حقوقه في الحرية والكرامة والقيادة والمشاركة بأعلى درجة من الوعي والكفاية .

والتربية هي أداة المجتمع ووسيلته في صنع المواطن الصالح الذي يتمتع بالتكيف والانسجام مع نفسه أولاً ومع أسرته ومع مجتمعه الأكبر . والتربية في المجتمع العربي لا بد وأن تكون تربية ديمقراطية تتيح للفرد حرية الفكر والكلمة ، والتعبير عن الذات ، وحرية الاشتراك الفعال في إدارة شؤون نفسه .

سيكولوجية النظافة

أصبحت النظافة مشكلة من المشكلات العامة ، التي ينبغي التصدي لها بالعلاج الحاسم ، ولقد أصبحت الشوارع والميادين التي كانت نظيفة من قبل متربة ، ومملوءة بالحفر ، وأصبحت من الشائع أن ترى كومات القمامة في أماكن ما كانت توجد فيها من قبل .

والنظافة سواء النظافة الشخصية أو العامة ، عادة طيبة حض الدين عليها فجعلها من علامات الإيمان ، وفرض الإسلام الوضوء لتعويد الطفل منذ صغره على نظافة جسده وطهارته . وتلعب الأم والأب دوراً هاماً في تعويد الطفل على النظافة ويخطىء من يظن أنها مسألة إمكانات ، وأن نقص هذه الإمكانات هو الذي يحول دون نظافة المدينة وشوارعها ومبانيها . ذلك لأن هناك من المليونيرات من يؤسس عمارته وينفق عليها بسخاء الآلاف ثم يترك الحفر التي نجمت عن وضع أساس عمارته ، ويهدم الأرصفة ويتركها دون إصلاح فهل تعجز إمكاناته عن رد الأمور إلى ما كانت عليه ، وذلك أضعف الإيمان .

وسكان العمارة تجدهم من أرباب المراكز المرموقة والدخول المرتاحة ومع ذلك تشعر بالتقزز وأنت تصعد درج السلم وتمر على أبواب الشقق حيث تصطف صفائح القمامة التي تنبعث منها الروائح الكريهة ، ويحوم فوقها جيوش كثيفة من الذباب . وفي حالات أخرى تجد محتويات تلك الأوعية وقد بعثرتها القطط والكلاب .

ولا يحتاج تنظيف السلم ومدخل العمارة إلى اعتمادات وموازنات مالية ، إنها مجرد عادة إذا تكونت كان الشخص نظيفاً في نفسه وفي منزله وفي عمله .

تجده لا يرتاح ولا يهدأ له بال إلا إذا نظف حوله ، وجعل الروائح العطرة تنبعث في كل مكان .

وهناك من لا ينتج إلا إذا وضع الزهور والعطور والرياحين أمامه . وإذا كانت ربة البيت تخجل من تنظيف السلم أمام الهابطين والصاعدين فأنها تستطيع أن تفعل ذلك بعد أن تهدأ حركة المرور على السلم في الساعات المتأخرة من الليل . إذا تعود الطفل منذ الصغر على نظافة كتبه وكراساته وملابسه ، فإنه يتعود على النظافة العامة . نريد أن نسعد كلما تجولنا في شوارعنا الجميلة .

النمو واضطرابات النطق والكلام

النمو اللغوي والكلامي Language development :

للنمو اللغوي أهميـة كبيرة في تعلم الـطفل في المنـزل وفي المدرسـة والحي . والتعليم من خـلال وسائـل الأعلام الأخـرى ، لأن اللغة هي ، في الواقع ، أسـاس الاتصال الاجتمـاعي Social commnunication . أن وظائف البناء الاجتماعي والإنتقال الثقافي Transmission of culture من جيل إلى آخر تعتمد على اللغة . إن اكتساب الكلمات أساس لعملية التجريد obstraction ، وتكوين المفاهيم concept formation بل وكل التعلم الأعلى والعمليات العقلية العليا كالتفكير والتخطيط والاستدلال والانتباه والتذكر والحكم . أن تعلم فهم واستعمال اللغة يمثل فرصاً جديدة للنمو النفسي psychological growth والفشل في اكتسـاب مهـارات الاتصـال أي الكـلام والفهم والقـراءة والكتـابـة يعـوق handicaps النمو المعرفي الفعلي العام للطفل genral intellectual and cogni-tive development أن عملية اكتساب اللغة ليست بعد مفهومه تماماً ، ولكنها تتأثر تأثراً كبيراً بالظروف البيئية environment conditions وبالتعلم ، ولكن مع ذلك هناك كثيـراً من اللغويينLiguists الـذين يشعرون أن نـظريات التعلم لا تستطيع أن تفسر تفسيراً كـاملاً النمـوالسريـع والمعقد والمـدهش في اكتساب المفردات واكتساب القواعد النحوية وبناء الجمل والمعاني semantics .

أن القدرة على النطق To vocalize أي نطق الأصوات الأولية تنتج من النضج العضلي العصبي neuromuscular maturation ولكن على الطفـل أن يتعلم استخدام اللغة في الاتصال مع الآخرين ولفهم كلامهم وللتفكير .

ويبدأ الطفل في فهم اللغة أي يعمل الارتباطات بين الألفاظ وما تمثله في أواخرِ عامه الأول وأنه ينطق بأول كلمة في نهاية العام الأول .

وفي الشهور الثلاثة التي تلي اكتساب الطفل لبضعة كلمات فإن النمو يأخذ في التباطؤ . ويبدو أن الرضيع يركز اهتمامه في اكتساب المهارات الحركية motor kills كالمشي وارتياد مجاهل البيئة واستكشافها exploration ونسبياً يهمل اللغة ، ولكن بعد هذه الفترة يحدث التحسن السريع . وفي إحدى الدراسات تكلم طفل العامين بـ٣٧ كلمة مختلفة ، ولا شك أن هذا المستوى يمثل الحد الأدنى للكلمات لأن الطفل يعرف كلمات أكثر عن هذه الكلمات عندما يتحدث تلقائياً عما يتكلم في مثل هذا الموقف الصناعي ، وكان المدى في الكلمات المتكلمة بين أطفال العامين واسعاً جداً (من ٦ إلى ٢٦ كلمة) . وتزداد قدرة الطفل الفعالة في المفردات أي في الكلام والفهم للكلمات ابتداء من العام[1] الثاني .

وباكتساب أعداد متزايدة من الألفاظ يصبح كلام الطفل أكثر دقة ، ويشبه كلام الكبار وأكثر قابلية للفهم وتزداد قدرته على فهم الأسئلة وعلى توجيهها .

يحدث تغير سريع في نمط اللغة في سنوات ما قبل المدرسة ، فالأسماء وحروف النداء interjections تكون ٦٠٪ من مجموع ما ينطق به الطفل في سن ١٨ شهراً .

وتقل هذه النسبة كلما تقدم في السن ، بينما يزداد في التكرار الضمائر والأفعال والصفات وحروف العطف والجمل في السن من ٢ ـ ٣ سنوات .

يتكون الكلام أساساً من الأسماء والأفعال والصفات ولكنه يتضمن قليلاً من الضمائر ولا يتضمن أدوات الوصل ، وعندما يصل الطفل إلى ٣,٥ ـ ٤ سنوات يصبح توزيع كلامه في محادثاته يقارب مثيله عند الراشد الكبير .

وبالتقدم في العمر تتسع دائرة مفردات الطفل ويصبح استخدام الألفاظ أكثر كفاءة ومرونة ويتحسن نطق الكلمات وفهمها وربطها . وبوصول الطفل سن ٨ سنوات لا يختلف نطقهpronunciation عن نطق الكبير . ويزداد طول الجمل وتصبح أكثر تفصيلاً وأكثر ضبطاً فطفل العامين يستخدم جملاً متوسط عدد كلماتها ١,٢ كلمة وبعد انتهاء مرحلة استعمال الجمل القصيرة ، وعندما يصل الطفل إلى سن ٤ سنوات يستخدم جملاً كاملة مكونة من ٦ ـ ٨ كلمات

وتصبح أكثر تحديداً وتعقيداً وتحتوي على مزيد من الكلمات العقلانية عن تلك المستخدمة في المراحل السابقة . ربما لا يعرف الطفل قواعد تركيب الجمل وأزمنتها ، ولكن حديثه يدل على أنه يعرف كيف يكون المفرد والجمع والماضي والمستقبل والعبارات المساعدة(١) .

ويختلف الكلام عند الأسوياء من الناس عنه عند المرضى فمحتوى كلام الشخص المصاب بفصام الشخصية Schizophrenia من الصعب تتبعه والعناصر الشكلية للحديث تتكون بطريقة غير طبيعية والخواص الشاذة تنعكس على لغته فتصبح متقطعة(٢) .

ويعتمد تعلم الطفل للكلام على التقليد imitation ففي السنة الأولى يعمل الطفل ضوضاء عن طريق الباعث الداخلي inner urge للتعبير عن توتره العصبي ، بالمثل كما تصيح البطة ، وبعد ذلك يقلد الأصوات التي تعملها الأم ، فالأم تقول زجاجة وهو يرددها دون أن ينسب أي معنى لهذا الصوت ، وبعد ذلك يتعلم كيف يربط بعض الأصوات sounds ببعض الأشياء ، ويربط صوت بآخر يصبح الصوت كلمة ، وبعد ذلك يتعلم استعمال اللغة اللفظية وعندما يريد الإشارة إلى ذلك الشيء ، ومعنى ذلك أنه اكتسب اللغة ، وعندما يريد مثلاً « معولـه » ليلعب به فإنه يستخدم كلمة تشير إلى ذلك(٣) .

وفيما يتعلق بنمو اللغة عند الطفل فالمعروف أنه يبدأ باستخدام النغمات البسيطة simple tones والإشارات gestures والمشاعر التعبيرية ـ expressive feelings وهذه توجد أيضاً عند الحيوان . ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأن الشعوب البدائية جداً لا يوجد لديها أفكار مجردة abstract ideas وبالتالي لا يوجد لديهم كلمات للتعبير عن هذه المعاني المجردة . بل لقد وجد أن الكلمات التي تستخدمها بعض القبائل المتأخرة جداً لا تعدو أن تكون بضعة مئات ، والمعروف أن الطفل قادر على صناعة الضوضاء ـ منذ اللحظة التي يوجد فيها على الأرض ، وبعدها يتمكن من عمل أصوات الحركة أو الصوائت Vowels أي الحروف المعتلة أو الشكلة فقط . في سن ٣ شهور يعمل الطفل أكثر من هذه الأصوات ، ولكنها عديمة المعنى ، ويصاحبها كثير من حركات الأيدي والأرجل والحركات العضلية musclar وهي حركات دائبة ، وبعدها

يستخرج الطفل صوت الصراخ أو البكاء cries كما لو كان الطفل يتحدث إلينا بلغة أجنبية أعجمية . وتعطي هذه الصرخات الكثير من اللذة للطفل . وهذه العادة تجعله يكرر مثل هذه الصرخات أو ذلك الكلام الغير متماسك . وعند بلوغ ١٢ شهراً يتعلم الطفل مادة اللغة . ويربط الأطفال المعاني للكلمات التي يسمعونها من الآخرين قبل أن يربطوا أي معان للكلمات التي ينطقون هم بها .

ومن سن ١٢ ـ ١٨ شهراً تبدأ أول أصول الكلام الحقيقي عند الطفل المتوسط ، ويكون استعمالها ضعيفاً في البداية وعدد الكلمات يكون محدوداً جداً وتقوم الكلمة الواحدة مقام العديد من الكلمات فكلمة « كلب » لا تعني فقط ذلك الكلب الذي تمتلكه الأسرة ، ولكن كل الحيوانات التي تشبه الكلب كالقط والأرنب . . الخ .

وفي بداية حياة الطفل تستخدم كلمة واحدة بمعنى جملة كاملة فهو عندما يقول « ماما » فإنه لا يعني ماما فقط وإنما قد يعني مثلاً .

ـ أعطني هذا يا ماما .
ـ ماما أحضري إلى هنا بسرعة .
ـ ماما ضعيني على المقعد .
ـ ماما أريد الطعام .

أول ما ينطق به الوليد هو صيحة الميلاد Ruith التي تصاحب مرور الهواء في الأوتار الصوتية في الحنجرة عندما تتمدد الرئتان لأول مرة في حياتهما . وبعد ذلك يصبح الصياح الاستجابة الطبيعية لأي مثير غير مريح .

والغريب أن الفروق الفردية تلاحظ في الأسبوع الأول بين الأطفال الرضع من حيث عدد ساعات الصياح وحدته ونغمته وارتفاعه . أن صياح الطفل الصغير تقريباً يرجع كلية إلى الحنجرة Laryngeal وفي خلال الأسابيع الأولى من الميلاد ولا يسمع إلا نادراً أصوات أخرى غير الصياح أو البكاء .

وبعد أسبوعين ينطق الطفل بأصوات مثل صوت الحمام أو النواح grunts and cooing ثم تزداد هذه في العدد والتنوع ، ثم تتدخل الأنف نسبياً ويمكن تمييز أصوات مثل أج ، نج ـ أنف ug ng unph ثم تظهر أصوات مثل (آه ـ ها ـ هاء ah- h- h- oo- o- o وبعد ذلك يظهر نمط متكرر مثل واو ـ أو) ah; ah-

ah ثم تتشكل الأصوات بعد ذلك الأسنان والشفايف والطفل الصغير أنفى في أصواته . وفي البداية يكرر الطفل نفس الحرف أو المقطع Syllable ثم تنوع هذه المقاطع بإضافة الحروف الصامتة والمتحركة أو الصوائت والسواكن con-sonantal and vounds ويضم هذه الأصوات في تراكيب جديدة ـ ويقضي الطفل كثيراً ، من وقت يقظته في هـذا « اللعب الصوتي » حيث يكرر (داـ داـ داـ دا da- da- da- da أو (نجى ـ نجى ـ نجى ـ ngee- ngee- ngee ويغير من نغمته في هذا الغناء ـ وذلك لكي يسلي نفسه فقط . وبسبب استجابات القائمين على تربيته يتحول الطفل من هذا التمركز حول ذاته ويقترب من الحديث فيصيح عند رؤية الأشخاص المعروفين لديه ثم يبدأ في إصدار كلمات أكثر تعرفاً فيقول مثلاً : داديل ـ داديل daddle - daddle - daddle وينوع من نغماته بحيث يشبه حديثه هذا الحديث المعبر ويصل إلى هذه المرحلة في نهاية العام الأول ، وبعد ذلك تتحول هذه « البرطمة » Jargon إلى حديث مفهوم ـ ويعتمد وصول الطفل إلى هذه المرحلة على النضج العضلي والعصبي .

ولقد أجرى الكاتب دراسة بسيطة على أنجاله الثلاثة لمعرفة عدد الكلمات العربية التي يمكن أن يسردها كل منهم في مدة ثلاث دقائق عن موضوع رحلة اشترك فيه ثلاثتهم ونوعية هذه الكلمـات وكانت النتيجة كما يمثلهـا الجدول الآتي :

الطفل	السن	م الكلمات في الدقيقة
طارق	١٣,٥	٦٥
هالة	١٠,٥	٥٥
هوايده	٦,٥	٤٧

ويتضح ازدياد عدد الكلمات بتقديم الطفل في السن ، كما لوحظ تمشي غزارة المفردات مع النضج العقلي للطفل .

والجدول الآتي يوضح أعداد الكلمات ونسبها موزعة على عناصر الكلام المختلفة بالنسبة لأفراد العينة الثلاثة :

الطفل	الكلمات	فعل		اسم		ضمائر		ظروف		حروف		صفة		حال	
		عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪
طارق	٦٤	١٨	٢٨	٢٠	٣١	٩	١٤	٢	٣	٣	٥	٨	١٣	٤	٦
هالة	٥٥	١٦	٢٩	١٤	٢٥	٥	٩	٧	١٣	٦	١١	٥	٩	٢	٤
هويده	٤٧	١٠	٢١	١٠	٢١	٧	١٥	٤	٩	٣	٦	٩	١٩	٤	٩
مجموع	١٥٦	٤٤				٢١		١٣		١٢		٢٢		١٠	

ويلاحظ أن أعلى نسب في حالة السن الكبير تقع في الإسم ثم الفعل ثم الضمير أما الطفلة متوسطة السن فإن تكرار الفعل يسبق الاسم ويلي ذلك الظروف أما الصغرى فالاسم والفعل عندها متساويان ويلي ذلك الصفات بالنسبة لمجموع الثلاثة فإن أكثر الكلمات المتداولة الأسماء والأفعال يلي ذلك الصفات والضمائر.

ويعرض كتاب « اللغة » لأحدث الطرق الآلية لدراسة الكلام وإدراكه ومن بينها استخدام أشعة إكس في مثل هذه الدراسة[1] .

دور التقليد في النمو اللغوي :

لقد كان الناس يعتقدون قديماً أن الطفل يتعلم الكلام عن طريق عملية التقليد الشعورية ، كما يفعل الراشد الكبير عندما يتعلم لغة جديدة ولكن علماء النفس الجدد يقولون أن التقليد يلعب دوراً هاماً في المراحل الأولى من نمو الطفل اللغوي فقط ، والنظرية الحديثة تقول أن تعلم عناصر الكلام لا يتم بالتقليد بل ينمو من خلال لعب الطفل الصوتي . وإن ما يتعلمه الطفل بالتقليد ليس تكوين الكلام ولكن مجرد اختياره لبعض التراكيب الصوتية عن الأشكال الصوتية المتنوعة الغنية التي تعلمها الطفل ذاته كما يقلد استعمالها كما يراها عند الآخرين في المواقف المختلفة . فيسير النمو من التنوع العام الشامل إلى التخصص الدقيق . وبحكم وجود العديد من المقاطع لدى الطفل فإنه بالصدفة قد يلفظ بحرف « بس » عندما يرى القطة وقد يحدث أن تقول أمه مسرورة أنه ينادي قطته « بوسي » ثم تحملها وتداعبها فيشعر بالفرح ، ويكرر هذا اللفظ كلما أراد مداعبة القطة . وهنا يربط الطفل بين اللفظ والشيء وهو أمر يختلف عن

مجرد تكرار بعض الكلمات لكي ينال الطفل الرضا الاجتماعي . والمعروف أن الطفل يستجيب للمثيرات الاجتماعية Social stim- uli .

عندما يصل عمره إلى بضعة شهور وبعدها بقليل يقوم الطفل بمحاولات لاكتساب الرضا الاجتماعي دون أن يكون هناك حاجة فيزيقية لديه في حاجة إلى إشباع . ويصبح الطفل ، بنهاية نصف العام الأول ، كائناً إجتماعياً حيث يتعلم القيام بالحركات التي تجذب إليه انتباه الكبار وتدليلهم وعندما يصل الطفل إلى عامه الثاني يتعلم النطق ببعض الكلمات التي يستعملها للحصول على موافقة الكبار ، وسرعان ما يكتشف الطفل أن لكل شيء إسماً فيسأل ما هذا ومن هذا . . الكلب . . . الولد . . . العربة . وهنا يستخدم الكلمة الواحدة لتعني جملة مفيدة « اللبن » يعني بذلك أطالب باللبن أو أعطوني بعضاً من اللبن . وإذا رأى بائع اللبن وقال مسروراً : « اللبن » فإنه يعطي معلومات عن قدوم بائع اللبن . ويطلق على هذه المرحلة مرحلة « الجملة الكلمة الواحدة Single- word sentence » .

هناك كثير من الدراسات التي استهدفت معرفة حجم المفردات التي يعرفها الطفل ، وتؤكد مثل هذه الدراسات وجود فروق فردية واسعة بين الاطفال في كم ما يملكون من مفردات لغوية . كما استهدفت معرفة نسب عناصر الكلام التي يستخدمها الطفل (الفعل والاسم والضمير والصفة . . . الخ) .

والجدول الآتي يوضح حجم المفردات عند ٢٧٣ طفلاً تتراوح أعمارهم من ٨ شهور إلى ٦ سنوات في دراسة سميث M. Smith .

العمر	عدد الكلمات	مقدار الاكتساب الشهري
٠,٨		
٠,١٠	١	٠,٥
١,٠	٣	١,٠
١,٣	١٩	٥,٣
١,٦	٢٢	١,٠
١,٩	١١٨	٣٢,٠
٢,٠	٢٧٢	٥١,٣
٢,٦	٤٤٦	٢٩,٠
٣,٠	٨٩٦	٧٥,٠

٣,٦	١٢٢٢	٥٤,٣
٤,٠	١٥٤٠	٥٣,٠
٤,٦	١٨٧٠	٥٥,٠
٥,٠	٢٠٧٢	٣٣,٧
٥,٦	٢٢٨٩	٣٦,٢
٦,٠	٢٥٦٢[١]	٤٥,٥

في النمو اللغوي يسبق البنات الإناث الذكور ، كذلك فإن أطفال الطبقات الاجتماعية والاقتصادية العليا أكثر تفوقاً من أطفال الطبقات الدنيا ، والطفل الوحيد يتقدم أكثر من الطفل الذي يوجد لديه أخوة وأخوات والتوائم تعمل تقدماً أقل من غير التوائم[٢] .

أثر الثقافة في النمو اللغوي :

وتتوقف مظاهر الشذوذ النفسي abnormalities على نوعية الثقافة التي يعيش في كنفها الفرد cultures فقد يختفي الشذوذ إذا لم يوجد في طيات الثقافة ما يستدعي أو يثير هذا الشذوذ أو يجعله يختفي عن الأنظار . ففي أحد المجتمعات الأفريقية يطلق عليه مجتمع البانتو Bantu كل شخص تقريباً في هذا المجتمع يتمتع بالطلاقة اللفظية « is fluent » ويعتبر متحدثاً لبقاً .

ولقد لاحظ جوردن براون Gordon Brown عليهم أن الاضطراب العقلي السائد بين شباب هذا المجتمع أن الشاب يحس أنه « متحدث لا ينتهي حديثه » Unable to become finished speaker أما في مجتمعنا فمن الصعب أن نتبين أن مثل هذا العجز في التوقف عن الحديث يسبب المتاعب للبعض اللهم في مناسبات قليلة ، فشل جونسون Johnson في بحثه في اللجلجة بين الهنود في العثور على أي مصاب باللجلجة stuttering ولقد أكد المعلمون أصحاب الخبرات التي تزيد عن ٢٥ سنة وجود هذه الملاحظة ، بل أنه لا يوجد كلمة تدل على اللجلجة في لغة هذه الجماعات الهندية . وربما يرجع هذا إلى أن التوترات tensions التي تؤدي إلى نشأة اضطراب الكلام speech disorder لا توجد وسط هذه الجماعات أو أن هذه التوترات عندما توجد يعبر عنها في أنواع

أخرى من الاضطرابات ، ومما يدل على أثر العوامل الاجتماعية في نشأة الاضطرابات النفسية فقد استخدم ترافس Travis في بحثه مجموعة من طلاب الجامعات الأمريكية الذين يعانون من اللجلجة ، وطلب منهم أن يكتبوا الكلمات المتتالية كما ترد فوراً إلى أذهانهم . طلب منهم آداء ذلك فردياً ثم جماعياً وكل جماعة مكونة من خمسة أشخاص في حالة الأسوياء وجد البورت ١٤ من كل ١٥ ينتجون كلمات متداعية أكثر في الموقف الجماعي ، أما في حالة اللجلاجين فقد أنتج ٨ من كل ١٠ أكثر وهم وحدهم بمفردهم ، أي أن الموقف الجماعي يمثل ضغطاً على الشخص المصاب باللجلجة . فالجماعة تعمل كما لو كانت السبب في النقص الاجتماعي في الآداء . بالنسبة للأشخاص المصابين الموقف الاجتماعي social situation والخبرة المؤلمة traumatic experience وبالمثل موقف المنافسة الجماعية بين الأفراد ربما يؤدي إلى انخفاض نتائج آداء الأفراد في العمل الذي يتطلب التعاون في إيجاد الحل[١] .

الفروق الجنسية والفردية في الكلام :

ولا تبدو القدرة على الكلام في سن واحدة عند جميع الأطفال ولكن هناك فروقاً فردية واسعة في الوصول إلى هذه المرحلة فهناك الطفل الذي يستطيع أن يتكلم في سن خمسة عشر شهراً والمعروف كذلك أن النمو اللغوي يسبق في حالة الأناث عنه في حالة الذكور فالأنثى تستطيع أن تتكلم قبل الذكر . وهناك طفل آخر يتمتع بنفس القدر من الذكاء ولكنه لا يتكلم إلا عندما يصل إلى سن العامين . بل أن هناك حالات لم تتكلم إلا عند بلوغ سن الثمانية سنوات . وفي سن ١٠ سنوات أصبحت فتاة من هذا النوع قادرة على الكلام بطلاقة . وتلعب الأسرة والمدرسة دوراً هاماً في تعلم الطفل الكلام الملائم وجعله أكثر دقة وأكثر تعبيراً . ويرتد الكلام الجيد إلى مخ المتكلم نفسه فيستمتع به .

ولقد وجد جونسون أن الأطفال اللجلاجين خضعوا لضغوط أكثر من غير اللجلاجين فيما يتصل بالفطام weaning pressures من الزجاجة إلى الكوب ، وفي التدريب على الإخراج ، وقررت أمهاتهم أنهن كن يستخدمن الأسلوب العقابي أكثر من الأسلوب التسامحي أو التعزيزي (تقديم المكافآت) . وكان آباء الأطفال المصابين أكثر قلقاً حول عدم الطلاقة في الكلام عند أطفالهم .

وقال أن اتجاه الآباء نحو أبنائهم أكثر دلالة في نمو أطفالهم عن أي شيء آخر يوجد داخل الأطفال أنفسهم .

ولقد استنتج أن هناك ثلاث عوامل في ظهور ونمو اللجلجلة .

١ ـ رد فعل المستمع وخاصة رد فعل الآباء لعدم طلاقة الطفل في اللغة Non-fluency in language .

٢ ـ درجة عدم طلاقة الطفل كما تقاس موضوعياً .

٣ ـ حساسية الطفل لتردده في الكلام ولاتجاهات الآباء وغيرهم من المستمعين نحو هذا التردد[١] .

منطقة الكلام في الدماغ Speech Area :

في القديم عندما كان علماء النفس يتحدثون عن ملكات لدى الإنسان تحدثوا عن ملكة أطلقوا عليها ملكة الكلام وقالوا أنها تربط الجسم بالعقل . وقالوا أن دراسة ملكة الكلام من أكثر الدراسات تشويقاً ذلك لأن الكلام من خواص الإنسان وحده ، وإن كان هناك بعض الكائنات التي تستخدم بعض الإشارات والأصوات للتعبير عن الذات . وإذا ما تأملنا في عملية الكلام لوجدنا أنه يتضمن حركات عضلية mascular movements وأعصاب حركية Motor nerves والإحساس السمعي The sens of hearing ثم عملية الاختيار العقلي mental volition .

ويعرف كل من يدرس الكلام أن وجوده هام في نمو العقل لدرجة أنه لا يمكن وجود أفكار مجردة أو يمكن اكتسابها بدون الكلام . ذلك لأن التفكير بدون الكلام سوف يصبح مبسطا وبدائيا . أما في المراحل العليا من نمو الكلام في الإنسان المتحضر فإنه يساعد في إخراج التعبير الخارجي autwtrvard expression لأكثر المعاني أو الأفكار تجريدا وأعظم مشاعر الإنسان عمقاً أو كثافة . وإذا ما نظرنا إلى الأساس الفسيولوجي والتشريحي anatomical basis فإننا نجد جل الخلايا العصبية التي تكون مركز الكلام في المخ The speech

centers تقع في النصف الأيسر من المخ . وعندما تتحطم هـذه الخلايـا عن طريق الأمراض أو الحوادث فإن المصاب يعجز عن التعبير عن نفسه بالكلام المناسب وبذلك يصبح أفيزي aphasic . وعندما تكون الإصابة شديدة أو خطرة تؤثر في مراكز السمع centers of hearing والرؤية sight فإن المريض لا يعاني فقط من العجز في الكلام ، ولكنه لا يفهم معنى الكلمات التي يسمعهـا من الآخرين ، ولا معنى الكلمات المطبوعة في الكتب ، كما يعجز عن الكتابة وعن فهم ما هو مكتوب . أن مجموعات الخلايا cells ترتبط عن طريق اليافهـا مع مراكز المخ العليا وتترابط أسفل بالمراكز الحركية الخاصة باللسان والفم والزور ويوجد في الخلايا آلاف الرموز والكلمات ، وعن طريق هذه الكلمات تستطيع مراكز المخ التعبير عن أكثر معارف الإنسان تعقيداً وكثافة . ونستطيع أن نتبين أن الكلام لا يوجد في الطفل عند الميلاد وأنه في ثنايا النمو البطيء للكلام يمكن أن يتخذ أي شكل ممكن فيستطيع الطفل أن يتعلم « العربية » بمفرداتها البسيطة أو يتقن الصينية ذات الحروف البالغ عددها ٤٣ ألف حرفاً . ومن هنا كان هناك ضرورة لتدخل العلم في تدريس الكلام وفي تحقيق الصحة الكلامية للطفل .

ويمثل نشاط الكلام أكبر امتزاج بين العمل العقلي والعمل العضلي ولذلك هناك حاجة إلى تدريب الطفل على الكلام الصحيح والـواضح(١) وتسهم في عمليـة الكلام كـل من العوامـل الوراثيـة والاستعدادات الـوراثية Hereditary aptitudes والعوامل البيئية Environmental factors وما يلقاه الطفل من تدريب Training هذه المنطقة من المناطق التي تم اكتشافها مبكراً نسبياً في المخ ، ولكنها ما زالت مثار جدال عنيف بين العلماء . ومنذ وقت مبكر (عام ١٨٦١) فحص طبيب الأعصاب بروكا The neurologist Broca مخ مريض من مرضاه كان يعاني من فقدان القدرة على الكلام Speech loss ووجد تدميرا damage في منطقة ما في جانب النصف الكروي الأيسر من المخ The left hemisphere .

ومنذ ذلك التاريخ وهذه المنطقة تعرف باسم منطقة بروكا للكلام وأسند إليها وظيفة الكـلام الحركي Motor speech أي التحكم في اللسـان tongue والفكين في أثناء الكلام ومؤدي هذا التفسير أن هذه المنطقة تقع في النصف

---

(١) Matley, M.E., the Development of disadersof upeech in childhood.

الكـروي الأيسر للنـاس اليمنيين أي الـذين يسيـطر عنـدهم النصف الكـروي المعاكس أي النصف الكروي الأيمن ، بينما توجد هذه المنـطقة في النصف الكروي الأيمن في الناس اليساريين The left handad people[1] ولكن عملية الكلام معقدة أكثر من مجرد حدوثها بهذه البساطة للنمو اللغوي أهمية كبـرى ذلك لأن اللغة هي التي تميز الإنسان عن الحيوان كما أن المعرفة تنتقل عبر الأجيال من خلالها ، ويسهم في دراسة اللغة كثير من العلماء : علماء النفس والفسيولوجيا والمتخصصين في أمراض الكلام والطب العقلي .(، وهناك أجزاء كثيرة من جسم الإنسان تتدخل في صدور الأصوات الملفوظة Vocal sounds من ذلك الحجاب الحاجز diaphragn والرئتين Luings وعضلات القفص الصدري Thorex التي تتضافر في إحداث عملية التنفس breathing حيث يضغط على الهواء للصعود في القصبـة الهوائيـة Windpipe وفي الأحبال الصـوتية Vocal Cords في الحنجرة أو في تفاحة آدم Larynx or Adam's apple وتظهـر في الرجال والصبية البالغين ، ولكنها لا تظهر بنفس الوضوح في النساء والبنات . والأوتار الصوتية عبارة عن غشائين Two membranes يمتدان في داخل الحنجرة بحيث لا بد وأن يعبر الهواء من بينها في عملية التنفس . ويفصل بينهما فتحة تسمى المزمار أو اللسان المزماري glottis ولهذين الغشائين قدرة كبيـرة على مقاومة الضغط ويتحكم فيهما سلسلة من العضلات muscles التي تنظم حجم اللسان المزماري ، فعندما تسترخي العضلات ويكون اللسان المزماري مفتوحاً فإن الهواء يمر من خلاله دون إحداث أي صوت . أما عندما تكون العضلات منقبضة contracted وتكون الأوتار الصوتية مشدودة فيصبح المزمار ضيقاً ويصبح فتحة صغيرة ، فإن الهواء المار يجعل الأوتار تتذبذب vibrates فتحدث موجات waves أو ذبذبات تخرج من الفم ، وبذلك تسمغ الأصوات الملفوظة . وتختلف كيفية النغمات وكثافتها وحدتها باختلاف عدد من العوامل كدرجة توتـر أو شد الأوتار الصوتية ومقدار الانفتاح فيما بينها وطول الأوتار الصوتية وحالة الرنانات resonators . الناتجة من التجـاويف في الصدر والـزور والأنف والفم وعظام

---

(١) Clouston, T.S., the Hygien of the Mind.

الرأس والحنجرة صغيرة عند النساء والأطفال وكذلك الأوتار الصوتية قصيرة ، ولذلك فإن أصواتهن عالية في حدتها . pitch .

والتغير الذي نلاحظه في أصوات المراهقين عند سن البلوغ Puberty يرجع إلى زيادة حجم الحنجرة ، وطول الأوتار الصوتية .

والكلام يتكون من تغيير الموجات الصوتية Sound waves عندما تمر عبر الأنف والفم عن طريق عمل حركات تقلصية من جانب اللسان والشفتين والأسنان وسقف الحلق الرخو soft paplate Tongue والحركات اللازمة لإنتاج الكلام المفهوم تتطلب تعاوناً خارقاً وتناسقاً كبيراً لهذه العضلات ، والتوقيت الدقيق والتواؤم والقوة في حركات العضلات لدرجة أن العجب ليس في حدوث الاضطرابات الكلامية ، ولكن بالأحرى في عدم حصولها بكثرة كثيرة . والمتحدث اللبق ينطق ما بين ٣٠٠ - ٣٥٠ كلمة في الدقيقة والمتحدث السريع جداً قد يصل إلى ٥٠٠ كلمة في الدقيقة ، وتتطلب هذه الكلمات ما لا يقل عن ١٠٠٠ حركة في الدقيقة . وهناك كثير من التآزر بين هذه العضلات وتلك الإجهزة يضاف إلى ذلك تغير النغمة والحدة والسرعة والنسق . بل أن تعلم الطفل للنطق بالكلمات في ضوء كل هذا التعقيد يحدث بسرعة فائقة .

الاضطرابات اللغوية والكلامية Speech and language disturbances :

يولد الطفل وهو خلو من كل معرفة ولكنه مهيأ لاكتساب المهارات التي تجعل منه كائناً اجتماعياً A/Social beimg ففي مرحلة الرضاعة قد يرفض الطفل الطعام كنوع من رد الطفل المضاد للآباء . والتدريب على التواليت أو قضاء الحاجة يمثل هذه الحرب بين الطفل والآباء كذلك يرفض الأطفال بعد ذلك تعلم التحكم الذاتي أو الضبط الذاتي Self - control كذلك هناك بعض الأطفال الذين يرفضون تعلم الكلام to speak أو في مراحل لاحقة أخرى يرفضون التخلي عن كلام الرضع bably talk والنطق الطفلي للكلمات infantile pronuciations وعند بداية الذهاب للمدرسة يرفض بعض الأطفال تعلم القراءة ، على الرغم من امتلاكهم الذكاء الضروري لذلك .

وفي حالة تعرض الطفل لبعض الاضطرابات الانفعالية يكون رفض الطفل تعلم ما يلح الآباء عليه لتعلمه هو السلاح الذي يستخدمه لمواجهة تناقضات

الكبار . ولا شك أن اضطرابات الكلام واللغة المقروؤة والمكتوبة تعوق نمو الطفل بل ونمو الكبير أيضاً .

هناك بعض الأطفال الذين يرفضون الكلام ويصابون بما يعرف باسم الخرس أو البكم النفسي mutism الذي ربما يستمر لمدة شهور أو أعوام كاملة ، ولهذا الاضطراب خطورته مثل هذا الرفض الكامل complete rejection لا هم وسيلة من وسائل الاتصال الاجتماعي Social communication يدل على وجود اضطراب انفعالي عميق في الطفل .

في السنوات الأخيرة لاحظ هذه الظاهرة كثير من السيكولوجيين في الأطفال الذين بدوا في أول الأمر كما لو كانوا ذهانيين Psychoties ولكنهم بعد أن تناولوا قدراً من العلاج أصبحوا يشبهون العصابيين الكبار neurotics ويشير بعض علماء النفس إلى هذا الخرس كنوع من الأعراض العصابية في الطفولة childhood nuerotic sympltom ولعلاج هذه الحالات ينبغي الإسراع بوضعها في المؤسسات أو المستشفيات العلاجية لمساعدة الطفل على الكلام مع ضرورة إصلاح الاضطرابات الأساسية الموجودة في منزل الطفل .

بالنسبة للأطفال الذين تعلموا الكلام في السن المناسبة ربما تجعلهم الخبرات الانفعالية المضطربة التي يمرون بها يترددون في الكلام hesitate in speaking .

وإذا وضع الآباء ضغطاً pressure على الطفل لكي يتكلم بوضوح ودون نقص ، فإن الطفل المضغوط أصلاً ربما يعاني من اللجلجة أو اللكنة أو التمتة أو اللثغة أو التهتة stammer, stutter في حديثه .

وفي الوقت الحاضر ينظر علماء النفس إلى هذه الاضطرابات على أنها اضطرابات وظيفية functional ولا يبحثون لها كما كان في الماضي ، عن أسباب عصبية neurological أو تشريحية anatomical .

فعلى سبيل المثال تحويل طفل يساري إلى طفل يميني righthanded يحدث اضطراباً في سيطرة أحد جانبي المخ cerebral dominance .

ويؤدي إلى نشأة اللجلجة stuttering ، ولكن نظراً لأن معظم هذه

التحويلات لا تؤدي ، بحد ذاتها ، إلى الاضطراب الكلامي ، فإنه يفترض أن الطريقة التي يقوم الآباء فيها بتحويل الطفل هي المسؤولة عن حدوث الاضطراب من عدمه . وفي كثير من حالات اللجلجة لا يوجد دليل على حدوث اضطراب في سيطرة أحد جانبي المخ[1] .

الأفيزيا Aphasia ، فقدان القدرة اللغوية :

يعرفها البعض بأنها فقدان القدرة اللغوية أو الحبسة ويقولون أن كلمة « أفيزيا » اصطلاح يوناني الأصل يتضمن مجموعة العيوب التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام ، أو الكتابة ، أو عدم القدرة على فهم معنى الكلمات المنطوق بها أو إيجاد الأسماء لبعض الأشياء والمرئيات أو مراعاة القواعد النحوية التي تستعمل في الحديث أو الكتابة . ولقد اصطلح على إطلاق لفظ الأفيزيا على هذه الأعراض المرضية الكلامية رغم التفاوت بينها في المظهر الخارجي . ورغم هذا التفاوت فهناك عامل مشترك يربط بينهما ، ينحصر في أن مصدر العلة في كل منها يتصل بالجهاز العصبي المركزي . ويرجع الاختلاف في ظهور إحداها دون الآخر في مصاب دون الآخر إلي نوع أو موضوع الإصابة من هذا الجهاز ويرجع الفضل في اكتشاف هذا النوع من العيوب الأفيزية إلى الجراح بروكا Broca والعالم ورنيك wernike وهناك أنواع من الحبسة « يسمى الحبسة النسيانية amenstic وهي عدم القدرة على تسمية الأشياء والمرئيات التي تقع في مجال إدراكه . والحبسة الإسمية حيث يسيء المريض استخدام الأسماء ويعجز عن فهم معنى الكلمات وغيرها من الرموز ـ والحبسة الحسية أو الفهمية والحبسة النحوية syntatic sensory وهي العجز عن ترتيب الكلمات حسب نغمة الجملة ، وقواعد النحو . والحبسة الكلية أو الشاملة Total والحبسة اللفظية أو الحركية Verbal حيث يصعب استدعاء الكلمات سواء في القول أو في الكتابة ويكون تركيب اللفظ مختلاً[1] .

إن اضطراب الأفيزيا Aphasia يعرفه أيضاً سانفورد بأنه اضطراب في اللغة أو في الوظائف اللغوية Ligustic functioning ينتج غالباً من تدمير المخ ، وقد

---

(١) Strange, J.R., Abnormal psychologies.

(٢) دميز وجيه الخازن معجم مصطلحات علم النفس الشاملة .

يكون حسياً أو حركياً أو كلاهما أي حسياً وحركياً معاً .

ويعرفها سترانج J.R. Strange بفقدان اللغة أو العجز في اللغة الناتج عن تدمير في المخ . فهي فقدان القدرة على الاتصال بالرموز وبعضها يعرقل الكلام أيضاً وبعضها الآخر يعقل التعبير عن الاخطار بالرموز ، فالمريض يعجز عن الكتابة والكلام . وتشمل الافيزياء اضطراب في وظائف الكلام ناتج من فساد من لحاء المخ ، ومنها الحركية أي عدم القدرة على استعمال الكلام أو الحسية أي عدم القدرة على فهم الكلام . فهي تشير إلى عدم القدرة على استخدام الكلمات أو فهم الكلام .

تعريف اللجلجة وتصنيفها :

ويعرق جيمس دريفر J.Drever التلجلج stummering على هذا النحو :

Strictly a series of inegular hesitations repetitions in speech now generally used in English as synouymous with stuttering (١) .

ومعنى ذلك أنها ، على وجه التحديد ، سلسلة من الترددات الغير منتظمة والتكررات في الكلام ، وتستخدم الأن هذه اللفظة في اللغة الإنجليزية مرادفة مع كلمة stuttering . ويعرف اللجلجة stuttering أبراهام سبيرلنج A. Sperling بأنها الإعادة أو التكرار غير الإرادي involuntary للصوت Sound أو المقطع syblable أو الكلمة word أما التعلثم stammering فهو العجز inability في نطق أي كلمة واحدة ، وعلى ذلك فالتعلثم حالة حادة أو شكل حاد من أشكال اللجلجلة وكلاهما اضطرابان خطيران ، ولكنهما قابلتان للشفاء .

ولقد وجد أن أكثر من نصف الذين يتلجلجون يبدأون في ذلك سن الرابعة أو الخامسة ، ومعظم حالات اللجلجلة لها منبع أو مصدر نفسي إنها عرض symptom من أعراض سوء التكيف الاجتماعي Social maladuistment .

وينشأ من حالة الخوف أو إدراك الذات الزائدة أو اليقظة الذاتية أو اللوم الذاتي self- consciausness ومن الشعور بالنقص a feeling of inferiority

---

(١)

والشعور بالتهديد أو الإسراف في الإشراف الوالدي .

ويضيف بيرتونوف A.A. partnov اللجلجة ضمن أنواع من العصاب neuroses ذات المصدر السيكولوجي والناتجة عن خلل في مراحل النمو ، ومن أمثلة ذلك اللوازم والخرس الاختياري selective mutism والقيء الهستيري Vomiting والبوال أو التبول اللاإرادي enuresis وفقدان الشهية anoraxia(١) .

كما يعرف اللجلجلة بعض الكتاب بأنها مشكلة كلامية تتميز بتكرار أجزاء من الكلمات أو الكلمات كلها وتطويل نطق الأصوات Prolongation of sounds وربط الأصوات أو الكلمات interjection of والتوقف الطويل أثناء الحديث بدون داع(٢) .

ويقول صاحب المصباح المنير في تعريف اللجلجة : لج في الأمر لجاً من باب تعب ولجاجاً ولجاجة فهو لجوج مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه ، ومن باب ضرب لغة قال ابن فارس اللجاج تماحك الخصمين وهو تماديهما واللجة بالفتح كثرة الأصوات . . . والتجت الأصوات أي اختلطت والفاعل ملتج . . وتلجج في صدره شيء تردد .

ويعرف آخرون اللجلجة والتلجج بأنه التردد في الكلام ، وفي ذلك يقال الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد من غير إن ينفذ(٢) صعوبات الكلام ، ومنها اللجلجة فإنها تسبب الضيق للمتكلم والمستمع على حد سواء . وبعضهم الإسراع بعرض الحالات التي تعاني من صعوبات النطق والكلام على الطبيب المختص لتقديم المعالجات الضرورية قبل ركون العقل الى تكوين عادة اللجلجة ورسوخها .

عندما يتعرض الطفل لأزمة إنفعالية فإنه ينتكص في حديثه ويرتد إلى حديث الأطفال الرضع Baby talk بعد أن يكون قد وصل إلى مرحلة الحديث الواضح . وقد ينتج هذا الانفعال من المنافسة المباشرة بين الأطفال . فاللجلجة مؤشر جيد على وجود اضطراب نفسي لدى الطفل ، ولا بد أن القلق والتوتر

(١) Partov, A.A., psychiatry.

(٢) Darland's pocket dictionnary.

(٣) مختار الصحاح، محمد محي الدين عبد الحميد بن عبد اللطيف السبكي .

يكمنان وراء المشكلة . وقد تكون تعبيراً لا شعورياً للرغبة ، في العودة إلى مرحلة الرضاعة فالطفل الغيور jeabous والذي هو بالتالي غير آمن inscured يرغب بالتأكيد في العودة لحالة الطفلية حيث كان يتمتع بالاعتماد على الغير وكان الجميع يعتنون به عناية فائقة . فاللجلجة قد تكون مجرد تقليد لحديث الطفولة ، وكان الطفل ينادي أمه قائلًا : « أنني ضعيف ولا حول لي ولا قوة وأريد حبك كله » . وكذلك تضر مقارنة الأطفال بعضهم البعض سير نموهم .

ولا تحدث صعوبات الكلام في الطفولة وحسب ، ولكن بتقدم الفرد في السن واقترابه من سن الشيخوخة أيضاً يحدث فقدان القدرة على السمع loss of hearing ويوجد هذا الفقدان عند الذكور أكثر منه عند الأناث ، ربما بسبب تعرضهم أكثر من غيرهم لضوضاء الأعمال وغيرها من مصادر الضوضاء ، كما تزداد كبراً العتبات الحسية كطاقة الحواس (السمع والبصر والذوق واللمس) . sensory thresholds increase with age .

كما تنحدر الأصوات الصادرة عن الشيخ بتقدم الفرد من منتصف العمر إلى السن الكبير ويصبح الصوت Voice أقل قوة ، ويقصر مداه وتتأثر بذلك الخطابة والحديث للجمهور ، ويصبح الكلام أكثر بطئاً ، وتصبح برهات التوقف عن الكلام أكثر شيوعاً ، وغير ذلك من أمراض الكلام التي تظهر في سن الشيخوخة senile .

حالة لجلجة :

ويروى كل من جونسون W. johnson وروتر W. Rotter حالة فتاة أمريكية طالبة حديثة بالجامعة تدعى آن ، وتبعاً لرواية أسرتها ، فإنه لم يسبق لها إطلاقاً أن تلعثمت قبل سن السبع سنوات ، وهي في الصف الثاني الابتدائي ، ولقد حدث أن تعرضت لمنافسة حادة مع أحد صبيان فصلها الدراسي عندما كانت تسمع دروسها أمام الفصل الدراسي ، وقد انحصرت في حديثها في أثناء محاولتها استدعاء الصبي منافسها باسمه . بعد هذا الحادث بقليل تعرضت لمنافسة مع فتاة من فصلها لله صول على بطولة الفصل في إحدى المباريايات ، ولكن آن أصيبت بالحصبة The me: sles وهذا أعطى الفتاة الأخرى امتيازاً عليها للتفوق ـ ولقد أعقب ذلك معاناتها من مشكلة بسيطة خاصة باللجلجة حتى

سن ١٥ سنة ويبدو أن هذه المشكلة نشأت من قلق الآباء الزائد نحو مشكلة كلام آن . وفي خلال المدة من سن ١٥ ـ ١٨ اختفت مشكلة آن لأنها أصبحت واحدة من أشهر البنات في المدرسة . وبعد الانتهاء من المدرسة تمت خطوبتها ، وسجلت نفسها في كلية لكي تكون مع خطيبها وعندما تبين لها أنه كان يخدعها في الحب أصبحت اللجلجة عندها قاسية جداً أو شديدة لدرجة أنها رسبت في الدراسة ، ثم ذهبت لعمل ما ولم تحاول الدراسة في الكلية لمدة ثلاث سنوات واستمرت مشكلة الكلام عندها .

ولقد كشفت للمرشد النفسي في الكلية أنها كانت دائماً خجولة ashmed من لجلجتها ، وشعرت أن كل الناس تشعر بالشفقة نحوها وأنهم يشعرون أنها شاذة . وكان الانطباع عندها أن اللجلجة تجعل الفرد المصاب بها قبيحاً ومنفراً بالنسبة للناس الآخرين . وكانت دائماً قلقة من الحديث مع أي شخص وخاصة الحديث مع الغرباء . هذا القلق والاهتمام الزائد جعلاها تدقق وتضبط أزيد من اللازم جهازها التخاطبي الكلامي ، وأدى ذلك إلى اللجلجة . وهذه هي الحالة مع معظم المتلجلجين . ولكن نظراً لكونها شخصية متزنة أساساً فقد أحرزت آن تقدماً نتيجة للعلاج الذي تلقته من مصحح الكلام speech correctionist .

الفرق الجنسي في اللجلجة :

بالنسبة للنمو اللغوي ، فمنذ الطفولة الباكرة يبدي البنات تفوقاً في اللغة superiority في السن الذي يبدأن فيه بالكلام . ويظهر هذا التفوق في حجم المفردات اللغوية ، وفي بناء أو تركيب الجمل ، وفي عدد الأصوات الكلامية . . . . الخ وهناك أدلة تشير إلى أن هذا السمو يستمر في مراحل الحياة اللاحقة ولقد وجد أن اللجلجلة أكثر انتشاراً بين الذكور عنها بين الأناث الصغار ونسبة وجودها وهي ٢ : ١ ، ولكن تفسير هذا الفرق ليس واضحاً إنما دانلوب Dunlop يقدم شرحاً لهذا الفرق يرجع اللجلجلة في الطفل إلى خوفه من أن يقول شيئاً رديئاً something bad أو يستخدم بعض التعبيرات المحرمة Tabooed أو « الشقية » والتي ربما ما تجلب العقاب ، ولكن الذكور بحكم لعبهم في الشارع يلتقطون مثل هذه التعبيرات أكثر من الأناث[١] والخوف يكون أعظم في

(١) Klinelury, o. Social psychologies.

حالة الذكور ولكن هذه النظرية في حاجة إلى مزيد من البحوث قبل قبولها وعلى الرغم من أن كل الأطفال يظهرون نوعاً من عدم الطلاقة إلا أن الإحصاءات توضح أن هناك نسبة ٤ : ١ من البنين والبنات يصابون باللجلجة فالأطفال الذكور أكثر إصابة باللجلجة عن الأناث .

سن انتشارها :

يقول كل من مارين بريكنردج M.E. Breckenridge ولي فنيسنيت E.L. Vincent أن اللجلجة تظهر أكثر ما تظهر في سنة سنتين ، فمنحني اللجلجلة يصل إلى قمته في السن من ٢,٥ ـ ٣ سنوات حين يحصل الطفل على مفردات كافة تجعله يشعر بلذة الإتصال عن طريقة الكلمات أو الألفاظ ، وهي السن التي يحرز فيها تقدماً ملحوظاً في النمو الاجتماعي Social development ويقوى الدافع للاتصال للحصول على انتباه الآخرين ، وللتعبير عن بعض الأشياء . وفي العادة ما لا تكفي المفردات للتعبير الواضح والسهل ، وعلى ذلك فإن الطفل يتلجلج غالباً في مرحلة نمو اللغوي وهي تقع في هذه السن (٢,٥ ـ ٣ سنوات) .

يقول جونسون W. Johnson أن الآباء الذين يفهمون الآن هذه الحقيقة جيداً لا يعتبرون أطفالهم شواذا إلا بعد المرور من سن السنوات الثلاث .

وتحدث زيادة أخرى في منحنى اللجلجة عند بداية الذهاب للمدرسة . وفي هذه الحالة تكون المشكلة عبارة عن توتر عصبي nervous strain ناتج من التكيف للسلطة المدرسية الجديدة وللأطفال الآخرين وللروتين المدرسي . والقلق العصبي في بداية الدخول للمدرسة ربما يظهر في شكل قضم الأظافر ومص الأصابع fingernail bitting and thumb- sucking وتقهقر في عادات الإخراج أو اللجلجة . ويذهب سيت Seth إلى القول بأن هناك ارتباطاً بين اليسارية أو اليمينية في الطفل وبين اللجلجة ، ولكن جونسون لم يلاحظ مثل هذه العلاقة بين أطفال عينته البالغ عددهم ٢٤٦ لجلاج و ٢٤٦ غير لجلاج ولكن الارتفاع الخاص باللجلجة في بداية سن المدرسة سرعان ما ينخفض عندما تتم التوافقات الضرورية المطلوبة . وعلى المعلمين تقع مسؤولية البحث عن سبب كل حالة ، وبحث تأثيرها المرضى والاجتماعي والعمل على علاج هذه الأسباب

التي يمكن علاجها عن طريق المدرسة . وينبغي توجيه العناية الفائقة للطفل المشكل . وعدم إرغام الخجول الهيآب Timid على أن يسمع أو يقرأ أمام جماعة الفصل قبل مساعدته ، على تنمية الشعور بالثقة بالنفس اللازم . ينبغي معاملة الأطفال الخجولين برقة ولطف gently واللجلاجيون يحتاجون بنوع خاص ، إلى كثير من الصبر والتؤدة والفهم لمساعدتهم للتغلب على مشكلة اللجلجة .

الكلام عند المرضى :

في حديثه عن الفصام (Dememtia praecox Schizophrenia) يذهب E. Kraepelin كبيلين إلى القول بأن الكلام الملفوظ Vocal speech لدى المريض يتأثر بحالة المرض ، فالمريض أثناء حديثه يزعق bellow ويصبح screech ثم يتذمر murmur أو يهمس whisper .

أو « يوشوش » ونادراً ما يحرك شفتيه ، وتظل أسنانه مغلقة أو يتحول فجأة من الهمس البطيء إلى الصياح المرتفع loud screaming أن انسياب الكلام عنده متسرع حتى في الحديث المنخفض . فالحديث غير منتظم uregular ومهتز ، وكأن كلامهم صادر من أنوفهم مع حدوث أصوات طفطفة واستنشاق والشخير snorting ومأمأة Bleating عديمة المعنى ، ويحدث اضطراب أيضاً في كتابه هؤلاء المرضى وفي الاضطراب المسمى الجنون الدوري أو الدائري man-ic depression يتغير أيضاً كلام المريض ، ففي طور التهيج manic يتحدث المريض بسرعة ، ويصبح كلامه كطيران من الأفكار flight of ideas حيث تربط الكلمات بمجرد صوتها ، وهو غير مقموع بالمرة ، ولكن الاضطراب في الكلام يظل أخف منه في حالة الفصام . ويضطر الفصال بحكم ما يعاني من هلاوس ، إلى اختراع بعض الكلمات الخاصة الجديدة ، ويصبح كلامه مضطرباً ومختلطاً كالسلاطة a word salad .

بل أن الفصامي الكاتاتوني catatonic ربما يخترع لغة سريعة ، ويسمع أصواتاً عدائية تتهمه بأفظع الاتهامات . وفي إحدى حالات الفصام كانت السيدة المصابة تجد نفسها تتوقف فجأة عن الحديث ، وكان ينقص كلامها التركيز حول نقطة معينة .

وقد يصاب الفصامي بالأفيزيا حيث لم يعد يفهم معنى اللغة المنطوقة أو المكتوبة الأفيزيا الإدراكية receptive aphasia وعندما يعجز عن الكلام والكتابة فإنه يصاب بالأفيزيا التعبيريةexpressive aphasia .

العلاج النفسي لاضطراب النطق والكلام :

العلاج Therapy ويقصد به المعالجة النفسية التي قد تكون فيزيقية كما هو الحال في الجراحة surgery أو كيميائية Chemical كما هو الحال في استخدام العقاقير drugs أو غير ذلك من المعالجات الطبية medical والمعالجة السيكولوجية psychological كالعلاج النفسي بالتحليل أو بالعلاج السلوكي أو العلاج التوجيهي أو غير التوجيهي وعلاج اللجلجة ليس سهلاً ولكنه ممكن ويتطلب الفهم الذكي لحالة المريض الذي نساعده لحدوث الشفاء .

وفي الغالب ما يقدم علماء النفس القواعد الآتية لأسر المتلجلجين :

١ ـ لا تلوم أو تضايق طفلك المفضل .

٢ ـ لا تعط كلام الطفل كل الانتباه .

٣ ـ لا تصر على أن الطفل يقول الأشياء بطريقة معينة .

٤ ـ لا تتدخل فيما يرويه الطفل من وصف أو روايات .

٥ ـ لا تزعجه بطلب ضرورة سبق كل طلب « من فضلك » .

٦ ـ حاول أن تساعد الطفل للتكيف لمخاوفه أو مشاعره بعدم المواءمة .

٧ ـ أعطه الثقة بالنفس self- confidence .

٨ ـ اجعله يوجه انتباهاً أقل لذاته بالاستماع إلى ما يقوله أكثر من اهتمامه بكيفية قوله .

أما الأطفال الذين يعانون من لجلجة ثابتة فإنهم يرسلون إلى عيادات علاج الكلام speech- therapy clinics في مثل هذه العيادات تجري الفحوص الدقيقة على المريض لصوته غير الثابت unstable voice ثم يتمرن على نطق أصعب الأصوات Sounds ويعطى له الدروس في تصحيح الكلام correct speech وتتم مساعدته للتعامل مع حياته الانفعالية ، كما تجري المقابلات مع الوالدين ، وتتم مساعدتهم في فهم صعوبات طفلهم .

وفي علاج اللجلجة stuttering يقول جوزيف وولب وآرنولد لازاريوس .J. wolpe A.A. Lazarus .

أن المعـالج ينبغي أن يمنى المـريض دائماً بحصـول مزيـد من الحس والنتائج الإيجابية المرغوبة للعلاج ، ومريض اللجلجة يعالج بمحـو الاشتراط deconditioning للحصـر أو القلق الاجتماعي أي إزالـة الارتباط بين الكـلام ومشاعر الألم أو الخوف social anxiety .

لكي يتوقع ويتطلع لازالة المتاعب التي تحدث أو توجد حتى عندما لا يكون عليه أن يتحدث ويقرر أن إمكان حصول نتائج طيبة من علاج اللجلجة باستخدام عقار Meprobamate .

وحدث ذلك في ١٣ حالة من ١٨ حالة ساعد هذا في تخفيف حدة الحصر قبل الذهاب إلى المدرسة والتعرض للحديث مع الآخرين وذلك في إطار منهج العلاج السلوكي .

ومن المناهج المستخدمة في علاج اللجلجة وغيرها من العادت الحركية كأخطاء الطباعة واللوازم motor habits Tics عن طريق إقناع المريض لكي يكرر الفعل الغير مرغوب فيه مرات ومرات عديدة .

ولقـد أطلق دانلوب Dunlap على هذه الـطريقة اسم التـدريب السلبي negative practice ومؤدى هذا المنهج تكرار الفعل الغير مرغوب فيه عدة مرات إلى حد شعور المريض بالتعب والإرهاق exhaustion حتى ينتج عن ذلك درجة عالية من القمع أو المنع inhibition كرد فعل معاكس وإلا فإن « اللازمة » تعزز وتؤيد وتتدعم وتقـوى بدلاً من أن ينـالها الضعف والـذبول . ومن أمثلة هـذه الحالات أيضاً حالات صرير الأسنان أو حك الأسنان Bruxism .

والإفراط في التمرين أو الممارسة الـزائدة عن الحـد massed proctice يشفى من العادة السلبية ، فقد شفيت سيدة(٢٦ سنة) من عادة حك الأسنان عن طريق القيام بهذه العملية لمـدة دقيقة بـلا توقف ، ثم راحـة لمدة دقيقـة أخرى ، والعودة لحك الأسنان لمدة خمس مرات كل محاولة كل يوم لمدة ثلاث أسابيع .

وإذا فهمت اللجلجة على أنها مرحلة من مراحل النمو في تعلم اللغة وعولجت بطريقة تؤدي إلى زيادة مفردات الطفل اللغوية وتنمية شعوره بالثقة في نفسه فإنه يستطيع أن يجد الكلمات المناسبة فسوف يتخلص منها بسرعة .

ولكن لا ينبغي أن نعايره بلجلجة أو نلومه أو نحتقره أو نعاقبه أو نعامله كشخص غير قادر على الكلام .

مشكلات الكذب عند الأطفال وعلاجها

مقـدمـة :

يلاحظ أن كثيراً من الأطفـال يكذبـون بحكم ظروف مـرحلة النمو التي يمرون بها ، فالطفل أو المراهق قد يكذب رغبة في جذب الانتباه إليه . كما يحدث عندما يبالغ المراهق في ذكر مغامراته لأصدقائـه وأنداده . كـذلك من المعروف أن الطفل الصغير لا يستطيع أن يميز تمييزاً قاطعاً بين الحقيقة والخيال ويدفعه ذلك إلى الكذب ، فالطفل الصغير يختلط عليه الأمر فلا يعرف الفرق بين ما حدث بالفعل وبين ما تخيله هو . فالقصص والأساطير الخياليـة التي يسمعها الطفل الصغير تترجم في خياله إلى واقع ولذلك يراها تحدث أمامه يراها بعين الخيال كما لو كانت ماثلة أمامه فعلاً . والمعروف أيضاً أن خيال الطفل قوي لدرجة تجعله أحياناً أقوى من الواقع نفسه . وإعطاء الطفل الفرصة لكي يخبر بنفسه الأشياء الحقيقية وتوسيع ذهنه بالمسائل العلمية يساعد في التمييز بين الحقيقـة والخيال Factandfancy كـذلك هنـاك بعض الأطفـال الـذين يميلون للكذب على سبيل اللعب أو لتأثير كذبهم على المستمعين أو الكذب بـدافع الخـوف أو الولاء وعلى الصفحـات القادمـة سوف نتنـاول نقـاط هـامـة لهـذا الموضوع .

١ ـ أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد :

تعتبر مرحلة الطفولة ذات أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد ذلك لأن فيها توضع البذور الأولى لشخصيته ، فعلى ضوء ما يلقى الفرد من خبرات في مرحلة الطفولة يتحدد إطار شخصية فإذا كانت تلك الخبرات سوية ومشبعة وسارة يشب رجلاً سوياً متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به وإن كانت خبرات مؤلمة مريرة ترك ذلك آثاراً في شخصيته . إن خبرات الطفولة تحدد جذورها

[illegible] قابلاً للتشكيل والصقل ، وعلى ذلك [illegible] وتوفير البيئة الصحية للطفل [illegible] على إشباع حاجاته وحمايته من التوتر والقلق والخوف والغيرة والغضب والشعور بعدم الأمان ومعاملته معاملة حسنة ، على أساس من الفهم العميق لدوافعه وانفعالاته وإحساساته . ولكن ينبغي الإشارة الى أن عملية تربية الأطفال ليست عملية سهلة هينة ، ولكنها عملية تتطلب الكثير من الوعي النفسي والتربوي لدى الآباء والأمهات والمعلمين والكبار عامة . ومما يزيد من صعوبة هذه المهمة تعرض الطفل لكثير من المشكلات والأزمات النفسية ومن بين تلك المشكلات الكذب والعدوان وقد يكون العدوان موجهاً نحو المجتمع والناس وكذب الأطفال لا يزعج الأطفال وإنما يجعله يشب رجلاً كاذباً وعدوانياً .

٢ ـ الكذب أسبابه وطرق علاجه :

أول ما يشغل بال الآباء والأمهات هو السبب في ميل أطفالهم إلى الكذب أي عدم ذكر الوقائع الحقيقية . وتتصل هذه النزعة بصفة الأمانة عامة . وعلى ذلك يقصد بالصدق الأمانة في سرد الواقع وأن كانت الأمانة أو الخيانة تتضمن السرقة أيضا ، ولكن قد يوجد الكذب كنزعة مستقلة لدى بعض الأطفال أو لدى الكبار دون وجود الميل إلى السرقة أو الغش والواقع أن الآباء يجب أن يؤمنوا أن الطفل قد يكون أميناً في موقف وغير أمين في موقف آخر . فالطفل قد يكون أميناً في المدرسة على حين أنه يسرق نقود أمه وقد يغش الطفل في الامتحان في مادة معينة ولا يغش في أخرى تبعاً لدافع الطفل إلى الكذب والغش والسرقة . وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نتساءل ما هي الظروف التي تؤدي إلى الكذب ؟ .

من هذه الظروف أو العوامل التي تؤدي للكذب ما يأتي
[illegible]

هذه الأكاذيب إلا تحقيقاً لرغبات الطفل المكبوتة التي عجز عن تحقيقها يروى مثلاً عن صديقه «محمود أنه أخذ من أبيه خمسة جنيهات لشراء بدلة وساعة وعجلة ومدفع . . وهكذا .

وتعرف هذه الأكاذيب بالأكاذيب البيضاء في سرد هذه الأكاذيب متعة ولذة ونشوة نتيجة الحرمان في عالم الواقع ويحاول الإشباع في عالم الخيال أو أحلام اليقظة . وقد يلجأ الطفل إلى الكذب خوفاً من العقاب الصارم ولذلك يجب أن يكون العقاب معقولاً وليس مفرطاً بل يجب أن يتناسب مع حجم الخطأ .

أنواع الكذب :

وقد يتخذ الميل إلى الكذب شكل المبالغة فيما وقع من أحداث فعلية للطفل وتكثر هذه النزعة لدى المراهقين فقد يروى المراهق لرفاقه الكثير من مغامراته الجنسية وعن حب الكثير من البنات له وعن قدرته على شرب الخمر وعن مغامراته في تسلق الجبال وعبور الأنهار . . . الخ ويعد الكذب من النزعات الخطيرة لدى الأطفال تلك التي ينتج عنها كثيراً من المشكلات الاجتماعية فضلاً عن فقدان الثقة بالطفل وعدم احترامنا له وكذلك نشأته على عدم احترام الصدق والأمانة مما يؤدي به إلى الجريمة في مرحلة الكبر .

وصف حالة كذب عرضت على المؤلف :

عرضت في عيادة المؤلف حالة طفلة كانت تميل إلى الكذب والوقيعة بين أمها وأبيها ولقد قالت أمها في وصف حالتها ما يلي :

أنا أم لثلاثة أطفال أصغرهم طفلة في سن الثامنة وهذه الطفلة الأخيرة تسبب مشكلة كبيرة بالنسبة لنا فهي تميل إلى الكذب وأحياناً تروي لي قصصاً بأكملها ويصدقها كل من يسمعها ولكن سرعان ما تنكشف مما يسبب لي الحرج وجعل الجيران يقولون لي إعملي شيء يوقف كذب ابنتك وعلاوة على ذلك فإنها تسبب مشاكل مع والدها يمكن أن يؤدي إلى الانفصال وتهديم الأسرة . وأرجو من سيادتكم علاجها رغم أنني أحبها .

العلاج الذي وضعه المؤلف :

لقد وضع خطة لعلاج هذه الحالة أنني أنصح آباء الأطفال وليس تلك

الطفلة فقط أن يبحثوا في الاسباب التي جعلت الأطفال يكذبون أما الخوف من العقاب أو أنه مكروه من جانب الأسرة مثل حالتنا السابقة أو أنه منبوذ أو مطرود كما في الحالة السابقة ويجب على الأسرة العمل على تحاشي هـذه الأسباب وتعليم الطفل الصدق الذي يجلب له السعادة والرضا والعلاج السليم ليس في الضرب والعقاب ولكنه يتوفر في الحنان والعطف بقدر معقول وعن طريق الإقناع والقدوة الحسنة والمثال الطيب .

توصيات للأمهات والآباء لعلاج الكذب :

١ ـ إشباع حاجات الطفل بقدر المستطاع والعمل على أن يـوجه الـطفل إلى الإيمان بقول الحق وتوجيه سلوكه نحو الأمور التي تقع في دائرة قدراتـه الطبيعية مما يجعله يشعر بالسعادة والهناء عكس تكليف الطفل بأعمال تفوق قدراته مما تؤدي إلى الفشل والإحباط والكذب .

٢ ـ أما علاج الأطفال الذين يميلون لسرد قصص غير واقعية فيأتي عن طريق إقناع الطفل بأنك ترى فعلاً في قصته قصة طريفة ولكنك بالطبع لا تفكر في قبولها أو تصديقها كحقيقة واقعية أفضل من العقاب البدني الشديد .

٣ ـ يجب أن يشعر الطفل بأن الصدق يجلب له النفع وأنه يخفف من وطـأة العقاب في حالة ارتكاب الخطأ وأن الكذب يجب أن يقتنع الطفل بأنه يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس والحرمان وعدم احترام الآخرين له .

٤ ـ أما دور الآباء والأمهـات فيجب أن بكون حلهم لمشكـلات أطفالهم عن طريق التفكير العلمي الموضوعي السليم وليس عن طريق العقاب الشديد واحترام الطفل والثقة لأن الأب أو الأم اللذان يقومان بدون المخبر السري عن صدق ابنه يشعره بعدم الثقة فيه . أما إشعار الطفل أنه محل احترام وثقة الجميع فلا يدفعه للكذب .

الحرمان من النوم

مقدمة :

ما يزال النوم من الظواهر التي يصعب تفسيرها تفسيراً علمياً واضحاً وما زال يحيطها الغموض . وتتعدد حولها الآراء ، والنظريات التي وضعت لتفسيرها ومعرفة أسبابها . والإجماع الوحيد حول وصفها بأنها حالة تنخفض فيها قدرة الإنسان على استقبال المثيرات الحسية المحيطة به ، وبعبارة أدق يحتاج إلى مثيرات أكثر قوة لكي يحس بها ، ومعنى ذلك أن ما يسميه علماء النفس باسم « العتبة الحسية » وهي الحد الأدنى أو أصغركم من المثير السمعي أو الشمي مثلاً يلزم لكي تستقبله حواس الإنسان وتشعر به ، هذه العتبة تزداد في حالة النوم . ومن الأمور الغريبة المصاحبة للنوم الأحلام والكوابيس ، وهي أحلام مزعجة ، وكذلك مرض النوم الزائد عن الحد والمشي أثناء النوم . وتدل رسوم المخ أنه يعمل أثناء النوم . وفي هذا البحث نعرض على القارىء العربي الكريم حالة الحرمان من النوم وأهم آثارها النفسية والسلوكية .

أثر الحرمان من النوم Sleep de privation :

ما زالت ظاهرة النوم معقدة ومستعصية على الفهم الكامل ، ولذلك اهتم العلماء بدراسة الحرمان من النوم بغية القاء بصيص من الضوء على تلك الظاهرة المعقدة ، ويشبه ذلك دراسة المجاعة من أجل التعرف على آثار الغذاء ولا شك أن كل منا قد مر بخبرة الحرمان من النوم . ومن الملاحظ أن الإنسان تحت الظروف العادية ينام لمدة ٨ ساعات ويستيقظ لمدة ١٦ ساعة خلال اليوم ، ولكن هناك كثيراً من العوامل والظر. ـ التي تحول دون التمتع بهذا القسط من النوم ، كالسفر أو العمل في دوريات م. ينة أو التعرض للقلق أو الأرق Insomnia ولذلك يضطر عدد غير قليل من الناس ، ولا سيما في المجتمعات الأمريكية والأوربية

إلى تعاطي الكثير من حبوب التنويم . ولقد فرض حرمان طويل من النوم على السجناء والأسرى لدفعهم للانهيار ، ومن ثم الحصول على اعترافاتهم . والطلاب يسهرون الليل من أجل النجاح والتفوق في دراساتهم . ولقد أجريت تجارب على الحيوان ، وخاصة الفئران ، حيث تعرضت للحرمان من النوم لمدة ثلاثة أو أربعة أيام وظهر العدوان والعنف على بعضها البعض حتى ماتت نتيجة هذه الحرب . ولكن لم تلاحظ مثل هذه النتائج الدرامية في بني الإنسان . فلقد تعرض مجموعة من الناس لمدة تتراوح ما بين ٧٢ و ٩٨ ساعة وتعرضت مجموعة أخرى للحرمان لمدة ٢٠٠ ساعة وأكثر . . الخ . ولقد لوحظ عليهم توقف إفراز مركب من المركبات الكيميائية التي تساعد على تحويل الطعام إلى طاقة ، بينما دلت رسوم موجات المخ أنها تشبه تلك الخاصة بالشخص النائم . ولكن ما زال معنى هذه النتائج غير واضح .

أما التغيرات السلوكية المصاحبة لحالة الحرمان ، فكانت تشمل أعراض مثل الأعراض المصاحبة لحالة السكر وكان كلام الأشخاص المحرومين غير واضح وعباراتهم غير كاملة ، وكانوا يسعون أن يمشوا فوق الحوائط ويقفزون فوق درج سلالم غير موجودة ، وكانت لديهم بعض الاضطرابات في الإدراك البصري مع احمرار العين ، ولقد لوحظت عليهم كثير من الهلاوس وخاصة عند الأشخاص الذين حرموا من النوم لمدة ٤٠ ساعة ، حيث قرر بعضهم أنهم رأوا أناساً غير موجودين وأنهم استمعوا إلى ضوضاء ناتجة من الحيوانات ، وكانوا يشعرون بوجود خيوط العنكبوت فوق وجوههم . أما أولئك الذين حرموا من النوم لمدة ١٠٠ ساعة فكانوا يعانون من هذيان الإتهام موجهاً نحو أولئك الذين يشرفون على التجربة . أما تطبيق الاختبارات فكان يستهدف التعرف على أثر الحرمان من النوم على الأداء . فعندما طلب منهم أن يجمعوا سلسلة من الأعداد أخذوا وقتاً أطول حتى يصلوا إلى الإجابة الصحيحة ، وعندما كان يحدد لهم وقت للإجابة كانت تكثر أخطاؤهم .

وينبغي أن نلاحظ أنه في تجارب الحرمان الطويل من النوم أن البقاء يقظاً لمدة طويلة في المعمل يعد تجربة غير عادية ، وأن المفحوص عندما يكون مثاراً جداً فإنه يحاول بكل الطرق أن يعمل جيداً حتى يرضى المجرب وتوقعاته كما أن آثار الحرمان من النوم سرعان ما تختفي بعد أن يبدأ المفحوص في النوم

الطبيعي [illegible] التجارب تدريجياً [illegible] يسلك المحروم من النوم ولكنها لا توضح [illegible] [illegible] إلى الحد الذي جعل أحد العلماء [illegible] لاحظ الناس المحرومين من النوم [illegible] يشعرون بالرغبة في النعاس .

حركات العين : هنالك تغير هام في النوم هو حركة العين حيث لوحظ أن [illegible] والحيوانات تتحرك [illegible] تحت جفونها المغلقة بل إن هذه الحركات [illegible] دقائق ثم [illegible] ساعة أو [illegible] ونصف الساعة ثم تبدأ من [illegible] أثناء النوم عندما كانت عيونهم تتحرك [illegible] العين السريعة ليس فقط بالأحلام [illegible] في الموجات الدماغية ، فهناك موجات خاصة تحدث عند الدخول في النوم مباشرة

ولقد لوحظ أن الفرد الذي حرم على امتداد عدة ليالي من النوم العميق الذي تصاحبه حركات العين السريعة ، فإنه عندما يسمح له بالنوم مرة أخرى [illegible] بنوم من هذا النوع أزيد من الظروف العادية . ولقد لوحظ أن الأشخاص [illegible] النوم بالأقراص [illegible] يتعرضون للأحلام القلقة بل قد [illegible] التجارب التي أجريت على [illegible] كشفت عن أن [illegible] النوم العميق أنها أكثر إثارة [illegible] تصل إلى القتال . [illegible] من النوم لم يكشف عن وظيفة النوم .

حركات النائم

[illegible] أنهم يتحركون من ٢٠ ـ ٣٥ حركة في الليلة ، [illegible] فإنها تصل إلى ١٠٠

[illegible] ٥١٥

[illegible]

[illegible] المؤلف .
[illegible] معظم [illegible] من [illegible] الراحة وبعض [illegible] الذي أشعر [illegible] التعب وأنا

اتحرك في الصيف أكثر من الشتاء للتخلص من حرارة الفراش ، وتكثر هذه الحركات لما أكون قلقاً أو متضايقاً أو متوتراً أو ساعات لما أكون نمت على ذراعي مثلاً . وأنا باتحرك طول الليل إنما أول الليل أكثر ، وفي حالة التعب الشديد أغط في نوم عميق ولا أتحرك وأنا ساعات أتحرك بإرادتي وأحياناً أخرى أتحرك دون أن أقصد ذلك . ولما أحلم حلم مزعج أشعر بالخوف وأتحرك وأنا أعتقد أنني أتحرك حوالي عشر حركات في الليلة .

تجارب القطط :

لقد تمت ملاحظة القطط أثناء النوم الخفيف ووجد أن رقبة القطة تظل متوترة أو مشدودة ، أما في النوم العميق والذي يصاحب بحركة العين السريعة فإن العضلات تصبح مسترخاة استرخاءً تاماً وهذه هي الفترة التي تحدث فيها الأحلام .

وضع النائم :

ولكن دلت التجارب أيضاً أن ليس جميع الحركات من أجل تحقيق الراحة . فلقد ذهب أحد علماء النفس التحليلي وهو ، دانكل دونكل S. Dunkell الذي درس نوم مرضاه وقرر أن مواضع النوم تعكس التكوين النفسي والاتجاه نحو الذات ونحو العالم . ولقد ميز أربعة أوضاع يتخذها المريض أثناء نومه :

١ - الوضع الجنيني الكامل full- fetal :

وينام أصحاب هذا النمط على جنوبهم مع انحناء أجسادهم كما لو كانوا يكونون كرة حيث تثنى الرجلان من عند الركبة وتطبق الركبتان نحو الجسم في اتجاه الدقن مثل هؤلاء الأشخاص ينامون ويعيشون مثل البرعم المغلقة الضيقة . وقال في تفسير هذا الوضع أن هؤلاء الناس يبحثون عن الأمان والحماية .

٢ - الوضع المنبطح prone position :

حيث ينام النائم ووجهه في مواجهة الفراش ، الذراعان ممدودتان خلف الرأس ، والرجلان ممتدان إلى الخارج . مثل هؤلاء الناس يحاولون أن يسيطروا على البيئة التي يعيشون فيها ، يرغبون في السيطرة ويحتلون معظم الفراش

وربما يشعرون على مستوى اللاشعور أنهم يستعدون لأحداث غير متوقعة حتى تلك الأحداث التي تحصل في أحلامهم .

٣ ـ الوضع الثالث :

هو ما أسماه دانكل بالوضع الملكي Royal Position ويتسم أصحاب هذا الوضع بأنهم يتمتعون بالتكيف الجيد والكلام وأنهم اجتماعيون وغير منطويين ، وتصور أنهم ينامون فعلاً مثل الملوك حيث يتحكمون في مسارهم وينامون على ظهورهم ، بالمثل الأشخاص الذين كانوا أطفالاً محببين أو مفضلين أو كانوا مركز اهتمام الأسرة وكان أكثر الأوضاع شيوعاً ذلك الوضع الذي أسماه نصف جنيني Semi- fetal حيث ينام الشخص على جنبه » وركبته إلى أعلى جزئياً ويصفها « دانكل » بأنه إنسان متزن ويشعر بالأمان . أنه لا يحتاج أن يثني نفسه حتى يشعر بالأمان مثلما يفعل صاحب النوم الجنيني كما أنه لا يسعى إلى السيطرة على كل الفراش كما يفعل صاحب الوضع المنطبح .

ولكن هذه التفسيرات السيكولوجية تحتاج إلى مزيد من البحوث العلمية للتحقق من صحتها أو بطلان لتفسير ذلك النشاط الذي يمثل على القليل ثلث حياتنا .

أثر العامل الاجتماعي في النوم :

يتأثر النوم ببعض العوامل الاجتماعية ، فقد دلت دراسة أجريت على أطفال حول عادات النوم اليومية وتبين أن الأطفال من الممكن أن يلجأوا إلى النوم بسهولة أكثر وينامون لمدد أطول عندما يكون شخص معين يكلف برعايتهم عما لو كانوا تحت إشراف شخص آخر .

آثار الحروب :

لقد تبين من دراسة اثار الحروب على الجنود أن من أهم هذه الآثار صعوبة الحصول على التوازن النفسي ، كذلك التهيج وحدوث الاضطرابات في النوم . كما لوحظ عليهم تكرار الأحلام المزعجة (الكوابيس) Night- Mares أثناء النوم بحيث كانوا يشعرون بالخوف من الذهاب إلى النوم ، فقد كانت أحلامهم تدل على خبرات الحرب المروعة .

أثر العقاقير :

تستخدم العقاقير المنومة [illegible]
المنبهة تزيد من ساعات اليقظة [illegible]
الظروف التي يصفها الطبيب .

نشاط المخ أثناء النوم :

تعمل التكوينات الشبكية التي في مركز النخاع Medulla على [illegible] دائرة « النوم ـ اليقظة » ـ كما لو كانت الشرطي الذي ينظم حركة المرور ، حيث تستقبل المعلومات ثم تصنيفها قبل أن ترسلها إلى المراكز العليا في المخ طبقاً لأهمية المعلومات . أما إذا أصيبت هذه التكوينات الشبكية بالتدمير فإن الحيوان يذهب إلى حالة دائمة من النوم تلك الحالة التي لا يمكن إيقاظه منها مهما بلغت شدة الميزات .

من الجدير بالملاحظة أن الحيوانات والطيور كالقطط والفئران تنام كما يمكن تحديد بداية النوم ونهايته ومدته . وبالطبع لا يتذكر الناس خبراتهم أثناء النوم ولم يكن هناك من وسيلة سوى الاعتماد على الخبرة الذاتية للنائم نفسه ولذلك تأخرت دراسة النوم حتى استطاع علماء الفسيولوجيا دراسة النشاط الكهربائي في المخ عن طريق دراسة الإشارات الناتجة عن هذا النشاط التي أمكن التقاطها عن طريق وضع أقطاب وأشرطة على فروة الرأس . ويطلق على هذا الجهاز (E.E.G) Electroenc phalograph تلك الإشارات التي أوضحت أن المخ لا يمكن أن يكون ساكتاً . وتظهر الموجات المخية حتى في أعمق حالات النوم وإن كانت قوة الموجات وسرعتها تختلف أثناء النوم . وهناك أيضاً فروق في هذه الموجات في الاجزاء المختلفة من المخ

مشي أثناء النوم أو الحوال [illegible]
لغفوة الجوالية [illegible]
مجرد اضطراب [illegible]
الشخص الهيستيري [illegible]
للإيحاء suggestion [illegible]

ولديه وجهة نظر مركزة نحو الذات أو وجهه نحو الذات . ويظهر المشي أثناء النوم في مرحلة المراهقة أكثر ما يظهر أما بالنسبة للأشخاص الذين لا يستمر عندهم هذا الاضطراب إلى مرحلة الرشد فإنهم يفلحون في حل صراعاتهم وأحباطاتهم . أما الذين يفشلون في ذلك فإنهم يتحولون الى الهيستريا في مرحلة الرشد .

وتبدو هذه الظاهرة عندما يستيقظ النائم من نومه بينما تكون عيناه نصف مفتوحة ويبدأ في التحرك . أما الإنشطة التي ينغمس فيها فغالباً ما تكون أنشطة رمزية symbolic معبرة عن صراعاته . وفي مرحلة المراهقة تدور هذه الصراعات حول الجنس ، ولا سيما عملية الاستمناء . وخلافا لما هو شائع بين العامة ، فإن إيقاظ النائم لا يؤدي إلى إيذائه ، ولكنه قد يؤذي نفسه في أثناء النوبة .

ومهما كان فإن المشي أثناء النوم يبلغ من الخطورة ما يدعو إلى ضرورة العرض على الطبيب النفسي لتلقي العلاج اللازم لإعادة المريض لحالة السواء . فحالة الجوال الليلي عبارة عن تغير يطرأ على حالة الوعي مثلها مثل فقدان الذاكرة علما بأن الهيستريا نوعان الأول عبارة عن تغيرات تطرأ على حالة الوعي كما هو في فقدان الذاكرة والتوهان والمشي أثناء النوم . ويطلق على هذا النوع اسم الهيستريا التفكيكة . ثم هناك الهيستريا التحولية هي عبارة عن شلل يصيب الأطراف ، وفقدان الإحساس وهي من الاضطرابات الحسية التي لا ترجع إلى مرض عضوي إنما هي مرض وظيفي . ويعد المشي أثناء النوم Sleep walking من ضروب وحود الأفعال التفكيكة Dissociative وتظهر هذه الحالة وكأن عقلاً غير العقل المعروف يسيطر على الحركات الجسمية للمريض بينما يكون عقله الواعي نائما

لقد ثبت أنه في أثناء المشي أثناء النوم ، كواحد من ردود الفعل التفكيكية تصبح الأفكار متحمسة قوية لدرجة أنها تحدد سلوك الفرد أثناء النوم . قد تحدث هذه النوبات كل ليلة وقد تحدث دون انتظام ولكن تزيد شيوعها بين المراهقين [illegible] بنسبة تصل إلى ٥٪ حيث قرر Jorgensan & Jenness أنهم وجدا ٥٪ من مجموع ١٨٠٨ من الطلاب الجدد في الجامعة قرروا أنهم قد مشوا أثناء النوم . ينام الفرد بصورة عادية ولكن قد

يستيقظ أحياناً . ويقوم ببعض الأنشطة كأن ينتقل إلى حجرة أخرى داخل المنزل وقد يغادر المنزل كلية وقد يقوم بأنشطة أكثر تعقيداً ثم يعود إلى فراشه وفي الصباح لا يتذكر شيئاً .

في أثناء النوبة تكون عيناه مفتوحتين نصف فتحة أو مفتوحة كلية ويتحاشى العوائق ويستمع إلى من يكلمه ويطيع الأوامر التي يسمعها ، ولكنه يفيق مندهشاً ! ومرتبكاً لوجوده في مكان غير متوقع . وقد يتعرض للأذى أو الارتطام بالسيارات . . . الخ .

مرض النوم :

قديماً كان يشار إلى ما يعرف باسم مرض النوم أو المرض النومي Sleeping sickness حيث كانت تبدو علامات البلادة والنعاس على المرضى وينامون لفترات طويلة قد تصل إلى أسابيع كاملة . ويدخل المرض النومي ضمن التهابات الدماغ أو التهابات الغشاء السحائي Encephalitis & meningitis .

والتي تصيب الدماغ نتيجة دخول فيروسات تحملها الحشرات مثل البعوض أو بعض الحشرات القارضة التي تمتص الدم . Ticks . أما فيما يتعلق بالمرض النومي الناتج عن التهابات الدماغ والذي يؤدي إلى حدوث تغيرات متعددة في شخصية المريض وحتى الحالات المزمنة يبدو المريض نائماً ومتلبداً طول الوقت ولكن هنا المرض لم يعد شائعاً في أوربا في الوقت الحاضر أو في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى حيث أصبح نادراً جداً ما عدا في بعض أجزاء من العالم وبخاصة بعض أجزاء من القارة الأفريقية فهو لا يمثل سوى ١٪ من مجموع نزلاء المستشفيات العقلية الأمريكية وعلى الرغم من أنه لم يختص بأرباب عمر معين إلا أنه يوجد أكثر بين الأطفال والراشدين الصغار .

سيكولوجية نوم الأطفال

لقد أثارت ظاهرة النوم دهشة الإنسان منذ القدم وتعجبه ، بل أثارت حيرته وتأمله في تفسيرها ومعرفة أسبابها وكنهها واكتشاف غموضهـا . وحار في فهم الفرق بين حالة اليقظة والوعي وحالة النوم أو اللاوعي وقارن القدماء والأجداد بين حالة النوم وحالة الموت واعتبروا النوم اختفاءاً مؤقتاً للروح ، واعتبروا أنها تصعد في مكان ما ثم تعود أدراجها عند الاستيقاظ . كذلك أدى أصطحاب النوم لظاهر الأحلام إلى إثارة مزيد من دهشة الإنسان وفضوله لمعرفة أسرار الحياة والموت أو الفناء والأحلام والتفكير والوعي واليقظة .

اعتقد القدماء أن الموت اختفـاء كلياً للروح ، أمـا النوم فهـو اختفائهـا اختفاءاً حزئياً ، وكانوا يفسرون الأحلام بأن الروح تترك البدن في أثناء النوم لكي تنطلق بمفردها مرحة مسرورة بعيدة عن قيود البدن وأغلاله . والآن ولقد ابتعدت فكرة الروح من مجال التفسيرات العلمية وحلت محلها تفسيرات تقوم على أسس آلية في تفسير وظائف الإنسان . ومن تلك النظريات القول بأن جسم الإنسان يعتريه التعب والإرهاق بما في ذلك جهازه العصبي ويتملكه الإنهاك بعد القيام بالعديد من الأنشطة الذهنية والعضلية ومن ثم لا بد أن يسترد طاقته المفقودة من ثنايا فترة من السكون أو الهدوء أو الخمود . وهناك فرض مؤداه أن حالة التعب هذه تؤدي إلى تراكم السمـوم في الجسم وهي التي تنتج بـدورها من نشـاط العضلات والجهاز العصبي لقد سجل بعض العلماء وجود تغييرات أساسية على خلايا لحاء المخ عند الكلاب التي حرمت من التمتع بالنوم لمدة وصلت إلى أسبوع كما لاحظوا أن الكلب النائم المستريح إذا أعطى حقنة من السائل المخي الشوكي من كلب اخر محروم من النوم شعر الكلب بالرغبة الشديدة في النوم ذلك لأن هذا السائل نقل الإحساس الشديد بالنوم من الكلب المحروم منه إلى الكلب النائم .

ولكن اللغز المحير هو ما هو النوم ولماذا ينام الناس [illegible]
النوم فسيولوجيا ونفسياً وعقلياً !!

هناك نظرية مؤداها أن وجود شحنة من [illegible] السمعية والبصرية والذوقية والشمية) هي التي تسبب حالة اليقظة . [illegible] هذه النظرية حالة مريض كانت له أذن واحدة وعين واحدة وعندما كانتا تغلقان تماما كان يسبح في نوم عميق لا يستيقظ منه إلا بعد رفع الغطاء الموضوع فوقهما . ولكن هذه الحالة لا تكفي لتأييد هذه النظرية تأييداً كاملاً نظراً لما كان يعاني منه هذا المريض من شذوذ في قواه الحسية وفي جهازه العصبي .

كذلك فإن النظرية التي تعزي النوم إلى حالة التعب Fatigue لا تفسر لماذا لا ينام الناس الذين يجلسون ساكتين لا يفعلون شيئاً مدداً أقل من أولئك الذين يقومون بأعمال شاقة . ذلك لأنه إن كان حقاً ؟ ؟ ؟ فإن الناس الذين يتعبون أكثر ينامون أكثر . أما النظرية الثانية فهي تتحدث عن اليقظة وترى أن سببها يكمن في استقبال الحواس لحشود من المثيرات والمنبهات الخارجية ، ولكنها لا تتحدث عن النوم في ذاته ، وعلى كل حال يميل العلماء في الوقت الحاضر إلى اعتبار النوم حالة خاصة لدى الكائن الحي تتميز بقلة النشاط النسبي وانخفاض الوعي أو الإدراك أو الشعور وانخفاض استجابة الفرد للمثيرات الخارجية كالمثيرات السمعية أو الضوئية .

ولا شك أن النوم هو أعظم أشكال الراحة حيث لا [illegible] تريح العضلات الإرادية والعينين وحدهما بل يحدث هبوط أيضاً في الإعضاء وهي الأنشطة الأخرى فالدورة الدموية Circulation وكذلك التنفس تنخفض معدلاتهما ويستهلك البدن طاقة أقل بدليل انخفاض عملية الأبض Hetabolicrate ومن ثم فإن مزيداً من الطاقة يتوفر لعملية النمو growth أن النوم هو أحد وجهها دائرة النوم - اليقظة Sleep- Wakefulness cycle [illegible] التبادل بين الراحة والنشاط [illegible] في [illegible] عن [illegible] ما تحدثه القشرة المخية [illegible] التعب [illegible] أنشطة هذا النظام التحت لحائي Subcortical system يؤدي إلى النوم ويتم [illegible] ويستيقظ عليها [illegible]

[illegible] المخي Cerebral Cortex
[illegible] أو يوائم بين فترة النوم وفترة اليقظة بحيث [illegible] فترات اليقظة

وترتبط هذه الدائرة [illegible] والنهار وبتغيرات الضوء والحرارة وبالأحوال الاجتماعية وجداول العمل اليومي تلك التي توفر إثارة للأنشطة كالضوضاء والاتصالات الشخصية . ويرتبط الاستعداد أو التهيؤ الفيزيقي للنوم بانخفاض درجة حرارة الجسم في وقت معين ، ولكنه يختلف باختلاف الأفراد. والمطلب العام على كل حال هو الانتظام في توقيت الأنشطة اليومية كالأكل والاستحمام واللعب والعمل ذلك النظام الذي يتبع في أول الأمر حاجات الطفل الفيزيقية وبعد ذلك يخضع لتكيف الطفل مع الأوضاع في الأسرة ثم الأوضاع في المجتمع الذي يعيش وينمو فيه . وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة يخضع إلى نظام يقوم على أساس الحاجة الداخلية وخبرات الطفل . وعلى حد قول عالم النفس (جيزيل) فإن الطفل يظل في حاجة إلى أن يتعلم النوم من سن الخامسة إلى سن العاشرة . وكان « جيزيل » يرى أن عملية النوم عملية معقدة وتمر بعدة مراحل . كما كان يرى أن الطفل يواجه كثيراً من الصعوبات عند الذهاب إلى النوم ، ويتطلب كثيرا من المساعدات من والديه . وما يزال وقت الذهاب إلى النوم يمثل بالنسبة للطفل فرحة الالتصاق بينه وبين الوالدين . وبنمو استقلالية الطفل ربما يرفض الذهاب إلى النوم ليس من أجل مقاومة النوم في ذاتها ، ولكن لفرض إرادته على الآباء . وبوصول الطفل إلى سن الرابعة عشر على حد قول جيزيل وزملائه Gesell فإن الطفل يتحمل مسؤولية الذهاب إلى النوم في المواعيد المحدده ويفهم حاجته إلى النوم بنفسه . وبلوغه سن الخامسة عشر يصبح [illegible] الحاجة إلى النوم [illegible] لذلك أن يدرك الآباء والأمهات [illegible] [illegible] ولذلك فلا [illegible] الأمهات [illegible] الأطفال [illegible] [illegible] الراحة [illegible] [illegible] أو الاستشفاء [illegible]

ليلة من النوم إذا لم تكن هادئة أو مريحة أو إذا لم يحصل على قسط وافر من النوم . كذلك فإن الطفل لا يرقد ساكتاً كلية وإنما هناك حركات تختلف من طفل إلى آخر ومن ساعة لأخرى من ساعات النوم ومن ليلة لأخرى . وبالطبع يرجع بعض هذه الحركات من النوم لفترة طويلة في وضع واحد . وعلى ذلك فالحركات تمنع من وجود ضغوط على بعض العضلات ومن هنا فإنها تساعد على حصول النوم المريح وقد تكون الحركات الزائدة عن الحد دليلاً على التعب .

وتختلف كمية النوم اللازمة باختلاف السن ، فهي تقل بتقدم الفرد في العمر ، فالطفل الصغير يقضي معظم وقته نائماً ، وكلما نما كلما زادت ساعات اليقظة عنده . وفي سن ما قبل المدرسة ينام معظم الليل ويأخذ سنه من النوم صغيرة خلال النهار nap . وعند الذهاب إلى المدرسة قد تلغى هذه « السنة من النوم » أما تلقائياً أو بسبب الذهاب للمدرسة . وهناك بعض المدارس التي تقدر أهمية إعطاء فترة قليلة من النوم لتلاميذها ومن ثم توفر لهم ذلك ضمن الجدول الدراسي .

وطبقاً لما قرره «ديسبيرت» «Despert» فإن الطفل قبيل سن المدرسة ينام ١١,٢٥ ساعة من مجموع الـ ٢٤ ساعة يومياً . ولا يمكن وضع قاعدة تعسفية للأطفال الأكبر من ذلك إذ يتوقف ذلك على تكوين الطفل الفيزيقي والعاطفي ومعدل سرعة النمو عنده ، وجدول نشاطه اليومي ومدى ما يلقى من إشباع واهتمامات نحو الحياة . فهناك الطفل الذي يستيقظ من تلقاء نفسه ويذهب لفراشه تلقائياً ويشعر بالحيوية ويقوم بأعباء اليوم بكفاءة ، وهناك الطفل الذي يحتاج إلى من ينادي عليه ويلح في النداء في كل صباح والذي يجد صعوبة بالغة حتى يستغرق في النوم والذي يحتويه التعب والإرهاق مبكراً في يومه العملي . مثل هذا الطفل يحتاج إلى إعادة تنظيم جدوله اليومي ربما يحتاج لمزيد من النوم . والأطفال سريعوا النمو يحتاجون إلى ساعات نوم أطول . ولذلك يحتاج المراهق لكمية كبيرة من النوم . والأطفال سريعوا النمو بالكسل لأنهم ينامون حتى ساعة متأخرة من النهار ، ولكن ذلك النوم قد يكون تعبيراً عن حاجة حقيقية . ومن ثم يلزم أن ينام المراهق مبكراً طالما كان عليه أن يستيقظ مبكراً للحاق بمدرسته . ولقد قرر جيزيل وزملاؤه أن ساعة النوم تتأخر بنحو

نصف ساعة كل سنة حتى تصل إلى الساعة ١١ ، وذلك من واقع ملاحظته لأطفال من سن ١٠ - ١٦ سنة .

وتتوقف عادات النوم لأطفال سن المدرسة على الخبرات المتراكمة من السنوات السابقة . فالتعب الطبيعي والمعقول ، ولكن دون الإثارة الزائدة عن الحد ، والنشاط والسعادة اليومية كلها تعد أساساً للنوم الجيد . ولذلك يقال أن الطفل يأخذ يومه معه إلى الفراش ومعنى ذلك إشباعاته وإحباطاته تعامله مع الآباء والزملاء ومع المدرسة وقلقه ، ومتاعبه ومخاوفه وتوتراته وصراعاته ومشاكله ، ومقدار ما حصله من أفراح وآمال . كل هذا يحدد نوع النوم الذي سينعم به الطفل . ومما يساعد على التمتع بنوم جيد تحديد ساعة للنوم ثابتة ، ولكنها غير جامدة تناول وجبات معقولة ومعتدلة ، التمتع بجو من الاسترخاء قبل النوم ووجود مكان للنوم خالياً من الضوضاء وغير ذلك من المثيرات الخارجية وخاصة تلك المثيرات غير المألوفة ، وتوفر عناصر الراحة ، كوجود مخدع مريح وغطاء دافيء ولكنه ليس ثقيلاً وملابس خفيفة ولكنها دافئة أيضاً يمكن تحقيق كثير من ذلك إذا كان للطفل مخدع خاص به .

أما فيما يتعلق باتجاه الطفل نحو الذهاب إلى الفراش ، فإنه يتوقف على اتجاه الأسرة كلها نحو هذا . فهناك أسر لديها اتجاهات إيجابية نحو النوم ، ومن ثم فإنها تغرس نفس هذا الاتجاه في نفس أطفالها . كما أن هذه الاتجاهات قد تنبع من العلاقة السائدة بين الآباء والأطفال ومن المشاعر المتبادلة بينهم . قد تتكون الاتجاهات غير المرغوب فيها من جراء دكتاتورية الآباء الزائدة أو سلطة الآباء الأزيد من اللازم وقلة الإرشادات أو التوجيه وثقل شعور الطفل بالمسؤولية عن سلوكه والحديث الزائد عن الأرق أو الخوف من الظلام أو الإحساس بالعقاب عند الذهاب للنوم .

ويرفض الطفل الذهاب إلى النوم إذا أحس أنه إذا فعل ذلك فلسوف يحرم من التمتع بشيء ما . فقد يشعر أنهم يخدعونه ويضعونه في الفراش بينما يظل الباقون يستمتعون بنشاطهم الليلي كمشاهدة التليفزيون .

وهكذا تتضح أهمية النوم في تحقيق شعور الطفل بالسعادة والرضا

[illegible]

كذلك فأنه لا ينبغي تشجيع الطفل على تكوين عادة النوم ازيد من اللازم .

ـ سلوك العنف.
ـ الأسباب النفسية للجريمة.
ـ المشكلات السلوكية عند الأطفال
ـ عقدتا أوديب وإلكترا.
ـ مشكلة السرحان وشرود الذهن.
ـ نزعة النرجسية.

التعريف الإجرائي :

من الضروري للدارس أن يضع يده منذ البداية على تعريف المصطلحات والمفهومات والظواهر التي عليه أن يدرسها ، ذلك لأن التعريف بمثابة المرشد أو الإشعاع الضوئي أمام الدارس . وفي مجال علم النفس نهتم بنوع خاص من التعارف هو التعريف الإجرائي الذي يصف الظاهرة بإرجاعها إلى الوحدات السلوكية الجزئية التي تتكون منها أو المواقف التي تظهر فيها . ومن هنا كان التعريف الإجرائي الشهير للذكاء مثلاً هو أن الذكاء ما تقيمه اختبارات الذكاء . وتتضمن تلك الاختبارات مواقف جزئية محددة كالمسائل الحسابية وغيرها والتي يتعين على الفرد حلها .

وعلى غرار هذا نبحث في تعريف الإحباط . وهناك صعوبة تواجه وضع تعريف إجرائي للإحباط ، لأنه يشير إلى شيئين مختلفين تماماً هما :

أ ـ يشير إلى الانفعال أي الاستجابة التي تتصف بالإحباط والشعور بالفشل .

ب ـ قد يشير إلى موقف Situation أي موقف مثير أو موقف يتضمن مثيرات .

البحث عن علة السلوك :

ولكننا نستطيع أن نقول أن الموقف الذي يؤدي إلى الإحباط هو موقف تهديدي معوق أي يتضمن تهديداً أو خطراً على حياة الفرد Thwarting . ومعروف أن معظم سلوك الكائن الحي يتمركز حول هدف معين Agoal أو يسعى لتحقيق تعزيز ما أو الحصول على مكافأة ما . وفي ميدان البيولوجيا أو علم الحياة قد يحدث أن حدثاً مستقبلياً قد يؤثر في حدث ماضي أو يؤثر في هدف من الأهداف الماضية أي في السلوك الذي حدث قبل الهدف .

ومعنى هذا أننا نضع سبب السلوك بعد السلوك ، وليس قبله ، ومعنى ذلك أنه بدلاً من العلاقة العامة والشهيرة وهي علاقة السبب والنتيجة أو العلة

[illegible] الشعلة أو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المنفجر [illegible] يكون [illegible] فوق البارود [illegible] المهيء للانفجار وهذا السبب بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير أو النقطة التي ملأت المحيط أو الشرارة التي أشعلت [illegible] وأحدثت الانفجار . ومن ذلك وفاة أحد الأقارب أو الإفلاس الاقتصادي أو فقدان الوظيفة أو الفشل في الحب والغرام أو [illegible] الزوجية .. الخ .

[illegible] بمثابة [illegible] ملوك ، [illegible] الفرد [illegible] الاجتماعية الطويلة أو [illegible] الإحباط أو [illegible] المعاناة .. الخ .

وعلى هذا [illegible] أو [illegible] ، وكذلك الأحداث الماضية ، [illegible] السلوك [illegible] ، ولكننا لا نستطيع أن [illegible] الهادف [illegible] لا يمكن [illegible] بأثر [illegible] الماضي ، ذلك لأن [illegible] مضى [illegible] لا سبيل للتأثير فيه [illegible] في [illegible] لا [illegible] أن يتحكم في ماضيه إلا [illegible] التحكم [illegible] الماضي ، فأنا أستطيع أن أكون راضيا وفخورا [illegible] أو لا [illegible] عنه

[illegible]

حتى يصل إلى الهدف أو إلى الطعام . ونستطيع أن نغير ونبدل في [illegible] والمتغيرات المتضمنة في هذا الموقف التجريبي . ونستطيع أن نغير ونبدل في العوامل والمتغيرات المتضمنة في هذا الموقف التجريبي ، فنستطيع مثلا أن نغير من حجم ونوع المثير ، ونلاحظ تأثير هذا التغيير على سلوك هذا الفأر أي ندرس أثر حجم المكافأة على استجابة الجري هذه ، بمعنى أننا نبحث أثر تغيير حجم المكافأة على سلوك الفأر في المحاولة القادمة أو المقبلة ، وليس على المحاولات السابقة على تعديل حجم التعزيز .

وجود عوائق أمام السلوك :

وفي ضوء هذه المقدمة حول السلوك الهادف للفأر ، أي السلوك الذي يستهدف الفأر من ورائه الحصول على المكافأة أو الطعام نستطيع أن ننظر في تعريف اصطلاح الإحباط .

وإذا افترضنا أن الفأر جرى في الممر عددا من المرات ، وكان في كل مرة يحصل في النهاية على المكافأة أو التعزيز ، فماذا يحدث إذا وضعنا في الممر حاجزا يحول دون وصول الفأر إلى الطعام ؟ في هذه الحالة ماذا نتوقع [illegible] أن يفعل ؟ إنه يظهر علامات تدل على المضايقة كأن يحدث [illegible] بعضه ، وقد يأخذ في الذهاب والإياب في عصبية وهياج [illegible] هذا الانفعال الذي يبديه الفأر نسميه « **الإحباط** » [illegible] مهددا . وهنا نستطيع أن نضع تعريفا إجرائيا للإحباط [illegible] definition [illegible]

فإذا تعرض الفأر لمحاولات ناجحة في السلوك الهادف أو السلوك الهداف أو السلوك الموجه لهدف ما إذا وضعنا حاجزاً بحيث يعجز الكائن الحي أو يعاق عن مواصلة التقدم نحو الهدف وإذا أظهر علامات انفعالية ، فإننا نقول أن الكائن الحي في حالة إحباط ، ولا شك أن مثال الفأر هذا يوضح حالة الإحباط وطبيعتها بالنسبة لغيره من الكائنات الحية في جميع المواقف الإحباطية .

فالإحباط يحدث عندما تحصل إعاقة أو تهديد للنشاط الموجه بهدف ما Goal directed activity وعندما يثار أو ينساب السلوك الانفعالي .

العالم مليء بمواقف الإحباط :

والعالم الخارجي مليء بالإحباط من حولنا . فالطالب يستهدف أن يختار امتحاناته وينجح في مقرراته الدراسية ، ولكنه غالباً ما يواجه الحواجز أو السدود أو الموانع والعقبات ، من بين هذه السدود الامتحانات . فكل امتحان يمثل موقفاً مهدداً . والجميع يعرف أن الطلاب يصبحون أكثر انفعالية قبل الامتحان . فإذا حدث أن كان الأستاذ غامضاً إزاء عرض بعض الموضوعات ، فإن الطلاب يكونون أقل تسلحاً أو تساهلاً إزاء هذا الغموض ، وتظهر ثورة غضب الطلاب وعدم شعورهم بالراحة ، تظهر هذه الانفعالات في هذا الوقت الحساس القريب من الامتحانات عما لو كان هذا الغموض قد ظهر بعيداً عن الامتحانات . ومن هنا كان الامتحان يمثل الموقف المهدد أو المشير المهدد وكانت انفعالات الطلاب عبارة عن الإحباط .

- الفشل يقود للنجاح :

ولكن الإحباط يعمل على إثارة السلوك وجعله أكثر حيوية . وكما يقولون : الفشل يقود للنجاح . أو أننا نأخذ من فشلنا عبرة وعظة ودافعاً لنجاحنا في المستقبل . فالإحباط يعد باعثاً أو دافعاً أو حافزاً على بذل مزيد من الجهد . لقد وجد أن الإحباط يقوي من استجابة الكائن الحي . فالإنسان الجائع أو المحروم من الطعام لمدة طويلة يجري مسرعاً عائداً إلى بيته حيث يوجد الطعام . والعامل المحروم أو الفقير والمحتاج إلى المال يجري مسرعاً لعمله للحصول على ما يحتاج من المال . والطالب المحتاج إلى المؤهل الدراسي يبذل مزيداً من الجهد للحصول عليه .

تأثير الجوع أو الحرمان من الطعام :

ولقد تأيدت هذه الحقيقة من خلال التجارب التي أجراها « أمسل » AMSEL وزملاؤه على الفئران . وفي هذه التجارب أزالوا العامل المهدد . ولقد استعملوا جهازاً يتكون من ممرين يوصلان إلى بعضهما البعض في صندوق الهدف Goal- Box بحيث يكون الصندوق الأول يمثل نقطة البداية للصندوق الثاني . ولقد تم حرمان الفئران في هذه التجربة لمدة ٢٢ ساعة ، وقامت هذه الفئران بثلاث محاولات في اليوم لمدة ٢٨ يوماً مع وجود الطعام في كلا الصندوقين . وكان على الحيوان أن يجري في أحد الممرات ويأكل الطعام في صندوق الهدف رقم واحد ، ثم كان عليه أن يجري مباشرة في الممر الثاني للوصول إلى الطعام في صندوق الهدف الثاني . وفي اليوم التاسع والعشرين وفي الأيام المقبلة تمت إزالة الطعام من صندوق الهدف الأول في منتصف المحاولات ، بينما ظل الطعام موجوداً في الصندوق الثاني . واهتم الباحثون بقياس استجابة الحيوان ، وكانت هذه الاستجابة المقاسة عبارة عن طول الوقت الذي يستغرقه الحيوان في الرجوع من الممر الثاني . ولقد لوحظ انخفاض هذا الوقت مما يدل على أن الحيوان المحيط كان يجري أسرع من زميله المشبع .

وكثيراً ما يتردد أن الحياة تصبح أكثر سعادة ومتعة إذا تخلصت من مواقف الإحباط . ولكن لسوء الحظ لا يمكن التخلص من هذه المواقف فهي حتمية في هذه الحياة ، وبالمثل الانفعالات التي تثيرها أو التي تتولد عنها .

عوائق السلوك الحر :

حتى الطفل الصغير لا يبقى كثيراً من الوقت حتى تواجهه العقبات والعوائق والحواجز والسدود . فإذا لاحظت طفلاً صغيراً يتعلم تناول الطعام باستخدام أدوات المائدة فإنك تلمس الانفعالات التي يعبر عنها بقوة والتي تصاحب عملية التعلم هذه . فالطفل في الغالب يفضل أن يتناول طعامه بيديه وأن يقذف إلى فمه أو ينشره في أرجاء الغرفة . ولكن الكبار يقفون له بالمرصاد لمنع هذا السلوك الحر . هؤلاء الكبار يمثلون سدوداً أو عوائق يحب الصغير أن تزال من أمامه . ومن هنا يشعر الصغير بالإحباط . وبالمثل موقف تدريب الطفل على قضاء حاجاته يمثل موقفاً مهدداً آخر . وبالمثل كثير من مواقف التفاعل

[illegible] في مواجهة قضاء حاجاتنا . [illegible] في [illegible] كيفما نشاء ومتى [illegible] .

الإعاقة تبعث على الإبداع :

وتعتبر مواقف التهديد أو الإعاقة مثيرا قويا للإبداع والخلق والابتكار Creativity [illegible] حل المشاكل Problem- solving والحقيقة ان موقفي التهديد وحل المشاكل متشابهان إلى حد كبير بل هما في كثير من الأحيان متطابقان Identocal ففي كلاهما يوجد حائل دون تحقيق الإنسان لأهدافه Barrier . هذا العائق يتعين التغلب عليه . فإذا لم يكن هناك مواقف مشكلة ، فلن يكون هناك بالطبع حلول ، وبدون وجود حلول للمشاكل فإن حضارتنا سوف تبقى ساكنة أو جامدة Static وبلا تقدم أو نمو أو ازدهار . والانفعال المصاحب للمشكلة قد يكون مرغوباً فيه أو محبوباً لأنه يعد دافعاً للسلوك الإيجابي . والأحباط يعمل عمل الحافز ويقوي من استجابتنا بل إنه يستدعي كثيراً من الاستجابات الجديدة تلك التي تساعد في حل المشكلات . وهنا يطلق العامة كلمة قلق Worry ليدلوا على الإحباط ، والقلق بهذا المعنى يعمل عمل الدافع Motivating function ولكن من المعروف أن القلق إذا زاد عن الحد يصبح عائقاً للسلوك ومعطلاً لإيجاد الحلول الملائمة للمشكلات . ولذلك فإن قدرا بسيطا من القلق يعد بمثابة الشعور بالتحمس للقيام بعمل ما . فالطالب إذا لم يقلق فإنه لن يحصل على تقديرات عالية . وهنا نتساءل عن مصادر التهديد أو الإعاقة ؟ .

مصادر التهديد أو الإعاقة :

يقسم علماء النفس مصادر التهديد إلى نوعين :

أ ـ مصادر بيئية .

ب ـ مصادر شخصيه .

العوائق البيئية [illegible] الإنسان لأداء امتحان [illegible] . فإذا تصورنا شابا ناجحا في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاقتصادي يعد عائقا [illegible]

عن أمه التي تعنى به وحده . والأحباط موقف يجب التدرب على احتماله متى كان حتمياً .

ب ـ يتعين على الفـرد ألا يخلق هوة سحيقـة بين مستوى طمـوحـه ومستـوى اقتداره . بمعنى ألا يبالغ في طموحاته وتطلعاته وآماله وأهدافـه حتى لا تعجز إمكانـاته المـادية أو الجسميـة أو العقلية دون بلوغ هـذه الأهداف العراض . وإنما عليه أن يرسم لنفسه أهدافـاً تقع في دائـرة وفي حدود إمكاناته . وعلى ذلك فالشخص قصير القـامة لا يـطمع أن يكـون لاعباً عالمياً في الكرة الطائرة مثلاً . وهكذا .

ذلك لأن التفاوت بين مستـوى الاقتدار ومستـوى الطمـوح يصيب الإنسـان بالشعـور بالفشـل والإحباط ويضعف الثقـة في نفسـه والشعـور بالتعاسة وضآلة الحظ وهكذا .

جـ ـ يمكن للإنسان أن يتحاشى الوقوع في كثير من مواقف الإحباط وخبراته عن طريق اتقان وضع الخطط والبرامج التي يرسمها لنفسـه وعمل حسـابات دقيقة لكل المتغيرات والاحتمالات حتى لا يفاجىء بوجـود عقبات غير متوقعة . وعدم ازدحام الخطط بالنشاط الذي يتعارض مع بعضه البعض . فالأهداف لا ينبغي أن يزيد عددها في وقت واحد حتى لا يعرقل بعضها البعض . فالخطة يجب أن تكون مقترنة بجدول زمني لأهدافنا .

د ـ ينبغي على الفرد أن ينمي قدراته واستعداداته ومواهبـه وخبراتـه ومهاراتـه وتحصيله باستمرار بحيث يـزيد من معـدلات كفاءتـه الإنتاجيـة والفكريـة والإبداعية وعلى ذلك عليه أن يحسن تعليم نفسه وتلقي التدريبات اللازمة لخوض غمار الحياة بكفاءة واقتدار حتى لا يكون عرضة للفشل والإحباط .

وخير ما يهتدي به المرء في هذا الصدد التمسك بقيمنـا الإسلاميـة الأصيلة وتراثنا الإسلامي الخالد .

الهدى الإسلامي :

الإسلام دعوة للتوسط والاعتدال . ومن هنا فلا مجال للإسـراف أو المبالغة أو الإفراط والإنسان المعتدل في أهدافه بالإحباط . فالفضيلة تكمن في التوسط والاعتدال لا في التطرف والانحراف اهتداء بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة

وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ البقرة ١٤٣ .

والمسلم لا يكلف نفسه ولا غيره فوق طاقتها استرشاداً بالخلق القرآني الكريم المتجلي في قوله تعالى : **﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾** البقرة ٢٣٣ . وقوله تعالى أيضاً : **﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾** الأنعام ١٥٢ .

والإسلام يدعونا للاستعداد والتهيؤ والتخطيط والتدبير وتوفير القوة قبل البدء في الحرب أو في أي عمل هام أي القوة المادية والروحية والخلقية والعلمية والجسمية والعسكرية : قوة الفرد وقوة الجماعة . فالإنسان لا ينبغي أن يخوض غمار أي عمل إلا بعد التهيؤ له ذهنياً ونفسياً وجسدياً حتى لا يصاب بالفشل والإحباط تمشياً مع الهدى القرآني العظيم **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾** الأنفال ٦٠ .

فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وأبلغ صور القوة هي قوة الإيمان : الإيمان بالله وبرسوله وبكتابه وبكل القيم الإنسانية والروحية النابعة من تراثنا الإسلامي الحنيف .

والإنسان يجب أن يقرن القوة بالأمانة ، فالقوة في الإسلام مشروطة باتباع الصالح العام والسعي في سبيل النفع العام وليست القوة الغاشمة البطاشة **﴿ أن خير من استأجرت القوى الأمين ﴾** القصص ٢٦ .

ويدرك الإسلام أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق أهدافه ومراميه إلا بالتعاون مع غيره من بني وطنه أو عروبته أو إسلامه ، فيدعوه القرآن الكريم إلى التعاون والأخذ والعطاء وتبادل المنفعة الخيرة **﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾** المائدة ٢ .

ومن المبادىء العامة التي ترشد المسلم نحو التمتع بالصحة العقلية الجيدة الدعوة لعدم الإسراف أو الشح والإقلال والحرمان كما في قوله تعالى : **﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾** الأسرة ٢٩ .

كذلك فإن الإيمان بقضاء الله وقدره وبتقديره الأرزاق يخفف من وطأة إحساس الفرد بالإحباط والفشل في تحقيق مراميه **﴿ أن الله يبسط الرزق لمن**

يشاء ويقدر ﴾ الرعد ٢٦ . وليس هناك أبلغ من هذا التعبير القرآني في الحث على عدم الإسراف أو التبديد **﴿ ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾** الإسراء ٢٩ .

وعلى المسلم أن يؤاسي أخاه المسلم في مواقف الشدائد ومنها الإحباط والمرض والكوارث ونوائب الدهر فلا يتركه وحده في الميدان وإنما يقف بجواره ويسري عنه ويمد له يد العون وذلك اهتداء بقول النبي « ﷺ » (عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العاني ـ الأسير) البخاري . وقوله « ﷺ » (حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس) مسلم . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه (أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام) البخاري .

وهكذا نجد في المدرسة الإسلامية ما يشفي النفس من أدرانها وأمراضها ويحررها من توتراتها وضغوطها وآلامها وينقلها إلى حيث السعادة والقناعة والرضا والتوكل على الله تعالى .

المراجع :

(١) القرآن الكريم .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرست لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ .

(٣) أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، شباب الأزهر ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

(٤) صحيح الإمام مسلم .

(٥) صحيح الإمام البخاري .

(٦) عبد الرحمن العيسوي ، النمو الروحي والخلقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، اسكندرية .

(٧) عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس والإنسان ، دار المعارف . مصر .

(٨) LEWIS, D.J. Scientific principles of psychology, prentice - Hall, Englewood, 1963

سلوك العنف

مقدمة : خطورة ظاهرة العنف :

تعتبر ظاهرة العنف مشكلة خطيرة تواجه كثيراً من المجتمعات في العالم . ومما يزيد في خطورتها أن غالبية من يتورطون فيها من الشباب . . . والشباب ثروة المجتمع وإن كان في بعض الأحيان يتسم سلوكه بالتسرع وعدم التروي . والمعروف أن الأمراض الاجتماعية ، ومن بينها مرض العنف ، كالشأن في الأمراض الجسمية يصيب المريض فيها السليم عن طريق انتقال العدوى . والشباب هم أكثر فئات المجتمع تعرضاً للتقليد والمحاكاة(1) . وإن كان ما يجري من عنف يقع في خارج نطاق أوطانهم . ذلك لأن العالم الحديث أصبح صغيراً وفي متناول اليد بحكم ما يمتاز به من وسائل نقل واتصال بالغة السرعة فما يجري في أقصى شمال العالم يعلم به أقصى جنوبه في حال وقوعه .

والعنف . فوق أنه أسلوب بدائي غير متحضر ، يشكل ، في كثير من الأحيان ، جريمة يعاقب عليها المجتمع . وككل الجرائم ينخر في كيان المجتمع وينال من وحدته وتماسكه واستقراره وأمنه .

وفي هذا المقال المتواضع نسوق للقارىء الكريم عرضاً لمظاهر العنف وتحليلاً لشخصية مرتكب جرائم العنف وأنواع العنف والأسباب التي تكمن ورائه والنظريات التي وضعت لتفسيره وأساليب الوقاية والعلاج من هذا الخطر المدمر .

العنف يؤثر في قطاعات كثيرة من المجتمع :

تمس مشكلة العنف Violence كثيراً من فئات المجتمع وطبقاته وأفراده ، فهي تمس ، في المحل الأول ، أسرة الشخص الذي يمارس العنف أو العدوان ، كما أن العنف يخلف كثيراً من المشكلات لرجال الأمن والشرطة

والمعلمين والمعلمات ، وحراس السجون ، إلى جانب ضحايا العنف Victims . كذلك تهم دراسة العنف كل المؤسسات الإصلاحية في المجتمع(٢) Correctional orgnazitions .

أهمية التشخيص العلمي :

ولعلاج موجات العنف التي تجتاح شباب اليوم يلزم تشخيص حالات العنف أي دراسة ظاهرة العنف ومعرفة أسبابها ودوافعها والمظاهر التي تتخذها . ذلك لأن المعالجة الفعالة والتداول الحسن لمشكلة العنف تحتاجان إلى التشخيص الجيد لتحديد كم وكيف المشكلة والتعرف على أسبابها ودافعها بغية استبصار هذه المشكلة وفهمها فهما عميقاً . . ذلك الاستبصار Insight الذي يفتقر إليه كثير ممن يتولون معالجة مشاكلة العنف في الوقت الحاضر .

التصدي للعنف مسؤولية المجتمع ككل :

والحقيقة أن قضية العنف والتطرف إنما هي قضية المجتمع بأسره ولا يمكن النظر إليها على أنها من مهام رجال الأمن وحدهم ، ذلك لأن المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، وكذلك الجماعات ، والأفراد مسؤولون أو شركاء في المسؤولية في دفع شرور العنف والتطرف عن حظيرة المجتمع ، بل مسؤولون عن نشأته وتطوره في الشخص المنحرف .

فالمؤسسات التربوية ينبغي أن تتصدى لقضايا العنف والتطرف باعتبارها قضايا تربوية ، وبالمثل فإن أجهزة الأعلام والثقافة الجماهيرية يتعين عليها أن تقوم بدور إيجابي وفعال في توجيه الشخصية العربية وصقل مقوماتها وتربيتها على حسن المواطنة الصالحة ، وعلى الطاعة والانضباط والاعتدال ، وعلى رجال الدين والوعظ والإرشاد تقع مسؤولية الإرشاد الواعي وتطهير آذهان الشباب من الشوائب والخبائث والتيارات الملحدة والوافدة ، وغرس مبادىء الهدى الإسلامي الحنيف الذي يتسم بالتوسط والرفق والاعتدال .

العنف مرض :

وتعتبر وجهة النظر الحديثة العنف مرضاً إجتماعياً أو اضطراباً اجتماعياً أكثر

من كونه جريمة ، ومن ثم لا بد له من البحث عن أسبابه بغية معالجته . فظاهرة العنف تعد عرضاً معتلاً أو مرضياً Symptom أو صيحة إنذار أو رسالة خطر على المجتمع أن يحسن قراءتها . ولفهم ظاهرة العنف يجب معرفة دوافعها الكامنة في شخصية الفرد الذي يلجأ إلى العنف أو التطرف ، وكذلك بواعثها الاجتماعية . ومن هنا فإن دارس العنف لا بد وأن يدرس المناخ الاجتماعي الذي يقع فيه العنف . ولذلك فإن علاج العنف والتطرف يتخذ شكل الإصلاح الاجتماعي Social Reform وكذلك يتعين أن يتخذ شكل إعادة تأهيل أو تربية الشخص العنيف Individual Rehabilitation[٣] .

وبطبيعة الحال يتخذ العنف أشكالاً متعددة في المدرسة وفي الجامعة وفي السجون وفي الحياة العامة وفي الأندية الرياضية والأحزاب السياسية والدينية .

وقد يؤدي العنف إلى جرائم كثيرة منها القتل والسرقة والنهب والثورة والتمرد والعصيان والاضراب والتحريض عليه والضرب والاعتداء والتدمير والتحطيم وإتلاف الممتلكات . ومن ذلك ما يحدث في المجتمع الأمريكي بين الصبية من الزنوج . فإذا ما أردنا التأمل في مظاهر العنف التي يقوم بها مثل هؤلاء الصبية كان لا بد لنا من التعرف على مخاوفهم وآلامهم ومشكلاتهم ومدى عزلتهم ومقدار شعورهم بالاعتزاز ورغبتهم في إثبات وجودهم ، والتعبير عن ذاتهم وحاجتهم النفسية للاحترام والتقدير . وسوف نجد في نهاية التحليل أن هذه الحاجات غير مشبعة على النحو الصائب .

تعقد ظاهرة العنف :

ولا شك أن قضية العنف قضية معقدة ومتشعبة تحتاج في بلادنا لكثير من الدراسات والبحوث الميدانية النفسية والتربوية والاجتماعية والأمنية والقضائية والقانونية . لذلك فإننا نهتم هنا باستعراض نظرية واحدة من تلك النظريات التي وضعت لتفسير الفعل العنيف ونعني بها نظرية الميل لاستهداف العنف .

نظرية استهداف العنف Violence- Prone :

فهناك الشخص الذي ينظر لغيره من الناس كما لو كانوا آلات أو أدوات Tools أو دمى خشبية لا تحس ولا تشعر وضعت خصيصاً لكي تخدم حاجاته

وأغـراضـه . ومن هنـا فـالنـاس في نـظر مثـل هـذا الشخص مجـرد دمى خشبيـة لا تحس ولا تشعـر ولا تفرح ولا تتـألم وليس لها مـا له من حق الحيـاة ويستـطيـع أن يلقى بهـا قابل للجـرح أو الانجراح أو الإهـانة Valnerable أي أنـه يشعر بـأنه عـرضة للهجـوم لأنه غيـر حصين أو غيـر محصن ، وأنــه على وشـك السقــوط في يـد الأعــداء ومثـل هـــذا الشخص يكون شديد الحساسية للنقد وسريع التأثر بالنقد أو بالإغراء ولديه قدر كبير من البارانويا أي جنون الاضطهاد حيث يتوهم أن المجتمع يضطهده ويبخس حقوقه ويتآمر عليه .

وكل من هذين الشخصين من نوع واحد ، وهما وجهان لعملة واحدة إذ يسيطر عليهما معاً اعتقاد مؤداه أن العلاقات الإنسانية Human Relationships تعتمد على القوة أو تتمركز حول القوة ، ولذلك فإنهما ينتهجان منهج القوة في تحقيق مآربهما . . مثل هؤلاء الناس ينظرون إلى الأشياء من وجهة نظر واحدة أو نـظرة ذات جانب واحـد هو جـانبهم فقط One- Way affirs ومن هنا فـإنهم يعجزون عن رؤية الأشياء كما يراها الغيـر أو من زاوية الغيـر . ومن هنا فـلا يستطيعون المشاركة العاطفية أو الوجدانية التي تجعل الفرد يحس بما يحس به أخوه في المواطنة فيسعد لسعادته ويتألم لآلامه . مثل هؤلاء الناس يبذلون جهوداً خارقة لتحقيق ذواتهم Self Assertion أو لتوكيد ذواتهم وإثبات وجودهم ، ولكن بصورة مرضية وشاذة وغير مقبولة دينياً وخلقياً واجتماعياً . فالمريض من هؤلاء يريد أن يثبت ذاته ولكن على حساب حقوق الآخرين . وهم ممتلؤون باليأس والقنـوط والسخط والضجر والتبـرم على المجتمع بمـا فيه ومن فيـه . ويتسم سلوكهم بـالحس والاندفـاع والتسـرع Feverish behaviour تلك الحمى التي تكشف عن الشك الذاتي وعدم الشعور بالثقة في الذات . فالمريض في هذه الحالة يكون غير واثق من ذاته ولذلـك فلا يثق في الآخـرين , وبعض هؤلاء الناس يعتقدون أنهم ، بسلوكهم العدواني ، إنما يـدافعون عن أنفسهم حيث يتوهمون أن أعمالهم من قبيل الدفاع عن النفس لأنهم يتوهمون أنهم يعيشون في وسط غابة من البشر Human jungle أو في وسط مجتمع تحكمه قوانين الغابة . فـلا غـرابـة أن يحكم سلوكهم قـانـون الغـابـة أو مبـادىء مثـل (إذا لم تكن ذئبـاً أكلتــك الذئاب) (والغاية تبرر الوسيلة) (وبعدي الطوفـان) (وعلي وعلى أعدائي) و (الناس لا تحترم إلا الشخص القوي) (ويا روح ما بعدك روح) (وبـات

غالب ولا تبيت مغلوباً)[٤] . . . يتصورون أنه ألقى بهم في هذه الغابة المتوحشة عنوة وقسراً وكرهاً وبلا عدل لكي يعيشوا في وسطها .

ولكننا دائماً ، في معالجتنا للأمور الإنسانية ، لا بد وأن نأخذ في الاعتبار ما يوحد بين الناس جميعاً، أسويائهم ومنحرفيهم، من فوق فردية، فبعض جرائم السرقة بدافع الحاجة وليس لجذب الانتباه ، بعض الجرائم تقع لدفع معين من الضغط الذي يقع على المجرم ، وقد يؤدي الضعف العقلي Feeble-mindedness إلى تورط البعض في الجرائم . ولكن الطابع الغالب على مجرمي العنف الاستجابة الشديدة وإغفال مبدأ المساواة Equality ومبدأ التبادل أو المبادلة Reciprocity ويسعى المنحرف لتحقيق ذاته على حساب حقوق الآخرين . هذه هي طبيعة مباراة استهداف العنف .

تحليل الاستجابة العنيفة :

وإذا حاولنا تحليل الاستجابة العنيفة لوجدناها تمر بعدة مراحل :

أ ـ يبدأ الشخص العنيف بتصنيف الشحية أو الشخص الآخر الذي سيقع عليه العنف تصنيفه «كشيء» « وليس كإنسان يحس ويشعر أو تصنيفه كقوة مهددة أو خطرة أو معوقة Threatening .

ب ـ القيام ببعض الأنشطة القائمة على أساس هذا التصنيف .

جـ ـ رد فعل الطرف الآخر أي الضحية إذا كانت أمامه فرصة للدفاع عن نفسه .

ولقد دلت دراسة بعض القتلة الأمريكان الذين يهاجمون أصحاب المطاعم على أن بعضهم قد يقنع بإهانة صاحب المطعم والاستهزاء به دون قتله إذا ما أظهر صاحب المطعم استسلاماً تاماً . أما إذا رد وقاوم فإنه يستثير دوافع القتل في المجرم . وتتوقف هذه النتيجة على مقدار الاعتدال أو الخلل الذي يصيب ذات المجرم Ego .

تعلم العنف :

وجدير بالملاحظة أن العنف إن هو الإعادة متعلمة أو مكتسبة تتدعم كلما

مارس المجرم مزيداً من العنف حيث يعتقد أرباب العنف أنهم يستطيعون إشباع حاجاتهم عن طريق العنف وينظرون للحياة كلها على أنها مباراة من العنف هم أنفسهم أعضاء فيها .

ويبدو أن عادة العنف تتكون في الفرد منذ وقت مبكر في حياته من خلال العلاقات الشخصية المتبادلة . وينتج هذا الاتجاه من فشل الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية Socialization وعدم تحمل المسؤولية الاجتماعية . وتؤدي تربية الطفل الخاطئة إلى نقص شعوره بالثبات والاتزان وحاجته إلى التأييد العاطفي ويخلق ذلك نزعات مبالغ فيها من توكيد الذات أو الدفاع عن الذات . ومثل هذه الخبرات تجعل من الصعب تكوين مفهوم صحيح عن الذات . ويعتقد المنحرف أنه يعيش في عالم الكلمة الوحيدة فيه للقوة وأن الاهتمام بمشاعر الآخرين ضرب من ضروب الضعف . ولكن نظراً لكون العنف سلوكاً بدائياً ، فإن المجتمع المتحضر وأبناؤه يرفضونه رفضاً قاطعاً .

والشخص العنيف في حقيقته شخص غير آمن Insecured وهو يمتاز بتمركزه حول ذاته Egocentricity وهو ميال لاختيار العنف كوسيلة لحل مشاكله .

وبطبيعة الحال يبدأ المنحرف بتجربة هذا المنهج فإذا نجح فيه عممه ومال إلى الاتيان بالسلوك العنيف على طول الخط .

العنف الفردي والجماعي :

هذا ومعروف أن العنف قد يكون فردياً أو جماعياً ، كما هو الحال في حالة الحرب ، الذي يستهدف القتل والتدمير والتخريب الجماعي . كذلك قد تتعرض بعض المجتمعات لحالات جمعية من السلب والنهب والسرقة والقتل والتخريب . كما يحدث في حالات المظاهرات الصاخبة أو حالات العصيان والتمرد الجماعي . ومثل هذا العمل العدواني الجمعي يتطلب جهود جمعية أيضاً للتصدي له وتعبئة كل قوى الطوارىء في المجتمع .

وهناك دراسات أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية حول تحليل دوافع الاضطرابات المدنية Civil Disorders violence .

وكشفت هذه الدراسات عن وجود العوامل الآتية :

١ ـ إحباط الأمال الناتج عن النضال أو الصراع من أجل الحقوق المدنية .

٢ ـ امتلاء المناخ بعناصر قبول العنف وتشجيعه .

٣ ـ الشعور بالإحباط من جراء الفشل في تغيير أو تحريك النظام العام .

٤ ـ وجود مزاج جديد ، وخاصة لدى الشباب ، بالشعور باحترام الذات والشعور بالاعتزاز القومي أو السلالي .

٥ ـ رؤية البوليس كرمز لقوة « البيض » والعنصرية البيضاء ضد الزنوج White racism والقمع الأبيض أي الذي يمارسه الرجل الأبيض Repression .

ولقد قرر لفيف ممن اشتركوا في حوادث العنف هناك في عام ١٩٦٨ أن هناك أسباباً عديدة تكمن وراء تمردهم منها ما يلي :

١ ـ وحشية رجال البوليس police Brutality .

٢ ـ العامل الآخر هو الثأر ضد تسخيراً واستغلال البيض للسود Retaliation against white exploition .

٣ ـ العامل الثالث هو البطالة وتفشيها بين السود Unemployment .

٤ ـ خيبة الأمل أو فقدان الأمل Hopelessness .

٥ ـ الغفلة أو عدم القصد أو النية Anonymity .

حيث قرر بعضهم أنه لا يعتقد في صحة القتل أو السرقة أو الحرق ، أنهم إنما فعلوا ذلك فقط لكي يلفتوا الأنظار إليهم ولكي يعرف العالم قضيتهم وكيف يعيشون .

٦ ـ فقدان الهوية Lack of identity .

حيث يجد المريض ذاته من خلال أعمال العنف إذا فشل في إيجادها بطريقة أخرى وبطبيعة الحال السلوك العنيف كأي سلوك مرضي ، توجد له مجموعتان من الأسباب :

ـ المجموعة الأولى : هي مجموعة العوامل أو الأسباب المعجلة أو المفجرة أو المهيرة Precipitating وهي التي تعمل عمل البارود للوقود المعد والمهيىء أصلاً للاشتعال . ولذلك فهذه العوامل عبارة عن القشة التي قصمت ظهر

البعير أو القطرة التي ملأت المحيط . وقد يكون السبب المفجر هذا بسيطاً جداً إذا كان الإنسان يعاني من مجموعة أخرى من الأسباب المهيئة أو الاستعدادية أو الضغوط وخبرات الفشل والحرمان والقسوة . . الخ .

استراتيجية علاج العنف :

يمكن وضع استراتيجية لمعالجة حالات العنف باتباع الخطوات الآتية :

١ - معروف أن الشخص الذي يستهدف العنف يثير في الناس ردود فعل عنيفة أيضاً ، ولذلك فنمط التفاعل Interactions بينه وبين غيره يتسم بالعنف ومن هنا فإن خطة التغير أو التعديل أو العلاج ينبغي أن تستهدف خفض الحاجات التي تدفع للعنف أو خلق بدائل للتعبير أو السلوك ، بدائل بعيدة عن العنف .

٢ - والمعروف أن السلوك العنيف يرتكبه الأشخاص الذين يشعرون بعدم الأمان أزاء هويتهم Identity ومكانتهم الاجتماعية أو يرتكبه أناس يتميزون بالتمركز حول الذات Ego centric ومن هنا تلزم معالجة هذه العوامل المرضية .

٣ - يتعين على أخصائي الإصلاح Reformer أن يوفر الفهم أو الاستبصار Insight للمنحرف حول سلوكه ودوافعه ويتعين أن يكون هذا الاستبصار موضوعياً ومقترناً ببرامج إعادة التدريب Retraining حتى يتعلم المريض الاستجابة للمواقف التي كانت تثير فيه العنف بطريقة مغايرة وينبغي أن يقترن تطبيق برامج التدريب بتطبيق الاختبارات للتحقق أولاً بأول من جداوها .

٤ - وبطبيعة الحال لا يجوز أن نطبق نفس البرامج العلاجية Remedial Programmes ولكن يتعين تصنيف المنحرفين في جماعات متجانسة وتأهيلهم في ضوء طبيعة كل نوع من أنواع العنف ، ذلك لأن تصنيفهم في جماعات متجانسة Homogeneous groups يعد أمراً اقتصادياً وله تأثير أقوى وذلك للاستفادة من تأثير الجماعة وللاستفادة من تأثير الجماعة وللاستفادة من أبعاد العناصر المغايرة ولتحقيق نوع من التنافس في مسار التقدم .

٥ - وحيث أن لعبة العنف عبارة عن سلسلة متعددة الأطراف ومن هنا يمكن

تعديلها بإشراك أشخاص آخرين غير أرباب العنف مثل الآباء والأمهات ومن في حكمهم .

وجدير بالملاحظة أن برامج الإصلاح والعلاج لا ينبغي أن تقتصر فقط على الذين تثبت إدانتهم في جرائم العنف Conivted ذلك لأن غالبية مرتكبي جرائم العنف يفلتون من طائلة العقاب ، وينبغي أن تتضمن برامج الوقاية والعلاج بناء الشخصية الناضجة .

وينبغي أن نؤكد أن في الهدى الإسلامي الحنيف خير وقاية من جرائم العنف وغيرها من الجرائم التي تهدد كيان المجتمع .

الهدى الإسلامي :

قال تعالى : **﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾** النساء ٩٣ .

وقال تعالى في القتل وسفك الدماء **﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾** المائدة ٣٢ .

وعن رسول الله ﷺ قوله في تحريم محاربة المسلم لأخيه المسلم « لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » .

في رواية لمسلم قال : قال أبو القاسم ﷺ « من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

وعن جابر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً » رواه أبو داوود والترمذي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال « لعن الله الذي وسمه » .

في رواية لمسلم أيضاً : نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه .

الدعوة إلى الرفق : قال رسول الله ﷺ « أن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وقال أيضاً : « أن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه » رواه مسلم .

وقال أيضاً : « أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شأنه » رواه مسلم .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » رواه مسلم .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ » إلا أخبركم بمن يحرم على النار . أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل » رواه الترمذي .

قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف ذو عيال » رواه مسلم .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ فصلت : ٣٤، ٣٥ .

وقال تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ آل عمران : ١٣٤ .

وقال تعالى في تحريم إيذاء الناس ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ الأحزاب : ٥٨ .

وقال رسول الله ﷺ في الدعوة لحماية المسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى عنه الله .

وقال رسول الله ﷺ في الدعوة للرحمة والتراحم بين الناس : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » .

وقال أيضاً في الحض على الأخاء بين المسلمين : « المسلم أخو المسلم

لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه » .

وقال تعالى في الدعوة للأخاء بين المسلمين والتصالح بينهم : ﴿ **إنما المؤمنون أخوه فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ الحجرات : ١٠ .

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه تعالى : « سمعت رسول الله ﷺ يقول » : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مضعف ولو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواط مستكبر » .

قال الله تعالى في الدعوة للتواضع : ﴿ **وأخفض جناحك للمؤمنين** ﴾ الحجر : ٨٨ .

وقال تعالى : ﴿ **أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ فصلت ٣٠ .

وقال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ آل عمران ١٠٤ .

﴿ **أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ النحل ٩٠ .

المراجـع :

(١) د. عبد الرحمن العيسوي ،سيكولوجية الشباب العربي ، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية . مصر .

(٢) Toch, hans, Violent men, an inquiry into the Psychology of Violence, a Pelican Book, 1972 .

(٣) د. عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية الجنوح ، منشأة المعارف بالاسكندرية . مصر .

(٤) د. عبد الرحمن العيسوي ، العدوان والتسلط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

(٥) القرآن الكريم .

(٦) صحيح الإمام مسلم .
(٧) صحيح الإمام مسلم .
(٨) صحيح الإمام البخاري .

الأسباب النفسية للجريمة

لعل المجتمع العربي الذي تلقى نبأ اغتيال أحد قادته الأبرار وبطل من أبطال الدين والعروبة والتحرير المعاصرين والبارزين ـ لعله يفيق من هول هذه الصدمة المفجعة التي راح ضحيتها العاهل السعودي الكبير بيد آثمه مجنونه حمقاء عندما امتدت يد جلالته الكريمة لتصافح تلك اليد الآثمة الغادرة ، والذي حدث لجلالته يحدث ، ويمكن أن يحدث لأي فرد منا في أي مكان وقد يحدث بسبب أو بدون سبب على حد سواء .

لعل الأمة العربية وهي تدخل عصر التمدين والتحضر ، ثابه مسرعة الخطى ، تنتبه إلى أثر العوامل النفسية التي تزداد يوماً بعد يوم مع تعقد الحياة الحديثة ، ومع ازدياد صرامة وحدة التوترات التي نعيشها والتي من بين آثارها المدمرة والعديدة الجريمة . . . الجريمة المجنونة التي يروح ضحيتها ، في معظم الأحوال ، أشخاص أبرياء عظماء أو غير عظماء .

ولعل هذا الحدث الجلل الذي أثارني لتوجيه هذا المقال ليكون صيحة مدوية في أذهان المسؤولين عن الأمن والجريمة والنشيء والإصلاح ، لتوجيه العناية والرعاية للمرضى النفسيين بمختلف فئاتهم ، ولدراسة العوامل النفسية المسؤولة عن ارتكاب الجرائم ، وحماية المجتمع من هؤلاء المرضى وحمايتهم من أنفسهم أيضاً .

وقد ينكر هذا البعض قائلاً وما للعوامل النفسية أو المرض النفسي والجرائم السياسية المدبرة ؟ الواقع كل جريمة لا بد وأن يكمن وراءها دافع أو عامل نفسي ، حتى في الجرائم السياسية التي يعد مرتكبوها مسؤولون مسؤولية جنائية عن فعلهم ، ذلك لأن لإقناع المجرم وإيمانه « بالفكرة » واستحواذها عليه ، وما يسبق ذلك من عمليات غسيل مخ يتعرض لها من قبل المخططين

للجريمة ، وما يشعر به من ثورة وتهيج ، كل هـذا يعد من العـوامل النفسيـة وجرائم الانتقام ، والاخذ بالثـأر قائمـة على عقيدة نفسيـة خاطئـة حيث يقنع المجرم نفسه « بشرعية » عمله ، وحتى الجرائم التي تقع بمحض الصدفة نجد حالات نفسية تصاحبها كثورات الغضب العارمة ، والنوبات الهستيرية ، وفقدان الشعور أو تكمن وراءها كالخلل العام في الشخصية بل ان الخيال يلعب دوراً قبل الجريمـة حيث « يجسم الفرد لنفسـه » « المظالم » التي يتـوهم أنها تقـع عليه ، ويعمل المريض على حد تعبير المثل الشعبي ـ « يعمل من الحبة قبة » ـ فيثور وينتقم والمعروف أن الانفعال الشديد يعطل عمل الوظائف العقلية .

فيعوق التفكير السليم ، والاستدلال الصائب ، ومن ثم قد يلجأ الفرد ـ مساقاً ـ بهذا الخطأ ـ إلى الجريمة والانتقام .

هذا بالنسبة للأسوياء أو العقلاء من المجرمين فما بالك بمختلي القوى العقلية ؟ .

هؤلاء يرتكبون ، دون وعي أو إدراك ، جرائمهم إما من تلقاء أنفسهم أو نتيجـة تحريض الغيـر لهم ، مستغلين حالاتهم العقليـة وسهـولـة استثـارتهم وتسخيرهم واستمالتهم .

وهناك كثير من الكوارث الجماعية التي يذهب ضحيتها عشرات الأنفس من الأبرياء ، ففي صيف ١٩٧٢ أخذ شاب ثري سيارته من مدينة « المنصورة » بدلتا النيل تاركاً زوجته الشابة الحسناء ، وتوجه مسرعاً إلى مدينة الاسكندرية ، وأخذ يجوبها حتى هداه جنونه إلى إحدى البنايات الفاخـرة في « حي رشدي باشا » فأسرع بتسلق درج السلم ، وأخذ يقرع أجراس الشقق ، حتى فتح له أصحـاب « القدر المحتـوم » الذين فـاجأهم ، بعـد أن استجوبهم عن مكـان « العصابة » التي تطارده بوابل من رصاص مسدسه الحربي ، وأخذ ينتقل من شقة إلى أخرى يوزع الموت كما يشاء على الأبرياء دون تمييز ، ودون سابق « معرفة » بينه وبينهم .

والحكـايات عن ذلـك كثيرة ومفـزعة ، فـالصحف تحدثنـا عن الـطالب الجـامعي الأمـريكي الـذي أخـذ يحصـد بـرشـاشـه رؤوس زمـلائـه الـطلاب والطالبات . . الخ ، وكثيراً من « مشاهير السفـاحين » كانـوا مختلي العقل ،

فخطر هؤلاء لا يحتاج إلى دليل ، والإحصاءات الحقلية تؤكد أن هناك نسبة كبيرة من الجرائم ترجع إلى عوامل نفسية أو تتدخل ضمن دوافعها الخارجية .

وتظهر العوامل النفسية بنوع خاص في جرائم القتل والضرب المفضي إلى الموت ، وأحداث العاهات ، والخطف ، وهتك العرض ، والاغتصاب ، والسرقة ، والحريق المتعمد .

أما جرائم التهريب والتزوير والاختلاس واتلاف المزروعات وتسميم الماشية وتزييف العملات فإنها تحتاج إلى تفكير وإلى تخطيط لا يتوفر لدى صاحب العقل المشوش . وترتبط نسبة الجرائم بعامل السن الذي يرتبط بدوره بالحالة النفسية ، فيلاحظ مثلاً أن أكبر نسبة من مرتكبي جرائم القتل العمد تقع في سن ٢٠ ـ ٤٠ سنة ، وأقل فئات السن في الجريمة من ١٥ سنة ، وما فوق ٦٠ سنة . أما بالنسبة لجرائم الأحداث الجناح . وهم الذين يقل عمرهم عن سن معينة تختلف باختلاف القوانين الجنائية في البلدات المختلفة ، فالعامل النفسي ظاهر فيها بوضوح إذ تعرف شخصية الحدث الجانح بالشخصية السيكوباتية وهي الشخصية التي يفقد صاحبها الحس الخلقي ويفقد الإحساس بالذنب أو اللوم على ما يرتكب من جرائم ولا يشعر بالأسف لما يلقاه ضحاياه من الآلام وإنما هو « يقتل ويضحك » على حد التعبير الشعبي ـ شخصية أنانية لا تقيم وزناً لمشاعر الآخرين أو لحقوقهم ، مندفع وثائر وسلوكه مضاد للمجتمع ويمتاز بعدم الثبات الانفعالي .

كما ترتبط الجريمة أيضاً بنوع المهنة وما تعكسه من مستويات تعليمية لأصحابها ، فنجد أن أعلى نسبة من مرتكبي الجرائم المشتغلين بالأعمال الزراعية والصيد في البحر والبر وأعمال الغابة ومن إليهم ، على حين أقل نسبة من مرتكبي الجرائم كانت من المديرين وأصحاب الأعمال الإدارية ، والتنفيذية ومن إليهم . وتكثر نسب جرائم الأحداث من جرائم الضرب المؤدي إلى العاهات والمؤدى إلى الموت وهتك العرض على التوالي .

وبالنسبة للتوزيع الرسمي لجرائم القتل العمد حسب دوافعها نلاحظ أن عوامل نفسية مسؤولة عن كثير من الجرائم كالثأر (٢٤٤ جريمة قتل عمد ، الانتقام ٣١٧ ، الاستفزاز ٢٧٨ ، دفع العار ٨٢ ، أسباب عاطفية ١٩ وذلك من

مجموع جرائم عمد عددها ١٢٢٠) .

فالعوامل النفسية ومن بينها السكر وإدمان المخدرات تلعب دوراً رئيسياً في حدوث الجرائم والجنح الجنسية وغيرها .

إنما يذهب البعض إلى أن السكر لا يساهم مساهمة كبيرة في الجرائم الخطيرة ، كالقتل وإنما يساهم فقط في جرائم التشرد وهجر الأسرة والاغتصاب ، ولكن الواقع أن السكر ، وإن لم يقد مباشرة إلى الجريمة ، فإنه يؤدي إلى حالة تفكك في الشخصية واختلال التفكير وتعرض المريض لحالات شديدة من الهلوسة حيث يرى ويسمع ويشم . . أشياء لا وجود لها ، كما أنه يقوده إلى الوقوع تحت تأثير وهم أو هذيان الاضطهاد أي أنه مضطهد من فرد أو جماعة أو من المجتمع كله وأن الجميع يحيكون له المؤامرات ويدبرون لاغتياله ومن ثم يباغتهم قبل أن يباغتوه .

والملاحظ أن السكارىٰ قد يلجأون إلى كثير من أعمال العنف والشغب والصياح سواء مع بعضهم البعض أو مع غيرهم وإلى الاغتصاب . وإذا كان الإدمان ولا شك ضاراً فإننا نلجأ إلى التساؤل لماذا إذن يسكر الناس ؟ يذهب كثير من علماء النفس إلى القول بأن الفرد يلجأ إلى السكر كوسيلة للهروب من الواقع المؤلم الذي يعيشه لكي ينساه . فهو وسيلة يحتمي فيها المريض لكي ينسى همومه . إنما الواقع أن الشرب يزيد من هذه الهموم ولا يخفف من حدتها فيشرب ثانية ، وهكذا يستمر المريض في حلقة مفرغة .

ولما كان إدمان الخمر أو المخدرات يرهق دخل المريض فإنه كثيراً ما يرتكب جرائم سلب الأموال الغير بالقوة . وتتضح هذه الحقيقة في حال قاتل الملك فيصل حيث توترات الأخبار عن الحاحة في طلب زيادة رواتبه ومعاشاته . وإلى جانب هذا فإن إدمان المخدرات قد يضطر صاحبه إلى مخالطة أناس من ذوي المستويات الاجتماعية السيئة مما يجعله يكتسب عادات إجرامية أو مضادة للقانون ، ويخفض من مستوى طموحه ومعنوياته .

وينبغي أن ينتبه الشباب إلى أن الإدمان سواء على الخمور أو المخدرات قد يبدأ عندما يرغب الفرد في مجرد التجربة مدفوعاً بحب الاستطلاع ، ولكن ما

يلبث أن يستمر في العادة ولا يستطيع منها خلاصاً . والواقع أننا لا ينبغي أن نجرب كل شيء لكي نقف بأنفسنا على خطره بل يكفي القراءة والاطلاع والإفادة من خبرات الغير وتوجيهاتهم ، وهنا تبدو أهمية توعية الشباب وتثقيفه .

ومن الجرائم النفسية الواضحة ما يعرف باسم السرقة القهرية .

وهي نتيجة حالة نفسية حيث يجد الفرد نفسه مساقاً إلى سرقة أشياء قد تكون تافهة وقد لا تتفق مع مستواه الاجتماعي « البراق » ولكنه يسرقها لإشباع دوافع وعقد لا شعورية كامنة .

وينبغي ملاحظة أن هناك مرضى تعتريهم نوبات متعاقبة من الهدوء وأخرى من الثورة والعنف في الأخيرة يصبحون خطراً على أنفسهم ، فقد ينتحرون ، وقد يعتدون على حياة الآخرين . كذلك هناك من « الجرائم » تخصصات دقيقة فهناك جنون الجنس وهناك جنون الاضطهاد وهناك جنون الحريق وجنون السرقة . . . الخ وهناك نوع « طريف » من الجرائم يرتُكبها المريض أثناء نومه دون وعي أو إدراك ، وعندما يستيقظ فإنه لا يتذكر شيئاً مما ارتكبه في نومه . وفي حالات ازدواج الشخصية حيث يتقمص الفرد شخصية غير شخصيته الأصلية قد يرتكب بعض الجرائم أثناء تقمص شخصية إجرامية وتجده نادماً وغير راض على سلوك هذه الشخصية بعد أن يعود إلى شخصيته الأولى .

ويمتاز المريض السكوباتي بالعجز عن التحكم في دوافعه وضبط نفسه ، فهو يندفع بكل قواه لإشباع حاجاته التي يشعر بها سواء كانت حاجة جنسية أو مادية . . . ولا يستطيع أن يتحكم فيها أو يؤجل إشباعها . ولا يهتم بالمسؤولية ولا يتأثر بالمدح أو الذم ولا يتعلم من العقاب ولا يخشاه ، إن ضميره على حد تفسير فرويد لم ينمو النمو الكافي الذي يجعله يحاسبه على ذنوبه وخطاياه .

ليس الخلل العقلي وحده هو المسؤول عن الجريمة بل إن الضعف العقلي أيضاً حيث يعجز الفرد عن التمييز بين الخطأ والصواب ، ويقف دون إدراك عواقب عمله أو فهم نوايا الآخرين .

كل هذه الفئات : المرضى العقليين والنفسيين ومرضى الخمور والمخدرات وضعاف العقول ومرضى الجهاز العصبي والغدي ينبغي علاجهم

وإيوائهم ، بل ينبغي توفير الوسائل والرعاية النفسية والتربوية التي تحقق الوقاية أصلاً ضد الإصابة بمثل هذه الاضطرابات ، ولا يصح أن نقف موقف المتفرجين حتى يرتكب أحدهم جريمة مروعة ثم نلطم الخدود بعدها وإنما ينبغي العمل على اكتشاف هذه الفئات وحمايتها ويلزم نشر الوعي السيكولوجي والتربوي بين أفراد المجتمع بحيث يحسنون معاملة المرضى ويقدمون لهم العلاج الطبي والعلمي الضروري ، وألا يشعروا بالخجل أو العار من وجود أحد هؤلاء في الإسرة ، فإن النفس تمرض كما يمرض البدن وليس هناك أي مساس خلقي في مرض الإنسان عقلياً كان أو جسمياً .

إن الأمة العربية وهي تبني حضارتها الحديثة لا بد أن تبنيها حضارة متكاملة شاملة لا تقوم على أساس التقدم المادي أو التكنولوجي وحده وإنما على أساس الاهتمام بالعنصر الإنساني وقدسية الإنسان والحفاظ على كرامته وحقه في الحياة والسعادة ، ولا بد إذن من تنمية شخصية النشء بكل جوانبها الجسمية والعقلية والمعرفية والنفسية والاجتماعية والخلقية والروحية وأن تدعم القيم الروحية المقدسة التي تحفظ على الإنسان كيانه وتحميه من الضياع أو الإلحاد في وسط عالم متطور سريع التغير كثير المنافسة ، مملوء بالتوترات ، ومن هنا كانت أهمية علم النفس في حياة الأمة العربية المعاصرة .

المشكلات السلوكية عند الاطفال :

مقـدمـة :

يلاحظ أن كثيراً من الأطفـال يكذبـون بحكم ظروف مـرحلة النمو التي يمرون بها ، فالطفل أو المراهـق قد يكذب رغبة في جذب الانتباه إليه . كما يحدث عندما يبالغ المراهق في ذكر مغامراته لأصدقائه وأنداده . كـذلك من المعروف أن الطفل الصغير ـ لا يستـطيع أن يميـز تمييزاً قـاطعاً بين الحقيقـة والخيال ويدفعه ذلك إلى الكذب . فالطفل الصغير يختلط عليه الأمر فلا يعرف الفرق بين ما حدث بالفعل وبين ما تخيله هو . فالقصص والأساطير الخيالية التي يسمعها الطفل الصغير تترجم في خياله إلى واقع ولذلك يراها تحدث أمامه يراها بعين الخيال كما لو كانت ماثلة أمامه فعلاً . والمعروف أيضاً أن خيال الطفل قوي لدرجة تجعله أحياناً أقوى من الواقع نفسه وإعطاء الطفل الفرصة لكي يخبر بنفسه الأشياء الحقيقية وتوسيع ذهنة بالمسائل العلمية يسـاعد في التمييـز بين الحقيقة والخيال . كذلك هناك بعض الأطفال الذين يميلون للكذب على سبيل اللعب أو لتأثير كذبهم على المستمعين أو الكذب بدافع الخوف أو الولاء وعلى الصفحات القادمة سوف نتناول نقاط هامة بهذا الموضوع .

أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد :

تعتبر مرحلة الطفولة ذات أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد ذلك لأن فيها توضع البذور الأولى لشخصيته ، فعلى ضوء ما يلقى الفرد من خبرات في مرحلة الطفولة يتحدد إطار شخصيته فإذا كانت تلك الخبرات مواتية وسوية وسارة يشب رجلاً سوياً متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به وإن كانت خبرات مؤلمة مريرة ترك ذلك آثاراً ضـارة في شخصيته . إن خبـرات الطفـولة تحفـر جذورها عميقة في شخصية الفرد لأنه ما زال كائناً قابـلاً للتشكيل والصقـل ، وعلى ذلك ينبغي الاهتمام بهذه المرحلة على وجـه الخصوص وتـوفير البيئـة

الصحية للطفل وتقديم الرعايا النفسية اللازمة له والعمل على إشباع حاجاته وحمايته من التوتر والقلق والخوف والغيرة والغضب والشعور بعدم الأمان ومعاملته معاملة حسنة على أساس من الفهم العميق لدوافعه وانفعالاته وإحساساته . ولكن ينبغي الإشارة إلى أن عملية تربية الأطفال ليست عملية سهلة هينة ، ولكنها عملية تتطلب الكثير من الوعي النفسي والتربوي لدى الآباء والأمهات والمعلمين والكبار عامة . ومما يزيد من صعوبة هذه المهمة تعرض الطفل لكثير من المشكلات والأزمات النفسية ومن بين تلك المشلات الكذب وقد يكون العدوان موجهاً نحو المجتمع والناس وكذب الأطفال لا يزعج الطفل وإنما يجعله يشب رجلاً كاذباً وعدوانياً .

الكذب : أسبابه وطرق علاجه :

أول ما يشغل بال الآباء والأمهات هو السبب في ميل أطفالهم إلى الكذب أي عدم ذكر الوقائع الحقيقية . وتتصل هذه النزعة بصفة الأمانة عامة . وعلى ذلك يقصد بالصدق الأمانة في سرد الواقع وإن كانت الأمانة أو الخيانة تتضمن السرقة أيضاً ، ولكن قد يوجد الكذب كنزعة مستقلة لدى بعض الأطفال أو لدى الكبار دون وجود الميل إلى السرقة أو الغش والواقع أن الآباء يجب أن يؤمنوا أن الطفل قد يكون أيضاً في موقف وفير أمين في موقف آخر . فالطفل قد يكون أيضاً في المدرسة على حين أنه يسرق نقود أمه وقد يغش الطفل في الامتحان في مادة معينة ولا يغش في آخر تبعاً لدافع الطالب إلى الكذب والغش والسرقة . وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نتساءل **ما هي الظروف التي تؤدي للكذب ؟** في رأي أ.د/ عبد الرحمن محمد عيسوي كاتب المقال من هذه الظروف أو العوامل التي تؤدي للكذب ما يأتي :

١ - ميل الآباء أنفسهم إلى الكذب سواء مع الطفل أو غيره . . .

٢ - تقليد الطفل للكبار في عملية الكذب .

٣ - قد يجد الطفل نفسه مضطراً إلى الكذب بسبب جذب انتباه الآخرين إليه أو الخوف من العقاب أو رغبته في توكيد ذاته وإثبات قيمته وعلى ذلك فليست هذه الأكاذيب إلا تحقيقاً لرغبات الطفل المكبوتة التي عجز عن تحقيقها يروي مثلاً عن صديقه « محمود » أنه أخذ من أبيه خمسة جنيهات لشراء بدله وساعة وعجلة ومدفع . . . وهكذا .

وتعرف هذه الأكاذيب بالأكاذيب البيضاء في سرد هذه الأكاذيب متعة ولذة ونشوة نتيجة الحرمان في عالم الواقع يحاول الإشباع في عالم الخيال أو أحلام اليقظة .

وقد يلجأ الطفل إلى الكذب خوفاً من العقاب الصارم ولذلك يجب أن يكون العقاب معقولاً وليس مفرطاً بل يجب أن يتناسب مع حجم الخطأ .

أنواع الكذب :

وقد يتخذ الميل إلى الكذب شكل المبالغة فيما وقع من أحداث فعلية للطفل وتكثر هذه النزعة لدى المراهقين فقد يروى المراهق لرفاقه الكثير من مغامراته الجنسية وعن حب الكثير من البنات له وعن قدرته على شرب الخمر وعن مغامراته في تسلق الجبال وعبور الأنهار . . . الخ ويعد الكذب من النزعات الخطيرة لدى الأطفال تلك التي ينتج عنها كثيراً من المشكلات الاجتماعية فضلاً عن فقدان الثقة بالطفل وعدم احترامنا له وكذلك نشأته على عدم احترام الصدق والأمانة مما يؤدي به إلى الجريمة في مرحلة الكبر .

وصف حالة كذب عرضت على المؤلف :

عرضت في عيادة المؤلف حالة طفلة كانت تميل إلى الكذب والوقيعة بين أمها وأبيها ولقد قالت في وصف حالتها ما يلي :

أنا أم لثلاثة أطفال أصغرهم طفلة في سن الثامنة وهذه الطفلة الأخيرة تسبب مشكلة كبيرة بالنسبة لنا فهي تميل إلى الكذب وأحياناً تروي لنا قصصاً بأكملها ويصدقها كل من يسمعها ولكن سرعان ما تكشف مما يسبب لي الجرح وجعل الجيران يقولون لي اعملي شيء يوقف كذب ابنتك وعلاوة على ذلك فأنها تسبب مشاكل مع والدها يمكن أن يؤدي إلى الانفصال وتهديم الأسرة وأرجو من سيادتكم علاجها رغم أنني أحبها .

العلاج الذي وضعه على المؤلف :

لقد وضع المؤلف خطة لعلاج هذه الحالة أنني أنصح آباء الأطفال وليس

تلك الطفلة فقط أن يبحثوا في أسباب التي جعلت الأطفال يكذبون أما الخوف من العقاب أو أنه مكروه من جانب الأسرة مثل حالتنا السابقة أو أنه منبوذ أو مطرود كما في الحالة السابقة ويجب على الأسرة العمل على تحاشي هذه الأسباب وتعليم الصدق الذي يجلب له السعادة والرضاء والعلاج السليم ليس في الضرب والعقاب ولكنه يتوفر في الحنان والعطف بقدر معقول وعن طريق الاقناع ـ والقدورة الحسنة والمثال الطيب .

توصيات للأمهات والآباء لعلاج الكذب :

١ ـ إشباع حاجات الطفـل بقدر المستـطاع والعمل على أن يـوجه الـطفل إلى الإيمان بقول الحق وتوجيه سلوكه نحو الأمـور التي تقع في دائـرة قدراتـه الطبيعية مما يجعله يشعر بالسعادة والهناء عكس تكليف الطفل بأعماق تفوق قدراته مما تؤدي إلى الفشل والإحباط والكذب .

٢ ـ أما علاج الأطفال الذين يميلون لسرد قصص غير واقعية فيأتي عن طريق إقناع الطفل بأنك ترى فعلاً في قصته طريفة ولكنك بالطبع لا تفكـر في قبولها أو تصديقها كحقيقة واقعية أفضل من العقاب البدني الشديد .

٣ ـ يجب أن يشعر الطفل بأن الصدق يجلب له النفع وأنه يخفف من وطـأة العقاب في حالة ارتكاب الخطأ وأن الكذب يجب يقتنع الطفل بأنه يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس والحرمان وعدم احترام الآخرين له .

٤ ـ أما دور الآباء والأمهـات فيجب أن يكون حلهم لمشكـلات أطفالهم عن طريق التفكير العلمي الموضوعي السليم وليس عن طريق العقاب الشديد واحترام الطفل والثقة لأن الأب أو الأم اللذان يقومان بدور المخبر السري عن صدق ابنه يشعره بعدم الثقة فيه أما إشعار الطفل بأنه محل احترام وثقة الجميع لا يدفعه للكذب .

الله ولي التوفيق والسداد

عقدتا أوديب والكترا

يرجع الأصل التاريخي لعقدة « أوديب » oedipus complex إلى الوراء ليغوص في أعماق الماضي السحيق ، حيث تستمد من الأسطورة الإغريقية التي تدور حول أوديب ملك طيبة الذي قتل آباه ـ وهو لا يعرفه ـ وتزوج من أمه ، وعندما تكشفت له الحقيقة سمل عينيه .

أما استعمال فرويد لهذا المصطلح فيعني تعلق الولد الذكر لا شعورياً بأمه وحبه ورغبته في الاستئثار بها ، مع كرهه للأب واعتباره منافساً له في حب أمه . ومؤدى ذلك أنها تعلق جنسي مكبوت من قبل الطفل الذكر نحو أمه . وتنشأ هذه الحالة ، وفقاً لنظرية التحليل النفسي ، عند بلوغ الطفل الذكر لنهايته الطبيعية لمرحلة الطفولة . ومعنى هذا أنها تعبير عن رغبة الطفل في أمه . وهناك من يطلق هذه الحالة أيضاً على الأنثى ليعبر عن تعلق الأنثى بأبيها وحبها إياه ورغبتها في إقصاء الأم وإبعادها ، وإن كان التراث السيكولوجي يخصص اصطلاحاً آخر للحالة الأخيرة وهو اصطلاح عقدة « إلكترا » وهي نسبة إلى الكترا ابنة أحمنون وكليتمنتر التي يقال إنها ثارت هي وأختها لوالدها وقتلتا أمهما .

ويعتقد علماء النفس التحليليون أن هذه الحالة عامة لجميع الأطفال على اختلاف مستوياتهم الثقافية والحضارية

ويعتقدون أنها تعبر عن نفسها تعبيراً واضحاً في حالات كثيرة في الحياة اليومية للطفل . كما يعتقد أن كبت هذه المشاعر غير المرغوب فيها يكون ضعيفاً في مرحلة الطفولة المبكرة ، ومن ثم ، تظهر على سطح السلوك الظاهري للطفل والطفلة وتظهر علامات التعلق بالوالدين من أفراد الجنس المخالف لجنس الطفل بصورة غير مقنعة أو خفية أي بصورة علنية في شكل عدوان تجاه الوالد المخالف للجنس ومنافسته والشجار معه ، والسعي الحاد والموصول تجاه الوالد المرغوب

فيه والحصول على حبه وعطفه .

وكان فرويد يرى أن انحراف هذا الموقف الأوديبي قد يقود إلى نمو النزعات الجنسية المثلية في الشخصية . Homosexuality فيما بعد لأن ـ الطفل يتقمص أو يتوحد ، مع الوالد من الجنس المعاكس أو المغاير بدلاً من التوحد مع الوالد من نفس الجنس . وأساس هذا الانحراف يكمن في وجود الخوف من النبذ أو الطرد من جانب الأب نظراً لما يشعر به الإبن نحوه فإن الإبن يتصور أنه سوف يلقى عقاباً على هذا الشعور وهو النبذ أو الطرد ولذلك يتملكه الشعور بالصراع ما بين خوفه من النبذ وشعوره نحو أبيه .

ولذلك فإنه يضطر إلى النكوص أو الارتداد إلى الوراء Regresses إلى مرحلة نمو سابقة سبق أن تخطاها في مراحل نموه المختلفة ، وذلك لكي يتحاشى الإصابة بالقلق النفسي ، بالضبط كما يحدث مع المريض العصابي أي ـ المصاب بالعصاب النفسي عندما يرتد ، وإن كان الشخص المنحرف في حالة الموقف الأوديبي يستمتع بوجود الأعراض المرضية بدلاً من النفور منها بل أنه يعارض إزالة هذه الأعراض Symptoms .

هذه وجهة نظر التحليل النفسي ، أما النظريات المعارضة فإنها ترجع استجابات الفرد إلى وجود إمكانية واسعة لدى الإنسان لصدور استجابات متعددة ومتنوعة في طبيعتها وفقاً لما يلقاه الفرد من خبرات وما يمر به من مواقف تؤدي إلى أن يتعلم أو يكتسب عادات إما صحيحة وسوية صحياً وخلقياً أو عادات شاذة ومنحرفة . لا شك أن ظاهرة التقمص موجودة ومنتشرة وقد يتقمص الشاب الذكر بعض الصفات الأنثوية ويتخذ الأنماط السلوكية الخاصة بالجنس الآخر سواء في ملبسه أو في مظهره وعاداته ويوصف عندئذ بالتخنث وبالمثل يمكن للمرأة أن تسترجل وتتقمص بعض صفات الشباب من الخشونة والاسترجال وقد يكون مرد ذلك إلى الإعجاب الأولي بشخصية الأب .

وطبقاً لمفهوم فرويد ، فإن الطفل يصل إلى هذه العقدة في حوالي سن الرابعة من عمره حيث يأخذ في السعي في الحصول على مصدر لإشباع عواطفه من خلال الالتصاق بأحد الأبوين المخالف لجنس الطفل نفسه .

هذه النظرية ، كغيرها من نظريات التحليل النفسي ، تستعصي عن

الخضوع للمحك التجريبي للتأكد من صدقها أو بطلانها . وإن كان فرويد يستجمع عدداً من الملاحظات ليستشهد بها على صحّة هذه العلاقة ذات الثلاث عناصر وهي الأب والأم والطفل . من ذلك مداعبة الطفل الصغير لأمه ومسكها من شعرها أو ابتسامة الطفلة الصغيرة لأبيها أو تمتع الطفل الذكر بملامسة أمه لجسمه . ويرجع ذلك إلى مفهوم فرويدِ عن الجنس ، حيث أنه اعتبر أن جميع مظاهر اللذة الحسية هي لذة جنسية . ولا بد أن يمر الطفل من الموقف الأوديبي بسلام حتى لا يتعرض لصعوبات أخرى في علاقاته مع أفراد الجنس الآخر . ـ ويتعذر نجاحه في علاقته بزوجته .

ويرجع بعض علماء النفس مظاهر السلوك لدى الشباب إلى وجود رواسب من عقدة أوديب . من ذلك تعلق الشاب بأمه وفرط إعجابه بها وسعيه لأن يتزوج من فتاة تشبهها وتفضيله طريقتها في إعداد الطعام وطهيه وطاعته الزائدة لها واعتماده عليها ، فلا ينام قبل أن تودعه في فراشه « وترسم » عليه قبلاتها وتضع لمساتها الأخيرة على فراشه .

مثل هذا الزوج تخافه الزوجات وتخشي من الارتباط بـه ويفضلن عليه الزوج صاحب الشخصية المستقلة والناضجة والذي لا يمنعه حبهُ لأمه أن يحب زوجته كذلك حباً طبيعياً .

وتفسير ذلك أن النمو الإنساني قد يصاب بـالتأخـر أو يحدث لـه جمود Fixation أي التوقف عند مرحلة معينة فلا يتخطاها .

ويرى فرويد أنه يمكن حـل عقدة أوديب عن طـريق عملية الإعـلاء أو التسامي بدوافع الفرد من حالتها البدائية والعدوانية إلى القنوات الحضارية الراقية كذلك يمكن حله عن طريق عملية التقمص أو التوحد مع الجنس الصحيح ، حيث ينتقل الإعجاب إلى شخصية والده . ولقد أنكر أعداء فرويد عليه مذهبه في هذه العقدة وقالوا أنها ليست جنسية في طبيعتها كما أنها ليست عامة أو شائعة وأنها لا توجد إلا في المجتمعات التي يوجد فيها أب متسلط أو ـ دكتاتور مما يدفع الطفل إلى الثورة أو التمرد عليه ، وهي الحالة التي كانت شائعة في مجتمع فرويد وفي عصره (فيينا في العصر الفكتوري) .

ويذهبون إلى القول بأن فرويد قد بالغ مبالغة شديدة في إعطاء أهمية

لعامل الجنس في حياة الإنسان منذ الطفولة المبكرة ، وعلى ذلك فإن عقدة أوديب لم تنشأ في نظرهم من جراء الإحباط أو الفشل في إشباع هذا الدافع .

والحقيقة ، كما يذكرون ، أن الوالد من نفس جنس الطفل يكون في تعامله أكثر خشونة لأنه يعلم كيف يتعامل مع مشاكل أبناء جنسه ومطالبهم ورغباتهم وميولهم وطموحهم .

أما الوالد من الجنس المغاير فيكون أكثر رقة في تعامله مع الطفل .

والطفل لن يتعرض إلى الشعور بالغيرة طالما كان محل عناية الأباء واهتمامهم وطالما ظل واثقاً أنه غير منبوذ ، وأن اهتمام الوالدين أحدهما بالآخر لا يعني إهماله ، أو طرده أو عدم الاهتمام به . وفي نفس الوقت الذي يتعين فيه أن يتقمص الطفل الذكر شخصية والده ونمطها الرجولي ، فإنه ينبغي أن يشعر أنه مستقل عن والده ، وأنه ووالده شخصان وليسا شخصاً واحداً حتى لا يشب متعلقاً بأمه أو بأبيه ، وعندما يتزوج ينتقد زوجته قائلاً : « لما لا تعدى الطعام كما كانت تعده أمي ؟ .

لقد استفاد سيجمند فرويد من تلك الأسطورة الاغريقية التي تذهب إلى القول بأن أوديب قتل والده وتزوج أمه Jocasta وافترض أن الطفل أذ نما ولم يتخلص من الرواسب الأوديبية ، فإنه يتمرد على رؤسائه باعتبارهم رمزاً للسلطة التي ثار عليها في عهد الطفولة . وقد تكون هذه الثورة ضد ناظر المدرسة أو غيره من أرباب السلطة . وهناك من يقول أن بعض عظماء التاريخ لم يتزوج إلا بعد أن ماتت أمه التي كان ولعاً بحبها .

وعندما يتم التخلص من الموقف الأوديبي يحدث نمو للذات العليا في الإنسان أو الضمير حيث يتوحد الطفل مع معايير الآباء ومثلهم العليا ، وباكتساب الطفل هذه القيم يصبح كائناً اجتماعياً سوياً .

مثل هذه الحقائق النفسية تجعل من الأهمية بمكان ضرورة توفير المثل الأعلى للطفل ، وعدم إخضاعه للقسوة أو التسلط أو العنف في التعامل معه وتربيته على أسس من الحب والعطف والحنان والدفء والإشباع حتى يشب أطفالنا مواطنين صالحين أسوياء جسمياً ونفسياً ليكونوا سواعد أمتنا العربية الناهضة .

نزعة النرجسية

ماذا يحدث عندما تنحرف تلك العاطفة الإنسانية السامية في الإنسان ، وأعني بها عاطفة الحب ؟ هذه العاطفة التي حركت مشاعر الإنسان ، ودفعته إلى أن يأتي « بالمعجزات » والإنجازات الرائعة في الفن والعلم والأدب تلك العاطفة المسؤولة عن بقاء النوع البشري والمحافظة عليه وارتقائه ، العاطفة التي تملأ قلب الأم فتضحي من أجل صغارها وتغمر وجدان الأب فيسهر من أجل إسعادهم . . . إنها سبب ما في العالم من خير وبناء وتقدم وحضارة حين تتمثل في حب الإنسان لأخيه الإنسان ، وحين تعمل كمحرك طبيعي وتلقائي للتضحية والفداء والبذل والعطاء والتعاون والإخاء والوحدة والاتحاد والتماسك والالتحام بين الأفراد والجماعات ، بين الآباء والأبناء ، بين الأصدقاء والخلان . أنها السبب الأول في الإيثار أو الأثرة وحب الغير أو الغيرية وتقدير المصلحة العامة ونبذ الأنانية والطمع والجشع والاستحواذ وحب التملك والتسلط والسيطرة والبطش والعدوان . . . . .

ماذا يحدث إذا انحرف الحب وتحول من حب الغير إلى حب الذات وعشقها ؟ أي ماذا يحدث عندما يصاب الشاب أو الشيخ الكبير بما يعرف باسم « النرجسية » Narcissism ؟ قبل أن نخوض مع القارىء الكريم في أعماق هذه النزعة ونتعرف على طبيعتها وأسبابها ومظاهرها نعرج على الأصل اللغوي لهذه الكلمة ، وبالطبع تطلق لفظة « نرجس » على الجمع من النرجسية أي نبات من الرياحين من فصيلة النرجسيات وأصله بصل صغير ، ورقه يشبه ورق « الكراث » وله زهر مستدير أبيض أو أصفر اللون . أما الأصل الأسطوري لهذه الكلمة فيرجع بطبيعة الحال إلى قصة ذلك الفتى اليوناني الوسيم جميل الشكل كما يصوره التراث الأسطوري الاغريقي وهو Narcissus والذي تذهب أسطورته بأنه افتتن بصورته كلما رآها في بركة من الماء كما افتتن بجمالها فلوى جسده

وتحول إلى نرجسية . وبذلك أصبحت النرجسية تشير إلى افتتان المرء بجسده أو إلى حب الذات أو عبادة الذات أو الأنانية أو إلى عشق الذات . وفي مدرسة التحليل النفسي تعني حب الذات أو عشقها لا شعورياً .

وطبقاً لمنهج سيجموند فرويد ، فلقد وصف فصام الشخصية أي إصابتها بما يعرف في العامية (بالجنون) بأنه أحد الاضطرابات النرجسية Narcissistic disorder وأن الطاقة الحيوية عند هؤلاء المرضى متركزة أو جامدة حول الذات الوسطى في الإنسان Ego أكثر من كونها موجهة نحو الموضوعات الخارجية ، وأن المريض قد وقع في حب نفسه حتى بالمعنى الجنسي لكلمة حب ، فهو دائماً مشغول البال بنفسه بصورة مكثفة ، فهو يمتلك ما يمكن أن نسميه في الشخص العادي الوعي بالذات أو الإحساس بالذات ولكنه في حالة الشخص النرجسي وعي أو إدراك مرضي Morbid Self- Consciousness ذلك الوعي الذاتي الذي يتسبب في كف أو منع العلاقات الشخصية ويجعله يعاني من عدم الراحة. والخجل ومن المحافظة في اتجاهاته ومن الارتباك ولاسيما في حضرة الناس الآخرين من الغرباء إلى الحد الذي قد يبلغ في الحالات المتطورة من المرضى أنه لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة .

وتدور خيالات الشخص الفصامي حول ذاته ، وفي بعض هذه الحالات يصور المريض في قصصه نفسه بصورة البطل . وهناك من قال من هؤلاء المرضى أنا (سويسرا) ومنهم من قال أنا شركة (احتكار) ومنهم من قال أنا (الحكيم سقراط) ومنهم من قال أنا (هتلر) أو (نابليون) أو (نيرون) وكلها تعكس الإعجاب الزائد بالذات وعندما يصف الفصامي جسمه بأنه مصنوع من الزجاج أو أنه مكون من جسم مفرغ إنما يعكس انشغال باله المكثف بذاته . وفي أحد تصنيفات سيجموند فرويد ضمن النرجسية بعض الذهانات العقلية أي الأمراض العقلية مثل (الجنون الدائري وجنون الاضطهاد وجنون العظمة) Manic depresive and panoia .

وكان فرويد يعتقد أن الطفل الصغير يهتم كثيراً بأعضائه التناسلية وأنه يستمد لذة جنسية من أنشطة تشبه الاستمناء Mastesbation ومص الأصابع والاحتفاظ بالبراز ، ولكن هذا النشاط الطفلي ليس من قبيل النرجسية ، وإن كان

يمهد الطريق لها ، وعلى حد قول فرويـد فإن الضـوابط الاجتماعيـة تؤدي إلى قمع الذاتية الطفلية وغيرها من تعبيرات الطاقة الحيوية Libido عن ذاتها . في حالة النرجسية تتجه الطاقة الحيوية نحو النفس أو الذات الوسطى ، وكان فرويد يعتقد أن النرجسية مرحلة من مراحل النمو الطبيعي . وعندما توجد النرجسية في الطفولة المبكرة يطلق عليها النرجسية الأولية أما عندما ترتد الطاقة الحيوية من العالم الخارجي بما فيه من ناس وأشياء وتتجه نحو الذات كما هو الحال في حالة مرض الفصام نكون أمام ما يعرف باسم النرجسية الثانوية وعندما توجد في الأطفال يوصف الطفل بأنه ذاتي الشهوة Autoerotic وفي حالات الفصام وجنون الاضطهاد والحزن الشديد فإن الطاقة الحيـوية تـرتد أو تنتكص إلى المـرحلة النرجسية من مراحل النمو وفي حالة عصاب الهستيرها وعصاب الوسواس فإنها ترتد إلى موضوعات الحب الأولى .

ويفسر هذا فقدان اهتمام الشخص الفصـامي بالعـالم الخارجي وهـذاء العظمة Grandeur : وطبقاً لوجهة النظر الفرويدية ، فإن خط النمـو يسير من الشكل البدائي لحب الذات Self- Love عبر ارتباطات متعددة حتى يصل الفرد إلى مرحلة النضوج ، ومعنى ذلك أن الفرد وفي حالة سير النمو سيراً طبيعياً ينتقل من حبـه لـذاتـه إلى حبـه الآخـرين أي من الأنـانيـة إلى الغيـريـة أو الإيثـار Atruistism .

والحقيقة أن التطور الحديث لاستخدام هذه اللفظة يتسع ليشمل ليس فقط حب الذات وإنما نزعة الفرد لكي يقدر تقديراً عالياً جداً صفاته وخصائصـه ، الجسميـة بل وصفـاتـه الشخصيـة وأفعـالـه العمليـة أكثـر ممـا هي عليـه في الواقع . . . .

وقد تشير هذه الحالة كما تذهب « هورني » K. Harney إلى أنها تقمص الفرد أو توحده مع الصورة المثالية التي يرسمهـا لذاتـه وعشقه تلك الصفـات البراقة والمعظمة أو المضخمة بصورة غير واقعية .

وتؤدي النرجسية إلى حل الصراعات التي يعاني منها الفرد ، وتلعب دوراً رئيسياً في حياته فيما بعد وتؤثر في أكثر ما تؤثر في علاقته بزوجته .

النرجسية والعلاقات الزوجية :

يؤكد علماء النفس أن عاطفة الحب تمر بعدة مراحل في إطار تطورها ونموها من الطفولة حتى البلوغ :

أ ـ حب الذات أي حب الطفل في مرحلة الرضاعة .
ب ـ الحب الطفلي أي حب الطفل لوالديه .
ج ـ حب الشباب المبكر أي حب الأصدقاء .
د ـ حب الشريك أو الرفيق ، وهو الحب في مرحلة الرشد .

وعندما يظل موضوع الحب عند الفرد على المستوى الأول أي عند حب الذات ، فإننا نصفه بأنه شخص نرجسي وإذا بقي عند المستوى الثاني كان السخص « أوديبياً » أي يتصف بعقدة أوديب وعندما يجمد النمو عند المستوى الثالث تكون جاذبية الفرد نحو أفراد من نفس جنسه . ويصل النمو إلى مداه الطبيعي عندما يوجه نحو فرد أو أفراد الجنس الآخر . ويصل الأشخاص الأسوياء إلى مرحلة خامسة هي حب الحياة أو هي ما يطلق عليه الحب الخلاق أو الحب المبدع ، حيث يتوحد الزوج مع شخصية زوجته ويستغرقا في أداء رسالتهما في تربية أبنائهما مؤسسين منزلاً سعيداً هادئاً ويخوضان حياة عملية ناجحة .

أما إذا تزوج الشاب وكان على نرجسيته ، فإنه يتعذر أن يتكيف مع شريكة حياته ، حيث يسيطر على سلوكه شعور بالإعجاب الشديد بذاته والافتنان بها والمبالغة في تقدير محاسنه ومزاياه وصفاته إلى حد الغرور البغيض الأمر الذي يجعل ، لا زوجته فحسب ، وإنما المحيطين به جميعاً ينفرون منه .

وهناك حيل دفاعية تنبع من النزعات النرجسية وتتمثل في عادة الفرد في اختلاق أعذار لأخطائه مهما كانت مسؤوليته الحقيقية عن هذه الأخطاء ، بل أن هذه الحيلة الدفاعية قد توجد مصاحبة للسلوك القهري غير المسؤول ذلك السلوك الذي يجد الفرد نفسه مضطراً لارتكابه ، ولكنه ينم عن عدم إحساسه بالمسؤولية . وفي واقع الحال يدل تحليل هؤلاء الأشخاص النرجسيين عن وجود مشاعر النقص والدونية عندهم وكذلك الشعور بعدم الملاءمة أو عدم الكفاءة . كما أن هذه الحيل تعمل لحماية الفرد من مشاعر الإثم والذنب ولوم الذات وتأنيبها بعد الإتيان بأعمال غير مسؤولة .

ويقال إن وجود درجة ما من الافتتان بالذات أو خبل الذات وجنونها أو الولع والشغف بها تفيد في تشجيع الفرد على القيام بعمله والانتهاء من انجازاته ذلك لأن اعتقاد الفرد بأن عمله على جانب كبير من الأهمية يبرر له أن يبذل أقصى درجة من الجهد والطاقة نحو هذا العمل . ومن هنا فإن هناك ارتباطاً بين التحصيل المرتفع والشعور المرتفع باحترام الذات .

وفي تفسير فرويد لنشأة الفصام يرجعه إلى ارتداد المريض إلى النرجسية الأولية أي إلى مرحلة مبكرة من المرحلة الفمية أي تلك المرحلة التي تتركز كل لذة الطفل في فمه . وذلك قبل أن تنفصل أو تتمايز الذات الوسطى عن الذات الدنيا Id . أو بالعودة إلى النرجسية فإن الفصامى يفقد الإتصال بالعالم الخارجي وتنسحب الطاقة الحيوية عنده من الالتصاق بموضوعات العالم الخارجي وتنكمش أو تنطوي في ذاته . ويذهب فرويد إلى القول بأن سبب هذا النكوص أو الارتداد هو زيادة كثافة الدوافع النابعة من الذات الدنيا ولا سيما تلك الدوافع الجنسية وذلك في مرحلة الرشد . والمعروف أن الذات الدنيا بالمفهوم الفرويدي هي مستودع الرغبات والدوافع الشهوانية والجنسية والبدائية والعدوانية وأن الهدف الأكبر لتلك الذات الحيوانية هو الإشباع المباشر من الملذات والشهوات . أما علماء النفس التحليليين المعاصرين فإنهم يعطون أهمية وأولوية لدوافع العدوان سواء حركت تهديدات دوافع الذات الدنيا المكثفة سواء حركت وأثارت الفصام أو العصاب النفسي أي المرض النفسي ، فإن ذلك يعتمد على قوة الذات الوسطى وصلابتها وقوة احتمالها وتصديها للتهديدات والأخطار الخارجية ففي حالة العصابيين توجد ذات وسطى أكثر استقراراً وثباتاً ومن ثم فإنها لا ترتد إلى المرحلة الأولى من مراحل النمو الجنسي وسوف لا تفقد الذات الوسطى إتصالها بعالم الحقيقة والواقع . أما في حالة الفصام فإن الذات الوسطى تصاب بالضعف والوهن والكلال ومن ثم يرتد الفرد إلى المراحل الأولى من النمو .

هذه هي عبادة الذات أو عشقها والولع بها في صورتها المرضية ولكن الملاحظة اليومية تكشف عن وجود حالات خفيفة وبسيطة من النزعات النرجسية تظهر في السلوك لدى الأشخاص العاديين من ذلك المبالغة في رياء الذات أو

الإطراء عليها وفي حديث البعض عن ذاته والإكثار من المديح وعن الأعمال « الأمجاد » والبطولات والإنجازات التي أنجزها المتحدث وذلك بصورة تبعث على ملل السامع واشمئزازه ونفوره .

ويبلغ إعجاب بعض علمائنا وأساتذة الجامعات بإنتاجهم العلمي الحد الذي لا يقرأون إنتاج زملائهم من العلماء العرب بل ويقصرون طلابهم على الإطلاع على مؤلفاتهم وحدهم ودون سواهم .

ما أحرانا أن نلتزم الواقعية والموضوعية في الحكم على الأشياء والناس وفي تقدير ذواتنا وجهودنا وجهود الغير ومن ثم الاستفادة من علمهم وإنجازاتهم دون التحيز الأعمى لكل ما هو « ذاتي » .

الفصل السادس
مواجهة بعض مشاكل الطفل

- طفلك في يومه الأول بالمدرسة.
- كيف يتعلم الطفل.
- فاعلية المعلم داخل غرفة الدرس.
- ظاهرة الضرب في المدرسة.
- فن الاستذكار والطريق للتفوق.
- الذوق اللغوي.

طفلك في يومه الأول بالمدرسة

في كل عام يبدأ الملايين من أطفالنا في الالتحاق بالمدارس لأول مرة في حياتهم ، وكذلك يعود أعداد كبيرة من أبنائنا إلى استئناف الحياة الدراسية بعد غيبة الإجازة الصيفية التي تمتد عدة شهور . وبالنسبة للطفل الصغير سواء كان ذهابه للمدرسة لأول مرة في حياته أم أنه عائد من الإجازة الطويلة فإن الذهاب للمدرسة وخاصة . في اليوم الأول يمثل خبرة نفسية غاية في الحساسية والأهمية وجديرة باهتمام الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات .

إن ذهاب الطفل للمدرسة لأول مرة في حياته يمثل انتقالاً كبيراً من نوع من الحياة الأسرية إلى نوع آخر من الحياة ، والمعروف أن مراحل الإنتقال في حياة الفرد مراحل حرجة ، يتعرض فيها الفرد للأزمات والتوترات واللانفعالات الحادة . ولذلك لم يكن غريباً أن ينتحر طفل في سن السادسة ، بأن قفز من شرفة المدرسة بالقاهرة في أول يوم يذهب فيه إلى المدرسة فلم يحتمل فراق أمه وقفز وراءها .

إن الذهاب للمدرسة بالنسبة للطفل يمثل حدثاً هاماً وتغيراً كبيراً في نمط الحياة التي اعتادها لمدة ست سنوات . فالطفل في المنزل يتمتع بنوع من الحياة الأسرية التي تختلف عن الحياة في داخل المدرسة .

فالطفل في الأسرة يتمتع بحنان الأبوين ورعايتهما وتقتصر علاقته الاجتماعية على عدد محدود من الأخوة والأخوات ، أما في المدرسة فإن نمط العلاقات الاجتماعية يتغير ، حيث تتسع دائرة معارفه وأصدقائه وزملائه الذين عليه أن يتعامل معهم . .

إن ذهاب الطفل للمدرسة يمثل تغيراً كبيراً في بيئة الطفل الاجتماعية وهذا

التغير في الجو المحيط بالطفل الذي ألفه لمدة طويلة يحتاج إلى كثير من الرعاية والحماية حتى يتكيف لنوع الحياة الجديدة فهو يحتاج إلى كثير من الرعاية والحماية حتى يتكيف لنوع الحياة الجديدة وللخبرات الجديدة في المدرسة .

والطفل في يومه الأول يجد نفسه وسط أعداد غفيرة من الغرباء من الأطفال ومن الكبار ، ومن شأن مثل هذه الخبرة أن تبعث في نفسه الخوف والقلق والرهبة . . . والأنسان دائماً يخاف من المجهول ، وإزاء تصورنا قصور خبرة الطفل المحدودة فإننا نشعر ما يشعر به من خوف وتهيب . . . .

الطفل فيما قبل المدرسة كان يحيا حياة حرة طليقة لا قيود فيها ولا تكلف ، وفجأة يواجه نوعاً منظماً من الحياة ، الذي ينطلق من الخضوع لبعض مظاهر النظام والقانون والقيام ببعض الأعباء والمهام .

أما بالنسبة للعلاقات العاطفية فإن المدرس مهما بلغ من العطف ، فلا يستطيع إلا أن يوزع عطفه وإهتمامه ورعايته على عدد كبير من التلاميذ ، أما في المنزل فإن الطفل كان يلقى اهتمام الأبوين كله ، وكان يمثل مركز الاهتمام وتلتف حوله الأنظار والقلوب .

كذلك فإن العلاقة العاطفية بين الطفل وبين أفراد أسرته تختلف عن العلاقة بين الطفل وبين غيره من الزملاء في المدرسة . في هذا النوع الأخير من العلاقات لا بد أن يخضع الطفل لنوع من العلاقات الاجتماعية قوامه الأخذ والعطاء ، واحترام حقوق الغير .

ويحتاج الطفل لكي يتكيف انفعالياً للحياة المدرسية التي تبعده عن الأسرة جزءاً كبيراً من اليوم ، يحتاج إلى أن يتعود على الفطام الانفعالي أو العاطفي . هذا الفطام ينبغي أن تبدأ فيه الأسرة قبل ذهاب الطفل للمدرسة . ولا بد من أن يتدرب الطفل على هذا الفطام النفسي أي البعد عن الآباء انفعالياً وتكوين الشخصية المستقلة عن الآباء حتى يستطيع أن يتكيف مع جو المدرسة الجديد .

وفي المجتمعات الأروبية حيث تتوفر دور رياض الأطفال يتدرب الطفل على الحياة المدرسية المنظمة ، وعلى الأخذ والعطاء واحترام النظام المدرسي ، وتمثل خبرة الطفل بهذا النوع من المدارس تقديم الطفل للمدرسة الابتدائية بعد

ذلك . ولذلك لا يتعرض الطفل لخبرات انفعالية حادة ومفاجئة عندما يـذهب للمدرسة الابتدائية .

أما في إطار الأسرة المصرية فإنها تستطيع أن تقوم بتدريب الطفل على الفطام النفسي والاستقلال عن الأسرة وعدم الارتباط أو الالتصاق بها . وذلك عن طريق إتاحة الفرصة أمام الطفل الصغير للإلتحاق ببعض الأندية أو فرص تكوين الأصدقاء مع أبناء الحي أو الأقارب والأصدقاء .

وفي داخل الأسرة يجب أن يتدرب الطفل قبل الذهاب إلى المدرسة على الأخذ والعطاء والتعاون واحترام النظام والطاعة ، وفوق كل ذلك احترام حقوق الغير . ذلك لأن الطفل في المدرسة لا يمكن أن تلبى جميع مطالبه كيفما يشاء ومتى يشاء بصرف النظر عن حقوق غيره من التلاميذ . كذلك من الممكن أن تقـدم الأسرة المـدرسية للطفـل على أنهـا شيء جميـل ومفيـد . حيث العلم والإعداد للحياة وحيث الأصدقاء والزملاء والصحبة الطيبة .

ومن شأن تداول مثل هذا الحديث أن يهيىء الطفل ذهنياً لتقبـل الحياة الجديدة التي يمكن أن يحياها .

إن بداية حياة الطفل المدرسية معناها بداية حياته الاجتماعية Social life خارج دائرة الأسرة .

حيث ينبغي أن يشعر أنه أصبح بين زملاء متساويين معه في كل شيء ، كذلك ينبغي أن يتعلم كيف ينتزع نفسه Detach hineself من أحضان أمه ، ومن دائرة الأسرة الضيقة .

وعملية الانفصال عن الأم ليست بالأمر الهين ، ولكن ذهاب الطفل إلى المدرسة الحضانة Nursery School يمهد لهذا النوع من الاستقلال . كـذلك ذهاب الطفل لإحدى مدارس الحضانة Kindergorten تساعده في التعود على الحياة المدرسية الجديدة .

إن المنظر الانفعالي لوداعة الأم لطفلها على باب حجرة للدراسة At the classs room door . يعرض لنا صعوبة سيكولوجية لا لدى الطفل وحسب ولكن لدى الأم كذلك . وكلما شعرت الأم بالحزن أو التوتر أو الخوف كلما أثر ذلك

على نفسية الطفل . ولذلك من الواجب أن تقبل الأم هذا الموقف قبولاً طبيعياً كشيء حتمي وضروري .

كيف نعد أطفالنا لإستئناف الحياة الدراسية ؟

نستطيع أن نوجز الخطوات التي تساعد أطفالنا على التكيف مع الحياة المدرسية فيما يلي :

١ ـ ينبغي أن يذهب الطفل إلى إحدى مدارس الحضانة ولو لفترة محدودة ، حتى يتعود على البقاء بعيداً عن المنزل ويتعود على الخبرات المتضمنة في الذهاب والعودة من المدرسة ، وعلى النظام المتبع في المدرسة ، وعلى مخالطة غيره من الغرباء عن الأسرة .

٢ ـ إذا كان للطفل الصغير أخ أكبر يذهب إلى نفس المدرسة فإن الأم قد تشجع الطفل الصغير بالذهاب معه ، وتستطيع أن تشجعه على ذلك بإعطائه بعض الهدايا أو المنح . كذلك تستطيع الأم أن تذهب مع طفلها في اليوم الأول على شرط أن تبقى بعيداً عنه .

٣ ـ إذا لم يكن للطفل الصغير أخ تستطيع الأسرة أن تبحث له عن جار أو صديق أكبر منه قليلاً حتى يصحبه معه وحتى يقدم له المدرسة ويقوم بحمايته داخلها حتى يشعر الطفل الصغير بالأمان Security في هذا المكان الغريب بالنسبة له .

٤ ـ يجب أن تغرس الأم في ذهن طفلها قبل الذهاب للمدرسة أن المدرسة شيء جميل وأنه إذا لم يكف مثلاً عن سذاجته عما يرتكب من أخطاء فإنه لن يذهب للمدرسة وهنا يكون التلميذ مفهوماً إيجابياً Positive عن المدرسة ، فهي مكان للمكافأة وللنجاح والفلاح وللأطفال الشطار . وليس للحمقاء ، كذلك فإنها ليست مكاناً للضعاف وإنما هي مكان مفيد وجميل . if you go on silly, you would not go to school

٥ ـ وهناك قاعدة تقول أن الطفل إذا كان متكيفاً في الأسرة يعكس ذلك على تكيفه في المدرسة ، أو امتد تكيفه هذا للحياة المدرسية . والمعروف أن النمو النفسي والخلقي والاجتماعي للطفل عبارة عن سلسلة متلاحقة

ومتداخلة ومتدرجة ومتصلة بحيث تعتمد مظاهر النمو في المراحل اللاحقة على تلك المظاهر من المراحل السابقة فالطفل الذي تمتع بطفولة سعيدة يحتمل أن يحيا أيضاً مراهقة سعيدة ، والمراهق الذي يحيا مراهقة موفقة يشب شاباً سعيداً . وسعادة الفرد في شبابه تنعكس على سعادته في مرحلة الكبر . فحياة الفردليست مراحل منفصلة ومستقلة عن بعضها وإنما هي سلسلة متصلة من التغيرات التي تعتمد على بعضها البعض .

فالطفل الذي يعاني من صراعات عائلية ومن سوء الفهم ومن الشجار والنقار والعراك بين أعضاء الأسرة والذي يتعرض لأساليب خاطئة في تربيته ، في الغالب ما يعاني مثل هذا الطفل من صعوبات في التكيف مع الحياة المدرسية Adeptation to school life .

فالأسرة يجب أن تعد الطفل للحياة المدرسية لأن دخول الطفل الحياة المدرسية معناه الانتقال من حياة يعامل فيها كفرد واحد As an individual إلى حياة يعامل فيها كفرد وسط عدد كبير من الأفراد ، أي حياة الجماعية . هذه الخبرة أي الانتقال من نوع من الحياة إلى نوع آخر ، يمكن أن يكون سهلاً إذا أعد الآباء العدة لهذه الخبرة قبل حصولها .

فهناك كثير من العادات السلوكية التي تحتاج إلى تغير شامل عند دخول الطفل المدرسة ، ومن ذلك عاداته في النوم والاستيقاظ وتناول الطعام والإخراج . هذه العادات ينبغي على الآباء تعديلها قبل بدء حياة الطفل المدرسية ، وعلى ذلك فعند دخول المدرسة لا يحتاج الطفل إلى إعادة تكييف نفسه Readjustment لكثير من الأمور كذلك ينبغي على الآباء أن يوقعوا الكشف الطبي على الطفل قبل دخوله المدرسة للتأكد من سلامته الجسمية وقدرته على الإحتمال للأعباء الجسمية المطلوبة في الحياة المدرسية .

أما الإعداد النفسي Psychological preparation فهو أكثر أهمية من الإعداد الجسمي ، فالطفل يجب أن يتعود على إقامة العلاقات والاتصالات مع الأفراد خارج دائرة الأسرة ، وكذلك ينبغي أن تتاح له فرص الإشتراك في المناشط الرياضية والألعاب مع غيره من أقران السن ، بل إن مجرد زيارة الطفل

لمدرسة المستقبل يساعده على تقبلها وعدم الخوف والرهبة من الذهاب إليها مرة أخرى .

ولكن مسؤولية المنزل لا تنتهي بدخول الطفل المدرسة بل أنه يظل ذو أهمية كبيرة في حياة الطفل ، لأنه يقضي حوالي نصف وقت يقظته في المنزل فإذا أخذنا السنة كلها في الاعتبار وليست شهور الدراسة فقط والمعروف أن الطفل يقضي بعض الفترات الهامة من يومه في المنزل مثل ساعة الذهاب للفراش وأوقات تناول الوجبات وبعد قضاء يوم حافل بالمناشط والأعمال والأعباء ، داخل جدران المدرسة فإن الطفل يعود إلى المنزل حيث يسعى إلى الراحة والاسترخاء Relaxation بمقدار ما يلقى من الراحة والتعويض بمقدار ما يتجدد نشاطه لاستقبال اليوم المقبل .

أما العلاقة بين المنزل والمدرسة فلها أهمية خاصة في تكيف الطفل داخل المدرسة والمنزل على حد سواء ، تكيفاً لا في التحصيل الدراسي وحسب وإنما أيضاً في النمو النفسي والعاطفي والانفعالي . ويجب أن يتحقق التعاون بكامله بين المدرسة والمنزل Home- School cooperation ويجب أن يكون هناك فهم متبادل بين المدرسة والمنزل ويساعد هذا الفهم في حسن تكيف الطفل وسهولة نمو شخصية من النواحي المعرفية والجسمية ، والعقلية والنفسية . وليس هذا الفهم ضرورياً في بدء دخول الطفل المدرسة فحسب وإنما هو لازم وضروري طوال حياة الطفل الدراسية . ويجب أن تفهم المدرسة أننا ما دمنا في ظل الديمقراطية فإن الأب يجب أن تكون له الأولوية في حق تقرير مصير نجله ، ويجب أن تتاح له فرصة إشباع طموحه Ambitions ما دامت قدرات إبنه الطبيعية تسمح بتحقيق هذا الطموح ، فإن السلطات التعليمية لا ينبغي أن تقف حائلاً بين الأب وبين رغباته في تعليم ابنه . وتحت الظروف العادية فإننا لا يمكن أن نتصور أن هناك أباً يحاول أن يلحق الأذى بإبنه أو يحرمه من نعمة العلم ، على كل حال فإذا حدث مثل هذا فإن من حق المجتمع أن يتدخل لحماية الطفل . وفي نفس الوقت يجب أن يتذكر الآباء أن المدرسة تسعى لتحقيق رغبات آلاف من التلاميذ ومن أولياء الأمور وأنه من الصعب التوفيق بين هذه الرغبات المتعددة .

وعلى كل حال وجود الإتصال الدائم بين المنزل والمدرسة يساهم في حل كثير من الصعوبات التي تعترض حياة التلاميذ ، في أول أيام الدراسة تميل بعض الأمهات والآباء إلى مصاحبة أبنائهم حتى حجرات الدراسة أو البقاء مع أطفالهم في حجرات الدراسة . هذا الإتجاه وإن كان يخفف نسبياً عن الطفل من التأثير الانفعالي لموقف الانفصال ، ويجعل عملية الإنفصال تدريجية إلا أنه لا يساعد الطفل على الاعتماد على نفسه والاستقلال الانفعالي Emotional independence عن أمه . ولذلك فلا ينصح بهذا الإتجاه إلا في حالة معاناة الطفل من الانفصال الشريد .

وهناك مشكلة أخرى تمس طفل المدرسة الابتدائية وهي جنس المعلم فهل من الأفضل أن يقوم باستقبال الطفل مدرس ذكر أم مدرس أنثى ؟ .

في رأيي أنه من الأفضل أن يتعامل الطفل الصغير مع مدرسة لأنها تشبه في كثير من الخصائص الجوهرية الأم ، ومن الممكن أن تعوض الطفل عن حنان أمه وعن دورها الأنثوي بالنسبة للطفل ، فالمعلمة تصبح بديلة عن الأم إلى حد كبير .

وهناك من يطالب بأن تمنع مدرسة المرحلة الأولى من الزواج وأن تستمر مزاولة عملها كمدرسة حتى تتزوج ثم تتركه ولكن ليس في هذا الموقف كثيراً من الفوائد .

صحيح أن المرأة غير المتزوجة لديها من الفراغ ومن الطاقة ما يسمح لها بتقديم كثير من الخدمات للطفل ، ولكنها في نفس الوقت لا تستطيع أن تضع نفسها في موضع أم هذا الطفل وأن تعتبر تلاميذها بمثابة أبنائها الحقيقيين ، وذلك لأنها لم تمر بخبرات الأمومة الحقيقية ، كذلك فإن ميلاد الطفل وتربيته يكسب المرأة خبرات حقيقية الطفل وميوله وأهوائه ورغباته ، ومن ثم تتمكن الأم من أن ترى الأمور من زاوية الطفل وليس من زاوية الكبار فقط والمعروف أن منطق الطفل يختلف عن منطق الكبار .

ويسوقنا الحديث إلى النظر في مدارس الراهبات ، ولا شك أن الراهبة بحكم عدم زواجها وبحكم تفانيها الخلقي في خدمة الأطفال وإسعادهم تستطيع أن تقدم الخدمات التربوية والنفسية والاجتماعية للطفل دون أن تشغلها مباهج

الحياة الخارجية وأضوائها ولكن لا تستطيع أن تطالب بتعميم فكرة المعلمة الراهبة ، لأن الراهبة مهما كان إخلاصها تنقصها خبرات الزواج وتكوين الأسرة وميلاد الأطفال واستقبالهم .

وإما فكرة تأنيث التعليم الابتدائي كله فلا أعتقد أنها فكرة مفيدة ، وإن كان ينبغي تعميمها بالنسبة للصفوف الثلاثة الأولى ، أما الفرق الثلاث الأخيرة من المرحلة الابتدائية فبحكم ثقل محتوى المنهج الأساسي فلا مانع من الاعتماد على الرجال من المدرسين . ومن الناحية السيكولوجية البحتة فإن الطفل يميل إلى تقمص شخصية أحد الكبار الذين يرتبط بهم وفي الغالب ما يكون هذا الشخص هو المعلم . ففي الغالب ما يتقمص الطفل شخصية المدرس ويتخذه مثالاً له ، ويتشبه به ويتوحد وإياه وبذلك يعتنق كثيراً من آرائه ويتحلى بالكثير من صفاته وسماته . وحرمان الطفل الذكر من شخصية رجل يتوحد وإياه مدعاة إلى أن يتصف الطفل الذكر بصفات أنثوية إذا ظل تعليمه قاصراً على العنصر النسائي فقط .

وهناك مشكلة أخرى تتصل بتعليم الطفل في السنة الأولى من حياته المدرسية وهي إعتبار السنة الدراسية الأولى مخصصة للنشاط العام والألعاب الرياضية والمناشط الترويحية والحركية والغناء الموسيقي والرقص دون إرهاق ذهن الطفل بالمواد الدراسية في هذه المرحلة المبكرة من حياته .

وهناك رأي آخر يقول إنه لا بد من إدخال المواد الدراسية إعتباراً من السنة الأولى ، وهذا هو النظام الذي نأخذ به هنا من مصر . والإتجاه الذي ندعو إليه هو الأخذ بكلا الاتجاهين : إتجاه النشاط الترويحي وإتجاه المواد الدراسية معاً . ذلك لأن إهماله المناشط الترويحية والألعاب الفردية والجماعية يمثل حرماناً كبيراً للطفل لأنه اعتاد على هذه المناشط قبل دخوله المدرسة ، وتحويل حياته إلى حياة رسمية دفعة واحدة ، كذلك فإن الاقتصار على المناشط الحرة لا يعطي الفرصة لتعويد الطفل على الحياة الجدية والتعود على الحياة الدراسية ، وفي ذلك إحساسه بالمسؤولية تجاه المدرسة ومن ناحية أخرى فإن الطفل من سن الست سنوات يصبح قادراً من الناحية السيكولوجية على اكتساب بعض الخبرات والمعارف الأساسية في القراءة والكتابة والحساب ، وإهمال هذا

الاستعداد Aptitude عند الطفل مضيعة للوقت وضياع للفرصة .

ومن مبادىء التربية السليمة أننا لا ينبغي أن نتعجل نمو الطفل فنكلفه بالأعباء قبل نمو قدراته ولا نهمل النمو فلا تأتي الفرصة ثم نضيعها على الطفل الموقف المثالي أن يمتزج اللعب الذي يحبه الطفل بتعليم الكلمات أو العد والجمع والطرح والقراءة عن طريق اللعب والغناء والتمثيليات وبناء المكعبات وحل وتركيب الآلات البسيطة .

ومن المشاكل الأساسية التي نعاني منها في مصر كثافة الفصول في جميع مراحل التعليم ومن أضرار هذه الكثافة صعوبة المهمة الملقاة على عاتق المعلم ، وعدم استطاعته إعطاء العناية الفردية لكل طفل ، ومراعاة الفروق الفردية بين تلاميذه من قدراتهم وميولهم وذكائهم وسمات شخصياتهم .

فالتعليم الجيد لا يمكن أن يتحقق في الفصول ذات الأعداد الكثيفة . وحل هذه المشكلة يتطلب زيادة عدد الفصول الدراسية وبناء المدارس الجديدة وزيادة عدد المعلمين التربويين .

أما عن دور المدرسة في إحداث التكيف النفسي والاجتماعي للطفل فإن المدرسة يجب أن تكون مكاناً يحبه الطفل ، حيث يجد الحب والدفء والحنان والرعاية . ويتطلب ذلك إعادة التفكير في محتوى مناهج المدرسة الابتدائية بحيث تشتمل على الموضوعات العصرية التي يحبها الطفل ، كما يحتوي على المناشط الرياضية والاجتماعية والترويحية والترفيهية التي تحبب الطفل في المدرسة .

أما عن دور المعلم سواء في معاملة الطفل وعلاقته معه ، أو في فنون التدريس ، فإن المعلم الحديث في حاجة ماسة إلى الخبرة السيكولوجية والإعداد السيكلوجي الواسع ولا تكفي برامج إعداد المعلمين لأنها لا تحتوي على معلومات حديثة وواقعية عن سيكلوجية الطفل والمراهق وسيكلوجية التعليم . ولذلك يجب إعادة النظر في محتوى المواد النفسية في معاهد إعداد المعلمين .

وأخيراً فإننا في حاجة إلى إعداد كثير من البحوث الحقلية عن نفسية

الطفل العربي المعاصر وخصائص شخصيته ونواحي القوة والضعف عنده ، والتعرف على المشكلات الفعلية التي يعاني منها ورسم الخطط والبرامج لحل هذه المشكلات ، وإلى جانب ذلك التعرف على إتجاهات الأسرة نحو أبنائها الصغار ، ونواحي الخطأ والصواب في تربية الأطفال سواء في الأسرة أر في المدرسة .

في المجتمعات المتحضرة تجري مثل هذه البحوث بصفة مستمرة أما في العالم العربي فإننا نعاني من نقص كبير في هذا الميدان .

كيف يتعلم الطفل

يعرف التعلم بأنه كل تغير يطرأ على آداء الكائن الحي أو على سلوكه أو في اتجاهاته وميوله ومعارفه وخبراته هذا التغيير الناتج عن المران والتدريب والممارسة والتكرار ، وليس ذلك التغير الذي يطرأ على سلوك الكائن الحي نتيجة للسكر أو تعاطي الخمور والمخدرات أو التخدير أو المرض الطويل المزمن أو الضعف أو الهزال أو الكساح أو الحوادث والإصابات وهو ذلك التغير الذي يسير في الاتجاه الإيجابي بالمتعلم ومثله ذلك تعلم المهارات الحركية كتعلم المشي وركوب الخيل والدراجات والسباحة والرماية والعزف والتجديف ، وكتعلم المهارات الذهنية كحفظ قصيدة من شعر أو آية من القرآن الكريم .

وفي تفسير عملية التعلم يقال أن التعلم تكوين أو مفهوم فرضي أي افتراضي ، بمعنى أننا نفترض وجوده أو جودته افتراضاً ، ذلك لأننا لا نرى أو نلمس أو نلاحظ بصورة مباشرة ما يحدث داخل الكائن الحي حتى يتعلم ، ولا ندري ماذا يحدث من العمليات الداخلية التي تصاحب عملية التعلم ، وإنما كل ما نلاحظه هو تغير يطرأ على السلوك ، فالطفل يتغير سلوكه من الحبو مثلاً إلى المشي ، ومن عدم القدرة على الكتابة والقراءة والحسابة إلى إتقان تلك العمليات .

إذن فكل ما نلاحظه هو السلوك الذي نستدل منه على حدوث عملية التعلم . . . فالتعلم إذن لا نلاحظه مباشرة وإنما نستنتجه استنتاجاً .

ويختلف التعلم عن التعليم ، ذلك لأن التعلم هو ذلك النشاط الذاتي الذهني والحركي الذي يبذله الفرد حتى يتقن الإتيان بمهارة معينة ، أما التعليم فهو ذلك النشاط الذي يقوم به المعلم أو المربي أو المدرس من شرح وتفسير وتأويل وإيضاح وحل حتى يستطيع المتعلم أن يتعلم .

والتعلم هو أحد العمليات العقلية العليا ، والتي من بينها الإدراك والتذكر والتفكير والتخيل والتصور والاستدلال .

وهو يختلف عن النضج ذلك لأن النضج عملية طبيعية تحدث داخل الكائن الحي وهي محصلة أو النهاية التي تصل إليها عمليات النمو في الكائن الحي ومن ذلك وصول الكائن البشري إلى النضج الجنسي حين تصل أعضاؤه إلى القدرة على التناسل أو التكاثر .

وعلى الرغم من اختلاف التعلم عن النضج إلا أن ثمة علاقة تقوم بينهما ، من ذلك ضرورة اعتماد التعلم على مستوى ما يصل إليه الفرد من نضج عقلي أو ذهني ونفسي وجسمي .

فقد دلت التجارب التي أجراها عالم النفس أرنولد جيزل على التوائم العينية أن ـ التدريب المبكر أزيد من اللازم أي الذي يتلقاه أحد أفراد التوائم قبل نضوج عضلاته عديم الفائدة . فقد درب أحد التوائم على تسلق درج السلم وعلى بناء المكعبات لمدة ستة أسابيع وترك التوأم الأخر بلا تدريب ثم أخذ في تدريبهما معاً لمدة ستة أسابيع أخرى ثم قاس قدرتهما فتبين له أن قدرتهما متساوية تقريباً ، ومعنى ذلك أن ما تلقاه التوأم الأول من تدريب مبكر قبل نضوج عضلاته كان عديم الجدوى ، وأن التوأم الناضج استطاع أن يحصل نفس القدرة من المهارة في نصف المدة التي تلقى فيها التوأم الآخر التذريب .

ومثل هذه الحقيقة تدعو الآباء والأمهات والمعلمين إلى عدم تعجل عمليات التعليم في أبنائهم وذلك لأن تعجل التعلم فوق أنه عديم الفائدة، فهو يعوق سير النمو السليم ويعرقله فقد يؤدي إرغام الطفل الصغير على التدريب على المشي قبل أن تنضج عظام ساقيه إلى تشويههما أو إلى تقوس العمود الفقري . وعلى المستوى النفسي والعقلي أن تكليف الطفل الإتيان بما لا طاقة له به يجعله يشعر بفقدان الثقة في ذاته ، كما يشعر بالإحباط والفشل ، وقد يكره المدرسة والمعلمين والمواد الدراسية ولذلك لا بد من مراعاة مستوى نضوج المتعلم بحيث لا نفرط في فرص التعلم ولا نتعجله .

وهناك شروط عديدة تجعل من عملية التعلم عملية فعالة من ذلك ضرورة توفر الدافع لدى المتعلم ، وكذلك ضرورة وجود التعزيز أو المكافأة على كل ما

يبذله الكائن الحي من جهد في سبيل التعلم ، ويؤدي إلى التعزيز إلى تثبيت الاستجابات المعززة وإتقانها ، كذلك لا بد من التكرار حتى ترسخ المعلومات في ذهن المتعلم ، ولا بد من الاعتماد على الجهد الذاتي للمتعلم في جمع المادة العلمية وتحصيلها ، كذلك لا بد من الاعتماد على عمليات مثل التسميع الذاتي ومعرفة نتائج التعلم أول بأول ، وتوزيع الجهد على فترات تتخللها فترات من الراحة والاستجمام ، وهناك الطريقة الكلية في التحصيل ومؤداها أن يأخذ المتعلم فكرة عامة وانطباعاً عاماً عن موضوع تعلمه أولاً ثم يأخذ في تعلم الجزئيات والتفاصيل والدقائق ثم بعد ذلك يعود ليكامل بينها في كل موحد . ويفيد توفير الإرشاد التوجية للمتعلم أولاً بأول . وتلعب طرق التدريس وشخصية المعلم وإمكانات المنزل والمدرسة دوراً هاماً جداً في عملية التعلم .

وهناك نظريات عديدة وضعت لتفسير عملية التعلم من ذلك نظرية التعلم بالمحاولة بالخطأ والتي ترجع إلى عالم النفس الأمريكي إدوارد ثورنديك ، ونظرية التعلم الشرطي والتي ترجع إلى عالم الفسيولوجيا الروسي إيفان بافلوف ونظرية التعلم بالاستبصار والتي ترجع إلى عالم النفس كهلر ، وهناك نظريات لكل من هل وسكينر وجاثري وغيرهم من العلماء . ولقد أجريت معظم تجارب التعلم على الحيوان وليس على الإنسان ، إنطلاقاً من المبدأ القائل بأن الإنسان لا يختلف عن الحيوان إلا في الدرجة .

فاعلية المعلم داخل غرفة الدرس

يختلف المعلمون في مقدار كفاءاتهم في إدارة فصولهم الدراسية ، ولا سيما في الأسابيع الأولى من مستهل العام الدراسي ، حيث يتمكن المعلم الكفء من بسط القواعد والنظم التي يسير على هدى منها عمل طلابه طوال العام . ولفاعلية المعلم وكفاءته دور هام في تحقيق رسالته التعليمية وفي بسط الضبط والربط والنظام وفي تحقيق أعلى قدر من التحصيل لدى طلابه . ولقد وجد أن للأسابيع الأولى من العام الدراسي أهمية خاصة في نجاح المعلم فيما بعد .

وتؤكد هذه الحقيقة الدراسة التي أجريت حديثاً (١٩٨٢) في الولايات المتحدة الأمريكية على مجموعة من الطلاب والمعلمين بالمدارس الثانوية نستعرضها هنا للقارىء العربي الكريم ليكون على بينة مما وصلت إليه البحوث التربوية والنفسية ومبلغ الاهتمام بها منهجاً وموضوعاً وليتأكد القارىء العزيز من أننا في حاجة إلى أجراء مثل هذه البحوث في حقولنا التربوية .

أجرى هذه الدراسة كل من Carolyn M. Everston and Cemundt بمركز بحوث وتنمية التعليم المعلمين بجامعة تكساس . ويهمنا عرض الأساليب المنهجية التي اتبعها الباحثان للتعرف على كيفية الوصول إلى نتائجها ولا مكان إجراء الدراسات المقارنة بين هذه الدراسة والدراسات التي يتعين إجراؤها على البيئات العربية .

فلقد تم تحديد مجموعتين من المعلمين كل منها مكون من ثلاثة عشر معلماً وذلك على أساس نشاط كل منهم طوال العام الدراسي داخل قاعة الدرس ومدى فاعليته في إدارة الفصل وكذلك على أساس من نتائج تحصيل طلابه

وتم جمع المعطيات من فصول هؤلاء المعلمين خلال الأسابيع الثلاثة

الأولى من بداية العام الدراسي .

وتم تقسيم المعلمين إلى فئتين : فئة ذات فاعلية في إدارة الفصل وأخرى أقل فاعلية .

ولقد تبين أن بداية العام ، إنما هي فترة عصيبة في بسط المعلم لنوع من الإدارة الفعالة والمؤثرة داخل الفصل الدراسي ، ولذلك فإنه يتعين على المعلمين أن يرسموا خطط عملهم وأن يتخذوا ما يشأون من القرارات قبل بداية العام الدراسي حتى لا يضيع الوقت سدى وهم بصدد بسط طرائقهم في التعامل مع الطلاب والقواعد التي يرغبون أن يسير العمل على نحوها وكيفية توصيلهم للمعلومات للطلاب .

وترجع صعوبة هذه الفترة إلى أن كلاً من المعلم والطالب يريد أن يتكيف مع الآخر وأن يفهم طبيعة الآخر وأن يبسط رغباته وميوله .

أن المهارات اللازمة لإدارة حجرة الدرس إنما هي جزء أساس من عملية ـ التدريس نفسها ، لذلك يقرر « لورتي » Lortie أنه يتعين على المعلم أن يبسط سيادته على الفصل منذ بداية العام .

وعلى المعلم أن يشجع جميع طوائف الطلاب على الاشتراك في أعمال الفصل ، ولذلك عليه أن يجذب الطلاب الأقل نضوجاً والأقل اهتماماً وأصحاب الأمزجة والميول المتغيرة أو المتقلبة وكذلك الطلاب الذين يؤثرون العزلة والانسحاب ولا بد أن يكون من أهداف المعلم أن يستغرق الطلاب في أعمالهم ، وأن ينخرطوا فيه بكل جوارحهم وإحساسهم وبكل حماسة وتفاؤل . بل أن هناك من التربويين من يطالب باشتراك الطلاب في إدارة الفصل .

أن المهارات الإدارية لا تبدو أهميتها من تحليل عمل المعلم ، وحسب وإنما تظهر هذه الأهمية بوضوح من بحوث إنتاج العمليات والتي لخصها كل من Grood و Medly .

إن السمات الإدارية أو الخصائص الإدارية تربط بتحصيل الطالب فلقد وجد أن انتباه الطالب يرتبط بمهارات المعلم الإدارية .

إن مهمة المعلم لا تقتصر على حمل المعلومات ومحاولة نقلها إلى أذهان الطلاب وإنما المعلم الممتاز لا بد أن يكون متعدد المواهب ، فهو إداري أو قائد ورائد وموجه ومرشد ومرجع وناصح ورادع وحازم وعطوف كل هذا في آن واحد . ولذلك من الأهمية بكان أن يكون المعلم قوي الشخصية سليم العقل والجسم .

وكلما كان الطالب متكيفاً في حجرة الدرس كلما زاد تحصيله العلمي .

والمعلم الحاذق يستطيع أن يعالج بحكمة سلوك الطالب غير الملائم ، وأن يشجع التنافس الإيجابي البناء ، وأن يعرض تعليماته برقة وأن يجعل العمل يسير سيراً تقدمياً بصورة مضطردة ، ويستطيع كذلك أن يجذب انتباه جماعة الطلاب وأن يثير فيهم الاهتمام والتشويق لمواصلة البحث والدرس والتنقيب .

ومن الناحية الفنية ، يستطيع المعلم أن يحتفظ بانتباه جميع الطلاب عن طريق عملية التسميع على أن تكون إجابات الطالب موجزة .

كما يستطيع أن يقلل من الواجبات المنزلية عن طريق زيادة نشاط الطلاب داخل قاعة الدرس . كذلك لتوضيح المعلم لأهدافه أهمية في سهولة الفهم والتجاوب معه . ودلت دراسات حقلية كثيرة على أهمية ضرورة توفير الدوافع لدى الطالب والتعزيز عن طريق ما يعرف باسم التغذية الرجعية للطالب Feed-back .

ولقد تمت مقارنة سلوك المعلمين الجدد بسلوك جماعات من أحسن المعلمين وفقاً لما قرره في وصفهم طلابهم في نهاية العام الدراسي . وبطبيعة الحال كان المعلمون الممتازون أكثر نجاحاً في اليوم الأول من الدراسة ، وأنهم استخدموا هذا الوقت في بسط الضبط والربط ، وأنهم استطاعوا توجيه طلابهم وإرشادهم ونجحوا في خلق مناخ جيد. بالنسبة لطلابهم لم يميلوا إلى إهمال الواجبات المنزلية أو تركها بلا إنجاز .

ولقد وجد في دراسات أخرى ، أن المعلمين الأكثر فاعلية أن قواعدهم أكثر إفادة للعمل والتطبيق ، وأن طريقتهم في تعليم قواعدهم والإجراءات ـ التي يسيرون عليها كانت أكثر دقة ونظاماً وأن هؤلاء أكثر قدرة على الإرتقاء بسلوك

الطالب والسير به قدماً نحو التقدم بعناية ودقة . كما وجد أن هؤلاء المعلمين أكثر قدرة على مواجهة السلوك الغير ملائم من قبل بعض الطلاب بسرعة وبعناية ودقة . كذلك لوحظ أن تعليماتهم وإجراءاتهم وطريقتهم في تنظيم الفصل كانت أكثر اتصالاً بحاجات الطلاب وتمشياً معها ، كما كانت تتفق مع ميولهم واهتماماتهم وأكثر مراعاة لمشكلاتهم . كذلك كانت تعليماتهم وإرشاداتهم أكثر وضوحاً وكان الطلاب أكثر فهماً لها .

لقد استعرضت الدراسة الحالية التراث البحثي فيما يتعلق بكيفية بدء المعلم لعامه الدراسي ، وبطبيعة الحال لا يبدأ المعلمون جمعاً بطريقة واحدة ولا شك أن هناك طرقاً أكثر فاعلية وتأثيراً من غيرها . ومن فهم طبيعة عمل المعلم في إدارة النشاط داخل فعله يلزم تحليل عمل المعلم إلى جزئياته الأولى ، ومعرفة ماذا يفعل منذ أن يدخل قاعة الدرس - حتى يخرج منها :

ولقد تضمنت المقاييس المستخدمة في الدراسة الحالية ما يلي :

١ - كيفية استخدام الوقت	٢ - مدى انشغال الطالب في الفصل
٣ - كيفية تنظيم الفصل	٤ - كيفية استخدام المواد
٥ - كيفية تجميع الطلاب	٦ - كيفية الاتصال بين المعلم والطالب
٧ - الإرشادات التي يقدمها المعلم	٨ - سلوك الطلاب

المعلم من حيث قيامه بضبط سلوك الطلاب ، وتوجيه نشاطهم والتأثير فيهم - وتحسين العلاقة فيما بينهم وإثابة المجيد وردع المهمل إنما هو بذلك يعتبر « مديراً » لفصله . وقد يكون مديراً ناجحاً أو فاشلاً .

لقد اشتملت الدراسة الحقلية على إحدى عشر مدرسة تقع في منطقة حضرية في الجنوب الغربي بالولايات المتحدة الأمريكية وتم اختيار عينة المعلمين عشوائياً من معلمي الرياضيات واللغة الانجليزية وتمت ملاحظة سلوك المعلم داخل غرفة الدرس عدة مرات .

وتلقى ١٨ ملاحظاً تدريباً ملائماً لتسجيل سلوك المعلم من فريق البحث ومن الطلاب الذين تخرجوا من أصحاب الخبرة بشؤون الفصول الدراسية . وتم

عمل الملاحظات بأكثر من طريقة واستخدموا بعض أجهزة التسجيل لهذا الغرض ، ثم تم نقل هذه الشرائط إلى ملف خاص وكان الملاحظون يعملون كما لو كانوا مؤرخين لما يدور من أحداث داخل غرفة الدراسة ، وكذلك سلوك الطالب ـ ونشاطه لمدة ١٥ دقيقة ، وبذلك أمكن تصنيف الطلاب إلى :

أ ـ يؤدون واجباتهم .

ب ـ لا يؤدي الواجب .

وكذلك تضمن التقويم نشاط الطالب الأكاديمي ، والاجراءات التي يقوم بها والوقت الضائع وما يلقاه من عقاب . ولقد تم أخذ متوسط هذه الأعمال في فترة زمنية محددة . كذلك اشتملت الملاحظات على تقويم أعمال المعلم على مقاييس مكونة من خمسة نقاط لبعض السمات الإدارية وطريقة القاء التعليمات ووضوحها وسلوك المقاطعة ثم نجاح الطالب في الأنشطة الأكاديمية .

ولقد أمكن جمع ٢٩ صفة أو سمة ونمطاً من السلوك .

اختبار كاليفورنيا للتحصيل الدراسي :

كان قد سبق تطبيق هذا الاختبار على الطلاب قبل البدء في هذه الدراسة ولكن تمت الاستفادة من درجات الطلاب على هذا الاختبار التحصيلي ، حيث استخدمت المتوسطات الحسابية للتحصيل الطلاب لتقيم العينة حسب مستوياتهم في التحصيل عند الدخول ، كما استخدمت هذه المتوسطات كمؤشر للتنبؤ بتحصيل الطالب فيما بعد .

الاختبارات المصممة :

لقد صمم الباحثان اختبارات لقياس التحصيل في اللغة الانجليزية تضمن قياس محتوى الكتب المدرسية المقرر في المنطقة التعليمية من ذلك استعمال الكلمات ، التنقيط ، الهجاء ، مهارات الكتابة ، وأهداف تدريس الأدب ، ومن ذلك على سبيل المثال تذوق الشعر وفهم شخصيات القصص . وكان الاختبار صادقاً أي يقيس ما وضع فعلاً من أجل قياسه بمفهوم صدق المحتوى أو صدق المضمون وهو نوع ضعيف من أنواع الصدق إذ لا يعتمد على محك خارجي عن نتائج الاختبار ذاته يمكن مقارنتها بنتائج المحك .

واستخدام استخبار مكـون من ١٥ مفردة وتم قيـاس استجابـات الطالب للمعلم وقـدرة المعلم على إعطاء التعليمـات وإدارة الفصل ومـدى الاهتمـام بالمقرر الدراسي .

ثبات المقاييس :

تم التحقق من ثبات المقاييس المستخدمة في هذه الدراسة أي التحقق من أن الاختبار ثابت فيما يعطى من نتاج كلما أعيد تطبيقه على نفس المجموعة وتحت نفس الظروف تم التحقق من هذا الثبات عن طريق إيجاد مقدار الاتفاق بين الملاحظين ، وتم إيجاد معاملات الارتباط بين الملاحظات التي تمت في فترات مختلفة . وكان معامل ارتباط الثبات دالاً إحصائياً عند مستوى ثقة ٩٥% كذلك تم إيجاد معاملات الثبات عن طريق قسمة الاختبار إلى نصفين متساويين وإيجاد معامل الارتباط بين هذين النصفين ، كما وجد معامل ارتباط للثبات بين نتائج الدراسة الاستطلاعية والدراسة النهائية .

أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة :

أسفرت هذه الدراسة عن كثير من النتائج النفسية والتربوية يهمنا هنا أن نشير إلى ما يمكن تطبيقه في مجتمعنا العربي .

لقد تمت مقارنة آداء الطلاب في فصول المعلمين الأكثر والأقل فاعلية ، وذلـك باستخـدام المنهج الأحصـائي المعروف بـاسم « تحليـل التبـاين » إلى عنصرين ومؤداه معرفة الدلالة الإحصائية أو الأثر الجوهري الذي يرجع لمتغيرين في وقت واحد ، كأن نعرف أثر الذكاء وأثر المستوى الاجتمـاعي للطالب في وقت واحد .

وكشفت الدراسة أن الطلاب في الفصول المدارة بفاعلية أكثر كانوا أعلى في آداء الواجب المنزلي ، وأقل في ترك الواجب أو إهماله وأقل كـذلك في السلوك غير المعاقب عليه ، كما كانوا أقل في عامل الوقت الضائع . وكانت هذه النتائج ثابتة في كل فصول اللغة الانجليزية وكذلك الرياضيات .

واتضح من ثنايا التجربة أن المعلمين الأكثر فاعلية كانوا أكثر وضوحاً في إعطاء المعلومات والتوجيهات وفي توكيد الاتجاهات وتثبيت السلوك المرغوب

فيه وكانوا أكثر قدرة على إعطاء الطالب تعيينات لها فائدة أكبر في نجاح الطالب وكانت توقعاتهم أكثر وضوحاً لمستويات العمل داخل غرفة الدرس . وكان المعلم الكفء أكثر ثباتاً في الاستجابة للسلوك الملائم وغير الملائم . وكان سلوك الإعاقة للانتباه أو للعمل أقل كذلك . وأن حدث سلوك الإعاقة فإن المعلم كان يتصدى له بسرعة . وكان هؤلاء المعلمون أعلى في مهاراتهم لحسن الاستماع وتوجيه الأعمال .

وكانوا أكثر وضوحاً في وصف الأهداف وفي استعمال المواد التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف ، كما كانوا يشجعون عمليات التحليل التي يقوم بها طلابهم . وكانوا يصوبون عيونهم على طلابهم أكثر من قليلي الفاعلية .

سمات المعلم الفعال وأنشطته :

دل التحليل الإحصائي على أن جماعتي المعلمين الأكثر والأقل فاعلية داخل غرفة الدرس في بداية العام يختلفون اختلافاً جوهرياً في السمات والأنشطة الآتية من مجموع السمات البالغ عددها ٣٦ سمة والتي كانت موضوع الدراسة والتحليل :

١ - يصف الأهداف بوضوح .
٢ - يستخدم مواد تؤيد تعليماته .
٣ - يعطي تعليمات واضحة عن كيفية استعمال المواد .
٤ - يضع عين المحافظة على الطلاب .
٥ - يعرض المعلومات عرضاً واضحاً .
٦ - يؤكد الاتجاهات والسلوك المرغوب فيهما .
٧ - يحقق طلابه درجة عالية من النجاح .
٨ - يقدم توقعات واضحة للمستويات .
٩ - يظهر ثباتاً في التعامل مع السلوك .
١٠ - مقدار سلوك الإعاقة أو السلوك المفكك .
١١ - يوقف بسرعة سلوك الإعاقة .
١٢ - يعطي قواعد وإجراءات لوقف سلوك الإعاقة .
١٣ - يعاقب لوقف سلوك الإعاقة .

١٤ ـ يظهر مهارات للاستماع .

١٥ ـ يشجع تلاحم المجموعة .

وبالطبع درجات المعلمين الأكثر فاعلية أعلى على السمات والأنشطة الإيجابية .

هذا ولقد تمت ملاحظة سلوك المعلمين داخل غرفة الدرس وعملت تقارير شفوية عنهم تم تسجيلها وتحويلها إلى سمات وأنشطة ، ثم حللت إحصائياً ووجد أن إلسمات والأنشطة الآتية اختلف فيها المجموعتان اختلافاً (إحصائياً من مجموع السمات البالغ عددها ٢٩ سمة .

١ ـ فهم تحصيل الطالب ومهاراته عند الدخول .

٢ ـ تناسق تعليماته ووضوحها .

٣ ـ وضوح في إعطاء التوجيهات .

٤ ـ تغذية رجعية أكاديمية منتظمة للطلاب .

٥ ـ سلطته سلوكية وأكاديمية .

٦ ـ متطلبات العمل واضحة .

٧ ـ ينمي تقدم الطالب .

٨ ـ الإجراءات والقواعد يتعلمها الطلاب جيداً .

٩ ـ مواصلة العمل حتى يتم إنجازه .

١٠ ـ لا يجد الطلاب وقتاً ضائعاً .

١١ ـ يقدم أنشطة متنوعة واهتمامات تشغل كثيراً من الطلاب .

١٢ ـ لدية معايير للإنتاج وتوجيه للعمل الإيجابي داخل الفصل .

١٣ ـ ينظم العمل منذ بداية الأنشطة .

١٤ ـ يحد من اتصالات الطالب غير الملائمة بزملائه .

١٥ ـ يسمح بالسلوك غير المنتج أو سلوك الأحجام لكي يستمر لثوان قليلة دون أن يتدخل .

١٦ ـ عندما يحدث الأحجام ينجح في تدخله لوقفه .

١٧ ـ من خلال الأنشطة يحد من أحجام الطالب .

١٨ ـ الطلاب الأكثر قدرة يجدون ما يتحدى ذكائهم .

١٩ ـ الطلاب يخرجون من مقاعدهم .
٢٠ ـ يستدعي الطلاب في غير استجداء .
٢١ ـ الطلاب يسيئون استعمال المواد والمؤن .
٢٢ ـ الحديث الاجتماعي بين الطلاب أثناء العمل أو المحاضرة .

لقد كشفت الدراسة على أن هناك تدهوراً في سلوك الطلاب الذين خضعوا لإدارة غير فعالة أو المدارة بمعلمين ضعفاء .

ومن الأمور التي تميز المعلمين الأكثر والأقل فاعلية في هذه الدراسة تنمية شعور الطلاب بالطاعة ، ومتابعة نتائج العمل ، وإقامة نظام يحدد مسؤولية الطالب ، والتعليق على العمل والمهارات الخاصة بتوصيل المعلومات إلى أذهان الطلاب ومهاراتهم في تنظيم الأنشطة .

قواعد العمل وإجراءاته :

لكل المعلمين قواعد وإجراءات ، وهم جميعاً يأخذون وقتاً لعرض هذه القواعد وتلك الاجراءات ، من ذلك الوصول للفصل في الموعد المحدد ، وامتلاك المواد ـ المناسبة ، ومتطلبات السلوك ، وكان المعلمون الأكثر فاعلية يميلون إلى طبع التعليمات في كراسة وتوزيعها على طلابهم ، وكان أكثر ترحيباً بسلوك الطالب المرغوب فيه .

مدى متابعة المعلم لسلوك الطالب :

كشفت هذه الدراسة الميدانية أن المعلمين الأكثر فاعلية كانوا أكثر قدرة على متابعة سلوك الطالب ، وأنهم كانوا يتصدون بسرعة للسلوك غير الملائم ، وكانوا أكثر ثباتاً في إدارة السلوك وكانوا أكثر إصراراً على فرض قواعدهم وإجراءاتهم . كما أظهرت أن المعلمين الأقل فاعلية كانوا أقل يقظة وأقل ميلاً للتدخل بسرعة .

شعور الطالب بالمسؤولية نحو العمل :

كان المعلمون الأكفاء أكثر قدرة على الاستخدام الأمثل للوقت داخل غرفة الدراسة في إنجاز الأعمال التي تم تعيينها وكانوا أكثر حرصاً على استكمال الطلاب للتعيينات وعلى تقدم الطالب واستمراره في إنجاز التعين المحدد له

والذي كان المعلم يحرص دائماً على جمعه منه ومتابعته ، وبذا كان هؤلاء المعلمون أكثر قدرة على اكتشاف العجز في إنهاء التعيينات أولاً بأول ومن ثم تذليل العقبات .

لقد كانت التعيينات تراجع دائماً وتقدر ثم تعاد للطلاب .

ومن الناحية الفنية البحتة ، لقد كان المعلمون الأكثر فاعلية أكثر قدرة عل توصيل توقعاتهم للطلاب وأكثر قدرة على تجزئة الأعمال الصعبة أو المعقدة إلى أجزاء تنفذ خطوة بخطوة وعلى مساعدة الطلاب لفهم أعمالهم وكيفية إنجازها . ونتيجة لفهم الطلاب لما ينبغي عليهم عمله وفهم كيفية عمله ، فلقد كانوا أكثر استمراراً في أدائه .

تؤثر سلوكيات المعلم في مستهل العام الدراسي على مجريات الدراسة طوال العام ، ولذلك يتعين على معلمينا أن يفكروا أولاً قبل بدء العام فيما ينبغي إنجازه وتقريره وتحديده ليسيروا على هدى منه طوال العام .

ترى كم نحن في حاجة إلى إجراء مثل هذه الدراسات الميدانية في مدارسنا العربية للنظر المدقق في كل ما يقوم به المعلم من أفعال وحركات داخل غرفة الدرس ؟ .

إن قضية التربية في بلادنا هي أخطر قضايا العصر ، ذلك لأن ـ للتربية ، في أمة تبني نفسها ، أو تعيد بناء نفسها ، دورا جوهرياً في إعادة بناء الإنسان العربي وصقل مواهبه وتنمية قدراته وإذكاء الروح الوطني في نفسه وإشعال جذوة القومية العربية في وجدانه وغرس القيم الروحية الأصلية النابعة من ديننا الإسلامي الحنيف ومن الشريعة الإسلامية الغراء .

ومن هنا الدعوة للنهوض بالمعلم عملياً وتربوياً ومادياً ورفع شأنه وتحريره مما يكبل طاقاته من الأغلال والمشكلات .

وكان لا بد من أن نرصد المبالغ الكافية لتمكين التربية من آداء رسالتها الحيوية في مجتمعنا العربي ، ونحن على ثقة ويقين أن ما ننفقه من مال أو جهد لا يضيع سدى لأن التربية أصحت بحق من أنفع مجالات الاستثمار بل هي التي تخلق أغلى الثروات قاطبة ، وأعني بها الثروة البشرية .

ظاهرة الضرب في المدرسة :

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة ضرب التلاميذ في المدار س بل ظهر بعض الحالات وأن كانت لحسن الحظ ما زالت قليلة التي يتبادل فيها الاعتداء الناظر والمعلمون بل وصل حد الاعتداء في بعض الحالات إلى وفـاة التلميذ والحقيقة في واقع الحال أن الضرب أو الإيذاء البدني سـواء كان بحسن نيـة وبغيرها فهو أسلوب مرفوض من الناحية النفسية والتربوية ذلك لأنه يؤدي إلى كراهية التلميذ للمادة ومعلمها بل إلى كراهية المدرسة برمتها كما أنه يولد في التلميذ الشعور بالتعقيد قبل المدرسة وقد يدفعه إلى الشعور بالجبن والخـوف والخضوع والاستسلام وقد يؤدي به إلى الهروب من المدرسة والعزوف عن تلقي العلم وقد يؤدي به في بعض الحـالات الأخرى إلى تقمص الضـرب واتخاذه منهجاً في حياته فيعتدي بدوره على غيره من صغار التلاميذ أو ضعافهم وقـد يؤدي في حالات أخرى إلى تبلد التلميذ وتعوده على الضرب وتجمد إحساسه وبذلك يضحى الضرب وسيلة غير مجدية في دفع التلميذ على القيام بواجباته المدرسية أو الالتزام بالطاعة أو القانون واحترام النظام داخل المدرسة وخارجها . ومما هو أشد خطورة من ذلك أن يتعود التلميذ عندما يشتد عوده إلى الرد على المعلم .

وقد يعترض المعلمون بالقول أن الضرب هو الوسيلة الأساسية التي وجدوا فيها السبيل الأمثل لإرغام التلميذ على الحفظ والاستذكار . ولكن الحقيقة أن الضرب أكثر الأساليب فشلاً وإن كان ذلك لا يلغي توقيع العقاب على الطلاب الذين يهملون دروسهم أو يخلون بالنظام أو يعتدون على غيرهـم ولكن العقاب المسموح به من الناحية السيكولوجية هو العقـاب السيكولـوجي وليس العقاب البدني كأن يحرم التلميذ من بعض المزايا التي كانت له أو تقلل درجاته أو يكتب اسمه في لوحـة الإعلانـات أو يحرم من بعض الأنشـطة التي يحبها لفتـرة ما كالاشتراك في الرحلات والحفلات أو الاتصال بولي الأمر ليتولى هو تدبير أمره في إهمال ~~والده~~ ولده

على أن المعلم الناجح هو الذي يجعل تلاميذه يحبونـه ويلتفون حـوله ويحرصون على رضاءه وهو الذي يتمتع بشخصية قوية ثابتة حيث تكون شخصية

حازمة في عدل ، تعطي الحب والعطف والحنان وفي نفس الوقت تتسم بالحزم والحسم وقوة الإرادة والعدل في معاملة التلاميذ مع التجرد والأمانة والصدق والتمكن من أحكام فهم مادته العلمية وامتلاك فنون توصيلها إلى أذهان التلاميذ .

فن الاستذكار الجيد

مما لا شك فيه أن عملية التحصيل المعرفي أو الاستذكار ليست عملية آلية ميكانيكية بحتة وإنما هي فن من الفنون الذهنية ، له أصوله وقواعده ، ومناهجه .

والتحصيل المعرفي الجيد يقوم على التفكير الناقد والنظرة الفاحصة المدققة والوعي والإدراك والاستيعاب والتحليل والتركيب والمقارنة والتطبيق والتعميم والتمييز والربط بين المواد بعضها بعضاً وبينها جميعاً وبين مظاهر الحياة .

وإذا كانت الحاجة إلى اكتساب العلم والمعرفة ضرورية في كل العصور ، فهي في عصرنا الحالي أكثر ضرورة وإلحاحاً ، وذلك لكي يتسلح شبابنا بسلاح العلم ليقوى على مجابهة الأخطار المحدقة بالأمة العربية في الوقت الحاضر والتي تتهددها وتتربص بها الدوائر وتعتدي على مقدساتها وحرماتها وتنال من سيادتها ، وتحاول أن تتغلغل إلى مقوماتها الفكرية والعقائدية في شكل غزوات فكرية واقتصادية وعسكرية فإذا أراد شبابنا ، وهو لا شك يريد ذلك مخلصاً ، أن يقوم بدوره في دفع الخطر الذي يتهدد أمته فكرياً كان أم عسكرياً أم اقتصادياً - فعليه أن يكرس كل حياته ووقته وجهده وطاقته في سبيل الانكباب على التحصيل العلمي والمعرفي حتى يحرز التفوق والنبوغ . ولا شك أننا في عصر العلم ، والثروة الحقيقية في الوقت الحاضر ، لم تعد الحديد أو الرصاص أو غيرهما من المعادن وإنما الثروات الحقيقية هي الثروة العلمية أو الثروة البشرية . والدول المتقدمة لم تحرز ما أحرزته من قوة وسلطان ونفوذ إلا بفضل تقدم علمائها وابتكاراتهم .

وإذا كنا في عصر العلم فعلى شبابنا أن يتسلحوا بسلاح العصر . على أن

عملية التسليح هذه ليست بالأمر الهين ، وإنما تحتاج إلى عرق وسهر وجهد وطاقة وتفان وإخلاص وتضحية وحماسة وإقبال بشغف ورضا على بذل الجهد اللازم لاكتساب المعرفة بل أن التفوق العلمي يحتاج أن يحب الطالب مادته العلمية ويهواها ويعشقها بحيث يشعر بلذة لا تدانيها لذة كلما مارس هوايته المفضلة وهي القراءة والبحث والاطلاع وإجراء البحوث والتجارب وتعلم اللغات . والمعروف سيكولوجياً أن الإنسان لا يشعر بالتعب والإرهاق إذا كان يحب عمله ويشعر بالرضا نحوه ، ولذلك فنحن لا نشعر بالتعب عندما نمارس هوايتنا بالقدر الذي نشعر به إذا مارسنا عملاً نشعر أننا مسخرين لأدائه ومكلفين قهراً وقسراً لعمله .

والحقيقة أن للعملية التحصيلية الجيدة والاستذكار الجيد شروطاً معنية من بينها توافر الدافع أو الحماس لدى الفرد لبذل الجهد والطاقة والعمل الجاد والموصول وعلى الطالب أن يخلق في نفسه هذا الدافع بحيث يلقى التشجيع والتعضيد نابعاً من ذاته « والتجارب التي أجريت على الحيوانات في مجال التعلم أثبتت أن الحيوان إذا كان مشبعاً فإنه يجلس ساكناً أو ينام ويترك المجرب وحده ولا يهتم بالموقف التجريبي ، أما إذا كان جائعاً فإنه يبذل الجهد ويحاول المرة تلو المرة حتى يحل الموقف المشكل ويحصل على الطعام الذي يشبع عنده دوافع الجوع وبذلك يتعلم حل الموقف المشكل .

كذلك من شروط عملية التعلم التكرار ولكنه التكرار الواعي المستنير القائم على فهم المادة واستيعابها ، وليس التكرار الآلي الأصم الأعمى . فلكي نحفظ قصيدة من الشعر أو سورة قرآنية لا بد من تكرارها عدة مرات حتى ترسخ في الذهن .

ومن شروط عملية التحصيل الجيد كذلك توزيع الجهد المطلوب مثلاً لحفظ قصيدة من الشعر على عدة جلسات بدلاً من الجهد المركز في جلسة واحدة ، ذلك لأن تخلل عملية الاستذكار لفترات من الراحة أو الاستجمام يؤدي إلى ثبات المادة المتعلمة . فإذا كان يلزم لحفظ قصيدة من الشعر عشر ساعات مثلاً فالأفضل أن تقسم على خمسة أيام بواقع كل يوم ساعتين .

ويلعب الجهد الذاتي الذي يبذله المتعلم دوراً أساسياً في نجاح عملية التعليم .

فلقد لوحظ أن المعلومات والحقائق التي يجمعها الطالب بنفسه وبطريق جهده الذاتي لا تخضع للزوال والنسيان ، ولذلك يفضل أن يعتمد الطالب على نفسه وأن يجد في اكتساب المعارف بالقراءة والاطلاع والبحث وإجراء التجارب والملاحظات والمشاهدات ومراجعة الكتب والمراجع . أما المعلومات التي نسقيها للطالب جاهزة ومطهوة ، فإنها سريعة الزوال والنسيان .

ولا بد أن تقوم عملية التعليم على أساس من فهم معنى المادة المتعلمة فهما جيداً لقد دلت التجارب على أن حفظ المواد عديمة المعنى يكون أكثر صعوبة ويستغرق وقتاً وجهداً أطول من حفظ المادة ذات المعنى الواضح ، ولذلك لا بد أن يعرف الطالب معاني الكلمات والعبارات والنظريات والاصطلاحات التي يحفظها . ولذلك كان من عيوب التربية التقليدية ما يعرف باسم « **اللفظية** » وهي عبارة عن تكليف الطالب حفظ اصطلاحات لا يعرف معناها « كالبيروقراطية أو الميتافيزيقا أو الليبرالية أو البورجوازية »وما إلى ذلك وعلى المعلمين والأساتذة تقع مسؤولية شرح مضامين هذه الاصطلاحات حتى لا يتحول الطالب إلى بغبغاء يردد عبارات لا يعي معناها . كذلك من النصائح الفنية التي تجعل عملية التعلم أكثر سهولة ونجاحاً إتباع ما يعرف باسم « الطريقة الكلية » في الاستذكار ومؤداها أن يلم الطالب بالمادة المراد تعلمها كلها كوحدة متماسكة ، وبعد أن يأخذ فكرة عامة وإجمالية ويكون لنفسه صورة شاملة عن محتواها الكلي ، يبدأ في دراستها جزءاً جزءاً ويتقنها ويحكم فهمها ، وبعد ذلك يعود إلى المادة ككل مرة أخرى ليكامل بين أجزائها ويربط بينها في كل موحد .

وكلما سار الطالب في عملية التعلم لا بد أن يعود ويسمع لنفسه ما استذكره حتى يستوثق من أنه هضم المادة المراد تعلمها وحتى يزداد ثقة في نفسه . ويساعد هذه الطريقة على معرفة نتائج تحصيله أولاً بأول وعلى ذلك يستطيع أن ينمي مواطن القوة في تحصيله فيزداد نبوغاً وتفوقاً ، ويدرك مواطن الضعف فيعالجها أولاً بأول قبل استفحال أمرها .

والطالب بهذا يشبه الرامي الذي يعرف موقع رميته من الهدف في كل مرة فإن كانت أدنى منه علاها وإن كانت أعلى دناها وهكذا حتى يحكم التصويب تجاه الهدف . ولعل هذه هي الحكمة من وراء عقد الامتحانات الدورية الشهرية

الشفوية أو التحريرية التي تساعد الطالب والمعلم معاً على معالجة نتائج عملية التدريس والتعلم ، فالمعلم يستطيع أن يغير أو يطور من طرائقه في التدريس والطالب يستطيع أن يضاعف من جهده ويحتاج التعلم الجيد إلى توفير التعليمات والإرشادات والتوجيه الصحيح للتلميذ حتى يحفظ المعلومات والحقائق.وينطق الكلمات مثلاً على وجهها الصحيح منذ البداية ، حتى لا يبذل جهداً في حفظ المعلومات الخاطئة ثم يصبح عليه مرة أخرى أن يبذل جهداً مضاعفاً في إزالة التعلم الخاطىء ثم في تعلم المعلومات الصحيحة وهنا يمكن دور المعلم أو الأستاذ .

أن عملية التحصيل وإن كانت في معظمها ترجع إلى جهد المتعلم نفسه إلا أنها تعتمد كذلك على عدد كبير من العوامل كالمدرسة والأسرة والمجتمع برمته . فعلى المدرسة أن تهيء الجو الملائم للاستذكار وأن تتبع طرائق التدريس الجيدة التي تعتمد على مناقشة الطالب وإشراكه في التحصيل وتوفير وسائل الإيضاح السمعية والبصرية وعقد الامتحانات الشفوية والتحريرية الدورية ، وتوفير الكتب الجيدة والمعامل والورش والجو الديمقراطي وأن توفر المكافآت والجوائز للمجدين والنابهين من الطلاب وعلى الأسرة أن توفر الجو الهادىء الملائم للاستذكار وأن تشجع الطالب وتدفعه وتحثه على بذل الجهد والطاقة وأن تضبط سلوكه وتبعد عنه العوامل المشتتة للذهن كالتليفزيون وأن تبعد عنه رفقاء السوء وألا تسرف في إعطائه الدروس الخصوصية التي تقتل عنده ملكه المبادأة والشعور بالثقة بالذات .

إن التعليم هو المصعد الاجتماعي الصحيح الذي يصعد عليه الفرد إلى الطبقات الاجتماعية الأعلى ، وهو سبيل شريف في الارتفاع والتمتع بالمكانة الاجتماعية المرموقة وهو فوق ذلك يؤدي إلى شعور الفرد بالثقة في نفسه واكتمال عناصر شخصيته واحترام الناس له إلى جانب تأمين المستقبل الاقتصادي والإسهام في معارك المجتمع مع العوز والتخلف وبذلك فالتحصيل الدراسي نشاط قومي ووطني واجتماعي وعلمي ينفع صاحبه بقدر ما ينفع الوطني كله .

الذوق اللغوي

ماذا تفعل لو أن ابنك عاد إليك وهو يردد كلمات مثل « فلان دا رجل سكه » وأن الرجل الفلاني « رجل برم » أو مخربش « أو خبش » أو عندما يقول في معرض مديح أحد أصدقائه بأنه « ولد جاهز » أو عندما يصف آخر بأنه « سلكاوي » أو « مخلس » أو عندما يمزح ويقول عن الموبيليا « نابوليا » وعن لفظة فوراً « فورم » وغير ذلك من الألفاظ التي تتردد في الإذاعة والتلفزيون كعبارت « الأكسس في التاكس والعبارة في الدبارة وغير ذلك .

لا شك أن مثل هذه الظاهرة ظاهرة محزنة وخاصة أنها سريعة الانتشار ، فما أن ترد مثل هذه العبارات الهزلية إلا ويرددها الشباب على الفور وسرعان ما تصبح لغة التخاطب . . . كأن يقول الشاب لمن أعطاه موعداً وتخلف عن الوفاء به وتركه ينتظره « فلان كبني » أو « دلقني » وغير ذلك من الألفاظ التي لا أصل لها في لغتنا العربية الأصيلة « والغريب أن شباباً من أبناء الطبقات الاجتماعية الوسطى والعليا يرددون مثل هذه العبارات التي تعبر عن انحطاط الذوق اللغوي » وتدهور وسيلة من وسائل الحضارة العربية الراقية . إذ المفروض أن اللغة هي الوعاء الذي يحتوي كافة قيمنا ومعاييرنا ومثلنا ومعارفنا وتراثنا .

وأن اللغة نفسها مظهر من مظاهر الحضارة الراقية وكلما ارتفع مستوى استخدامها كلما دل على ارتفاع المستوى الحضاري . أن سماع مثل هذه الألفاظ يجعل السامع يحار في الحكم على شخصية المتلكم ، وذلك لأن اللغة التي يستخدمها الفرد دليل على مستواه الثقافي والتعليمي وفي المجتمع الانجليزي ، على سبيل المثال ، فإنك تستطيع أن تحكم على طبقة الفرد الاجتماعية من مجرد سماع حديثه واللهجة التي يستخدمها واللكنة التي ينطق بها لسانه ، والعبارات التي يعبر بها عن نفسه جاداً كان أو مازحاً أننا لا نلغى المزاح

من حياة الناس ، ولكن ذلك لا يعني أن نستخدم الفاظاً مثل « برم » « وشكل » « وسبرتو » « وكرنبة » .. و« طشت » .. و« كرويه » .. وما إلى .

ولا شك أن سماع هـذه الألفاظ ولا سيما ممن لا نتوقعهـا منه ، يؤذي الآذان ويثير التقزز والاشمئزاز والنفور . فضـلاً عما يتضمنـه من خطر يتهـدد مستوى اللغة المنطوقة وفقدانها وقارها وموسيقاها وعذوبتها وسموها . . . وإذا ما تساءلنا عن أسباب انتشار مثل هذه الظاهرة لوجدنا أن المسؤول في المحل الأول البرامج الإذاعية والتلفزيونية والعروض المسرحية التي تسمح بترويد مثـل هذه الألفاظ ، وخاصة عندما تجيء على لسان نجوم يحبهم الناس ولهم قدرة كبيرة على ما يعرف في علم النفس باسم إيحاء المكانة الاجتماعية حيث يقبل الفرد الأمور الموحى بها ، إذا كان مصدر الإيحاء شخصية براقة ومحبوبة اجتماعياً أو سياسياً .

والمعروف أن الإنسان يميل بطبعه إلى التقليد والمحاكاة فيردد شعورياً أو لا شعورياً للمؤثرات التي تسقط على حواسه أي التي يراها أو يسمعها . ومن هنا كان من الضروري توفير القدوة الحسنة .

وكان لا بد من الحرص عن تقديم البرامج والعروض من استخدام الألفاظ الراقية ومراعاة الذوق السليم . بل أن المفروض أن الفنون على اختلاف ألوانها وأشكالها إنما تعمل على رفع الذوق والارتقاء به وإرهاف حس الناس والتأثير في شخصية السامعين أو المشاهدين وصقلها وتنميتها والتأثير في سلوك الأفراد بحيث يصبح أكثير رقياً وحساسية وإرهافاً وذوقاً وتأدباً وإلا انعدمت رسالة المسرح أو السينما . والمعروف بحق أن المسرح ما هو إلا جامعة يتعلم من خلالها جموع أفراد الشعب ولذلك لا بد من تنقية ما تقدمه من ذاد وما تهدف إليه من أهداف إيجابية وبناءة .

وعلى الأسرة تقع المسؤولية الكبرى ذلك لأن الأب مثلاً عندما يسمع مثل هذه العبارات من ابنه فإنه يبدي بدلاً من الضحك أو السكوت لفت نظر الابن إلى عدم استعمال مثل هذه العبارات وأن يشرح له أنها لا تدل إلا على انخفاض المستوى الثقافي لمستخدمها ومثل هذا الصد يجعل الطفل والشباب يقلع عن استخدامها . وتقع نفس هذه المسؤولية على الأم .

كذلك فإن المدرسة مسؤولة عن انتشار مثل هذه العبارات إذ لا بـد أن تحرص على أن يستخدم طلابها الألفاظ الراقية والمهذبة والعربية حتى يتعودوا عليها وألا يقابل استخدامها بالقبول أو السكوت .

إن لغتنا العربية عزيـزة ووفيرة المفـردات وتستطيـع ألفاظهـا أن تجعلك تضحك وتبكي وتحزن وتفرح وتتحمس وتثور وتتفاءل وتأمل وتطمح وتهدأ ولذلك ما أغنانا عن اختراع ألفاظ رخيصة .

الفصل السابع
التربية الشمولية للطفل

- مبدأ التربية الشمولية في الإسلام.
- الأنماط السلبية والإيجابية في تربية الطفل والسائدة في المجتمع العربي.
- التربية السيكولوجية الحديثة للأطفال.
- حقوق الطفل في ضوء الدراسات النفسية الحديثة.
- سيكولوجية الإيحاء.
- دور التربية في علاج اضطرابات الأطفال والوقاية منها.

مبدأ التربية الشمولية في الإسلام

مقدمة :

لا شك أننا في حاجة إلى بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة يؤسس عليها عملنا التربوي في بناء الأجيال الصاعدة ، بعد أن ابتعد كثير من المنظمات التربوية عن الدين الإسلامي ، فضلت الطريق وذلك بحكم تأثرها بالنزعات والفلسفات المادية والألحادية البغيضة المنحدرة إلينا من بلاد الغرب ومن جراء اهتمامها بالجانب المادي من الشخصية وإغفالها للجانب الروحي والإيماني - نظرية أساسها ووجهتها وغايتها ومنهجها إسلامي محض .

لقد جاءت حضارة الغرب الحديثة عرجاء مبتورة لأنها وجهت جل اهتمامها إلى العنصر المادي أو إلى التقدم المادي في الحضارة وأغفلت الجوانب الروحية والخلقية ، فجاءت حضارة منقوصة عاجزة عن فهم طبيعة الإنسان أو فهم الفطرة الإنسانية .

أما الإسلام فهو دستور كامل وشامل للحياة ينظم حياة الفرد والمجتمع ، ويهتم بكافة جوانب الفرد الشخصية والاجتماعية والنفسية والعقلية والأخلاقية والروحية والإيمانية .

أسس المنهج الإسلامي في التربية :

ويقوم المنهج الإسلامي في التربية على عدة أسس منها :

١ - الإيجابية وعدم السلبية واللامبالاة كما يتمثل ذلك في الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإماطة الأذى عن الطريق وغير ذلك من المبادىء التربوية الإيجابية .

٢ - التواسط والاعتدال في المأكل والمشرب والمبس وشتى ضروب

الاستهلاك ، وعدم التطرف أو الإسراف أو البذخ أو التقتير أو الشح أو البخل أو التكالب على جمع المال وتكديسه واعتباره غاية في ذاته .

٣ ـ مبدأ التدرج كما تمثل ذلك في النهي عن الخمر حيث جاء متدرجاً .

٤ ـ مبدأ مراعاة الفروق الفردية بين الناس كما يتمثل ذلك في مبدأ مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

٥ ـ مبدأ الاستمرارية كما يتمثل في القول اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

٦ ـ مبدأ مراعاة القدرات الطبيعية للفرد فما يطلب من الراشد الكبير لا يطلب من الطفل الصغير . فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

٧ ـ مبدأ التلطف مع الناس كما يتجلى في قوله تعالى مخاطباً نبيه الأمين : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . .** ﴾ آل عمران ١٥٩ .

٨ ـ مبدأ الأمانة العلمية كما جاء في الهدى النبوي الشريف في الدعوة للنقل عن الرسول بأمانة وصدق .

٩ ـ مبدأ الاجتهاد بعد القرآن والسنة .

١٠ ـ مبدأ تكريم العلم والعلماء .

١١ ـ مبدأ عدم الاتجار بالعلم والدعوة إلى نشره .

١٢ ـ مبدأ التربية الشمولية كما يتمثل في اهتمام الإسلام بكل جوانب شخصية الفرد الإيمانية أو الروحية والجسمية وعدم اقتصار الاهتمام على جانب دون آخر .

مصادر الفكر التربوي في الإسلام :

وينقلنا هذا الحديث المبدئي إلى مصادر الفكر التربوي في الإسلام ونستطيع أن نتلمس المصادر الآتية :

١ ـ القرآن الكريم وهو دستور المسلم الكامل والشامل والصالح لكل زمان ومكان .

٢ ـ السنة القولية والعملية المطهرة وما دعا إليه الرسول الكريم . وما نهى عنه وما عمله وما رضا عنه .

٣ ـ كتب الفقه والتوحيد والتفسير والحديث ، وكذلك كتب العلماء والمفكرين والفلاسفة الإسلاميين ، ومن أمثلة ذلك مؤلفات الإمام الغزالي والفارابي

وابن رشد وابن خلدون وابن القيم الجوزية وأبو حيان التوحيدي والكندي وغيرهم .

٤ ـ من سيرة الصحابة والتابعين والمدارس الإسلامية والفرق الكلامية ومدارس التصوف وغير ذلك من مصادر التراث الإسلامي الخالد .

ومع طغيان العلوم الغربية وانتشار الفلسفات الغربية ظهرت حركات متجددة نحو « أسلمة » العلوم الحديثة أي تأصيلها إسلامياً .

حركات أسلمة العلوم الحديثة :

ويقصد بذلك تلك الجهود التي تقوم بها بعض الجامعات ، كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية ، ومراكز البحث العلمي ، لصبغ العلوم الحديثة بالصبغة الإسلامية أو طبعها بالطابع الإسلامي ، وإرجاعها إلى مبادئها الإسلامية العامة الأولى ، وبيان فضل الإسلام في السبق في كثير من مكتشفات العلم الحديث ومنجزاته . والعمل على غربلة العلوم الغربية الحديثة من الشوائب والأمور المخالفة للتعاليم الإسلامية السمحة ، وتوظيف العلم الحديث في ترسيخ مشاعر الإيمان بالله تعالى ورسوله وأبعاد النظريات العلمية عن نزعات الألحاد أو الماركسية المادية وكل ما يخالف المبادىء الدينية . وهي حركات مباركة تحتاج إلى مزيد من الدعم والتأييد والبحث المتواصل .

مبدأ التربية الشمولية في الإسلام :

الحقيقة أن كثيراً من مبادىء التربية الإسلامية ما زال يعيش في القرن العشرين لأنها من وضع دستور سماوي خالد . ولا غرو فأن الإسلام دين كل زمان ومكان وهو تشريع يتجاوز كافة التشريعات الأرضية . ومن الناحية التربوية نستطيع أن نقول ، بحق ، أن الإسلام كله مدرسة تربوية جامعة أو هو جامعة تبني الفرد والجماعة وتسهم في تنشئة المواطن الصالح المؤمن من بربه ووطنه وعروبته والقادر على الإسهام الفعال في حركة تعمير الكون وتنمية الحياة .

مبادىء خلافة الإنسان في الأرض :

ولذلك لم يكن غريباً ان يستخلفه الله في عمارة هذا الكون وذلك على أسس إنسانية وأخلاقية قوامها المبادىء الآتية :

١ ـ التعاون والأخذ والعطاء وتحقيق الصالح العام المشترك .
٢ ـ الشورى والإيمان برأي الفرد والجماعة واحترام رأي الأقلية .
٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الفواحش والرذائل والجرائم ، وكافة ضروب الفساد والإفساد . والشر والبطش والطغيان .
٤ ـ الرحمة والشفقة والعطف والبر والإحسان والتقوى والخشوع والورع .
٥ ـ التضامن والتكافل والتساند وحماية الفقراء والعطف عليهم .
٦ ـ العدل والمساواة والأخاء وتكافؤ الفرص ، فالناس سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى .
٧ ـ الإيمان بالعلم والتفكير الموضوعي ونبذ الخرافة والشعوذة والخزعبلات والأباطيل والسحر والتطاير وما إلى ذلك من الأمور التي تفسد الاستدلال المنطقي السليم ، والدعوة للتأمل والتدبر والتبصر في مخلوقات الله ترسيخاً للإيمان بالله الخالق العظيم وبرسوله الكريم .
٨ ـ ترسيخ قيم الحق والعدل والإنصاف في المعاملات بين الناس .
٩ ـ الدعوة للعمل والإنتاج والأكل من كد اليد والبعد عن سؤال الناس قدر المستطاع .
١٠ ـ الدعوة لعبادة الله تعالى وهي الغاية القصوى من هذه الحياة .

أما التربية الشمولية التي امتازت بها حركة الإصلاح الإسلامية فتبدو واضحة في اهتمام الإنسان بما يلي :

مبادىء التربية الإسلامية الشمولية :

١ ـ الاهتمام بالروح أي التربية الروحية .
٢ ـ الاهتمام بالخلق أي التربية الأخلاقية .
٣ ـ الاهتمام بالأسرة أي التربية الأسرية .
٤ ـ الاهتمام بالحياة الاجتماعية أي التربية الاجتماعية والوطنية .
٥ ـ الاهتمام بالجوانب العملية أي التربية العملية .
٦ ـ الاهتمام بالجوانب الاقتصادية أي التربية الاقتصادية .
٧ ـ الاهتمام بالجوانب العلمية أي التربية العلمية أو الفكرية أو العقائدية .

وواضح أن الإسلام ، عبادة ومعاملات ، يتناول كافة جوانب حياة الفرد بالتنظيم الدقيق .

هذه هي النقاط التي سوف يتناولها البحث الحالي بالدراسة والعرض . ولكن قبل اشتعراضها يتعين علينا أن نشير إلى مفهوم التربية بصورة عامة .

مفهوم التربية :

من المفاهيم العديدة لاصطلاح التربية Education ما يورده انجلش English في معجمه النفسي حيث يقول أن التربية عبارة عن التغيرات التقدمية أو التغيرات المرغوب فيها ، والتي تحدث في شخص معين نتيجة للتدريس أو للدراسة[١] . ولا يختلف هذا التعريف من حيث غايته عن تعريف التعلم Learning حيث يقصد بهذا المصطلح الأخير إحداث تغير في أداء أو في سلوك الإنسان أو بصورة عامة الكائن الحي ، ذلك التغير الذي يحدث نتيجة للمران والممارسة والتدريب أو التكرار .

وبطبيعة الحال يسير هذا التغيير في الإتجاه المرغوب فيه .

وقد يشير اصطلاح التربية إلى التغييرات التي تحدث من جراء الخبرة أو اكتساب الخبرة . وبطبيعة الحال يختلف هذا النمط من التغير الذي يحدث نتيجة للتدريس عن ذلك التغير الذي يحدث من جراء النضج maturation[٢] ذلك النضج الذي يصل إليه الإنسان أو الكائن الحي بعد المرور بسلسلة من مراحل النمو المختلفة في مختلف جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية .

أما قاموس بنجوين فيقول أن التربية هي عملية تقديم التدريب المنظم والتنمية للملكات العقلية الطبيعية أو السوية أو هو الإشارة إلى كون الإنسان يتلقى تعليماً . وتشير التربية إلى مستوى التحصيل العقلي[٣] . ويلاحظ على هذا التعريف قصوره عن إيراد الاهتمام بالجوانب الجسمية والنفسية أو العاطفية أو الانفعالية والروحية والاجتماعية والوطنية للفرد ، حيث يقتصر التعريف على الإنجاز العقلي وهو مجرد جانب واحد مما تهتم به التربية الحديثة وهذا ما يعرف باسم التربية التكاملية .

أما دائرة معارف بنجوين فترى أن التربيـة أساسـاً عبارة عن عمليـة نقل الميراث الاجتماعي المادي والعقلي والأخلاقي والثقافي ، نقل هذا التراث من جيل إلى آخر أو نقله إلى كل جيل جديد . وتميل هذه العملية أن تكون في بعض الأحيان ، تقليدية ومحافظة ، ولكن هناك بعض الجـوانب أو الوظـائف الإبداعية والعمل على النقل بصورة انتقائية بمعنى نقل فقط ما هو جيد أو طيب وما له قيمة وما يتلاءم مع ظروف كل جيل . وبالنسبة للمجتمعات البدائية كانت المهارات العملية يتم نقلها عن طريق التقليد . ولكن كان الكبار يلقنون قوانين القبيلة وتقاليدها . وكانت تدور هذه التعـاليم حول الأمـور الدينيـة والطقـوس والعقائد . وتهتم المدارس الحديثة بالمدنية .

ومنذ بداية القرن ١٣ الميلادي وما بعده ظهرت الحاجة إلى وجود طبقة متعلمة من التجار ، ولذلك بدأت المدارس في تعليم المواد الدينوية إلى جانب الموضوعات الدينية من ذلك الرياضيات مع العقائد الدينية وبعد ذلك ظهرت فكرة التعليم الإجباري وأصبح التعليم يحتوي كل ما هو ضروري وظهرت الدعوة للتعليم الإجباري والمجاني وأصبح من الضروري التفكير في ثلاث مراحل من مراحل التعليم هي الابتدائي والثانوي والعالي وساعدت في ذلك الثورة الصناعية وأمدت المؤسسات التعليمية بالمال والمصادر البشرية(٤) .

وعملية التربيـة تحتاج من جـانب الفرد إلى القـابلية للتعلم والاكتسـاب Educability وهي كما يعرفها أسعد رزوق المقدرة التي يبديهـا الكائن الحي على الاستفادة من مواد الخبرة وموضوعات الدراسة التي يطلع عليها أو تعرض له في ميدان الاختبار والتعلم . فالقابلية تشير إلى استعداد المرء لتكييف نفسه تبعاً للظروف الحياتية التي تطرأ من جديـد أو تستجد . وهي تختلف في الـدرجة والمدى باختلاف الأشخاص والبيئات(٥) .

فالتربية تعتمد على محورين رئيسيين هما : الطالب والمعلم ولا بد أن يحدث التفاعل والتعاون بينهما لتحقيق الغايات التربوية المنشودة . ولقد ظهرت الحاجة إلى ضرورة تعاون الأسرة مع المدرسة لحل مشاكل الطلاب .

وينـظر علماء الاجتمـاع إلى التربيـة كما يعبـر عن ذلـك المـرجـع في مصطلحات العلوم الاجتماعية(٦) إلى أن أكثر استخدامات مصطلح التربية في

عمـوميتها تشيـر إلى التنشئة والتـدريب الفكري والأخـلاقي ، وتطويـر القـوى الأخلاقية والعقلية أي تنميتها ، وبخاصة عن طريق التلقين المنظم سواء أكان ذلك في المدارس أو في منظمات أخرى تتولى عملية التربية طوال اليوم . ومن العسير في هذا الصدد أن نفرق بين مظاهر الصراع التاريخي والمعـاصر التي تدور حول مفهوم التربية وأهدافها ذلك لأن التعريفات المختلفة للتربية تتضمن بعض الفروق المتعلقة بمناهج التربية ومضمونها . وفي ضـوء ذلك فـإن أكثر التعريفات عمومية غالباً هي أكثرها استخداماً . لقد تبنى أميل دوركـايم وجهة النظر التي ترى أن التراث العلمي سوف ينحو نحو حصر وتحديد المصطلح في التـأثير الـذي يحدثـه جيل الـراشـدين على الـذين لم يمـارسـوا بعـد الحيـاة الاجتماعية . ومن ثم فإن التربية تتمثل في التنشئة الاجتماعية المنظمـة لجيل الصغار .

ويرجع هذا التعريف إلى النظرة الوظيفية للتربية باعتبارها نظاماً يعمل على تحقيق الاتفـاق ، والتكافـل الاجتماعي من خـلال تدعيم الصفـات الشخصية الملائمة في الأجيال التاليـة . أن المجتمع يحقق البقـاء فقد إذا تحققت في أعضائه درجة كافية من التجانس والتربية هي التي تستطيع أن تؤدي إلى قيام هذا التجانس ، حيث تثبت لدى الأطفال منذ الصغر مظاهر التماثل الأساسية التي تتطلبها الحياة الجمعية . ولقد شاع هـذا التصور بين معـظم علماء الاجتمـاع الأوروبيين . ويبرز هذا التعريف أهمية التربية في تحقيق الوحدة الاجتماعية .

ولقد وضع ماكس ڤيبر بعض الأسس التي تصلح للمدرسة المقارنة حين وضع تصنيفاً سيوسيولوجياً للوسائل والغـايات التـربويـة يمثل تصنيفـه للبناءات الاجتماعية للسيادة . أن كل نسق للتربية يهدف إلى تلقين التلاميذ أسلوباً معيناً للحياة يلائم المكانة التي تشغلها جماعة معينة في بناء السيادة بحيث يمكن بعد ذلك وضع هذه الأساليب على نقطة معينة في متصل .

أما كارل مانهايم فقد وضع التـربية بين الأسـاليب الفنية الاجتمـاعية أو التقنيات الاجتماعية باعتبارها مقولة عامة تشتمل على طرق للتأثير في السلوك الإنساني الذي يتلاءم مع أنماط التفاعل الاجتماعي والنظم السائدة . إلا أنه كان متأثراً إلى حد كبير بالاستخدام الأمريكي الذي أعطى اهتماماً ضئيلاً نتيجة لتأثر

أفكار جون ديوي البراجماتية « أي العلمية العملية » للوظائف الاجتماعية المحافظة للتربيه ، واهتماماً أكثر للدور الذي تلعبه في التغير الاجتماعي . ومن هنا يتضح دور التربية في حدوث التغير الاجتماعي .

العلاقة بين التربية والتنشئة الاجتماعية :

ويرتبط مفهوم التربية بمفهومين آخرين هما التنشئة الاجتماعية Socialization وهي العملية التي عن طريقها يتعلم الطفل ثقافة مجتمعه بما فيها من القيم والمثل والأعراف والعقائد والنظم والقوانين والعادات والتقاليد وأنماط السلوك المقبولة . أي أنها العملية التي عن طريقها يكتسب الإنسان إنسانيته ويمتص قيم مجتمعه ويمتثل لها أو يخضع لها ويقبلها ويتم تحويله من كائن بيولوجي أي حيوي إلى كائن اجتماعي . ولكن يلاحظ أن هذه العملية يشترك في تحقيقها منظمات اجتماعية غير التربية منها الأسرة والمسجد وأجهزة الأعلام وأدوات الثقافة الجماهيرية ورجال الفكر ودعاة الإصلاح والقادة ومن إليهم(٧) .

كما يرتبط مفهوم التربية بمفهوم التعلم . ولقد سبق القول بأن التعلم هو كل تغير يطرأ على سلوك الكائن الحي في الاتجاه المرغوب فيه على أن يحدث هذا التغير نتيجة للمران والتدريب والممارسة أو التكرار وليس نتيجة المرض أو الأصابة أو النضج الطبيعي(٨) .

والحقيقة أن كل من التربية والتعلم والتنشئة ليس مستقلاً أو منفصلاً عن غيره من المفاهيم الأخرى . وقد يشار إلى التربية على أنها نوع من التربية الرسمية أو النظامية التي تتم في المدارس والمعاهد والجامعات إلا أن تدريب الفرد على القيام بدوره في الحياة الاجتماعية كعضو في جماعة معينة وكشخص يكشف عن وجود عملية مستمرة ومتصلة .

نقل التراث وغربلته :

ومن هنا كانت الدعوة للتربية المستمرة التي تواكب حياة الإنسان . وتتمثل الوظيفة الأساسية للعمليات التربوية في نقل التراث أو نقل المعرفة من جيل إلى آخر . وإن كانت التربية الحديثة لا تكتفي بمجرد نقل التراث إلى أذهان الطلاب كما هو ، وإنما عليها تقع مسؤولية تطويره وتنميته وتحسينه وربط الحاضر

بالماضي ذلك لأن من لا ماض له لا حاضر ولا مستقبل له . ومن هنا يبدو دور التربية كعملية ضرورية في تطوير الثقافة وتحديثها . أما التربية النظامية أو الرسمية فتنطوي على تعلم المهارات والمعارف والقيم اللازمة للمجتمع أي للحياة في مجتمع معين والتكيف وإياه والامتثال لقيمه ومثله ومعاييره .

التأثير في حياة الفرد والجماعة :

أما الأستاذ صالح عبد العزيز(٩) فيعرف التربية بأنها المؤثرات المختلفة التي توجه وتسيطر على حياة الفرد . فالتربية إذن توجيه لحياة الفرد وتشكيل لطريقة معيشتنا . وهي مرادفة للحياة ولذلك قال القدماء أن **الحياة مدرسة بل** هي أعظم مدرسة ولذلك يجب أن تحاكى المدرسة المجتمع الخارجي حتى يسهل على الفرد عند الانتقال منها إلى المجتمع الخارجي أن يعيش متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش في كنفه . فالهدف الأساسي من التربية هو إعداد التلاميذ للمهمة الكبرى وهي الحياة حياة سعيدة موفقة . ومن هنا لم يعد مقبولاً أن تستهدف التربية حشو أذهان التلاميذ بالمعارف والمعلومات والجزئيات بل تكوين المواطن الصالح .

ولقد تطور مفهوم التربية منذ العصور القديمة فالوسيطة فالحديثة وعلى سبيل المثال كان هيربرت سبنسر الفيلسوف الإنجليزي (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣ م) .

يقول أن الغرض من التربية هو الإعداد للحياة Education is a prepara- tion for life حيث كان يرى أن وظيفة التربية هي إعدادنا للحياة الكاملة To prepare us for Complete living is the function which education has to discharge(١٠) .

ونحن نعرف أن التربية في عصره كانت مقصورة على عدد محدود من التلاميذ هم أبناء الخاصة وكانت تربية تقليدية وكانت معظم أدواتها هي الكتب والمعارف المستمدة من الفلسفة الإغريقية واللاتينية .

الإعداد للحياة الكاملة :

ولقد شرح سبنسر رأيه في الحياة الكاملة وقال أنها الحياة التي يتوفر فيها

خمس وظائف تقوم بها التربية عن طريق إمداد الفرد بخمسة أنواع من المعارف هي :

١ ـ المعارف الضرورية للمحافظة على حياة الفرد ، وعلى صحته .
٢ ـ المعارف الضرورية لكسب العيش وجعل الفرد فرداً قادراً من الناحية الاقتصادية .
٣ ـ المعارف الضرورية للتربية الأسرية .
٤ ـ المعارف الضرورية للمواطن الصالح ذلك لأن الفرد عضو في جماعته وهو اجتماعي بطبعه وله حقوق وعليه واجبات .
٥ ـ المعارف التي تمكن الفرد من استغلال وقت فراغه استغلالاً طيباً ومفيداً .

أهداف التربية :

ويمكن تحديد أهداف التربية بصورة عامة وإن كنا هنا لا بد وأن نؤكد بأن التربية منظمة اجتماعية ينشئها المجتمع لتحقيق الغايات التي ينشدها في الأفراد ، ولذلك كان لكل عصر نوع التربية التي تصلح له دون سواه فالتربية الإغريقية لا تصلح لمجتمع آخر . والتربية في مجتمع رأسمالي لا تتمشى مع مجتمع اشتراكي وهكذا تتأثر التربية بالنظم الاجتماعية السائدة وتؤثر فيها . من هذه الأهداف :

١ ـ تنمية قدرة الفرد على كسب رزقه .
٢ ـ حصول الفرد على المعارف والحقائق .
٣ ـ تثقيف الفرد وتنوير ذهنه .
٤ ـ تحقيق نوع من النمو المنسجم والمتكيف لجميع قدرات الفرد .
٥ ـ تنمية خلقه وتكوين ضميره الاخلاقي .
٦ ـ تنمية كفاءة الفرد الاجتماعية .

وتغفل هذه الاهداف هدفاً هاماً جداً وهو التربية الروحية او الدينية او الايمانية .

خصائص التربية الحديثة :

وتمتاز التربية الحديثة بعدة مزايا نوجزها فيما يلي :

مميزات التربية الحديثة :

١ ـ الاهتمام بالطفل وبنموه الجسمي والعقلي والوجداني والاجتماعي .
٢ ـ احترام شخصية الطفل أو المتعلم عامة .
٣ ـ التعلم عن طريق الجهد الذاتي والعمل والممارسة واللعب وما الى ذلك .
٤ ـ التعلم عن طريق العمل والخبرة الشخصية .
٥ ـ خلق الجو الاجتماعي الصالح بالمدرسة لنمو الاطفال وتحقيق تكامل شخصياتهم .
٦ ـ العناية بصحة الجسم والعقل معاً .

ولذلك ليس غريباً ان نجد انواعاً مختلفة من التربية يختص كل منها بنوع معين من النشاط أو بجانب معين من شخصية المتعلم .

انواع التربية :

١ ـ هناك التربية الفكرية او العقائدية او العقلية أو العلمية .
٢ ـ هناك التربية البدنية أو الرياضية .
٣ ـ هناك التربية الوطنية او الاجتماعية .
٤ ـ هناك التربية الزراعية .
٥ ـ هناك التربية الفنية .
٦ ـ هناك التربية الموسيقية .
٧ ـ هناك التربية العسكرية .

التربية المدنية :

ولم يقتصر عمل المدارس على تغطية المناهج والمقررات الدراسية وانما يتضمن عملها كثيراً من الأنشطة غير المنهجية أو الأنشطة الحرة ومن ذلك التربية المدنية أو الوطنية وهي كما يعرفها د . مصطفى العوجي بأنها لا تنفصل عن مفهوم التربية الاساسية الا من حيث تركيز التربية المدنية على علاقة الانسان بمجتمعه وبيئته ووطنه وأرضه سواء أكان وطنه الصغير أم وطنه العربي[11] الكبير . ومعروف ان الانسان يتعلم كيف يكون انساناً بمعنى انه يكتسب انسانيته من خلال عمليات التعلم والتطبع الاجتماعي . وحيث ان الانسان كائن اجتماعي فلا يستطيع ان يعيش منعزلاً عن اخوانه بني البشر . ولا بد من تعليمه

كيفية أدائه دوره الاجتماعي ولا بد اذن من تعليمه وتعريفه بحقوقه وواجباته وكيفية أدائها . وعلى ذلك يمكن تعريف التربية المدنية بأنها الجانب التربوي الذي يحدث شعور العضوية في جماعة حتى تتسق حياتها لفائدتها المتبادلة . ويحدد بعض المفكرين مفهوم المواطنة بأنه الشعور بالانتماء للجماعة وشعور الجماعة بجمعها وتركيبها وشعور كل من الفرد والجماعة بالروابط المتبادلة والمصالح المشتركة .

عناصر الشعور بالانتماء :

وهناك اربعة مستويات للشعور بالمواطنة وهي : ـ

١ ـ روابط الدم والجوار والمواطنة واسلوب الحياة او فلسفة الحياة .

٢ ـ شعور الفرد باستمرار الجماعة وما تقدمه من جهود .

٣ ـ شعور الفرد بالارتباط بالوطن وبالانتماء للجماعة وارتباط مستقبله بمستقبلها .

٤ ـ اندفاع هذا الشعور الفردي بعضه في بعض وشيوعه او انتشاره بين افراد الجماعة حتى تتجه نحو توحيد فكرها وشعورها وسلوكها .

والحقيقة كما يقول الدكتور محمد الهادي عفيفي ان التربية ضرورة اجتماعية حتمية ذلك لأن الكائن الآدمي يختلف عن سائر الكائنات الاخرى في أنه لا يملك عند مولده قوة فطرية وقدرة فيزيقية خاصة بالكفاية والضبط الاجتماعيين اذ لا بد له من الاعتماد على الآخرين عدداً من السنين اثناء نموه ليكتسب بفضل رعاية الكبار له من الوسائل الاجتماعية والنضج الجسمي والثقافي ما يعينه على رعاية نفسه والتعامل مع غيره من الناس(١٢) .

وظائف التربية المتعددة :

هذا والمجتمعات الانسانية كذلك تعتمد في بقائها بالدرجة نفسها على التربية . ومن المعروف ان التربية تحددها الظروف الاجتماعية والزمانية والمكانية . ويمكن النظر للتربية على انها عملية للتعايش السلمي والايجابي مع الجماعة بل مع المجتمع العالمي الاكبر . كذلك يمكن النظر للتربية باعتبارها وسيلة من وسائل التكيف الاجتماعي أو التوافق الاجتماعي حيث تساعد الفرد على الامتثال لقيم المجتمع والتكيف معه . كذلك يمكن النظر للتربية على انها

عملية نقل المعاني والافكار والحقائق والنظريات والقوانين العلمية مع الكشف عنها والعمل على تجديدها وتطويرها والاضافة الى الميراث العلمي .

ومن هنا يتضح تعدد وظائف التربية فهناك الوظائف الآتية : ـ

١ ـ الوظيفة الفكرية .

٢ ـ الوظيفة الخلقية .

٣ ـ الوظيفة الاقتصادية .

بقاء المجتمع واستمراره :

ويوضح الدكتور محمد لبيب النجيحي[١٣] اهداف التربية ووظائفها ويحدد اهميتها في المحافظة على بقاء المجتمعات واستمراريتها عن طريق بقاء قيمها ومثلها ومعاييرها وانتقالها من جيل الى آخر حيث يقول تهدف الجماعات الانسانية في جميع الأزمنة على مر العصورر الى تحقيق بقائها واستمرارها على هذه الأرض ، والى بقاء قيمها ونظمها وعاداتها . ولما كانت حياة الانسان قصيرة كان على الجيل القديم ان بصل اسباب بقائه واستمراره ببقاء قيمه وعاداته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية بقاء يتحقق في الجيل الصاعد .

ومن أجل هذا كان الجيل الصاعد هو وسيلة المجتمعات البشرية لادامة بقائها واستمرارها قيماً واتجاهات ونظماً . والتربية هي الوسيلة التي يتحقق بها هذا البقاء والاستمرار . ولذلك فالتربية تتعلق بتعليم افراد المجتمع من الجيل الجديد كيف يسلكون في المواقف الاجتماعية المختلفة على اساس ما يتوقعه منهم المجتمع الذي ينشئون فيه .

العناية بالسلوك الانساني :

ومعنى هذا ان التربية تعنى بالسلوك الانساني وتنميته وتطويره وتغيره الى الافضل . أي ان هدفها نقل الى الجيل الجديد المهارات والمعتقدات والاتجاهات وانماط السلوك المختلفة التي تجعل منهم مواطنين صالحين في مجتمعهم متكيفين مع الجماعة التي يعيشون بينها . أي ان التربية عملية تعليم وتعلم لانماط متوقعة من السلوك الانساني .

التربية انسانية غاية ومنهجاً :

فالتربية عمل انساني حيث ان مادتها الانسان وهي عملية تنمية للقوى

البشرية دون سواها من الكائنات الحية ووسيلة التربية ايضاً وسيلة انسانية هم رجال التربية . وهي عملية تشكيل وصقل لانسان معين في زمن معين وفي مجتمع محدد .

لقد اصبح التعليم الاجباري مجانياً في معظم الدول المتقدمة حتى سن الثالثة عشر . واتسع آفاق المدارس الحكومية المجانية التي حلت محل المدارس الخاصة بالمصروفات وذلك اعترافاً بأن التعليم أصبح مطلباً شعبياً متزايداً ، ومنذ اكثر من خمسين عاماً لم يعد التعليم ميزة يمتاز بها الاغنياء من ابناء المجتمع وحدهم ودون سواهم . بل اصبح هناك في الدول الصناعية فرص لحصول التلاميذ على منح حتى سن السادسة عشر لمساعدة الطلاب الفقراء والممتازين عقلياً وزادت الاعتمادات الخاصة بالتعليم في معظم الموازنات المالية لمعظم الدول وبلغت في بعض الدول من ٤ ـ ٥ ٪ من الموازنة العامة . وتساهم الوحدات المحلية في تمويل وإدارة كثير من مؤسسات التعليم وتدخلت الدول في تحديد محتوى المناهج الدراسية لضمان الوحدة الفكرية لأبناء المجتمع . وفي المجتمعات الغربية زاد الاهتمام بالمواد الدينوية أو الحياتية عن الاهتمام بالمواد الدينية .

وأدت اهمية التعليم الى البحث عن نظريات لتفسيره وضبطه وتحديد اهدافه واهتم علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع وعلماء النفس بدراسة التعليم . وفي المجتمعات النامية اتضح لرجال الإدارة ان التعليم هو افضل الوسائل في تحقيق التنمية وتحسين مظاهر المعيشة ، كذلك زاد الاهتمام ببناء المعاهد والمدارس والجامعات وباعداد المعلمين .

الاسلام ثورة علمية وتربوية :

يمثل الاسلام ثورة تربوية انسانية عالمية كبرى ، فعلى حد قول الدكتور سعد مرسي احمد والدكتور سعيد اسماعيل علي في مؤلفهما القيم تاريخ التربية والتعليم(١٥) . من واد غير ذي زرع بدأ الاسلام يغمر الكون هادياً العالمين . والصحراء أرض حل وترحال تجوبها قبائل بدوية ، والبعض يستقر حيث تصح الحياة . . وجبال ووديان ورمال صفراء وكثبان وخيام وجماد وسماء قلما عرفت السحب . وكثيراً ما أريقت الدماء على الرمال ، فالقبائل تتناحر ، وتتفاخر بالأنساب ، وتمدح وتهجو .

وفي غمار التقاليد الجامدة المتيبسة ، عاش سكان شبه الجزيرة العربية ، وكانت ذخيرتهم العقلية ما يتوارثونه جيلاً بعد جيل . ويقول دي بور De Borr ولم تكن عندهم الثمرات التي يتوصل اليها بالاجتهاد والتضامن الاجتماعي ، ولا الآثار الفنية الجميلة التي يؤتيها الفراغ والترف ، ولم يصلوا في التمدن الى مرتبة اعلى من ذلك الا بأطراف تلك الصحراء في دول تكونت بعض الشيء ، كثيراً ما كانت تتعرض لغارات يشنها البدو .

وهكذا كانت الحال في الجنوب حيث امتد الاجل بدولة ملوك سبأ القديمة الى العصر المسيحي ، وتحت سيادة الاحباش أو الفرس . لم تنعم شبه الجزيرة العربية بالوحدة السياسية بل كانت قبائل يحكمها أرجحهم عقلاً .

ثم جاء الاسلام ، ونزلت أول آية على محمد بن عبد الله وهو يتعبد في غار حراء ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** ﴾ . ثم بدأ الاسلام ينتشر في ربوع شبه الجزيرة العربية واستطاع الرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه والخلفاء الراشدون ان يبثوا روح الاتحاد في العمل .

ولقد حرص الاسلام على نشر العلم ولم يفرق في ذلك بين البنين والبنات لقول النبي ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ويروى عنه تقديراً للعلم انه كان يطلق سراح الاسير المتعلم من الكفار اذا علم عشرة من المسلمين الاميين القراءة والكتابة . ويروى انه ﷺ حث بعض اصحابه على تعلم لغة اجنبية اخرى الى جانب العربية ، وهناك القول المأثور من تعلم لغة قوم آمن شرهم . ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه بعث لولاته قائلاً « أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر » .

ولقد بدأ العلم الاسلامي بالاعتماد على علوم القرآن والتفسير ورواية الحديث النبوي ثم استنباط الاحكام والفتاوى الشرعية .

وبدأ الاهتمام بالعلوم العقلية او الكونية كالطب والفلسفة والرياضيات في العصر العباسي . وقبلهم كان الاهتمام بالعلوم النقلية وعلوم اللغة او اللسانيات وعلم النحو والبيان والأدب .

وفي العصر العباسي ظهرت أول نواة لمدرسة في الطب في جنديسابور . ولقد ظهر في الاسلام أطباء مشاهير من امثال ابن سينا والفارابي .

ولقد كانت معاهد العلم تنتشر في الكتاب وفي القصور وفي المساجد وفي حوانيت الوراقين وفي منازل العلماء وفي المدارس ومن اشهرها المدرسة النظامية ببغداد والمدرسة النورية الكبرى في دمشق . وتكونت المكتبات في معظم المساجد والجوامع والمدارس ودور الحكمة ودور العلم وتكونت طائفة النساخ .

ومن أئمة التربية في الاسلام الامام الغزالي (٤٥٠ هـ) وابن خلدون (٧٣٢ هـ) .

يهتم الاسلام بالفرد طفلاً ومراهقاً وشاباً ورجلاً وشيخاً بل يهتم به قبل ميلاده على نحو ما يرد في التربية الاسرية . وكما قلنا يهتم بالتربية بمعناها الشامل فيعنى بروحه وجسده وعقله او فكره ونفسه وحسه ووجدانه أو ضميره . . . الخ .

التربية الجسمية في الاسلام :

عندما تحمل المرأة فان الاسلام يعنى بها ويدعو للمحافظة على صحتها لدرجة ترخيص الافطار لها في شهر رمضان . ويمنح الاسلام الأم حق الرضاعة والحضانة . فاذا شب الطفل عن الطوق فان من حق الطفل ان يتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل أو الفروسية لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » . ومن حق الولد الصغير ان يلعب لينمو جسمه وعقله كما جاء في قول الامام الغزالي : « ينبغي ان يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب ان يلعب لعباً جميلاً يستريح معه من تعب العلم ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم يميت قلبه ويبطل ذكاءه . والرسول الكريم يقول : « لاعب ابنك سبعاً وادبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم الق حبله على غاربه »(١٦) .

ولقد نهى الاسلام عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها اهتداء بقوله تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما

اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبينا ﴾ الأحزاب ٥٨ . ويمنع ذلك من انتقال العدوى وتلوث مصادر الماء . وعن الرسول الكريم قوله « اتقوا اللاعنين » . قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم » رواه مسلم . وعنه ﷺ انه نهى عن البول في الماء الراكد » رواه مسلم .

وبين الاسلام فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات حفاظاً على حياة الفرد وصحته وترشيداً للاستهلاك لقوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ﴾ مريم ٥٩ . وقوله تعالى : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال : الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ، وقال : الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ القصص ٧٩ . وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مزموماً مدحورا ﴾ الاسراء ١٨ . فالاسلام يربى الفرد على الزهد والقناعة وعدم الطمع والتكالب على الدنيا وملذاتها .

وعن عائشة رضي الله عنها قولها : « ما شبع آل محمد (ص) من خبر شعير يومين متتابعين حتى قبض » رواه البخاري . وعنه ﷺ قوله : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » الترمزي . أي ما يسد الرمق .

وكان رسول الله ﷺ يبيت الليالي طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان اكثر خبزهم خبز الشعير ، الترمزي .

ومعروف وفقاً للمفاهيم الطبية ، أن السمنة من أخطر امراض العصر وانها تؤدي الى الاصابة بأمراض الدورة الدموية وضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والجلطة الدموية وامراض القلب[١٧] . وليس هناك ابلغ من النهي عنها من الاهتداء بقوله ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن بها صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشربه ، وثلث لنفسه » الترمذي أي لقم صغيرة .

والمسلم لا يحرم من الطيبات من الرزق بل مأمور أن يأكل ويشرب ليقوى جسده ، ولكن دون اسراف لقوله تعالى : ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ الفرقان ٦٧ . وفي ذلك المعنى البليغ يقول الرسول الكريم : « ليس الغنى عن كثر العرض ولكن الغنى غنى النفس » مسلم .

ومن آداب الشرب في الاسلام التنفس ثلاثاً خارج الاناء لقول ﷺ : « لا تشربا واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا انتم شربتم ، واحمدوا اذا انتم رفعتم » الترمذي .

ومن قبيل المحافظة على صحة المسلم الدعوة لكي يكون قوياً فالمؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل الخير » مسلم . والقوة هنا على اطلاقها تعني القوة البدنية والايمانية والعقلية والنفسية والمالية أو الإقتصادية . كذلك ينهي الاسلام عن شرب الخمر لما فيه من هدم للصحة وتدمير للعقل وتحطيم للفرد ، والاسرة ، والمجتمع .

كذلك ينهي الاسلام عن أكل الدم والميتة ولحم الخنزير . ونهى عن اتيان النساء في النفاس وأكل ذوات المخالب .

التطبيقات التربوية والاصلاحية للاسلام :

والحقيقة ان الاسلام له تطبيقات تربوية كثيرة هي التي تسبب انتشاره واستمراره على مر العصور ، والانسان المسلم لا بد وأن يقوى من جسمه حتى يقوى على أداء العبادات وعلى خلافة الارض بأمانة واقتدار وعلى تعميرها وعلى نشر الدعوة . ﴿ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ﴾ البقرة ٣٠ . ولقد خص الله الانسان بالتكريم دون سائر المخلوقات ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الاسراء ٧٠ .

فهم الاسلام للطبيعة البشرية وتوضيح الرؤية :

ولقد راعى الاسلام الطبيعة البشرية أو الطبيعة الانسانية وحدد له اهدافه أو الغاية من وجوده وهي : ـ

١ ـ عبادة الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ الذاريات ٥٦ ومؤداها الامتثال لله تعالى في أوامره ونواهيه .
٢ ـ عمارة الكون ﴿ واستعمركم فيها ﴾ هود ٦١ .
٣ ـ خلافة الله على الارض المتمثلة في قوله تعالى : ﴿ ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ﴾ الاعراف ١٢٩ .

ومصدر الاهتمام بالبدن انه وعاء الشخصية الانسانية كما يقول علي خليل مصطفى ابو العينين(١٨) .

ولا يرضى الاسلام بحرمان البدن من حقه ﴿ ان لجسدك عليك حقا ﴾ وكما يبدو ذلك في تحريم صوم الدهر وفي التبريك في السحور . فلقد جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما اخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا : « واين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : أما انا فاني أصلي الليل ابدا .
وقال آخر : انا اصوم الدهر ولا افطر .
وقال آخر : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا .

فجاء الرسول ﷺ فقال : « انتم الذين قلتم كذا وكذا ، اما وا لله اني لأخشاكم لله واتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » البخاري .

التوازن في التربية الاسلامية :

واذا كان الاسلام قد اعطى للجسد حقه الا انه ضبط طريقة اشباع البدن لحاجاته واهتم ايضاً بالجانب الروحي في توازن وتكامل وتناسق دون طغيان أحد الجوانب على الجوانب الاخرى .

وخير ما يهتدي به المسلم الرسول الكريم فهو خير قدوة وأعظم مثال يقتدى به « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً » الأحزاب ٢١ .

خاتمة :

هذه صورة عاجلة لما هو عليه ضرب من ضروب التربية الاسلامية الجسمية ، ومثله غنى وثراء نجد الانماط الاخرى للجوانب الاخرى من التربية الايمانية أو الروحية أو العقائدية أو الفكرية والنفسية أو العاطفية والوجدانية والتربية العملية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والاسرية . ولعدم اتساع المجال نقتصر على ضرب مثال للتربية الجسمية وان كان لا يخفى على القارىء الكريم امتلاء التراث الاسلامي بمختلف الاداب التربوية التي تؤدى الى تكامل الشخصية وسوائها واعتدالها وتحسين العلاقة بين الفرد وزوجته وابناء مجتمعه وولاته وجيرانه .

فالتربية في الاسلام تمتاز بالفهم العميق للطبيعة البشرية وتمتاز بالشمول والتكامل والتوسط والاعتدال والتوازن بين قوى الانسان الجسمية والعقلية . كما تمتاز بالايجابية وتكوين المواطن الصالح .

هوامش ومراجع البحث :

(١) English, H. B., and English, A. C., A Comprchen sive Dictionary of psychdogical and psychoanalytical Terms, Longmans, London 1958.

(٢) د . عبد الرحمن محمد العيسوي ، سيكولوجية النمو ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ .

(٣) (Gakmonsway), G. N. The penguin English Dichionary, 1965.

(٤) The penguin Encyclopedia, ed. by Sir Johne Summerscale, 1965.

(٥) أسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٧ م .

(٦) محمد عاطف غيث وآخرون ، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٨٥ م .

(٧) د . عبد الرحمن العيسوي ، النمو الروحي والخلقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٨) د . عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس في المجال التربوي ، دار العلوم العربية ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨٩ .

(٩) صالح عبد العزيز والدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، التربية وطرق التدريس ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٢ م .

(١٠) المرجع السابق .

(١١) د . مصطفى العوجي ، التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الانحراف ، المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب بالرياض ، السعودية ١٤٠٦ هـ .

(١٢) محمد الهادي عفيفي ، في اصول التربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
(١٣) محمد لبيب النجيحي ، الاسس الاجتماعية للتربية ، الطبعة الثامنة ، القاهرة ، ١٩٨١ م دار النهضة العربية .
(١٤) مرجعه السابق .
(١٥) د . سعد مرسي أحمد ، ود . سعيد اسماعيل علي ، تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
(١٦) على القاضي ، اضواء على التربية في الاسلام ، دار الانصار ، القاهرة ، ١٩٧٩ م - ١٤٠٠ هـ .
(١٧) د . عبد الرحمن العيسوي ، امراض العصر ، الامراض العقلية والنفسية والسيكوسوماتية دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٤ .
(١٨) علي خليل مصطفى ابو العينين ، الفكر التربوي الاسلامي ، رسالة الخليج العربي ١٧ السنة السادسة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
(١٩) بركيان بركي القرشي ، القدوة ودورها في تربية النشء ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
(٢٠) القرآن الكريم .
(٢١) صحيح مسلم .
(٢٢) صحيح البخاري .
(٢٣) صحيح الترمذي .

الأنماط السلبية والإيجابية في تربية الطفل والسائدة في المجتمع العربي

« دور الأسرة في عملية النمو وتكوين الشخصية »

تتبع الأسرة عدة أنماط في تربية الطفل والتي تؤثر على نموه وهي :

أولاً : الأنماط السلبية :

النمط الأول :

من الأنماط السيئة الإسراف في تدليل الطفل ، والاذعان لمطالبة ، مهما كانت شاذة أو غريبة ، واصراره على تلبية مطالبة أينما وكيفما ومتى يشاء دون مراعاة للظروف الواقعية أو عدم توفر الامكانات .

اضرار هذا النمط :

١ ـ عدم تحمل الطفل المسئولية .

٢ ـ الاعتماد على الغير .

٣ ـ عدم تحمل الطفل مواقف الفشل والإحباط في الحياة الخارجية حيث تعود على أن تلبي كافة مطالبه .

٤ ـ توقع هذا الإشباع المطلق من المجتمع فيما بعد .

٥ ـ نمو نزعات الأنانية وحب التملك للطفل .

النمط الثاني :

الإسراف في القسـوة والصرامه والشدة مع الطفل ، وانزال العقـاب فيه بصورة مستمرة ، وصده وزجره ، كلما أراد أن يعبر عن نفسه .

اضرار هذا النمط :

١ ـ قد يؤدي بالطفل إلى الانطواء أو الانزواء أو الانسحاب في معترك الحياة الاجتماعية .

٢ ـ يؤدي لشعور الطفل بالنقص وعدم الثقة في نفسه .

٣ ـ صعوبة تكوين شخصية مستقلة نتيجة منعه من التعبير عن نفسه .

٤ ـ شعوره الحاد بالذنب .

٥ ـ كره السلطة الوالية ، وقد يمتد هذا الشعور إلى معارضة السلطة الخارجية في المجتمع بإعتبارها البديل الطبيعي عن السلطة الوالدية .

٦ ـ قد ينتهج هو نفسه منهج الصرامة والشدة في حياته المستقبلية عن طريق عملتي التقليد أو التقمص لشخصية أحد الوالدين أو كلاهما .

النمط الثالث :

هو النمط المتذبذب بين الشدة واللين، حيث يعاقب الطفل مرة في موقف ويثاب مرة أخرى من نفس الموقف مثلاً .

أضرار هذا النمط :

١ ـ يجد صعوبة في معرفة الصواب من الخطأ .

٢ ـ ينشأ على التردد وعدم الحسم في الأمور .

٣ ـ ممكن أن يكف عن التعبير الصريح عن أرائه ومشاعره .

النمط الرابع :

الإعجاب الزائد بالطفل ، حيث يعبر الآباء والأمهات بصورة مبالغ فيها عن إعجابهم بالطفل وحبه ومدحه والمباهاة به .

اضرار هذا النمط :

١ ـ شعور الطفل بالغرور الزائد والثقة الزائدة بالنفس .

٢ ـ كثرة مطالب الطفل .

٣ ـ تضخيم من صورة الفرد عن ذاته ، ويؤدي هذا إلى اصابته بعد ذلك بالإحباط والفشل عندما يصطدم مع غيره من الناس الذين لا يمنحونه نفس القدر من الإعجاب .

النمط الخامس :

فرض الحماية الزائدة على الطفل ، وإخضاعه لكثير من القيود ومن أساليب الرعاية الزائدة ، والخود الزائد على الطفل ، وتوقع تعرضه للأخطار من أي نشاط ، ولذا قد تمنعه الأسرة من الذهاب في الرحلات .

اضرار هذا النمط :

١ - يخلق مثل هذا تالنمط من التربية شخصاً هياباً يخشى أقتحام المواقف الجديدة .

٢ - عدم الإعتماد على الذات .

النمط السادس :

اختلاف وجهات النظر في تربية الطفل بين الأم والأب كأن يؤمن الأب بالصرامة والشدة ، بينما تؤمن الأم باللين وتدليل الطفل أو يؤمن أحدهما بالطريقة الحديثة والآخر بالطريقة التقليدية .

اضرار هذا النمط :

١ - قد يكره الطفل والده ويميل إلى الأم وقد يحدث العكس بأن يتقمص صفات الخشونة من والده .

٢ - ويجد مثل هذا الطفل صعوبة في التمييز بين الصح والخطأ أو الحلال والحرام كما يعاني من ضعف الولاء لأحد أو كلاهما .

٣ - وقد يؤدي ميله وارتباطه بأمه إلى تقمص صفاتها الانثوية فتبدو عليه علامات التخنث .

النمط السابع :

يتمثل في ستخدام أحد الطرفين أي الأب أو الأم استخدامه للأطفال سلاحاً يشهره في وجه الطرف الآخر فيسعى إلى ضم الاطفال في « معسكره » لكي يقفوا في « حربه » ضد الطرف الآخر ، وفي سبيل تحقيق « هذا التكتل » يغدق العطاء والتدليل على الأطفال ويتهاون معهم ويتساهل حتى يكتسب رضاهم .

اضرار هذا النمط :

١ - قد يتكون لدى الطفل فكرة سيئة عن الحياة الاسرية ، ويعتقد أنها مجرد

ميدان أو ساحة للقتال .

٢ ـ قد يكون الطفل اتجاهاً معادياً نحو أحد الوالدين أو كلاهما .

٣ ـ يضعف مثل هذا الجـو من شعور الطفل بالولاء .

٤ ـ يشوه مثل هذا المنهج صورة الأب أو الأم في ذهن اطفل .

٥ ـ يتعلم اسلوب « العمالة » والتبعية وكيف يبيع تأييده للغير نظير الحصول على النفع ، ويعد هذا النمط من أسوأ انماط التربية الاسرية على وجه الأطلاق وله أثار مدمرة على شخصية الطفل ، وعلى الحياة الاسرية برمتها .

النمط الثامن :

عدم توخي المساواة والعدل في معاملة الأطفال ، فلقد تميز الاسرة بين الولد والبنت ، أو الأول والأخير أو أبناء الرجل من زوجات مختلفة . تبدو عدم المساواة هذه في منح العطف والحب والحنان والعطاء المادي والأهتمام وفرض القيود والتسامح . . .

النمط التاسع :

وفيه يتربى الطفل على الإعتماد على غيره في قضاء حاجاته واشباعها .

اضرار هذا النمط :

١ ـ عدم الإعتماد على النفس .

٢ ـ العجز عن مواجهة مواقف الحياة فيما بعد .

هذه بعض الانماط السيئة ، ولكن هناك انماط انماط أخرى جيدة .

الأسلوب المثالي في التربية الاسلامية للطفل

يتمثل هذا الاسلوب في التوسط والاعتدال في معاملة الطفل وتحاشي القسوة الزائدة والتدليل الزائد ، وكذلك تحاشي التذبذب بين الشدة واللين والتوسط في إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والمعنوية . بحيث لا يعاني من الحرمان ولا يتعود على الافراط في الاشباع وبحيث يتعود على قدر من الفشل والاحباط وذلك لأن الحياة لا تعطيه بعد ذلك كل ما يريد .

كما يمتاز النمط المثالي بوجود تفاهم بين الأب والأم على أسلوب تربية الطفل وعدم المشاجرة أمامه .

ويقتضي النمط المثالي كذلك معرفة قدرات الطفل الطبيعية وعدم تكليفه بما لا طاقة له به . وفي نفس الوقت عدم أهمال مطالب النمو حتى لا تفوت فرصة التعليم على الطفل . ومؤدي ذلك إننا لا نتعجل النمو بمعنى أن ترغب الأم مثلاً أن يمشي أبنها قبل نضوج عضلات وعظام الساقين كذلك لا نهمل رغبة الطفل من الامساك بالقلم وتعلم الكتابة ، ومن سمات التربية المثالية كذلك الايمان بما يوجد لدى الاطفال من فروق فردية ، والتي توجد في جميع السمات الجسمية كالطول والوزن والعرض ومن القدرات العقلية مثل الذكاء وكذلك السمات الأنفعالية في كل طفل سرعته الخاصة في النمو ومعدلاته الخاصة في الطعام وما إلى ذلك .

ومن شأن مراعاة مبدأ الفروق الفردية أننا لا نتوقع أن يكون جميع المسائل نسخة واحدة ، وإنما يعتبر كل طفل عالماً قائماً بذاته ويؤدي الإيمان بهذا المبدأ إلى إن يكلف كل طفل حسب قدراته ، ولا نكلفه بما لا طاقة له به حتى لا يشعر بالحرمان والفشل والاحباط وحتى لا يفقد الشعور بالثقة من النفس أو يكره المدرسة والمواد الدراسية . من سمات التربية الحديثة أنها تربية متكاملة بمعنى

أنها لا تعني بعقل الطفل وحده ، كما كان يحدث في الماضي وإنما يهتم بجميع جوانب شخصية الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية بحيث يشب شخصية متكاملة . ولقد كان في الماضي يقتصر الأهتمام على عقل الطفل ، ولذلك كانت تستهدف التربية حشد الكثير من المعلومات في ذهنه واعطائه كثير من المسائل والتمرينات في الرياضة بقصد تدريب ذهنه على التفكير واعطائه حشد كبير من المعلومات ليحفظها بقصد تدريب ملكة الذاكرة عنده .

أما الآن فلقد أصبحت التربية تنظر للطفل نظرة تكاملية وبدلاً من تكديس المعلومات في ذهنه أصبحت تهتم بتكوين الإتجاهات وتنمية القدرات والإستعدادات لدى الطالب .

التربية السيكولوجية الحديثة للاطفال

مقدمة :

يجب أن يؤمن الأباء أن العادات الخلقية تتكون لدى أطفالهم منذ سن مبكرة جداً أي من سن الثانية حتى السادسة ، وبعد هذه السن تصبح تربية الأطفال مهمة صعبة عسيرة إذا لم تكن الاسرة قد عودتهم على الطاعة والنظام والتمسك بالقيم الخلقية والعادات السلوكية الطيبة في هذه المرحلة ، يعبر الطفل تعبيراً صريحاً عن انفعالاته فنجده يرفض الطعام مما ينتج عنه فقدان الشهية واضطرابات في الهضم والامساك فيجب اشباع حاجات الطفل من طعام ودفء وحب وحنان وشعوره بالأمن والاستقرار ، وتنظيم حياة الطفل من ذهاب إلى الفراش ، ومعاملة الأم له مما يجعل الطفل شخصاً متكيف نفسياً يشعر بالأمان والاتزان الانفعالي على العكس من الحرمان الذي يؤدي إلى القلق والتوتر والأمراض والخوف ثم ينتقل إلى سلوك مضاد ضد المجتمع فالاهتمام بتربية الاطفال تربية حديثة لأنهم شباب الغد ورجال المستقبل ويتناول كاتب المقال مجموعة من الوصايا للأمهات والأباء حتى يشب اطفالهم اسوياء متكيفين في حياتهم المقبلة .

من هي الام المثالية ؟

إن الام المثالية هي التي لها شخصية متزنة ناضجة انفعالياً وهي التي تعرف اخطاءها معرفة موضوعية حقيقية بعيدة عن التحيز والمفاخرة كذلك فإن الام المثالية لا تسقط متاعبها على اطفالها ويجب أن تكون قادرة على خلق جو الأمان لكل افراد الأسرة ولكن هناك الام التي تخلق في الطفل الشعور بالخوف والقلق والاعتماد عليها في حل المشكلات وتعطل نمو الطفل من الناحية العقلية والنفسية الأم الأولى تجعل اطفالها يشبوا رجالاً نافعين قادرين على أن يحيوا

حياتهم الطبيعية في نجاح وسعادة عكس الام التي تجعل الطفل يعتمد عليها أو الأم ـ الديكتاتورية المتسلطة على افراد الأسرة أنهما يؤثران على سلوك اطفالهما . وهناك الام غير الثابتة التي يغلب عليها العصبية وعدم الاستقرار وتفشل في حياتها وفي تربية اطفالها وهناك الام المستهترة التي لا تتحمل أي شيء بالنسبة للاطفال .

كل أنواع هؤلاء الامهات يؤدون إلى انحراف اطفالهن وفي مرحلة مراهقتهم ينتقمون من هؤلاء الامهات أما عن طريق التمرد والهروب من المنزل أو السرقة نتيجة الحرمان والارتماء في أحضان اللصوص ويفشلون في كل شيء مستقبلاً .

دور الأب في تربية الاطفال .

إن مسئولية الاطفال تعد مشاركة بين الاب والام على حد سواء ويلعب الاب دوراً في حياة ابنائه فهو مصدر العقاب والأوامر والنواهي ويحرم الطفل في بعض الاحيان من أمه وعطفها تبعاً لنظرية التحليل النفسي لأن الطفل يتعلق بالام ويريد ابتعاد الاب عنه لانه منافس له في حبها ولكنه في نفس الوقت يرى في في الأب مصدر الشجاعة والحماية والأمن والقدوة الحسنة والمثال الطيب ولكن يجب أن تكون سلطة الاب هادئة وعادلة وتسير على الصواب حتى ينشأ الابناء على الحب والود والتعاون وعدم الخوف وعلى العكس فشخصية الاب الدكتاتور الذي يتولى كل شيء في المنزل بنوع من القسوة والعقاب والحرمان فهذا الاب في الواقع ضعيف يريد أن يثبت وجود نفسه باتباع اسلوبه الخشن مع زوجته واطفاله ويميل ابناء مثل هذا الاب إلى القلق والشعور بالكبت مما يؤدي بالاطفال إلى الثورة والتمرد في وجه تسلط السلطة الابوية .

أما الأب الذي يتغيب عن الأسرة ويترك كل التربية إلى الام مما يؤدي إلى القلق والحزن بالاطفال على كل حال فالجو الاسري المتكيف السليم يلعب دوراً في تكيف الطفل في المستقبل فيجب أن يكون جو المنزل جو هدوء وراحة اعصاب وممارسة هوايات مثل القراءة والكتابة والالعاب ويجب تخصيص حجرة للطفل تشعره بالحرية والاستقلال لأن نوم الطفل بين الابوين يؤدي لرؤيته مناشط الجنس بينهما مما يؤدي إلى توتر وقلق ويفسر ذلك الجماع الجنسي على أنه

عراك واقع بين الأبوين كذلك يجب أن يلتزم الابوين بالصدق والامانـة وعدم الكذب ويجب أن يتربى الطفل على النظام والتنسيق واحترام الاخرين والتحكم في مشاعره في المستقبل فالحياة لا تعطي للفرد كل ما يريد كما أنها لا تعطي للفرد ما يريده متى يريده وكيفما اراده وفي نفس الوقت يجب أن يعطي الابوين الحرية للطفل لكي يعبر عن مشاعره في حـدود أما عـلاقة الاخـوة والاخوات فالمشاجرات بين الاخوة والاخوات يجب حلها ليس بالعقاب الشديد أو حرمان الطفل واعطاء آخر هدايا يجب أن يراعي الابوان توجيه اللوم للطفل المخطىء على حده وارضاء الطفل الذي وقع عليـه العدوان يجب أن ننمي في الـطفل ضرورة أن العمل حاجة اجتماعية .

أما دور الابوين في التربية الجنسية :

يرى المؤلف أن معرفة الاطفال بالامور الجنسية من أفضل من معـرفتها بطرق أخرى مما يؤدي إلى انحرافهم فيجب عدم احاطة الامور الجنسية بنوع من التحريم والتقديس ويمكن للاباء أن يلقنوا أطفالهم المبادىء الجنسية والتناسلية عن طريق دراسة تناسل الحيوانات والطيور بـالاضافـة إلى دور الام في تفسير بعض الحقائق التناسلية ومن أمثلة ذلك وجود حالة حمل في الاسرة أو وضع أحد الحيوانات المنزلية ويجب أن تكون الاجابة للطفل اجابة تتسم بصراحة وببساطة تتفق مع وعيه وسنه وادراكه .

حقوق الطفل في ضوء الدراسات النفسية الحديثة

مقدمة : اهمية مرحلة الطفولة :

للطفل أهمية كبرى في حياة كل المجتمعات . وكلما تقدم المجتمع في مضمار الحضارة كلما زاد اهتمامه بأطفاله وزادت أوجه الرعاية التي يقدمها لأطفاله وكلما تحسنت معاملته للانسان بصفة عامة والاطفال بصفة خاصة ولذلك تتخذ معدلات وفيات الاطفال مؤشراً لتحضر المجتمع من عدمه . فالاهتمام بالطفل ضرب من ضروب التحضر والرقي فضلاً عن كونه مطلباً انسانياً محتوماً . ولا بد وأن تهتم المجتمعات بأطفالها، وذلك لأن طفل اليوم هو رجل الغد . بل لأن اطفالنا هم فلذات أكبادنا ونحن نشعر بالسعادة عندما نراهم سعداء . فسعادة اطفالنا جزء لا يتجزأ من سعادتنا . وعلى حد التعبير القرآني الكريم﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ .

فإذا كانت سعادة الانسان أمراً هاماً وحيوياً بصفة عامة ، فإذا سعادة الطفل ذات أهمية خاصة ، وذلك لأن ما يلقاه الطفل من خبرات سارة أو مريرة وقاسية يترك بصماته وآثاره على حياة الطفل في مراحل حياته الأخرى . فحياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات يتأثر فيها الحضار بالسابق ويؤثر الحاضر في المستقبل . ولا شك أن خبرات الطفولة تنعكس على شخصية الطفل في شتى مراحل حياته . فخبرات الطفولة تنطبع على شخصية الفرد طوال حياته . فالطفولة السعيدة تقود إلى مراهقة سعيدة والمراهقة السعيدة ، بدورها ، تقود إلى مرحلة شباب سعيدة وهكذا .

طبيعة مرحلة الطفولة :

ولمرحلة الطفولة أهمية خاصة وذلك لأن الطفل يكون في مرحلة التكوين والتشكيل والاعداد ، وتكون شخصيته بضة لينة ، وخبراته قاصرة محدودة وقدراته غير ناضجة ومعارفه قاصرة . ولذلك نجد من الفلاسفة كجون لوك

الفيلسوف الانجليزي الذي يقول« يولد الطفل وعقله صفحة بيضاء تنقش عليها التجربة ما تشاء بمعنى أن شخصية الطفل وأفكاره وقيمه ومثله وليدة الخبرة والتجربة » .

ولقد أعطت مدرسة التحليل النفسي أهمية كبيرة لمرحلة الطفولة المبكرة واعتبرتها المرحلة التي توضع فيها جذور الشخصية الاولى أو بذورها الاساسية . ولذلك وجبت العناية بالطفل وبرعايته رعاية شاملة ومتكاملة تشمل النواحي الآتية :

الرعاية الشاملة المتكاملة :

١ ـ الجسمية أو البدنية أو الفيزيقية .
٢ ـ النواحي الروحية والخلقية .
٣ ـ النواحي العقلية أو الفكرية أو العقائدية .
٤ ـ النواحي الاجتماعية .
٥ ـ النواحي أو الجوانب النفسية .

ويخطىء من يظن أن الطفل في حاجة إلى الاشباع المادي وحسب لحاجاته الجسمية كالمأكل والمشرب والملبس والمأوى ، وإنما الحقيقة أن الطفل في حاجة أيضاً إلى اشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والروحية والخلقية . ولا يجدي أن تشبع هذه الحاجات بصورة آلية ميكانيكية بل لا بد من اقترانها بالعطف والحنان والاهتمام بالطفل .

ومن هذه الحاجات أو الحقوق التي يتعين اشباعها وارضاؤها الحاجة إلى القبول الأسري والاجتماعي بمعنى أن يكون الطفل مقبولاً من الاسرة أو الجماعة التي ينتمي إليها الطفل ، والحاجة إلى الانتماء بمعنى أن يشعر الطفل بأنه آمن على حاضره ومستقبله . وإن تخلو بيئته من كل ما يهدد أمنه واستقراره ويدفعه للقلق والصراع والتوتر ، والحاجة إلى الاستقرار والاطمئنان وعدم الخوف . والحاجة إلى الحب والعطف والحنان والدفء والتقدير والتعبير عن الذات .

تكامل الشخصية :

ولا ينبغي الاهتمام بجانب من شخصية الطفل دون الجوانب الاخرى . ذلك لأن الهدف الأساسي في بناء الشخصية هو التكامل ، بمعنى أن تكون

الشخصية متكاملة منسجمة في عناصرها المختلفة ويلاحظ أن بعض الأسر المصرية تهتم بصورة خاصة بالجانب التحصيلي في حياة الطفل أو المراهق وتركز وتلح على هذا الجانب وتنسى أن الغاية من الشخصية السوية أن تكون متكاملة بمعنى أن يكون الطفل ناضجاً وواعياً روحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وعلمياً ومهنياً . ولا يجدي أن يتفوق الطفل في واحدة من هذه المناحي على حساب الجوانب الاخرى .

حماية حقوق الطفل :

تستهدف الدراسات النفسية وغيرها من العلوم الانسانية حماية الطفل وصيانة حقوقه والعمل على تنشئته تنشئة صالحة ولذلك تحميه من التعرض للقسوة والعنف والتعذيب والتشرد كما تحميه أو تدعو إلى حمايته من الوقوع فريسة للصراعات الحادة والتواترات والقلق والألم والخوف والاضطرابات النفسية والعقلية والخلقية أو السلوكية . ومن هنا يضحي من حق الطفل أن نعامله معاملة حسنة تتسم بالتوسط الاعتدال فلا افراط ولا تفريط ولا قسوة زائدة ولا لين زائد ذلك لأن لكل من القسوة والحرية المطلقة أضرارهما في تنشئة الطفل . . فالقسوة الزائدة قد تجعل الطفل يشب شخصاً عدوانياً يمارس بدوره القسوة على غيره من الناس وقد تجعله عدوانياً أو منحرفاً وقد يركن إلى الانطواء أو الانزواء والانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية . وقد يشعر بالغبن والاضطهاد حيال المجتمع كله وقد يتكون لديه اتجاه مضاد للسلطة في كل مظاهرها .

كذلك فإن اتباع اسلوب اللين الزائد مع الطفل وترك الحبل على الغراب أو السير معه وفقاً لمبدأ الحرية المطلقة لا يقل ضرراً على حياة الطفل من القسوة الزائدة .

فالطفل المدلل نتوقع له أن يشب خائفاً هياباً ذا شخصية ضعيفة لا تقوى على تحمل خبرات الفشل والاحباط والصد والزجر التي لا تخلو الحياة العامة من التعرض لها . فإذا كانت الاسرة قد عودته على أن تجاب له كل مطالبه ـ مهما كانت ـ فإنه يتوقع من المجتمع أن يذعن لمطالبه وإلا شعر بالتمرد والنقمة على المجتمع .

والطفل عندما تذعن له الاسرة وتجيب مطالبه كيفما شاء ومتى شاء فإنه

يصبح ديكتاتوراً صغيراً في المنزل وحيث أنه لا يطيق الحرمان فقد يلجأ إلى السرقة أو الاختلاس وما إليه لاشباع حاجاته لأنه لم يتعود منذ نعومة اظفاره على كبح جماح نفسه أو تأجيل اشباع حاجاته. ولم يتعود على الضبط النفسي وعلى تحمل الحرمان .

كذلك من حق الطفل علينا أن نتبع سياسة ثابتة في تنشئته اجتماعياً بمعنى البعد عن التذبذب والتردد بين القسوة والتدليل . كذلك من حق الطفل علينا أن نعامله بأسلوب واحد من قبل جميع أفراد الاسرة ، وأن يكون قوام هذا الاسلوب هو العطف والحب والاعتدال ، وغير مقبول أن تفرط الأم في عطفها وحنانها وتدليل بينما يسرف الأب في قسوته وصرامته وحزمه لأن مثل هذه السياسة المتعارضة تخلق جواً من التكتل الاسرى والصراع الداخلي حيث ينضم الأولاد إلى أحد « المعسكرات » ضد « المعسكر » الآخر .

ومن حق الطفل علينا أن نعرفه مواطن الخطأ والصواب . وإن نمنحه الثواب أو المكافأة على السلوك الطيب . وأن نردعه سيكولوجيا أو نفسيا عند الاتيان بالسلوك الخاطىء . على أن الكثرة الغالبة من علماء النفس يرفضون فكرة العقاب البدني لأنه اسلوب ضار بحياة الطفل وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ قد يتعود الطفل عليها ويتبلد جسده ويصبح لا يعبأ بما يسقط عليه من عقاب بدني . ومن هنا يصبح هذا الاسلوب عديم الجدوى .

٢ ـ قد يتقمص الطفل اسلوب الضرب ويتخذه أسلوباً في حياته فيضرب بدوره من هم أصغر أو أضعف منه .

٣ ـ عندما يكبر الطفل ويشتد عوده وتفتل عضرته يصبح الضرب أسلوباً صعب التنفيذ أن لم يكن خطيراً.

ولذلك يقترح علماء النفس أن يكون العقاب نفسياً لا بدنياً وأن يكون متناسباً مع حجم الجرم أو المخالفة حتى لا يشعر الطفل بالظلم أو بتفاهة العقاب وأن يكون العقاب مرتبطاً مباشرة بالفعل الخاطىء وأن يعلم الطفل السبب من وراء إنزال العقاب به وأن يحاط علماً بالثواب والخطأ أو الحلال والحرام أو الفعل الصائب وغير الصائب وأن يكون أسلوب التأديب ثابتاً فلا يثاب

الطفل على عمل ما ثم يعاقب عليه مرة أخرى .

هذا فيما يتعلق بحقوق الطفل علينا في علاقته معنا كآباء . ولكن للطفل حقوقاً أخرى في عملية من العمليات الهامة ألا وهي عملية العلاج النفسي وتلقي الارشاد والمعالجة .

« حقوف الطفل في عملية العلاج النفسي »

على الرغم من الدعوات المتعددة التي تنادي بمنح الفرد ، طفلاً كان أم راشداً ، الحرية في التصرف ، إلا أن هذه الحرية لا بد وأن تكون مقيدة بحدود القانون والنظام ، وبحيث لا تتجاوز حقوق الآخرين ، ولا تنال من المصالح العامة أو الامور السيادية . بل أن هناك من يقول أن المعالجة النفسية تتعارض مع حرية الفرد The Individual , sfreedom .

ويتساءل البعض عما إذا كان يشترط قبول المريض وموافقة على فكـرة العلاج من عدمه . وعلى كل حال يتمتع الفرد الراشد بترك العلاج حينما يشاء . وهنـاك من يقول في حق العـلاج التحليلي ، أي العلاج عن طـريق التحليل النفسي ، أنه يؤدي إلى غزو المعالج لشخصية المريض والتدخل فيها بصورة تتعارض مع ما ينبغي أن يتمتع به الفرد من حرية وحصانة شخصيـة . فعلاج الكبار والصغار لا يخلو من الخضوع للمعايير الاخلاقية ومن بينها الخصوصية التامة والسرية Privacy and confidetity(1) لما يدلي به المريض . وما يكتشف من عناصر شخصيته وسماتها .

فاستجابات المريض وظروفه يجب أن تكون محل ثقة المعالج ، ويتعين المحافظة عليها . ولا يخلو العمل النفسي من المعـايير الاخـلاقية ومن ذلـك تحديد الاجور الملائمة Appropriate fees ومراعاة الاخلاق في عمليات احالة أو تحويل المرض إلى جهات الاختصاص Responsible referral ومراعاة الذمة والأمانة في مواعيد توقف أو انتهاء العلاج Termination of treatment وتظهر قيمة المعايير الاخلاقية في مجال العلاج النفسي لنزلاء السجون وفي التقارير التي تقدم للمحاكم وللقضاء ، وعلى اساس منها يترتب الحكم بادانة المريض أو براءته ، ومدى تقرير المسئولية الجنائية من عدمه .

ولا شك أن مسألة تقرير حرية الطفل فيما يتعلق بأمور الحياتية وتقرير مصيره Hobbs (١٩٧٥) ، فإن الطفل في مراحل حياته الأولى يكون معتمداً كلية على غيره . وفيما بعد يصبح مسئولاً على اعماله ، ويخضع للقانون فيما قد يقوم به من أعمال أو تصرفات Accountable for his or her actions وذلك عندما يصل إلى السن التي يستطيع فيها التمييز الصواب والخطأ . ولكن الحدود بين كونه مسئولاً أو غير مسئول ليست فاصلة أو حاسمة . فالكبار هم المسئولون عن سلوك الطفل وكأنهم يتخذون القرارات نيابة عنه . ويدعى البعض أن الكبار من حقهم التقرير في مصير الطفل لأنهم يعرفون أكثر مما يعرف ويقدرون مصلحته وفائدته . ولكن الدستور Constitution الأمريكي مثلاً يعتبر الاطفال اعضاء في المجتمع ويصون حقوقهم ويكلفها . وإذا كان الاطفال العاديون أو الأسوياء غير قادرين على اتخاذ القرارات الخاصة بهم ، فإنهم أقل كفاءة Less Competent to make their decisions(1) ذلك لا لأنهم صغار وحسب ، ولكن أيضاً لأنهم مضطربون نفسياً وعقلياً .

هناك حقوق عامة مصانة للطفل منها بالطبع الحقوق المدنية : Civilrights من ذلك حق الحياة وعدم القتل أو التشويه Not to be killed أو الخطف Kidnapped not to be أو السجن Not to be impprisoned عن طريق العلاج أو الاعتداء أو المضايقة الجنسية Sexually molested أما عدم الايذاء فإنه لم يحسم بعد ، وذلك لحاجة الطفل للعقاب بسبب ما قد يأتيه من أعمال مخالفة أو منافية للآداب أو الاخلاق أو القانون .

ولكن الجوانب النفسية لا تقل أهمية عن الجوانب الفيزيقية أوالجسمية للطفل . ومن ذلك أيضاً ضرورة المحافظة على كرامته كأنسان ، وعلى تكامل شخصيته Integrity as a person والمحافظة على سريته أو خصوصياته ، وحقه في تقرير ذاته Self- detemination لم يوجه علماء النفس أو المعالجون اهتماماً نحو هذه الامور .

منزلة الطفل في عملية العلاج النفسي :

فإذا كان الراشد الكبير يأتي للعلاج بنفسه وبكامل حريته ، فإن الطفل لا يأتي بمحض ارادته ، وإنما يحضره الآباء أو الكبار إلى حيث إليها ، وأنهم

يعرفون مصلحته هم الذين يحضرونه للعلاج . ويضع هذا مسئولية اضافية على المعالج النفسي .

وهناك فرق بين علاج الكبار والصغار ، فالكبير يستطيع أن ينهي العلاج وذلك بالانقطاع فقط عن مواصلته وعدم الحضور إلى الجلسة المقبلة . أما الطفل فإنه لا يملك هذا الحق ، ولذلك فقد يأتي مرغماً ، ومن ثم لا يتعاون[1] مع المعالج . وينظر الآباء لهذا الرفض على أنه واحد من مشاكل العلاج ، ولا ينظرون إليه على أنه احد حقوق الطفل المعبرة عن ذاتيته أو استقلاليته Autonomy وينظر دعاة الحرية إلى اصرار الآباء على ارغام الطفل على العلاج على أنه هدرلحقه في رفض العلاج Violation of the child's rigth to refuse treatment ويظهر عدم تعاون الطفل Cooperation في حالة العلاج اللفظي أو العلاج عن طريق اللعب ، حين يكف الطفل فقط عن الكلام أو الحركة ولا يقول شيئاً سوى « لا أعرف » وحتى الغاية من العلاج The goals of treatment يحددها له الكبار . فالآباء هم الذين يحددون ماهو خطأ في سلوك الطفل ويسعون لتصويبه . وفي الغالب يطلبون علاج الامور التي تزعجهم هم انفسهم بصرف النظر عما إذا كانت تزعج الطفل من عدمه .

أهداف الآباء حيال الأبناء :

فالآباء يسعون لتحقيق الآتي للطفل :

أ - أن يكون له كثيراً من الاصدقاء حسنى الخلق .

ب - أن يكون أكثر قدرة على تحمل النقد Criticism .

ج - أن يكون أكثر إيجابية وفاعلية وحسماً واثباتاً لوجوده Assertive .

د - أن يكون أقل كآبة أو حزناً أو توعكاً في المزاج Moody أو تقلباً فيه .

هـ - أن يكون مجداً ومجتهداً ومناضلاً Industrious .

و - أن يكون أكثر قدرة على الانتاج والتحصيل والانجاز Productive .

ز - أن يكون أكثر طاعة وولاء والتزاماً وانضباطاً .

وإذا اختلف عن هذه المعايير انزعج الآباء .

فالامور التي تخضع للعلاج هي التي تهم الآباء وفي النادر أن تكون هي الاشياء التي تهم الاطفال انفسهم . للطفل منطقه الخاص ، ولا شك ، ويجب أن يتعلم الآبـاء رؤية الأشيـاء من زاوية منـطق الطفـل . وهنـا يتـدخـل الكبـار لاقناع الطفل بحكمة قرارات الكبار The Wisdom of the adults decisions . وفي كثير من الاحيان بينما يتلقى الطفل برنامج العلاج ويسير فيه نحو الشفاء وإذا بالآباء ينهون المعالجة على حين فجأة . ومن هنا يتم انتزاع الطفل انتزاعاً من أحضان المعالجة قبل تمامها . وعلى ذلك فالطفل يدخل المعالجة دون ارادته ويسير فيها دون معرفة أهدافها ثم ينتهي أيضاً دون موافقته[1] .

وفي إطـار العـلاج السلوكي Behaviour therapy وهـو ذلـك المنهـج العلاجي الذي لا يحدد فيه المعالج للمـريض اهداف العـلاج ، وإنما يتـرك للمريض هذه الحرية . أما في تحالة الاطفال فإن المعالجين السلوكيين يقعون في حيرة من حيث تحديد من هو الأولى بالمعالجة :

الطفل أم الآباء ؟

فقد يبدو كل شيء على ما يرام في نظر الطفل الذي يشكو أبواه من عدم طاعته . ولكن بعض الآباء أيضاً قد يتطلبون طاعة عمياء من الطفل إلى الحد الذي يضع فيه بعض الآباء شعاراً غريباً هو أن الاطفال يجب أن نراهم فقد دون أن نسمع لهم صوتاً أو رأياً «To be seen but not heard» فهل للطفل حق الرفض ؟ وهل حكمه برفض المعالجة يعد حكماً ناضجاً بما فيه الكفاية ؟ وعند أي مستوى يمكن أن نقول أن حكم الطفل أصبح ناضجاً Mature في الماضي القريب كان الانسان يظل غير ناضج أو غير راشـد حتى سن ٢١ عامـاً والآن أصبحت هذه السن ١٨ عاماً . هل يمكن القول بإن الحد الفاصل بين النضوج وعدم النضوج Immaturity مسألة تعسفية أو أن الخط الفاصل هو خط تعسفي Arbitrary line وهل يكفي العمر الزمني أو يكفي حساب السنوات Chronological age أما أن المسألة يتدخل فيها مقدار نبوغ الفرد ونضوجه العقلي Mental maturity ذلك النضوج الذي قد يسبق العمر الزمني في حالة الذكاء المرتفع .

وككل المسائل الاخلاقية Ethical issuess ، فإن حقوق الطفل الانسانية Human rights ليست أمراً سهلاً . ذلك لأنه إذا ما قررنا حق المصير المطفل

ذاتياً ، فإننا نكون قد أهدرنا حقوق الآباء تقرير ما هو صالح لأبنائهم . والذين يسعون لحل مشاكل أبنائهم . وهل يرفض المعالج علاج مثل هذا الطفل الذي لا يعني لي شيئاً؟ ولكن آباءه هم الذين يعانـون من عدم طـاعته ؟ وهـل يتولى المعالج نفسه اقناع الآباء بأن يعدلوا اتجاهاتهم صوب نجلهم ؟ وهل يمكن أن تحل احكام المعالج وقراراته محل احكام الآباء وقراراتهم ؟

وعلى ذلك فإن ولاء المعالج يتعرض لازدواجية خطيرة أو ثنائية كبيرة بين رغبات الطفل ورغبات الآباء (١) .

في بعض الاحيان قد يكون الآباء على خطأ ويكون الطفل على صواب . وفي بعض الأحيان يكون رأي المعالج مخالفاً لرأي الآباء . . . وهكذا . ولايمكن تصور المعالج مجرد وكيل عن الآباء يعمل عمله في العلاج نيابة عنهم ونظير ما يلقاه من الاجور وفي نفس الوقت ليس رهناً لـرغبات الـطفل . إنمـا عليه أن يستخدم خبراته الفنية والعملية والمهنية قي كل مافي صـالح الـطفل بـالتشاور والتفاهم مع الآباء Onsultation وذلك من أجل التوفيق بين كونه وكيـلاً عن الطفل ومعالجاً إياه ووكيلاً عن الاب ونائباً عنه .

وفي هذه الحالة يمكن عرض برنامج العلاج وخططه على إنسان محايد لتحديد أين تقع مصلحة الطفل . هذه القضية في حاجة إلى التفكير فيها حتى لا نضع الطفل في موقف يشبـه موقف تكليف الـذئب بحراسـة الغنم Lest the wolves to watch sheeps (1) .

حقوق الطفل في اثناء عملية العلاج :

ولقد حاول بعض علمـاء النفس إقتراح بعض الحقـوق للطفل وهـو في موقف تلقي العلاج النفسي ، من ذلك حقوقه الآتية :

أ ـ حقه في أن نخبره بالحقيقة .

ب ـ حقه في أن يعامل أو يعالج كإنسان .

جـ ـ حقه في أن يؤخذ أمره بكل جدية .

د ـ حقه في الاشتراك الفعال في اتخاذ القرارات التي تختص بحياته .

الحقوق العامة للطفل :

ونضيف إلى ذلك ضرورة توفر الحقوق الآتية :

١ ـ حقه في أن يتعلم أصول دينه ومبادئه ومثله وأحكامه .

٢ ـ حقه في أن نعلمه مبادىء الأخلاق الحميدة والسلوك الطيب .

٣ ـ حقه في القبول الاسري والاجتماعي .

٤ ـ حقه في أن نعلمه مهنة أو حرفه للإرتزاق الشريف

٥ ـ حقه في الغذاء والمآوي أو المسكن والملبس والعلاج .

٦ ـ حقه في المحافظة على حياته وصحته .

٧ ـ حقه في الحماية من الإستغلال والإبتزاز والتسخير .

٨ ـ حقه في أن يتعلم كيف يصون حقوق الآخرين .

أخلاقيات العلاج النفسي :

ومعنى ذلك أن العلاقة بينه وبين المعالج النفسي تقوم على أساس الثقة والإمانة Honesty وبعيدة عن الغش والخداع Deception وهذان المبدآن ينطبقان أيضاً في حالة علاج الراشدين .
على إفتراض أن الحقيقة أو الحقائق سوف تصاغ في لغة سهلة وبسيطة تتلاءم من قدرات الطفل على الإستيعاب . ولكن تبسيط الحقائق يختلف إختلافاً بيناً عن الكذب ، ويحتاج ذلك لصبر ومهارة من قبل المعالج . أما معاملته كأنسان فإنه مبدأ عام لا يختلف مهما كان الشخص الذي نتعامل معه صغيراً أو غير ناضج أو معاقاً أو عاجزاً . ولا يمكن أن يعامل الطفل « كشيء » .

وتطبيقاً لمبدأ السرية هذا لا ينبغي أن يحضر جلسات العلاج أي شخص دون معرفة الطفل بذلك ، كذلك لا ينبغي أن تعطي المعلومات التي يدلي بها الطفل للمعالج لأي شخص آخر دون معرفة أذن الطفل وموافقته . حتى الآباء لا ينبغي أن يتصوروا أنهم أصحاب حق في معرفة ماذا قاله الطفل في الجلسات . وعلى ذلك ما دام الطفل معتقداً أنه وحده في الجلسة مع المعالج فلا ينبغي إستخدام المرايا العاكسة أو الدوائر التلفزيونية المغلقة [١] .

وفيما يتعلق بحقه في التعامل بكل جدية واهتمام ، يتعين الإهتمام بكل ما

يقـوله أو يفعله الـطفل ، واعتبـار أن كل مـا يقول لـه دلالة ومعنى ولا يمكن السخرية من استجاباته أو أهمالها أو الضحك عليها .

يجب تحديد وتوضيح مقدار اسهام الطفل ومشاركته في نشاط العلاج وما أن يقوم بشيء من النشاط حتى ويحترم . ولكن هذا بالطبع لا يعني أن القرارات يصدرها الطفل ، ولكن هذا يعني فقط أننا نأخذ اقواله في الاعتبار . ودون أن يكون له حق الفيتو أو الاعتراض الكلي على كل البرامج الموضوعية لعلاجه .

المراجع :

(١) د . عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية النمو ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦ .

(٢) د . عبد الرحمن العيسوي ، دراسات في علم النفس الإجتماعي . دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤ .

(٣) د . عبد الرحمن العيسوي ، أمراض العصر ، دار المعارف الجامعية . اسكندرية ١٩٨٤ .

(٤) Klineberg 0., Social psychology, Holt, Rinehart and Winston, New york, 1954.

(٥) Donald J., Scientific principles of psychology, prentice- Hall, Inc- New Jersy, 1963.

(٦) Herbert.A., Mental Hygiene: The dynamics of adjustment, prentice- Hall, New York, 1947.

سيكولوجية الايحاء

من غرائب الطبيعة البشرية أن الإنسان لا يقتنع فقط بفعل الآدلة والشواهد والبراهين العقلية أو المنطقية أو الواقعية وإنما من المرونة بحيث يؤثر فيها عوامل لا أساس فيها ولا سند من الحقيقة أو الواقع . وعملية الإيحاء تعمل عملِ السحر في الشخصية فتجعل صاحبها يعتقد في صحة أفكار معينة ويسلك وفقاً لها . يحدث هذا في ثنايا عملية الإيحاء Sugestion وفي هذا الفصل نعرض على القارىء العربي الكريم أصول هذه العملية وخصائصها والعوامل التي تساعد على حدوثها وسمات الشخص الذي يتقبل ما يقع عليه من إيحاء وكذلك سمات شخصية الشخص القادر على ممارسة الإيحاء الناجح وكيف يمكن أن يؤدي الإيحاء إلى تغيير الإتجاهات لدى الناس وسلوكهم . ففي عملية الإيحاء يستطيع شخص ما أن يغرس فكرة معينة في ذهن غيره دون أساس أو سند عقلي أو منطقي ، ويدفعه للإتيان بأنماط معينة من السلوك وأن يقبل الإعتقاد في صحة بعض الأفكار أو المبادىء أو الآراء أو الشعارات أو النداءات أو الفلسفات المعينة . وبالطبع من الممكن إستخدام عملية الإيحاء بصورة سلبية بمعنى منع الفرد عن ممارسة سلوك معين أو الإقلاع عن عادة ما معينة ، وهناك ما يعرف بالإيحاء المضاد وهو الذي يستهدف إزالة آثار الإيحاء السابق . وبطبيعة الحال يستخدم الإيحاء في علاج كثير من حالات القلق ، ويذهب وليم مكد وجل الى القول بأن « الإيحاء عبارة عن زرع الأفكار في ذهن الفرد » Implatation of idea وقديماً تساءل العلماء لماذا تختلف الفكرة المغروسة تحت تأثير التنويم المغناطيسي عن مثيلاتها التي تغرس في حالة اليقظة ؟ فالفكرة المغروسة في حالة اليقظة تقاوم النقد وتتحكم في الأفكار الأخرى أما في حالة التنويم فمن الممكن أن توجد في الفرد أفكار متعارضة متناقضة . ولكن مكدوجل رفض

وجود هذا الفرق واعتبر أن مثل هاتين الفكرتين متساويتين . أما فرويد يرى أن امكانية الإيحاء تكمن في الأساس الغريزي للعقل ، ولكنه أخطأ كالعادة في تفسيراته بإرجاع هذا الأساس إلى جذور جنسية . أما نظرية مكد وجل فيلخصها قوله : « إن ملاحظة الحيوانات ذات النزعة الإجتماعية تكشف عن وجود علاقات من السيطرة أو الخضوع . فبعض أفراد القطيع Herd تخضع تلقائياً وبهدوء للتسلط والسيطرة والقيادة وإثبات الذات عند الأعضاء الآخرين . ولا يتضمن هذا الخضوع الخوف في جميع الحالات . وهو بلا شك غريزي حيث تقبل سيطرة الآخرين دون معارضة أو إحتجاج بل تقبل أوامرها كما لو كانت قانوناً وتشعر أمامها بالتواضع والولاء . توجدغريزة الخضوع . هذه كذلك في بني الإنسان . وبالنمو اللغوي والعقلي تصبح المؤشرات اللفظية الدالة على إتجاهات الأقوياء تصبح وسيلة هامة في إثارة دافع الخضوع هذا . وفي عالم الإنسان تلعب القوة والمكانة الإجتماعية المرموقة Prestige دوراً كبيراً في عملية الإيحاء دون الشعور بالخوف . وإذا لم يكن الإنسان إجتماعياً بطبعه فإنه ما كان له أن يكون قابلاً للإيحاء ، ومن ثم ربما كانت تأخذ الحياة الإجتماعية شكلاًآخر . ومؤدي نظرية مكد وجل أن المسئول عن الإيحاء هـو غريـزة الخضوع في الإنسـان . ويثير الإيحاء في الشخص الطاعة والإحترام والإعجاب والعرفان . ومن هنا فإن مصدر الإيحاء قد يكون فرداً أو جماعة أو مجتمعاً أو تجمعاً .

ويتوقف الإيحاء على مدى قابلية الفرد واستعداده للإيحاء Suggestibility والتي تتوقف بدورها على العديد من العوامل من بينها ما يكمن داخل الفرد ذاته ومنها ما يوجد في البيئة التي يعيش فيها من ذلك ما تتمتع به الشخصية مصدرة الإيحاء من مكانة مرموقة ، وما تمتاز به من سمعة أو ما تحظى به من قوة وما تنعم به من معرفة وعلم وقوة وخبرة ودراية وما تتمتع به من كرامة وقيمة ، ويدخل في ذلك ما تتمتع به من ثراء وما تحمله من القاب وما ترتديه من ملابس .

وفيما يتعلق بالعوامل الداخلية أو الذاتية يلاحظ أن جهل الفرد بالموضوع الذي يدور حوله الإيحاء يساعد على قبوله الأفكار الموحي بها . فالشخص الذي يفهم في علوم الطب يصدق كل ما يسمعه حول صحته بل يتأثر بـالاعلانـات والدعاية التي تدور حول الصحة والعلاج ومن هنا كـانت قابليـة الإيحاء عنـد

البدائيين والأطفال وعند غير المتعلمين أقوى لهذا السبب . لا يوجد لديهم سند من المعرفة والمعتقدات التي تتصارع أو تـواجه الأفكـار الموحي بهـا . وإلى جانب ذلك هناك عوامل إستعداديـة أو وراثية تجعـل الفرد أكثـر قابليـة لقبول الإيحاء في الموضـوعات التي تـوجد لـدى الفرد عنهـا معلومات كثيـرة . أما الأشخاص الذين يزيد عندهم توكيد الذات أو لإثباتها فإنهم يظلون على ثقة من انفسهم ومن ثم لا يخضعون للإيحاء . ومن العوامل الذاتية نزعة التأثـرية في الفرد أو شدة حساسيته وقابليته للتأثير فيه Susceptibllity وإستعداده للتفكك .

وعلى سبيل المثال يقـال أن الشخص المنبسط Extrovert أكثر عـرضة للتفكك عن زميله المنطوي Introvert ومن ثم فإن المنبسط أكثر خضوعاً للتنويم المغناطيسي .

والواقع أن عملية الإيحاء من الممكن أن تؤثر في شتى أوجه نشاط الفرد حتى ما يدركه من موضوعات العـالم الخارجي من الممكن أن يتـأثر بعمليـة الإيحاء . فإذا أوحى إلى شخص ما بأنني سأرى شبحاً في هـذا المنعطف أو سوف يمر من بين أقدامي فار كبير فإن إحتمال مشاهدتي لهما تتأثر بلا شك . ولا سيما إذا كان هذا الشخص يحتل مكانة مرموقة في نفس . أما إذا كان القائل طفل صغير وابله فإنني استبعد إيحائه . وهناك تجربة على مجموعة من الطلاب طبق عليهم إختبار بقع الحبر لرورشاخ وهم تحت تأثير الإيحاء حيث أوحى إليهم أن بحثـاً علمياً كشف أن الأطبـاء والاسـاتـذة والعلمـاء وأصحـاب المصـانـع والمحامين كانوا يرون البقع ككل وكانوا يتخيلون الحيـوان فيها أكثـر من بني الإنسان أو الجمادات ، كما أن الحلاقين والسواقين وعمال الحفر كانوا يرون التفاصيل الصغيـرة والجمادات في تلك البقـع . واجريت نفس التجـربة على مجموعة أخرى من الطلبة أعطيت لها معلومات عكس التي أعطيت للمجموعة الأولى . وكانت النتيجة رؤية المجموعة الأولى صور متكاملة وحيوانـات مثلها مثل أرباب المكانة الإجتمـاعية المـرموقـة الإجتماعيـة الثانيـة رأت التفاصيـل والجـزئيات والجمـادات أفضل مثـل إستجابـات أرباب المكـانـة الإجتمـاعيـة المرموقة . ولم تشبه إستجاباتهم إستجابات عمال الحفر والحلاقين إلا عند ٦٪ من مجموعهم . وتعرف هـذه الظاهـرة في التراث السيكـولوجي بـإسم إيحاء المكانة . ولا شك أن كل من القادة والزعمـاء والعظماء وكبار التجار وخبـراء

الإعلانات والخطباء لديهم معرفة حدسية بفن الإيحاء والتأثير في الناس .

ويفيد الإيحاء والإقناع في عمليات الإرشاد والتوجيه والعلاج النفسي حيث يقترح المعالج على المريض أن يقوم بعدة خطوات أو يقترح على أي من ذويه ويترك له الفرصة لتنفيذها . من ذلك عندما يعترف الأب والأم بأنهما كان يسيئان معاملة طفلهما أو عندما يشعر المريض بحيرة أمام إختيار وظيفة من عدة وظائف ممكنة: هنا يستطيع المعالج أن يقترح إمكانيات مختلفة . ولكن هذا الإيحاء ينبغي أن يؤسس على معرفة دقيقة بظروف المريض وملابساته ولكن الإيحاء يصلح أكثر ما يصلح لعلاج الحالات الخفيفة كما يصلح مع اسوياء من الناس الذين توجد لديها القدرة على تقويمه والحكم عليه وقبوله أو رفضه . وينصح بعدم إعتماده على الإيحاء إذ لا بد من إعادة تكيف المريض أو أسرته وخاصة في حالات الإيداع في المستشفى أو التعرض للطلاق أو السجن أو فقدان الوظيفة أو الإفلاس . وبطبيعة الحال تختلف القابلية للإيحاء من شخص لآخر كما أنها تختلف عند الشخص الواحد بإختلاف المواقف ومن حالة لأخرى ، وأكثرها على الإطلاق حالة التنويم المغناطيسي وهو حالة تشبه النوم يكون الإنسان خلالها سلبياً ولكنه يعي ما يوحي المنوم دون غيره من المثيرات وقد يكون التنويم بسيطاً سطحياً وقد يكون عميقاً . ولتحقيق التنويم لا بد من تعاون الفرد المراد تنويمه . وتعتمد عملية التنويم على أبعاد جميع المثيرات والأفكار والإهتمامات عن ذهن الفرد ووضعه في حالة من الهدوء التام والاستقبال وتركيز كل إهتمامه على كل ما يقوله المنوم . ويقبل النائم إيحاءات المنوم بقليل جداً من المقاومة بالقياس إلى حالة اليقظة . وفي التنويم العميق تحصل الهلاوس والخداعات البصرية فعندما أعطى المنوم المريض أو النائم زجاجة من النشارد ذات الرائحة النفاذة ، مؤكداً له أنها مليئة بالعصور أخذها النائم وشمها بأقصى درجة من الإستمتاع . وللإيحاء والتنويم قيمة كبيرة في عملية العلاج النفسي وخاصة في إستيحاء الذكريات المنسية مع أصل أو منبع المشكلة مع إقناع المريض بأن مشاكله القديمة لا أثر لها وأنه سوف يتحسن ويتقدم في الحياة ولكن ينبغي الا يستخدم التنويم إلا في حالات المعالجات الجادة والخطيرة .

ولقد برهن التنويم على فائدته في علاج حالات الهستيريا وخاصة في حالة سيدة شابة كانت تعاني من نوبات حادة من الهستيريا . وتحت التنويم استطاعت أن

تتذكر كيف نشأت حالتها . فعندما شاهدت حريقاً هائلاً شعرت بالفزع والهلع من مشاهدة أطفال صغار يفرون من السنة النيران ويقفزون بأنفسهم من النوافذ . وعن طريق التنويم أمكن تعليمها أن رجال الأطفاء قد التقطوا الصغار في شباكهم التي نصبوها لإنقاذهم وأنه تم فعلاً إنقاذهم من الأذى . وبذا تخلصت الخبرة من عنصر الفزع والهلع فيها . واوحى إليها أن هذه الخبرة لن تزعجها بعد اليوم ومن ثم رحلت عنها الهستيريا . ولكن لا يصل التنويم في جميع الحالات إلى إكتشاف سبب المرض ومن ثم يعتبره بعض علماء النفس قليل الأهمية ويرون أن المريض يجب أن يفعل شيئاً أكثر من قبول الإيحاءات وينبغي أن يقوم بدور إيجابي في التكيف مع الحياة . فالتنويم أداة مساعدة في العلاج خاصة في إزالة أعراض المرض . ولكن إزالتها لا تعني شفاء المريض من علته لأنه لا يصل إلى جذور المشكلة ومن الجدير بالذكر أن فرويد في بداية حياته إستخدم التنويم المغناطيسي لتطهير الذات مما بها من شحنات إنفعالية حبيسة وذلك لمساعدة المريض على إسترجاع خبراته الماضية وعلى إخراج مشاعره وإنفعالاته المكبوتة حيث كانت توجه إليه الأسئلة المصممة لإستكشاف أصل ومنبع الأعراض . وللأفراج عن المشاعر المكبوتة . مثل هذا التصريف أو التنفيس كان له أهمية علاجية في نظر سيجموند فرويد ولا سيما عند مرضى الهستيريا . ولكنه سرعان ما أدرك أن إطلاق سراح الإنفعالات المكبوتة ليس علاجاً . ولذلك لجأ فرويد إلى إبتكار منهج للإيحاء في أثناء يقظة المريض حيث كان يضع فرويد يده على جبهة المريض قائلا له : تستطيع أنت الأن أن تسترجع ماضيك .

هذه هي عملية الإيحاء وهي لا شك ظاهرة وواقعية سواء رغبنا أم أبينا ، ولكن يبقى السؤال هل هي خير أم شر ؟ من المستطاع أن تكون هذه العملية خيراً محضاً وتسهم في تحقيق سعادة الإنسان وتكيفه وذلك بزرع القيم الأصلية والمثل العليا والتقاليد الرفيعة والخلق وأهداب الفضيلة والعفة وإذكاء روح الوطنية وأشعال جذوة الروح القومي في نفوس أبناء أمتنا العربية كبارهم وصغارهم ويتطلب ذلك أن يتحلى المصلحون والقادة ورجال الفكر والقلم والمعلمون والأطباءوالخطباء ورجال الإرشاد بالقيم الأصلية والمثل العليا النابعة من تراثنا الإسلامي الحنيف بحيث يكون لما يوحون به أطيب الأثر وأعظم الفائدة في شخصية الشباب العربي .

دور التربية في علاج
اضطرابات الأطفال والوقاية منها:

مقدمة :

يخطيء من يظن أن رسالة التربية قاصرة على تلقين الاطفال قدر من المعلومات التي تطالبهم بحفظها أو استيعابها ، وإنما التربية ، بمعناها الشامل عبارة عن إعداد للحياة ، وإكساب الفرد للمواطنة الصالحة ، ولذلك يتعين على المؤسسات التربوية أن تعمل على تحقيق تكيف الطفل مع بيئته الاجتماعية والفيزيقية المحيطة به ، وعلى تكيفه مع نفسه ورضاه عنها(١) .

ولذلك فإن المؤسسات التربوية حين تؤدي رسالتها على الوجه الاكمل فإنها تحمي طلابها من الوقوع فريسة للصراعات والاضطرابات والتواترات النفسية والعقلية والسلوكية .

وغني عن البيان أن التربية تحقق اشباعاً لكثير من دوافع الفرد وحاجاته ، وخاصة تلك الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى الانتماء need for belongingness والحاجة الى الابداع والى المعرفة والى القبول الاجتماعي need for social acceptance والاعتراف وتقدير الذات واحترامها والحاجة الى التعبير عن الذات .

اهمية مرحلة الطفولة :

ولا يخفى ما لمرحلة الطفولة من أهمية في حياة الفرد والمجتمع ، حيث توضع فيها جذور الشخصية الأولى والمعروف أن ما يلقاه الطفل من خبرات وتعامل يترك بصماته واضحة في شخصية .

حياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات :

في المراحل الأخرى ، ولما كانت حياة الفرد سلسلة متصلة الحلقات ، فإن الطفولة السوية تقود الى مراهقة سوية والمراهقة ، بدورها ، تقود الى مرحلة شباب سعيدة ومتكيفة . ومن هنا كانت أهمية مرحلة الطفولة والمراهقة باعتبارهما المرحلتين اللتين توضع فيهما بذور الشخصية ويتكون هيكلها العام .

والمدرسة حين يعهد اليها المجتمع بهذه المهمة الخطيرة وهي مهمة إعداد الأجيال أو صناعة المواطن الصالح السوي[٢] . المؤمن بربه ووطنه وعروبته ، فإنها في حاجة الى التزود بكل مايفيدها في أداء رسالتها من الخبرات والمعلومات والمعارف الطبية والنفسية والاجتماعية والحيوية وما يلزمها من دعم مادي وبشري ومن هنا نضحي على معلم المدرسة الحديثة أن يلم بأحدث ما توصل إليه العلم في مجال تخصصه العلمي لينقله الى طلابه نقلاً أميناً ، وفي مجال المستحدثات السيكولوجية والتربوية التي تساعده على ان يحسن التعامل مع تلاميذه ، ويقوم منهم مقام الاب والمعلم والمرشد الموجه والناصح والمعالج ليمتد نور التربية الى اعماق الطفل وليشع في البيئة المحلية المحيطة بالمدرسة وفي هذا البحث المتواضع نعرض على القارىء الكريم بعضاً مما قد يصيب الاطفال من الاضطرابات والانحرافات والامراض بغية الالمام بها وتهيئة المعلم لمواجهتها ومساعدة الطفل ووقايته من الوقوع في براثنها المظلمة . والطفل مثله مثل الراشد الكبير يتعرض لشتى انواع الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية ولكن لاضطراباته طابعاً خاصاً .

اضطرابات الطفولة والمراهقة ودور التربية في علاجها :

وبحكم ظروف النضج والنمو والخبرة ، فإن السلوك الذي يعد مرضياً بالنسبة للراشد الكبير قد يعتبر سلوكاً سوياً بالنسبة للطفل أو المراهق . فالاطفال والمراهقون يفكرون بطريقة مختلفة عما يفكر الراشدون .

فالطفل يقبل اموراً خرافية أو خيالية حسبما يروى جان بياجيه **Jean Piajet** من أن طفلاً أعتقد أن زميلاً له أصبح رجلاً كبيراً بين عشية وضحاها لأن والدته كانت تطعمه كل ليلة ملعقة من البطاطة . واعتقد طفل آخر انه يرغب في مقابلة أرنب ، فارسل لهذا الارنب خطاباً يطلب فيه مقابلته ، ولما وُجد الخطاب ملقياً في الحديقة أعتقد أن الارنب قد حضر في الموعد ، ولكنه لم يجد هذا الطفل في انتظاره فعاد أدراجه(٤) .

مثل هذا الطفل لا نعتبره مريضاً او شاذاً ذلك لأن خيال الطفل يكون من السعة والخصوبة بحيث يصبح الخيال عنده أقوى من الواقع ، وليس في ذلك أي مظهر من مظاهر الشذوذ او عدم السواء .

وبالمثل فإن اموراً عديدة لا تثير قلق الراشد الكبير **The adult** ولكنها تثير قلق الطفل الصغير . فالطفل الصغير قد ينزعج انزعاجاً كبيراً إذا انفصل عن امه لترعاه ام بديلة حتى وأن كان ذلك بصورة مؤقتة. ومهما بلغت مهارة المعلمة التي تستقبل الطفل الصغير ، بدلاً عن الأم ، فإنها لا تستطيع أن توقف بكاءه لساعات طوال . ومن ذلك بكاء الطفل عند مغادرة الوالدين أو عند إرغامه على الذهاب . . لفراشه .

لكن بعد مدة من الانفصال قد يختفي اعتراض الطفل ويكف عن البكاء ، ولكن في الحقيقة يتحول هذا الاعتراض إلى شعور باليأس والسخط. **despair**(5) .

وقد يظهر هذا على الطفل في صورة الحداد والحزن والانسحاب والانزواء وقلة الحركة والحيوية . فخبرة الانفصال عن الأم تعتبر خبرة مريرة واليمة بالنسبة لكثير من الأطفال ، وعلى المعلمة أن تحسن استقبال الطفل بحيث تحميه من هذا الشعور المرير الناتج عن الأنفصال عن الاب أو الأم . وكلما احسنت المعلمة هذا الاستقبال وكلما مر الوقت قل شعور الطفل بالحزن والضيق . **distressed** حيث يتقبل الطفل رعاية المعلمة ، ويصبح مستعداً للعب والابتسامة . وعند عودة الأم لرعاية طفلها قد يظهر الطفل علامات الخوف من حصول تجربة الانفصال ثانية . ويتوقف قبول الطفل لتجربة الانفصال وقيام المعلمة بدور الأم على مقدار التدرج وعدم الفجائية في حصول الانفصال ،

وعلى مقدار ما توليه المعلمة من الرعاية والعطف والحب والحنان ، وعلى مقدار ما يتوفر لديها من الانشطة الشيقة التي تشغل ذهن الطفل وتمتص فائض وقته وطاقته .

ومن الاضطرابات التي قد تصيب الاطفال الفوبيا او تلك المخاوف الشاذة واللامعقولة irrational fears وهي المخاوف التي تثار في الطفل من مثيرات لا تتضمن في ذاتها خطراً أو تهديداً يهدد حياة الطفل . من ذلك الخوف من المياه الجارية او من رؤية النار . وهناك تجارب أجريت للتحقق من مخاوف الأطفال ، حيث تم وضعهم في مواقف معينة وطلب منهم القيام باعمال مثل الآتي : ـ

١ ـ بقاء الطفل بمفرده لفترة قصيرة .
٢ ـ تكليف الطفل بالجري داخل ممر مظلم لاستقبال كرة ماء ؟ .
٣ ـ تكليفه بالامساك والتعامل مع افعى حية .
٤ ـ دخول شخص غريب فجأة الى داخل غرفته .
٥ ـ تكليفه بالاقتراب من كلب ضخم الجسم .

وغير ذلك من المواقف . ولقد تحاشى الباحثون في هذه التجربة المساس بالأمور الخلقية ، بحيث لا يسببون ازعاجاً لاطفالهم . وعلى ذلك كان الباحث يصاحب الطفل بطريقة ودية قبل بدء التجربة . كما أن اجراءات التجربة كانت تتم بصورة تدريجية وليست فجائية . ولم يكن هناك إرغام للطفل على الاستمرار في التجربة إذا شعر بالخوف وعلى الرغم من هذا الشجيع إلا أن هناك نسبة كبيرة من هؤلاء التلاميذ والذين كانوا في سن الخامسة من عمرهم ، اظهروا مخاوف من هذه الموضوعات وبلغتْ نسبة الخائفين ٤٠٪ على القليل من ثلاثة من هذه المطالب وهي :

١ ـ الجري الى الممر المظلم .
٢ ـ الامساك بالافعى الحية .
٣ ـ الاقتراب من الكلب الضخم .

هذه المخاوف إذا مارسها الكبار تسمى فوبيا phobias فالطفل بطبيعته ميال الى القلق anxiety عن الكبار . والى جانب ذلك يمكن النظر للاطفال على أنهم مضادين للمجتمع . antisacial وقد يعتبرون عدوانيين الى حد ما ، ولذلك

كانوا في حاجة الى عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبع الاجتماعي socializcation وان يخضعوا لعملية تعليم او تربية من أجل تعودهم على احترام حقوق الغير ، ومن اجل ذلك كان من الضروري ان تسهم المؤسسات التربوية في تعليم الطفل التميز بين الحلال والحرام والخطأ والصواب والحق والباطل والخير والشر والمقبول اجتماعياً وغير المقبول ، ومن هناك كان على الطفل أن يتعلم أن تحطيم أدوات الغير غير خلقي ، وأن .... سب الناس أو قذفهم عمل غير مقبول . واذا لم تقم المؤسسات التربوية بهذه الرسالة الخطيرة شب الطفل شاذاً او منحرفاً أو متسماً بما يعرف باسم الشخصية السيكوباتية psychapathir وهي شخصية ضعيفة الضمير تمارس العدوان والانتقام والكذب والنصب والاحتيال والغش والخداع . ولا تشعر بالذنب او بلوم الذات أو تأنيبها أو تصنيفها على ما ترتكب من آثام واخطاء ومعاصي . وعلى ذلك نلمس رسالة هامة للتربية وهي حفظ المجتمع من الانحراف والفساد والجريمة والرشوة والاختلاس وما الى ذلك من الجرائم التي قد تنخر في كيان المجتمع وتنال من وحدته وتماسكه وصلابته . فللتربية وظيفة اجتماعية ونفسية إلى جانب وظيفتها العلمية بل إن لها وظيفة علاجية وإرشادية وتقويمية ويعبر الفرق بين الأطفال والكبار عن نفسه في شكل قانوني حيث يحدد القانون في معظم بلاد العالم سن التمييز بسبع سنوات . ففي مجتمع كالولايات المتحدة الأمريكية لا تقام المسؤولية الجنائية لمن هم دون السابعة من العمر وكذلك في القانون المصري . وإذا كان تشخيص امراض الكبار واضطراباتهم امراً صعباً ، فإن تشخيص اضطرابات الصغار أكبر صعوبة ، حيث يصعب على المعالج أن يميز عما إذا كان طفل معين مريضاً فعلاً أم أنه يمر فقط من خلال مرحلة سوف تنتهي بالضرورة بمرور الوقت . وعلى الرغم من هذه الصعوبات ، فإن علماء النفس يتفقون حول بعض الفئات التشخيصية diagnastic categories بالنسبة للأطفال والمراهقين ، فالطفل الذي يفشل في تخطي نمط معين من السلوك يعد مضطرباً disturbance[6] . ومن الإضطرابات الشائعة في الطفولة كذلك التبول اللاأرادي enuresis أو عادة بل الفراش Bed-wetting . وإذا ظل طفل الثانية او الثالثة يبلل فراشه فلا مشكلة في الأمر ، أما إذا فعل ذلك طفل السابعة فيتعين على الآباء أو المدرسة أن تعرضه على أحد الاخصائيين ويمكن أن يعان الأطفال من نفس

الأضطرابات النفسجسمية التي يعاني منهـا الكبار psychosomatic disordess كالربو asthma ulcers أو من القرح المختلفة تلك الاضطرابات نفسية المنشأ اي ترجع الى أسباب أو أزمات أو ضغوط نفسية واجتماعية ، ولا ترجع الى أسباب تلف او خلل عضوي اي في عضو من اعضاء الجسم . وهذه الاضطرابات فوق أنها شائعة أو كثيرة الشيوع في عصرنا الحالي متنوعة ومنها ما يلي : ـ

١ ـ السمنة .
٢ ـ ضغط الدم .
٣ ـ البول السكري .
٤ ـ بعض الاضطرابات الجلدية .
٥ ـ بعض اضطرابات الفم والأسنان .
٦ ـ قرحة المعدة والقولون والأثنى عشر .
٧ ـ الإسهال .

وغير ذلك من الأمراض ذات الأصل النفسي . وعلى المدرسة دور حماية الطفل والمراهق من التعرض للقلق والضغط والصراع والشعور بالفشل والإحباط والحرمان والتوتر والاكتئاب والخوف والفزع وفقدان الثقة بالـذات ويمكن أن يعاني الأطفال من أنواع كثيرة من القلق أو الاكتئاب anxiety and deprssion او الهيستيريا والوسوسة والثورة والتهيج والتمرد والعصيان. وهناك حالات قليلة قد يصاب فيها الاطفال ببعض مظاهر الضعف الوراثي أو العجز الوراثي genetic defectis وكذلك الجروح الدماغية Brain injyries وهذه اضطرابات واضحة ، ولكن هناك بعض الاضطرابات التي يصعب تشخيصها ، وبالتالي يصعب اتفاق العلماء حولها من ذلك التخلف الإسـري ـ الثقافي والعجـز التعليمي والنشاط الزائد ، واضطرابات السلوك أو الخلقي ، وكذلك ذهانات الطفولة psychoses of childhood . هذه بعض الاضطرابات التي قد تصيب الأطفال والمراهقين في سني المدرسة والتي ينبغي أن يكون للمدرسة الحديثة دوراً . في علاجهـا أو على القليل التخفيف من وظائفها والوقاية من الإصابة بها .

دور التربية في الوقاية من اضطرابات الاطفال والمراهقين

١ - مع التسليم بأننا لا ندعو ، أن تتحول المدارس الى مؤسسات علاجية تحل محل المستشفيات والعيادات النفسية ، إلا أن لها دوراً لا يمكن إغفاله في علاج اضطرابات الطفولة والوقاية منها . ولعل اول المبادىء التي يتعين الأخذ بها في علاج الأطفال المشكلين هي ضرورة إتباع المنهج العلمي في دراسة الحالة وتشخيصها .

٢ - يتطلب علاج الحالة ، وفقاً لهذا المفهوم ، ضرورة معرفة الأسباب التي تكمن وراء تأزم الطفل وفي ضوء معرفة هذه الأسباب يمكن علاج الحالة عن طريق إزالة أسبابها . وبالطبع تختلف تلك الاسباب من حالة الى اخرى أو من طفل الى آخر .

٣ - تقوم المعلمة بعلاج الحالات التي توجد بين طلابها ، وإذا تعذر عليها هذا تحيل الحالة الى الطبيب أو الى المعالج المختص . ولعل حرصنا على تمتع اطفال المدارس بالصحة العقلية الجيدة يجعلنا ندعوا الى ضرورة توفير اخصائي نفسي في كل مدرسة من مدارسنا يتولى علاج مثل هذه الحالات ويسعى للوقاية منها .

٤ - إن وجود الأخصائي النفسي في المدرسة لا يلغي الدور الكبير للتربية في الوقاية والعلاج ، ذلك لأن جميع العمليات التربوية تسهم في خلق المناخ الصحي للأطفال من جميع النواحي :

أ - الجسمية أو البدنية .

ب - النواحي الدينية أو الروحية .

حـ - النواحي الخلقية أو المسلكية .

د - النواحي العقلية والنفسية .

هـ - النواحي الاجتماعية والأسرية .

وتسهم العمليات التربوية في خلق المناخ الصحي سواء كانت هذه العمليات في شكل إدارة مدرسية او تربوية هادفة تتوخى المبادىء الإسلامية والإنسانية والديمقراطية ، او كانت في شكل مناهج ومقررات دراسية تتفق مع قدرات التلاميذ وميولهم وتشبع حاجاتهم ، أو كانت في شكل طرائق في التدريس تراعي الفروق الفردية بين التلاميذ وتجذب انتباههم وتعمل على تشويقهم للمادة العلمية وتشركهم في العملية التعليمية كل بحسب قدرته وطاقاته إشراكاً فاعلاً وايجابياً وتراعي التسلسل والتدرج في الانتقال بالتلميذ من **المعلوم الى المجهول** في يسر وسهولة او كان ذلك في شكل تعامل المدرسين والادارة التعليمية مع التلاميذ بروح من المودة والعطف والأبوة والقيادة والريادة والحب والحنان . او كان ذلك في شكل تمويل الانشطة المدرسية المختلفة وتوفيرها بحيث يشبع الطالب حاجاته وهواياته وبحيث تمتلىء الحياة المدرسية بالانشطة العلمية الرياضية والدينية والترويحية والترفيهية والتعاونية والكشفية والعسكرية والخيرية والتطوعية . وبحيث تسود العلاقة بين التلاميذ فيما بينهم روح المحبة والتعاون والاخاء وبحيث تنمى في وجدان التلاميذ وحسهم مشاعر الوطنية والعروبة والاسلام والانتماء وتحمل المسؤولية والصدق والامانة والشهامة والبطولة والفداء والتضحية وما الى ذلك من القيم الاسلامية الاصيلة .

(١) صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس صـ ١ ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ١٩٨٢ .

(٢) د . عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر ، دار الوثائق الكويت ١٩٨٧ .

(٣) piaget, J . play, Dreams and Imitation, In Childhood, New York, Norton, 1951

(٤) piaget, J., The Language and Thought of The child, New York, Meridian Books, 1955.

(٥) Bawlby, j separation: Anxiety and Anger, New York, Basic Books 1973.

(٦) Gallatin, J., Abnarmol psychology, concepts, Issues, Trends, Macmillan publishing Co. New York, 1982

الفصل الثامن
التربية الخلقية للطفل

- تطور الشعور الخلقي عند الطفل.
- دور الأب في تنمية القيم.
- الأصول الإسلامية للتربية العلمية والنفسية للطفل المسلم.
- الآثار النفسية لحياة التدين.
- حقوق الطفل في الإسلام.

« تطور الشعور الخلقي عند الطفل »

ينمو الطفل خلقياً عن طريق التوحد Identification مع قيم الآباء ومعاييرهم ومثلهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وتقمص سمات شخصياتهم وبذلك يضحى الطفل قادراً على التعامل مع أفراد المجتمع الخارجي - على أساس من المعايير المقبولة اجتماعياً وخلقياً accepted standard, . ومعنى هذا أنه يكتسب روحه الاجتماعية أي الرغبة والقدرة على الحياة مع بني جنسه من أفراد المجتمع ، كما يكتسب إنسانيته عن طريق ما يلقاه من تعاليم دينية وخلقية كما يتمكن من مقاومة الإغراء to resest Temptation والكف عن ارتكاب الأخطاء أو المعاصي . وهناك كثير من الدراسات التي أجريت على السلوك الخلقي للطفل والمراهق من بينها . دارسة أجراها الكاتب على الشباب الإنجليزي واتضح من خلالها وجود رابطة قوية جداً بين الدين والقيم الخلقية ، بمعنى أنه كلما زاد تدين الفرد كلما زاد تمسكه بالقيم والسلوك الخلقي ، وكلما نقص التدين قل أيضاً السلوك الخلقي . ودلت دراسة أخرى أجراها الكاتب أيضاً على مجموعة من الشباب في الجامعات العربية أنهم يتمسكون في جملتهم ، بالقيم الخلقية ويرفضون النزعات المادية والالحادية والمودات والبدع المستوردة من الخارج « كالخنفسة والهيبزة » وما إلى ذلك . الواقع أن السلوك الخلقي سلوك معقد وليس بسيطاً ولذلك فإن دراسته مهمة صعبة ، ولقد حاول كثير من علماء النفس دراسته ومن أوائل هؤلاء جان بياجيه piaget الذي قسم حياة الفرد الخلقية إلى مراحل نمو مختلفة ودرس خصائص كل مرحلة . ولقد استخدم نفس نهج بياجيه في التحليل كلولبيرج Kohlberg وصنف السلوك الخلقي إلى ست انماط خلقية وافترض وجودها في الطفل ما بين ٧ - ١٦ سنة . وفي مثل هذه الدراسات كانت الأسئلة توجه إلى الأطفال لكي يعللوا لصدورهم بعض الأحكام الخلقية وذلك بغية معرفة الأساس الذي يقيم عليه الطفل حكمه الخلقي أو سلوكه الخلقي . فهل يصدر حكمه الخلقي خوفاً

من العقاب أو خوفاً من السلطة القانونية أو لمراعاة معايير المجتمع ، أو للحق والخير في ذاته ام لأن القيم الخلقية تنبع من ضميره الحي .

وتدل الدراسات على أن اكتساب الطفل للقيم الخلقية ما هو ألا محصلة عملية التعلم الاجتماعي Social learning حيث يأتي الطفل تدريجياً ليقبل معايير Ivorms الثقافة cultiurre التي يتربى ويترعرع في كنفها حيث يساعده نضجه maturation العقلي والأنفعالي على التمييز dis creminination بين الحلال والحرام ، بين الصواب والخطأ ، بين المعقول اجتماعياً وغير المقبول . ومن هنا تبدُو اهمية المعرفة بما هو حلال وما هو حرام في حد ذاتها كاساس للسلوك الخلقي إذ لا يمكن للطفل أن يأتي بالعمل المقبول خلقياً ويتجنب المكروه خلقياً إلا إذا تمكن من التمييز بينهما . وإن كانت المعرفة في حد ذاتها لا تتضمن اساساً كافياً للسلوك الخلقي . فهناك كثير ممن يعرفون أن السرقة خطأ ولكنهم لا يستطيعون الكف عنها . ويلاحظ من هذه الدراسات أن عملية النمو تتم بصورة تدريجية حيث تؤدي المرحلة المعنية الى المرحلة التي تليها ، وهكذا وليس هناك انتقال طفرى فجائي من مرحلة إلى أخرى ، فكل مرحلة من مراحل النمو الخلقي تعتمد على المرحلة السابقة عليها ، وفي نفس الوقت تؤثر في المرحلة اللاحقة عليها .

★ هذه المراحل الستة هي : ـ

١ ـ مرحلة العقاب والطاعة Punishment and obedience وهي مرحلة ما قبل النمو الخلقي ، وفيها يطيع الطفل القواعد الخلقية لكي يتحاشى العقاب .

٢ ـ مرحلة اللذة البسيطة حيث يمتثل الطفل لكي يحصل على المكافآت أو يرتد اليه عمله في صورة عائد إيجابي .

٣ ـ مرحلة أخلاق الولد الجيد The good boy morality وفيها يسعى الطفل لإقامة علاقات حسنة مع الآخرين ويحاول أن يحصل على موافقة ورضا الآخرين ، ولذلك فإنه يمتثل ليتحاشى عدم الموافقة أو عدم القبول وحتى لا يصبح مكروهاً أو منبوذاً من قبل الآخرين .

٤ ـ مرحلة اخلاق السلطة وهناك يمتثل الطفل لكي يتحاشى رقابة السلطات

الشرعية المدنية وليتحاشى الشعور بالذنب كالخوف من الوقوع تحت طائلة القانون .

٥ ـ مرحلة اخلاق التعاقد التي تحدد حقوق الفرد وواجباته والقانون المبول ديمقراطياً لتحقيق سعادة المجتمع ورفاهيته .

٦ ـ مرحلة اخلاق الضمير ومبادىء الفرد وهنا يمتثل الفرد للقيم الخلقية لكي يتحاشى الادانة الذاتية اي ادانة ذاته بلومها والشعور بالذنب وتأنيب الضمير ذاتياً . وهناك يكون الطفل قد امتص قيم الجماعة ومعاييرها ومثلها واصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانه الشخصي ومن ضميره الذاتي .

وهكذا يبدأ الطفل من مرحلة ما قبل اللااخلاق إلى المرحلة الأخيرة التي نطلق عليها مرحلة المبادىء الخلقية moral princiles تلك التي اصبحت تحكم سلوكه .

ولقد اهتم كثير من العلماء بدراسة قدرة الطفل الصغير على مقاومة الإغراء Temptation لعمل شيء ممنوع أو حرام .

كأن يترك الطفل وحده في الغرفة وفيها كمية من الحلوى الشهية التي يؤمر بعدم تناولها ، أو يؤمر بعدم اللعب بلعبة جميلة ، أو اعطائهم الفرصة لتعديل اجاباتهم للمسائل الحسابية في غيبة المعلم خارج حجرة التدريس . أو تكليف الطفل بحراسة حيوان معين وألا يهرب منه الحيوان . ولقد وجد في مثل هذه الدراسات أن الأناث من الأطفال أكثر قدرة على مقاومة الإغراء عن الذكور ، وإن كان الفرق الملاحظ بسيطاً .

ولا ينبغي أن نستهين بمرحلة الطفولة ذلك لأنه يقال ، بحق ، إن ا لطفل أبو الرجل child is father of The man وذلك لأن مرحلة الطفولة وخبراتها تنعكس على الشخصية في مرحلة الرشد والكبر . ولقد أجريت كثير من الدراسات التتبعية التي تتبعت مجموعة من الأطفال منذ طفولتهم حتى وصولهم إلى مرحلة الرشد وخضعوا لمقابلات دورية كل عدة سنوات . ولقد لوحظ وجود أرتباطات إيجابية في السمات العقلية والتلقائية في السلوك في مراحل العمر المختلفة وتعكس مثل هذه الدراسات اهمية عملية التطبيع الاجتماعي في

الطفولة المبكرة Socialisation وهي العملية التي يصبح الطفل بموجبها كائناً اجتماعياً يرعى العادات والتقاليد والقيم والمثل السائدة في مجتمعه ويؤمن بالتعاون والأخذ والعطاء وإقامة العلاقات الايجابية مع غيره ، والخبرة الدينية والشعور الديني من اقوى المشاعر في الانسان منذ أقدم العصور . ولقد حاول وليم جيمس حصر هذه الخبرات على تنوعها ووصفها وبيان فائدتها ولا سيما على السلوك الخلقي ولقد وجد أن الطفل يتقبل في بداية حياته القيم الخلقية من الآباء والأمهات والكبار عامة ثم يفكر فيها ومناقشتها ويبحث في قيمه السابقة وقيم المجتمع والحكمة التي تمكنه ورائها . وتمكنه قواه العقلية الناضجة في مرحلة المراهقة من التفكير في المعاني الخلقية المجردة او المعنوية كالخير أو الشر والعفة والفضيلة والكرم والإيثار والكرامة والرذيلة . . . . الخ .

وفي مرحلة المراهقة تنتشر العواطف المثالية والإنسانية بين المراهقين وكذلك نزعات الزهد والتصوف فنجدهم يهتمون بالعطف على العجزة والايتام والشيوخ والمرضى والمشردين وضحايا الحروب ، ولذلك يشتركون طوعية في المشروعات التي تستهدف مساعدة هؤلاء المحتاجين .

وعندما يتبين للمراهق انه يصعب عليه تنفيذ مثاليته هذه فإنه ينزع نحو الواقعية ، ولكن يمر قبل وصوله إلى الواقعية برحلة شك فيما اكتشفه من قيم . وبالنسبة للنمو الديني فإن قدرة الطفل الصغير لا تقوى على ادراك المفاهيم المعنوية المجردة كالخير والشر والتقوى والصلاح والجنة والنار والثواب والعقاب والبعث والخلود والقضاء والقدر والجبر والاختيار . . . . ولكن يدرك الأمور الحسية المحسوسة أو الملموسة التي تقع في دائرة ادراكه . وبتقدمه في السن يصل إلى مرحلة من النضج العقلي الذي يمكنه من ادراك فحوى هذه المفاهيم ويزداد شعوره بالتسامح الديني قبل ارباب الديانات الأخرى والحرية الدينية .

وهناك من يزعم أنه في فترة المراهقة والشباب يضعف الشعور بالدين ، ولكن معظم الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أسفرت عن بطلان هذا الادعاء ، ووجدت أن الغالبية الساحقة من المراهقين يؤمنون بالقيم الدينية ويرتادون أماكن العبادة . فالدين يمثل عاملاً قوياً في حياة شبابنا ، ومن ثم وجب العمل على تطوير مناهج التربية الدينية بحيث تتفق مع المستوى العقلي للطفل

في كل مرحلة ، كما ينبغي أن يتوفر لابنائنا القدوة الحسنة والمثال الطيب ذلك لأن الوعظ اللفظي لا يجدي ما لم يتفق ما نلقنه لابنائنا مع ما يلمسونه من سلوك فعلى للكبار . وليس صحيحاً ايضاً القول بأن التقدم العلمي يضعف الشعور الديني لدى الشباب إذ دلت الدراسات على أن ايمان الشباب بالدين أقوى من إيمانهم بأخلاقيات العلم ، بل أن تقدم الكشوف العلمية يزيد من رسوخ ايماننا با لله تعالى .

« الأدب في تنمية القيم »

لكل مجتمع من المجتمعات مجموعة من القيم التي تحفظ عليه حياته ، وتضمن استمراريتها ، والتي تساعد على تحقيق الأهداف التي ينشدها ، ذلك المجتمع ، كما تربط هذه القيم بين افراد المجتمع ، وتوجد بين صفوفهم وتجمع شملهم ، وتحقق التجانس في سمات شخصياتهم ، وتجعل التعامل امراً ممكناً بينهم ، واذا اختفت هذه القيم من حياة الناس ووجدانهم اصبحوا مجرد أفراد مستقل كل منهم عن الآخر ، ومن ثم فلا يكونون مجتمعاً بالمعنى الحقيقي ، ذلك لأن مجرد التجمع في مكان واحد لا يكوِّن المجتمع . ومؤدى ذلك أن القيم هي أداة الإلتحام والإلتصاق بين الناس ، وهي التي تضفي على المجتمع أهم خواصه وهي اجتماعيته ، وتضمن له البقاء والصمود والاستمرار ، وتحقق التآلف بين افراده ، وبذلك تصبح القيم ضرورة حتمية لكي يحافظ المجتمع على حياته ، ذلك لأن ضعف القيم يؤدى الى ضعف المجتمع وتفكك افراده ، بل الى نشوب الصراع والتناحر والتطاحن بينهم . وفوق ذلك فالقيم أداة قوية من أدوات الضبط الاجتماعي ومعيار السلوك الراقي المهذب .

واذا كانت للقيم هذه القيمة ، فأننا لا بد وان نتعرف عليها ، ثم نعمل على تنميتها وازدهارها وتدعيمها وابتكار القيم التي تتلائم مع اهدافنا الحالية ، والمعروف أن لكل عصر في حياة المجتمع قيمه التي تناسبه دون غيره من العصور . وإن كانت هناك قيماً عامة ثابتة تصلح للمجتمع في كل العصور . من تلك القيم التي ينبغي أن تظل راسخة ، والمستمدة من تراثنا الحضاري قيم الحق ، والعدل ، والجمال ، والخير ، والمساواة ، والحرية ، والاحترام ، والتراحم ، والتعاون ، والتكافل ، والشفقة ، والرحمة ، والزهد ، والقناعة ، والشرف ، والأمانة ، والصدق ، والعفة ، والحب ، والإخاء ، والشجاعة ، والاقدام ، والبر ، والتقوى ، والصلاح ، والنضال ، والصمود ، والصبر ،

والمثابرة ، والمعروف ، والإيمان . كذلك فإن هناك قيماً اخلاقية كالوفاء ، والإخلاص ، وهناك قيماً دينية كالزهد والتضحية ، والشهادة ، وهناك قيماً اقتصادية كالعمل . وهناك قيماً اجتماعية كفكرة الأسرة ، وفكرة التضامن .

هذه نماذج من القيم الأصيلة النابعة من تراثنا الحضاري ، والتي ينبغي الحفاظ عليها والعمل على تأصيلها وترسيخها . وهناك قيم جديدة جاءت على لسان المصلحين والعلماء كقيم الطهر والطهارة : طهارة القلب ، وطهارة اليد ، والعمل كقيمة اجتماعية ونفسية الى جانب قيمته الاقتصادية ، والعدل ، واحترام القانون كقيمة ، وبسط سيفه على كافة افراد المجتمع ، مهما كانت مواقعهم او انسابهم . ومن المعاني ذات القيمة الكبيرة التي يهتم بها العهد اذكاء الروح الوطني والقومي والإخلاص لمصر والتضحية من اجلها والانضباط والجدية والعمل والانتاج والادخار .

وإذا كانت هذه هي قيمنا التي نسعى لتدعيمها وتقويمها آو غرسها في نفوس النشيء وتنميتها وترسيخها في الأذهان ، وهي لا شك قيم بناءة وايجابية ، فأننا نتساءل عن دور . . الأدب في تنمية هذه القيم وفي الدعوة لظهور قيم ايجابية نافعة جديدة تسهم في سعادة المجتمع ، ورفاهيته ، وتقدمه ، ورخائه ، وازدهاره ، وصلابته ، وتماسكه ، وصفائه ، ونقائه ، وطهارته ، وتحرره من رواسب الانحراف ، والفساد ، والتطرف ، والتسلط ، والقسوة ، والعنف ، والتسيب ، واللامبالاة ، والتواكل ، والرياء ، والنفاق ، والمحسوبية ، والرشوة ، والإسراف ، والبذخ ، والضعف ، والاستهتار ، والإستهزاء والدعوة للجدية والقضاء على المظهرية ، ومحاربة« الشللية » ، والوصولية ، والانتهازية ، والاستحواذية ، والبطش ، والجبروت ، والضلال ، واستغلال النفوذ ، وتقع على الأدب مسؤولية كبيرة في تنمية القيم الايجابية المبدعة والخلاقة وتحرير المجتمع وتخليصه من شوائب الماضي ، وكشف القناع وتمزيقه عن الذين اساؤا إلى الشعب ، والذين استغلوا نفوذهم ، والذين ما يزال بعضهم قابعاً وجاثماً على صدور الناس حتى تأتي الباعة التي تمتد إليهم يد العدالة . وامام هذه الوظيفة المزدوجة يصبح للأدب المصري المعاصر أهمية تاريخية هادفة لا بد أن يؤديها . وفكرة الأدب للأدب لم تعد مقبولة في مجتمع يلهث انفاسه في سبيل اللحاق بركب حضارة العصر ، ويريد أن يسرع الخطي في التطور ، وان يبتر

العناصر الفاسدة فيه بلا مهادنة او تراخ ، ولذلك لا بد من تسخير كل جهد وكل طاقة في سبيل إصلاح المجتمع وتحقيق سعادته ورفاهيته وتقدمه حتى نتمكن من اللحاق بركب حضارة العصر ، وحتى نقضي بحسم على الحالات المتطرفة التي ساعدت ظروف الماضي على ظهورها .

للأدب المصري اذن في هذه المرحلة التاريخية دور وطني وقومي بالغ الأهمية يؤثر في عقول الناس ووجدانهم ويستحس ضمائرهم ويرسخ في عقولهم ، ويوجه طاقاتهم نحو الخلق ، والخير ، والابداع ، والعمل الوطني ، بكل تفان وتجرد ووفاء ، ونبذ افكار الأنانية ، والكسب الشخصي ، وتحقيق المصالح الذاتية . على الأدب اذن ان يكون هادفاً ، بناءاً ، وان يوجه الشباب الى الفضيلة والى إعلاء كلمة الحق وانتصار الخير في النهاية مهما طال الأمد .

وعلى الأدب ان يكشف القناع عن الأمراض الاجتماعية ، وأن يلفت اليها الانظار ، وان يوجه اليها السلطات حتى تعالجها وتحسم امرها ولكي يدعوا الأدب لانضباط الحياة . لا بد ان يكون هو نفسه ادباً منضبطاً ، ملتزماً بالقيم الانسانية مستهدفاً تنمية الذوق الرفيع في الناس وتخليصهم من العادات السلبية والسيئة ، ووضع الحلول للمشكلات التي يعاني منها المجتمع وبالطبع لا تعني هذه الدعوة أن يتحول أدبنا المصري الى وعظ وارشاد مباشر وإنما المقصود أنه الى جانب المتعة من العمل الأدبي يجب ان يكون نافعاً . وهادفاً ، وان يعايش العصر ويسهم في تحقيق اهداف الأمة ، ويعالج مشكلاتها ، ويرتفع بذوق ابنائها ويصون لها كرامتها ، وقيمها ، ومثلها العليا ، ومبادئها النافعة ، وأن يحارب النفعية والانانية والجشع ، والكسب غير المشروع ، واستغلال النفوذ ، والانحراف بالسلطة ، والاستبداد ، والتسلط ، والعنف ، وان يميط اللثام عن خفايا حياتنا وان يبرز أمجادنا ويعالج مواطن الضعف في حياتنا ، بالطبع بأسلوب الأديب العربي الذي عرف بمهارته الخارقة .

لا شك أن الأدب العربي اذا اتخذ هذه الوجهة وسارع الأديب الى معايشة أحداث العصر فسوف نستمتع بأدب جديد ، يختلف عن أدب الستينات أو ما يمكن ان نسميه « أدب مراكز القوى » وسوف يختلف تماماً عما يمكن تسميته بأدب « الاشتراكية » وسوف يبرز معالم الأدب الجديد كآداب السلام ، وآداب الاصلاح ، وآداب الطهر والطهارة ، والصفاء ، والنقاء ، والجدية ، والصدق ، والمصارحة ، والاخلاص ، والامانة .

« الاصول الاسلامية للتربية العلمية والنفسية للطفل المسلم »

التربية الشمولية :

انطلاقاً من الاتجاه التربوي الحديث في تحقيق التربية الشـاملة للطفل فاننا نشير هنا الى ضرورة الاهتمام بما يمكن ان يسمى التربية العلمية والنفسية للطفل ، فاذا كانت التربية الحديثة تتسم بالشمولية[١] ، بمعنى استهدافها تنمية جميع جوانب شخصية الطفل ، فان من الجـوانب الهامـة في الشخصية تلك الجوانب العلمية والنفسية . لقد اصطلح علماء التربية على وجـود ما يسمى بالتربية البدنية او الرياضية او الجسمية ، كما إتفقوا على ضرورة الاهتمام بالتربية الفنية او الموسيقية او الزراعية والتربية الدينية والتربية الاخلاقية والتربية الوطنية ، فعلى غرار هذا يجب ان تفرد التربية الحديثة جانباً من اهتمامها للتربية النفسية للطفل[٢] بحيث تستهدف تنمية سماته وقدراته العلمية وبحيث يصبح قادراً على اصدار الاحكام الصائبة وعلى الاستدلال المنطقي السليم وبحيث يمتلك ناصية المنهـج العلمي في تفكيره وفي سلوكـه ، ومن ثم لا نراه يقفـز في احكامـه العقلية ، او يسرف في تعميمـاته ، وانمـا يتوخى فيمـا يفعل او يقـول الدقـة والموضوعية ، والحياد ، ويبحث عن الادلة والبراهين والشواهد والقرائن التي تؤيد فكره او تعارضه . فعلى التربية الحديثة ان تنمي في طلابها روح العلم والايمان بالاتجاه العلمي اي الايمان بالحقائق المنطقية والواقعية المجردة البعيدة عن الاهواء الذاتيـة وشطحـات الميول الـذاتية او الاهـواء الانفعاليـة ومظاهـر التعصب والتحيز والتطرف ، وبذلك يتعلم الـطفل ان يقف من الـظواهر التي يدرسها موقفاً محايداً من الناحية الانفعالية فلا يتأثر باهـوائه وآرائـه وتعصباتـه وتحيزاته الذاتية ، وانما يترك التجربة والملاحظات والمنطق الكلمة الاخيرة[٣] . ومن هنا يتعين ان يتصف فكره بالمرونة وعدم الجمود او التمسك المفرط بالرأي والتشبث او التصلب او التطرف .

فالتربية المنشودة يجب ان تعنى بعقل الطفل ونفسه وروحه كعنايتها ببدنه .

التربية النفسية :

اما التربية النفسية المنشودة فينبغي ان تستهدف صقل سمات الطفل النفسية وتنميتها وتحرير نفسه من الشوائب والعوالق ومن العلل والامراض ومن العقد والازمات ومن مشاعر النقص ، والدونية او من لهيب الحقد والغيرة والحسد والغل والانتقام والثأر والبغض والكراهية والطمع ولجشع والاستحواذ . وعلى التربية ان تطهر نفس الطفل مما قد يتأجج بداخلها من مشاعر الانتقام والعدوان او من رغبة في التحطيم والتدمير او في الدس والكيد للناس او من عادات الغش والخداع والرياء والمداهنة والنفاق والسلبية واللامبالاة .

ومن هنا يتعين على التربية ان تجعل نفس الطفل سوية صافية ناصعة البياض بعيدة عن الحقد والغل ومتمتعة بالشعور بالرضا والسعادة والثقة بالذات واحترام الذات والقناعة والزهد والتقوى والورع وغير ذلك من الصفات النفسية الحميدة كالتعاون والايثار وحب السلم والمسالمة والايمان بالاخاء ومد يد العون للآخرين والتمسك بمبادىء الخير والحق والعدل والجمال ذلك لان تربية النفس لا تقل اهمية ولا شرفاً عن تنمية البدن بل انها تفوق تربية البدن قيمة وقدراً ، ذلك لان النفس هي التي تحرك البدن وهي التي توجهه الوجهة الصالحة وهي التي تكبح شهواته وتضبط سلوكه . وليس هناك ابلغ من تعبير القرآن الكريم في تقدير دور النفس وجعلها محور صلاح الفرد والمجتمع كما في قوله تعالى : ﴿ **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** ﴾ الرعد ١١ . ويصدق هذا المعنى في الدعوة لتقويم النفس في قول الشاعر :

صلاح أمرك بالأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرها في مرتع وخم

والنفس في حاجة الى التقويم والاصلاح والى العناية والرعاية والعلاج والتربية والتغذية والتنمية شأنها في ذلك شأن البدن ، لانها قابلة للفجور على حد التعبير القرآني الكريم : ﴿ **ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها** ﴾ الشمس ٧ . والنفس الصالحة المؤمنة محور صلاح الفرد ، فالنفس اللوامة هي

التي تهـذب من سلوك صاحبهـا وهي التي تقوده الى العمـل الصالـح الـذي يـرضى الله وينفع النـاس ﴿ ولا اقسم بالنفس اللوامـة ﴾ القيامـة ٢ . فالتـربية النفسية المنشودة تستوجب توجيه الاهتمام الى نفس المتعلم فتهـذبها وتنميهـا وتحررها من الدنس والارجاس والشوائب والاغلال ، وتغرس فيها قيم الايمان والحق والعـدل والاخاء والمسـاواة والتعاون والبـر والاحسان لقـولـه تعـالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ المائـدة ٢ . وتحمل المسؤوليّة والايثار والتواضع والتراحم والتعاطف والعفو والصفح والشكر والحمد والتسبيح والتوبة مع الاتسام بـالجديـة وحب الجهاد في سبيـل اعلاء كلمة الله وارساء قواعد الحق في المجتمع ، فالجهاد في سبيل الله أسمى اماني المسلم والكفاح والنضال وحب العمل والاكل من كد اليد ، سلاحه في الرفعة والارتقاء ويربي الاسلام الحنيف ابناءه على الايجابية والتصدي للظلم والفساد والانحـراف والتسيب . « فمن رأي منكم منكراً فليغيـره بيده فـان لم يستـطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » البخاري[٤] .

بل ان المسلم الحق يدعو الناس للتعاون على البر والتقوى ويحرص على تحقيق التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية والاسلامية ويمد يده دائماً لنصرة اخيه المسلم « انصر اخاك ظالماً او مظلوما ، قيل : أرأيت انصره ان كان مظلوماً يا رسول الله ، فكيف انصره وهو ظالم ؟ قال : بأن تمنعه من الظلم » البخاري .

سمات التفكير العلمي :

والتفكير العلمي يختلف عن التفكير الخرافي او الارتجالي العشـوائي ، فهو تفكير منظم يستدل فيه الانسان من الامور المعلومة على الامور المجهولة ، اي ينتقل فيه الذهن من الادلة او المقدمات والشواهد والبراهين الى الاحكام او النتائج . ولهذا اللون من التفكير نمطان :

١ ـ الاستقراء Induction وفي ينتقل الذهن من الامور الجزئية او من الحالات الفردية الى الحكم العام او القضية العامة او التصور الكلي . فالانسان في عملية الاستقراء ينتقل من الجزئيات الى الكليات كقـولنا الحـديد يتمـدد بالحرارة والرصاص يتمدد بالحرارة والقصديـر يتمدد بـالحرارة . . . « اذن المعادن تتمدد بالحرارة » .

هذا النمط الاستقرائي من التفكير او الاستدلال هو السائد في العلم وهو دائماً ناقص لأن الانسان لا يستطيع ان يحصر أو ان يجري تجاربه على جميع المعادن الموجودة في العالم المكتشف فيها وما لم يكتشف بعد . وهو مع ذلك نوع مفيد من التفكير لانه يضيف جديداً لمعلوماتنا ويوصلنا الى القضايا الكلية « المعادن تتمدد بالحرارة » .

ب - النمط الثاني من التفكير هو الاستدلال Deduction ويسير الذهن فيه في عكس اتجاه النوع الاول ، بمعنى انتقاله من الكليات او التصورات والمفهومات الكلية الى القضايا او التصورات الجزئية كقولنا :

اذا كان كل انسان مائت .

واذا كان سقراط انسان .

اذن سقراط مائت .

وهو لا يضيف جديداً لمعلوماتنا ، لان النتيجة متضمنة اصلاً في المقدمة الاولى . ويستخدم هذا النمط من التفكير في الرياضيات وبدون التسليم بالمقدمات لا يصل الذهن الى النتائج .

خطوات التفكير العلمي :

وللتفكير العلمي خطوات يتعين ان يمر بها الذهن حددها عالم التربية الامريكي جون ديوى(٥) فيما يلي :

١ - الاحساس بوجود مشكلة تواجه الفرد ويسعى لحلها .

٢ - وصف هذه المشكلة وتحديدها ومعرفة ابعادها .

٣ - وضع الفروض اي الحلول المبدئية التي تصلح لها .

٤ - التحقق التجريبي من صحة كل فرض من هذه الفروض او التأكد من بطلانها .. فما يتفق مع التحقق التجريبي يبقيه وما دون ذلك يحذفه او يعدله .

٥ - اصدار الحكم او اتخاذ القرار وحل المشكلة .

وقوام المنهج العلمي دعامتان هما الملاحظة Scientific obseeration او المشاهدة او المعاينة الدقيقة والمقصودة وخلالها يسجل المفكر الظاهرة ويرصدها كما هي موجودة بالفعل في عالم الواقع .

أما الدعامة الثانية هي التجربة Experiment وتعنى اصطناع الظاهرة المراد دراستها اصطناعاً ، .فيتحكم المفكر في الظروف والملابسات التي تحدث الظاهرة في ضوئها ويضبط ما يشاء من العوامل . وتكون للتجربة والملاحظة الكلمة الحاسمة في تشكيل عقلية الفرد .

كذلك يتسم التفكير العلمي بالموضوعية Objectivity والبعد عن الاهواء الذاتية ، ومعنى ذلك ان المفكر العلمي يتوخى الصدق والامانة والصراحة والوضوح . ومن هنا كان العلم أداة من أدوات حرية الانسان ومظهراً من مظاهر الحرية . فلا علم في ظل العبودية والقهر .

غرس عادات التفكير العلمي :

واذا اردنا ان نغرس في اجيالنا الصاعدة عادة التفكير العلمي ، علينا ان نربيهم على حب العلم وطلبه والسعي من اجله . وكما تقول الحكمة « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وكذلك « اطلبوا العلم ولو في الصين » . كذلك علينا ان نربيهم على احترام العلم والعلماء وتوقيرهم واعطائهم حقهم من التقدير والاهتمام اهتداء بقوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ الزمر ٩ . وقوله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات** ﴾ المجادلة ١١ . وقوله عز وجل : ﴿ **انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور** ﴾ فاطر ٢٨ .

وفوق كل ذلك يتعين ان تهتم مجتمعاتنا العربية والاسلامية بنشر العلم وتوسيع قاعدته ، لان العلم اصبح سلاح الامم في التقدم والرقي وفي تحقيق الرخاء بل حتى في تحقيق السلام والرفاهية الاجتماعية والاقتصادية .

العلم النافع فقط :

ولكننا لا ندعو لأي نوع منم أنواع العلم ، وانما العلم الاسلامي ، اي العلم النافع للناس جميعاً ، والقائم على اساس تحقيق الخير لا الشر ، البناء لا التدمير ، النفع لا الضرر ، اي العلم المرتبط بالاخلاق وبالقيم الدينية والروحية النابعة من تراثنا الاسلامي الاصيل .

ومن هنا كانت ضرورة عملية تطويع العلوم الغربية وصبغها بالصبغة

الاسلامية لابعادها عن شرور الحرب والخراب والدمار واستخدامها في اذلال الشعوب والتسلط والسيطرة عليها . ولذلك علينا ان نقوم بعملية غربلة التراث العلمي الغربي ولا نأخذ منه الا ما يتفق مع قيمنا الاسلامية ، وبعبارة اخرى ينبغي ان نؤيد تلك الحركة المباركة التي تسعى « لأسلمة العلوم الحديثة » وجعلها اسلامية في غاياتها ووسائلها . وعلى ذلك فالمفكر المسلم لا يؤمن بمقولات المادية البغيضة كالغاية تبرر الوسيلة او البقاء للأصلح او القوة فوق العدل او فرض سياسة الامر الواقع او التحالف مع الشيطان من اجل النصر . . . كلها معايير يحرر الاسلام ابناءه منها . فما احرانا ان نعود الى حظيرة اسلامنا الحنيف .

اهمية التزود بالعلم في الحياة المعاصرة :

ولا شك اننا في عصر العلم ومنجزاته ، والحقيقة ان التراث العلمي هو اعظم انجازات الانسان على هذا الكوكب

The story of science is a record of one of man's greatest intellctual achievements

والعلم إن هو في جوهره سوى سلسلة من الكفاح المتواصل ضد الجهل Ignorance والخوف والهلع والفزع والخرافة والشعوذة . فلقد قهر الانسان بالعلم ظلام الجهل وكشف غموض الطبيعة واخترق آفاق الفراغ الجوي الفسيح وبدد ظلام الغموض في حياته الارضية . ولقد سار العلم في عصرنا هذا بخطوات سريعة ، لدرجة انه يقال اننا تعلمنا عن كوكبنا هذا وعن سكانه في هذا الجيل وحده ما يزيد عن المعارف العلمية المتراكمة كلها .

،«We have learned more about our universe and the inhabitants of our planet in one generation more than was learned through the accumulated total of all scientific knowledge up to the twentieth century.[٦]

ولكن رغم هذا التقدم العلمي الهائل الا انه لم يحدث في كل فروع المعرفة بصورة متوازية . فلقد تفوقت الجوانب الطبيعية والفيزيائيية من العلم على الجوانب الانسانية والاخلاقية الروحية وحدثت هوة سحيقة بين التقدم التكنولوجي والتقدم في العلوم الانسانية التي تستهدف معرفة الانسان بذاته

وبداخله . ولذلك يتعين علينا توجيه مزيد من الاهتمام نحو العلوم الانسانية ، ذلك لان العلم والتكنولوجيا العصرية قد امدتا الانسان بقوة هائلة ولكن لم تمده بكيفية ضبط هذه القوة ضبطاً اخلاقياً وانسانياً ولذلك لم يكن غريباً في ضوء علم لا توجهه الاخلاق ان نرى الدمار الذي احدثته القنابل النووية التي القيت على اليابان .

المراجع :

١ ـ صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس ، دار المعارف بمصر .

٢ ـ عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس والانسان ، دار المعارف بمصر .

٣ ـ عبد الرحمن العيسوي ، القياس والتجريب في علم النفس والتربية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . مصر .

٤ ـ الامام البخاري صحيحه ,

٥ ـ جون ديوى « كيف نفكر » .

٦ ـ Chaplin, J. P. and krawiec, T. S., Systems and Theorics of Psychology, London: Holt, Rune-hart and Winsten, 1970, (anded).

٧ ـ عبد الرحمن العيسوي ، النمو الروحي والخلقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر .

الآثار النفسية لحياة التدين

يتساءل كثير من علماء النفس والتربية عن الآثار التي تتركها حياة التدين في شخصية الفرد وطباعه في هذه الدنيا إلى جانب قيمتها الاكيدة في الحياة الآخرة .

وإذا كان للدين ، أي دين ، قيمة في الحياة الدنيوية فإن لديننا الاسلامي قيمة اعظم من كافة الاديان باعتباره دين دنيا وآخرة . فالدين الاسلامي الحنيف ينظم حياة الفرد والجماعة تنظيماً قائماً على اساس من العدل والحكمة والتعاون والاخاء والتكافل .

وإذا ما تأملنا في الآثار التي يتركها الدين الاسلامي سواء في جوانبه العقائدية أو السلوكية لوجدنا ان له أعمق الاثر على نفسية الفرد وحياته العقلية والروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية . فلقد دلت الدراسات النفسية الحديثة أن حياة التدين تساعد المؤمن على التمتع بالصحة العقلية والسلامة النفسية وتحميه من الاصابة بالامراض النفسية والعقلية إلى الحد الذي جعل بعض العلماء من امثال عالم النفس كارل يونج يستخدم الدين منهجاً في علاج مرضاه وذلك باعادتهم إلى حظيرة الدين ومظلته الظليلة وإلى فكرة الايمان . الانسان المؤمن يشعر دائماً بأن هناك سنداً قوياً ورحيماً يقف بجانبه يرعاه ويشد ازره في الشدائد . ففكرة القضاء والقدر تجعله يتحمل في صبر ما قد يعن له من ازمات ويتغلب عليها دون ان تنال فيه بقدر ما تنال من الشخص الملحد فاقد الايمان . لذلك فان فكرة الصواب والعقاب وفكرة الجنة والنار تدفعه إلى ان يسلك راضياً وطائعاً مختاراً السلوك القويم وينبذ . سلوك الشر والخطيئة وتجعله يؤمن انه سيلقى جزاءه الحسن في الحياة الآخرة .

ومن شأن فكرة الخلق والبعث ان تجعل للحياة الحاضرة قيمة ومعنى ومغزى في نفس المؤمن وبدون هذه الافكار فان الحياة تضحى مجرد عماء مادي

صرفاً لا هدف لها ولا قيمة من ورائها ومن ثم يشعر الفرد بالضياع في وسط محيط من الفوضى والاضطراب .

والواقع ان الدين الاسلامي مدرسة روحانية وسلوكية وخلقية واجتماعية شاملة تصقل شخصية المؤمن وتهذبها وتنمي فيها دوافع الخير والعفة والفضيلة والرحمة والتعاون وتغرس فيه مبادىء خلقية قويمة كالاخاء والاخذ والعطاء والتعاون « حب لأخيك ما تحبه لنفسك » . ومن شأن الايمان الديني ان يجعل صاحبه يتحلى بالتواضع والايمان وبالمساواة : « لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى » . لذلك يلعب الدين دوراً اساسياً في شعور الفرد بالاطمئنان والرضا والقناعة والزهد في الملذات والشهوات وفي مطالب الحياة المادية ومغرياتها . ويساعد الدين صاحبه على الشعور بالامن والامان النفسي الذي يقف سداً منيعاً ضد الاصابة بالامراض النفسية التي يساعد على انتشارها في عصرنا الحاضر نزعات المادية والنفعية والفردية والانانية والوصولية والطمع وتؤدي العبادات بمن يؤديها إلى ان يشعر بالحب تجاه اخوته بني الانسان وإلى ان يمد لهم يد العون . والمعروف ان الانسان اذا استطاع ان يسعد غيره من الناس فإنه يشعر هو بدوره ـ عن هذا الطريق ـ بالسعادة . وتؤدي حياة التدين إلى الشعور بالصفاء والنقاء والطهارة والهدوء والراحة . فالصيام يعود الصائم على الطاعة . . طاعة الله تعالى ويعوده الصبر والجلد وينمي فيه قوة التحمل والصلابة وقوة الارادة . وهو في جوهره تطويع للقوى الشهوانية في الانسان للقوى الروحانية السامية فيه بحيث يكون لها السيطرة والغلبة . كذلك فإن الصيام يجعل الصائم يحس بما يحس به الفقير أو المحروم من الجوع . والحرمان فيعطف عليه ويعطيه مما ملكت يداه مما يؤدي إلى شعورهما معاً بالسعادة والرضا . كذلك فإن الصلاة والوضوء يساعدان على شعور المؤمن بالنظافة والطهارة . ان لم تكن رأس العبادة الصلاة لكانت من العادات المحبوبة : طهارة اجسام ورياضة البدن . وهي فوق كل ذلك عبارة عن مناجاة روحية بين الرب والعبد واتصال روحي بين الخالق والمخلوق . وعن طريق الصلاة تنمو مشاعر الخشوع والتقوى والورع . وفي سجود الكبير مع الصغير ازكاء للشعور بالمساواة والتواضع ونبذ التعالي والمكابرة ، فالجميع سواسية لا فرق بين غني وفقير وهي فرصة لجمع الشمل وتوحيد الصف . وهي بحق تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وفي ذلك

تقويم واصلاح لسلوك الفرد ، والسلوك القويم علامة من علامات الصحة النفسية وعن طريق هذا الاتصال الرحماني بين العبد وربه يشعر المخلوق بالسعادة والرضا اللذان ينعكسان على صحته النفسية والعقلية والوجدانية . وتنمو مشاعر المشاركة الوجدانية عن طريق هذا النشاط الجماعي الديني ولا سيما في صلوات الجماعة والتدين يعد غذاء صافياً للروح . والانسان المؤمن تختفي عنده مشاعر الخوف والهلع لانه لا يخشى الا الله تعالى ومن يخاف من الله لا يخاف من العبد ولذلك يتسم سلوكه بالشجاعة الادبية والاقدام والشجاعة وهي من علامات الصحة العقلية فالإيمان سلاح المؤمن في معركة الحياة . وتؤدي الزكاة إلى تماسك المجتمع وتكافله وشعور افراده بالتعاون وبالانتماء إلى جماعة بشرية واحدة حيث يساعد القوي الضعيف ويعطف فيه الغني على الفقير ويسد حاجته . واشباع الحاجات المادية أو النفسية من العوامل المؤدية إلى التمتع بالصحة النفسية ، وإعطاء الغني للفقير يزيل مشاعر الحقد في نفس الفقير . كذلك فإن من يخرج الزكاة يشعر بالرضا والسعادة والغبطة نتيجة لاسعاده الغير وللوفاء بتكليف من التكاليف الدينية التي فرضها الله تعالى علينا . وفيها ازكاء لروح الطاعة والمثول لاوامر الله تعالى ذلك لان العقوق والعصيان من بشائر المرض النفسي . والانسان الممتثل للاوامر الشرعية انما هو انسان سويّ . واذا وجهت الزكاة للاقارب من الفقراء فإن ذلك معناه توطيد لصلات الرحم . وفي فريضة الحج تحقيق لمبدأ المشاركة الوجدانية بين طوائف المسلمين في شُتى مشارق الارض ومغاربها . وفيه ازكاء للروح الجماعي الاسلامي بدلاً من الروح الفردي وهنا تنمو مشاعر انتماء المسلم إلى جماعة الاسلام الكبرى مما يساعد على زيادة الوحدة الاسلامية التي هي ولا فخر اقوى الوحدات سواء كانت وحدات جغرافية أو سياسية أو قومية . وتساعد فريضة الحج على شعور الفرد بالتوبة والغفران وزوال ذنوبه فيبدأ حياته من جديد على اساس من الاخلاق والتراحم والسلوك القويم والطهارة . هذا ولقد دلت الدراسات الميدانية التي اجريت في معظم بلاد العالم ومنها عالمنا العربي على وجود ارتباط قوي جداً بين الايمان الديني والسلوك الديني من ناحية وبين التحلي بالقيم الخلقية . ومن ذلك ما وجده كاتب هذه السطور في احدى دراساته على الشباب العربي من وجود ارتباط قوي جداً بين بعض القيم الخلقية كالصدق والامانة وقوة الضمير

والشعور بالذنب والوفاء والولاء والمسالمة والتعاون والاخذ والعطاء وحب الناس والعطف عليهم . . بين كل هذه القيم وبين الايمان بـالقيم الدينيـة وممارسـة الانشطة الدينية كالصوم والصلاة والزكاة والحج . كذلك دلت الدراسات على وجود ارتباط قوي بين المعرفة الدينية كمعرفـة مبادىء الـدين الاسلامي مثـلاً والشخصيات الدينية وبعض الآيات القرآنية وبين السلوك الخلقي . ومعنى ذلك ان الدين له اكبـر الاثر في النمـو الخلقي والتمسك بمبـادىء الفضيلة والعفة والصدق والامانة والولاء والـوفاء والاخـلاص والطاعـة واحترام الصغيـر للكبير والايثار وتقدير المصلحة العامة على المصلحة الخاصة واحترام القانون والنظام ونبذ عادات سلبية كالسرقة والكذب والرياء والنفاق والغيبة والنميمة والعـدوان والتسلط والغطرسة والتعـالي . والدسـائس والوقيعـة والمكر والـدهاء والانـانية والفردية والطمع والجشع . . وكلها من السمات التي ترتبط بالمرض النفسي اكثر من ارتباطها بالصحة النفسية . **فالدين عاصم من الذلل وعاصم من الاصابة بالامراض النفسية** . وهناك بعض الامراض النفسية التي تعد انحرافاً خلقياً بحتاً ومن ذلك ما يعرف باسم انحراف السيكوباتية وتعني العته الخلقي أو الجنون الخلقي أو فقدان الاحساس الخلقي . وينشأ هذا الاضطراب من عدم نمو ضمير الطفل نتيجة لانعدام التوجيه الابوي من مرحلة الصغر ذلك لان ضمير الطفل يتكون نتيجة لما يلقاه الـطفل من اوامـر ونواهي من الـوالدين فيعـرف الحرام والحلال والصواب والخطأ وبمرور الوقت يمتص الطفل قيم الآباء وتصبح قيمه هو ومعاييره هو . وتضحى جزءاً لا يتجزأ من كيانه الذاتي ومن ثم يعزف عن ارتكاب الخطأ حتى في غياب الوالدين أو من يمثل السلطة الخارجية ويصبح ضميره هو القوى الداخلية الرادعة التي تعاقبه على كل ما يرتكبه من اخطاء بل التي تمنعه وتجعله يقاوم إغراء السرقـة أو المعصية ، ولكن في حـالة ضعف تكوين هذا الضمير يصاب المريض بالسيكوباتية فلا يشعر بالذنب ولا يلوم نفسه ويصبح مغرماً بارتكاب المعاصي والجرائم وتتملكه مشاعر ودوافع الانانية والحقد والحسد والعدوان الخفي والعلني وتصبح الناس عنده مجرد ادوات أو وسـائل مـاديـة لا شعـور لهـا . . يمتص رحيقهـا ويستغلهـا ثم يلقي بهـا . في سلة المهملات . . ويمتاز هؤلاء المرضى بعدم الاستفـادة من التجارب والخبـرات السابقة . بل ان العقاب نفسه لا يؤثر في سلوكهم وتكثر حالات السيكوباتية هذه

بين محترفي . . . الاجرام ومرتكبي جرائم التزوير والتزييف والاختلاس والنصب والاحتيال والخداع والغش . ومن الواضح ان السيكوباتية لا تؤثر على ذكاء المصاب فيظل ذكياً ولكنه يستغل ذكائه في الشر وفي اشباع دوافعه الانانية والفردية والحقد والحسد والغيرة والعدوان . والاخطر من كل ذلك ان السيكوباتي لا يصلح معه العلاج . . وتظهر اهمية الدافع الديني منذ نعومة اظافر الطفل من حمايته من الاصابة بهذا المرض الخلقي الخطير ذلك لان الدين يقدم للطفل المثل الاعلى والقدوة الحسنة التي يهتدي بها ويقوم له نظاماً كاملاً من القيم والمبادىء وانماط السلوك ومعاييره التي تعمل بمثابة المنار الذي يرشده نحو السلوك السليم خلقياً وصحياً من وجهة نظر الصحة النفسية البحتة . فالسلامة الخلقية مدعاة إلى الصحة العقلية وكلاهما يرجعان إلى التراث الاسلامي الحنيف . **وعلى ذلك فالدين عامل من اقوى العوامل في الحفاظ على الصحة العقلية وسواء من حيث الوقاية أو العلاج** ولذلك وجب توفير اقصى درجات العناية بالتربية الدينية ونشر الوعي الديني القائم على اساس الفهم الصحيح للدين البعيد عن الفتور والاهمال والبعد ايضاً عن التزمت والتعصب الديني . . انما التعاليم الدينية السمحة التي يتعلم المسلم من خلالها رحابة الصدر وحب كل افراد البشر بل والتي يتعلم فيها حب نفسه والرضا عنها ذلك لان الغالبية الساحقة من علماء النفس قد استقر رأيها على ان حب الفرد لنفسه هو اساس حبه للاخرين ولا يوجد فرد يكره نفسه ويحب الآخرين والسلوك القويم مظهر من مظاهر التمتع بالدين والتمتع بالصحة العقلية والنفسية على حد سواء اننا نعيش في عصر مادي حيث يكثر فيه التنافس والتكالب وما احوجنا الى العودة إلى واحة الدين برحابة صدره الفسيح لتجد ذواتنا الغذاء الروحي المشبع . . ولنجد فيه الشفاء والدواء الناجح والعاصم من الذلل .

حقوق الطفولة الاسلام :

الإسلام دين حضاري راق يحترم الإنسان ويصون كرامته ويراعي آدميته أيا كان عمره طفلاً كان أم راشداً كبيراً ، ومهما إختلف موقعه في السلم الإجتماعي والإقتصادي فقيراً كان أم ثرياً قوياً أم ضعيفاً . فالناس سواسية كأسنان المشط . ولقد كرم الله الإنسان وجعله خليفته في الأرض لعمارتها وهيأ كل خيرات الدنيا الحلال وكل الطيبات من الرزق .

يهتم الإسلام بالإنسان منذ ولادته بل قبل ولادته من حيث صيانة الأسرة ووضع دعائمها القوية وكفالة حقوق كل من الزوج والزوجة ، والحث على حسن إختيار الزوجة من ذات الدين والأصل والخلق والجمال وجعل دستور التعامل بين الزوج والزوجة الألفة والمحبة والمودة والسكينة والرحمة .

ويخص الإسلام الحنيف على ملاطفة الطفل وخاصة اليتيم وغيره من الضعفاء والمساكين والبنات والنساء ودعا الإسلام للإحسان إليهم والشفقة بهم والتواضع في التعامل معهم وخفض الجناح لهم . كما في قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ الشعراء آية ٢١٥ . وقوله تعالى في الحث على العطف واللطف والرحمة مع الطفل اليتيم ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر﴾ الضحى ٩ . وقوله عزّ وجلّ ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ الماعون ١ ـ ٣ .

وقال تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ الكهف ٢٨ .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ :

أطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث في نفسه ، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ الأنعام ٥٢ . رواه مسلم . وعن أبي هريرة عائذ بن عمرو المزني ـ وهو من أهل بيعة الرضوان ـ رضي الله عنه أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها !!! فقال أبو بكر رضي الله عنه أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم فقال : أأغضبتكم ، قالوا لا . . . يغفر الله لك يا أخي » رواه مسلم .

قال رسول الله ﷺ « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه أبو داود باسناد حسن .

وقال رسول الله ﷺ : « علموا الصبي الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر سنين » رواه أبو داود والترمذي . وقال : حديث حسن ولفظ أبي داود مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين .

فمن حق الطفل المسلم أن يتعلم الصلاة وهو في سن سبع سنوات وإذا بلغ سن العاشرة ولم يقم بالصلاة ضرب على تركها حتى يتعود على الصلاة ويتعلمها ويرضي بها ربه .

ومن حق الطفلة الأنثى أن تنام بعيداً عن اشقائها الذكور ابتداء من سن العاشرة وذلك حماية الأنثى والذكر من الأطفال من الإنحراف أو الشذوذ أو العبث الجنسي . وفي ذلك صوناً للعفة والطهارة ومحافظة على العرض والشرف وتعويد الأطفال على السلوك النقي منذ الصغر .

وواضح أن الإسلام يفرق بين طفل السبع سنوات وطفل العاشرة حيث يصبح الطفل أكثر نضوجاً وأكثر قدرة على التمييز . ومعروف أن الطفل ، وفقاً لمفاهيم علم النفس الحديث ، يستمر في النضوج الجسمي والعقلي والعاطفي والإجتماعي والخلقي حتى يصل إلى سن المراهقة والشباب .

وفي هذا البيان لادراك المبدأ سيكولوجي هام وهو مراعاة الفروق بين الأطفال فما نطلبه من طفل العاشرة لا نطلبه من طفل السابعة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ومن ثم فلا يكلف الله الإنسان في الإطار الإسلامي ، بما يفوق قدراته واستعداداته

ومن حق الطفل كعضو في الأسرة المسلمة أن يرعاه والداه وأن يعلماه الصلاة وعلى رب الأسرة أن يعلم أفراد أسرته الخير ويقودهم إلى الصلاح حتى يقيهم شر عذاب النار . فمن حق الطفل الحماية من عذاب النار ومن اتيان المعاصي وارتكاب الآثام ، كما جاء في الآيتين : قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ (طه ١٣٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ؟ متفق عليه وفي رواية « انا لا تحل لنا الصدقة » وعن

أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد ربيب رسول الله ﷺ «كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحة ، فقال لي رسول الله ﷺ يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتي بعد (متفق عليه) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته (متفق عليه) .

فمن حق الطفل المسلم أن يتعلم التمييز ما بين ما هو حلال وما هو حرام ، بين الحق والباطل والمستحسن والمستقذر من الأشياء والأفعال . وبلغة العصر ، من حقه أن يتعلم أنماط السلوك الإجتماعي اللأئق ، وأن يتبع آداب المائدة وعادات تناول الغذاء بالشكل المهذب ومن حقه كذلك أن يتعلم ما هو ملك له وما هو ملك لغيره حتى يحترم حقوق الآخرين وممتلكاتهم وكما يقولون أن يتعلم معنى الحرية وأنها تنتهي حيث تبدأ حرية الغير . وإن الحرية الصحيحة هي التي تحترم حريات الغير وحقوقهم . وفي تحريم الرسول على حفيده الأكل من تمور الصدقة معنى احترام الملك العام أم المال العام وقدسيته وهو أمر أصبح ضرورياً في عصرنا هذا الذي استباح فيه البعض الأموال العامة وهدروها .

وفي تعلم آداب الطعام وعاداته الطيبة والصحيحة اسهام فيما يعرف اليوم بإسم التنشئة الإجتماعية للطفل تحيث يكتسب عادات المجتمع ومثله ومعاييره واعرافه ونظمه وقيمه وتقاليده السائدة والصحيحة حتى يشب مواطناً صالحاً .

ومن حقوق الطفل ، في الإسلام ، أن يتعلم كيفية تحمل المسئولية . فالمسئول راع حسبما كان مركزه في السلم الإجتماعي ، ومن هنا أصبح من حق الطفل أن يتعلم تحمل المسئولية والإعتماد على الذت والقيام بالواجب والوفاء بالوعود والعهود وأن كان يلزم لذلك أن نتبع معه اسلوب التدرج في تعويده تحمل المسئوليه ، وأن نكلفه بحسبما تحتمل قدراته واستعداداته وما تسمح به خبراته ومعارفه فلا نكلفه بما يفوق قدراته فيشعر بالفشل والإحباط وفقدان الثقة

بالذات ، ولا نترك كل فرص التعلم ، بحيث يشب خائفاً من تحمل المسئولية ، معتمداً على غيره .

ولعل ذلك يفسر ما نراه الآن من تهرب كثير من الموظفين الشبان وغيرهم من تحمل المسئولية والإعتماد على غيرهم والقاء مسئولياتهم على غيرهم . أما النهج الإسلامي فيعلم الإنسان تحمل المسئولية وتبؤ مقاليد القيادة والحسم في الأمور كل في موقعه . فالطفل المسلم مسئول في حدود إمكاناته وكما أننا نحن الكبار مسئولون عنه هو أيضاً مسئول بقدر ما تحتمل قدراته وتطيق .

ومن حق الطفل اليتيم في الإسلام أن يلقي من الرعاية ما يلقاه الطفل العادي بل يتعين أن نكون معه أكثر لطفاً وعطفاً وحناناً وشفقة . ودعا الإسلام إلى كفالة الطفل اليتيم ورعايته . ولكافل اليتيم أجر عظيم عند الله . كذلك يدعونا الإسلام لرعاية الطفل المسكين وجعل له حقوقاً لا بد من توفرها له . وبالمثل الطفل الفقير من حقه على المجتمع الإسلامي أن يلقى الرعاية الجسمية والنفسية والروحية والإجتماعية اللازمة .

قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما » رواه البخاري . وقوله ﷺ « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى .

وعنه ﷺ قال : « ليس المسكين الذي ترده التمرة » وفي رواية الصحيحين : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، إنما المسكين الذي يتعفف » متفق عليه .

وقال النبي ﷺ قال : الساعي على الأرملة والمسكين والمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال : « وكالقائم لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر » متفق عليه .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ، ويدعي إليها من يأباها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله . رواه مسلم . وفي رواية الصحيحين عن أبي هريرة من قوله : « بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء » وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه (رواه مسلم) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن ، كن له ستراً من النار » متفق عليه .

ومن حق الطفل أن يتعلم مبادىء المساواة والعدل والآخاء وتكافؤ الفرص والتعاون والرحمة والشفقة فيشب متحلياً بهذه الخصال الإسلامية الحميدة.

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت : جاءتني مسكينة تحمل إبنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منها تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها بنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال : إن الله قد أوجب لها بهما الجنة ، أو أعتقها بهما من النار رواه مسلم وقال النبي ﷺ : « اللهم أني احرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة حديث حسن بأسناد جيد. فقال النبي ﷺ : هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟ وعن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول ابغوني في الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » رواه أبو داود باسناد جيد وقال الله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ البقرة ٢٣٣ . وقال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسها إلا من آتاها﴾ الطلاق ٧ . وقال تعالى ﴿ ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ (سبأ) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : دينار انفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » رواه مسلم . وقال رسول الله ﷺ « افضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » رواه مسلم .

من حق الطفل المسلم أن تشبع حاجاته في المأكل والمشرب والملبس والمأوى وله علينا أن نعلمه مهنة أو حرفة أو صنعة يرتزق منها رزقاً حلالاً . ولذلك جعل الإسلام الإنفاق على الأهل والتوسعة على العيال من السمات الإسلامية في الشخصية المسلمة .

ولرعاية الطفل المسلم جعل الله الراعية حقاً في الجنة جزاء لما أنفق علي من خيرات الله فمن حق الطفل المسلم الإنفاق عليه ورعايته حتى يكبر ويشتد عوده وفي ذلك أسمى آيات التكافل الإجتماعي أو الضمان الإجتماعي وتماسك المجتمع ووحدته . على رب الأسرة في الإسلام إعالة أطفاله الصغار كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة الآتية :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « قلت يا رسول الله هل لي في بني أبي سلمة أجر أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا ، إنما هم بني ، فقال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم » متفق عليه . وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال : « وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في امرأتك » متفق عليه .

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا انفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة » متفق عليه . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « كفى بـالمرء أن يضيع من يقوت » رواه مسلم في صحيحه بمعناه قال : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « وما من يوم يصبح العبد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكاً تلفاً . متفق عليه .

وعنه عن النبي ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني ، ومن يتعفف يعفه الله » رواه البخاري .

الفصل التاسع

دور المرأة العربية المعاصرة في التنشئة الاجتماعية.

* تعريف التنشئة الاجتماعية.
* التنشئة الاجتماعية في ضوء الأنظمة الديمقراطية.
* التنشئة عملية مستمرة ومتصلة.

- نظريات تفسير عملية التنشئة الاجتماعية.
- نظرية التحليل النفسي.
- نقد نظرية فرويد.
- النظرية النفس اجتماعية في تفسير التنشئة الاجتماعية.

النظرية المعرفية الانمائية.

الأخلاق الموضوعية والأخلاق النسبية.

- نظرية التعلم الاجتماعي.
- النظرية الايثولوجية.
- عوامل هامة في عملية التنشئة الاجتماعية.
- دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.
- جوانب عملية التنشئة الاجتماعية.
- التنشئة الاجتماعية عملية شمولية.
- تعليم البنات.

دور المرأة العربية المعاصرة في التنشئة الإجتماعية .

مقدمة :

تمثل عملية التنشئة الإجتماعية والسياسية أهمية خاصة في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء ، لإنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها انسانيته ، ويمتص قيم المجتمع ومثله العليا ومعاييره وإنماط السلوك المقبولة فيه . كما يمتص مختلف جوانب ثقافة المجتمع بما في ذلك الدين واللغة والعلم والأخلاق والمهن والحرف السائدة .

وعلى ذلك فهي العملية التي تحيل الإنسان من كونه بيولوجياً حيوياً إلى كونه كائناً إنسانياً . وتساعد هذه العملية ، التي تؤدي إلى صقل شخصية الفرد وتكوينها ، إلى حسن تكيف الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وامتثالة لقيمه ومثله ومعاييره ، وبذلك تسهم هذه العملية في صناعة المواطن الصالح المؤمن بربه ووطنه وعروبيته ، والقادر على دفع عجلة الإنتاج القومي قدما إلى الأمام والقادر على إسعاد نفسه وإسعاد أسرته ومجتمعه . وعلى الرغم من أن هناك كثيرا من المؤسسات الإجتماعية التي تسهم في عملية التنشئة الإجتماعية ، بما في ذلك الأسرة والمدرسة والجامعة وأجهزة الثقافة الجماهيرية وما إلى ذلك ، إلا أن للمرأة دورا بارزا في هذه العملية الخطيرة التي يؤدي الإهمال فيها إلى خلق إنسان منحرف أو شاذ أو جانح أو مريض عقليا أو نفسيا . فما الذي نقصده بعملية التنشئة الإجتماعية ؟ نسوق أولا تعريفها وأهدافها نظريات تفسيرها في التصور الغربي الحديث ثم نستعرض دور المرأة العربية في هذه العملية الخطيرة .

تعريف التنشئة الإجتماعية :

فعلى حد تعريف جيمس دريفر (١٩٦٤) Drever .j أنها العملية التي يتكيف أو يتوافق الفرد ، من خلالها ، مع بيئته الإجتماعية ، ويصبح عضواً معترفاً به ومتعاوناً وكفئاً .

ومعنى ذلك أن عملية التنشئة الإجتماعية تساعد في حصول التكيف والتوافق بين الفرد ومجتمعه كما تساعد على تمتع الفرد بالشعور بالقبول والإنتماء وتجعله عضواً قادراً كفئاً متعاوناً يسهم في خير الجماعة ونفعها وليس مارقاً أو خارجاً عليها .

أما إنجلش English (١٩٥٨) فيعرف عملية التنشئة الإجتماعية بالإشارة إلى خصوصيتها بالنسبة للطفل حيث يعتبرها العملية التي بموجبها يكتسب الشخص ، وخاصة الطفل ، الحساسية للمثيرات الإجتماعية ، وخاصة الضغط والإلتزامات أو الواجبات الصادرة عن الجماعة أو عن حياة الجماعة Pressures and abligation of group life ويتعلم الطفل كيف يتعامل أو يشق طريقه في وسط الجماعة ، وأن يتصرف مثلها في إطار الجماعة أو الثقافة Culture المحددة التي ينشأ فيها ، وهي العملية التي يصبح الفرد بموجبها كائناً إنسانياً أو بشرياً إجتماعياً The process of becominga social being أو هي في الحقيقة نتيجة الفرد لهذه العمليات ، وتسهم في إكتساب الفرد سمات الشخصية .

ولكن التنشئة الإجتماعية لا ينبغي أن ننظر إليها على أنها إصطلاح مرادف لإصطلاح الشخصية[٣] وليست مرادفة للتعلم لأنها أوسع مفهوماً عن التعلم .

ويعرف كل من بيرلمان وكوزبي D .Perlman and P . Cozby (١٩٨٣) هذه العملية بأنها العملية التي بموجبها يعتنق أو يتقمص الناس قواعد أو قوانين السلوك السائدة في مجتمعهم ويسكبون الإحترام لقواعده[٤] بمعنى أن الإنسان يحترم قواعد المجتمع الذي يعيش في كنفه ومثله ومعاييره ونظمه وعاداته وتقاليده وإعرافه وعقائده . وسواء أطلقنا على هذه العملية التنشئة الإجتماعية Socialzation أو الإمتصاص أو الإستدخال Interalization أو نمو الضمير الخلقي Conscience Development فإن هذه العملية تصف كيفية إكتساب

أعضاء المجتمع معاييره Norms وكيفية تعلم السلوك وفقاً لهذه المعايير دون أن يفقد الفرد فرديته Individualty وذلك في ضوء الأنظمة الديمقراطية . بمعنى أن عملية التطبع الإجتماعي هذه أو التنشئة الإجتماعي أو التربية الإجتماعية لا ينبغي أن تفقد الفرد هويته الذاتية وتجعله يذوب في كيان المجتمع وتتلاشى شخصيته .

التنشئة الإجتماعية في ظل الأنظمة الديمقراطية :

وتحرص النظم الديمقراطية على تنمية سمات الفرد في الإستقلالية والذاتية والإيجابية والفاعلية وتحمل المسئولية والموضوعية . . . الخ وعلى ذلك فإن عملية التنشئة الإجتماعية هي التي تشكل فكرتنا عن السلوك الخارق أو الخارج على قوانين المجتمع . فعلى أساس مما نتلقاه في عملية التنشئة الإجتماعية نستطيع أن نحكم على السلوك عما إذا كان ملتزماً أم خارجاً عن المجتمع وقوانينه ونظمه .

التنشئة عملية مستمرة ومتصلة :

وتكشف دراسة بعض الجرائم التي يرتكبها الكبار في المجتمع على أن عملية التنشئة الإجتماعية لا تنتهي بنهاية مرحلة الطفولة Child hood بل هي بالأحرى عملية تحدث طوال رحلة الحياة أي طوال إمتداد حياة الفرد بشكل إنمائي Developmental لأنها تساعد على تحقيق النمو وعلى إعادة تكيف الفرد للمواقف والظروف الجديدة .

والحقيقة إن الإنسان لا يمكن أن تتوقف عملية تنشئته واعداده وصقله وتأهيله عند مرحلة معينة بل هو في حاجة إلى التنشئة المتواصلة المستمرة والمتصلة تبعاً لتغير مراحل النمو التي يمر بها وتبعاً لتغير الظروف الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي يعيش في وسطها ، فعملية التطبع الإجتماعي عملية مستمرة متصلة ترافق الفرد طوال رحلة حياته ، بحيث يظل الفرد عضواً نافعاً في المجتمع ، يضيف إلى خيره ، أو يتعلم أنماطاً جديدة عبر أو على إمتداد الزمن . ولا بد من مقابلة هذه التغيرات .

وصدق تراثنا الإسلامي الخالد حين عبر عن ذلك أبلغ تعبير بالقول **« اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد »** . فلكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها

ومتطلباتها إبتداء من الطفولة حتى الشيخوخة ، وعلى المرء أن يتعلم متطلبات كل مرحلة لعيش متكيفاً مع ذاته ومع المجتمع الذي يعيش فيه .

وعلى ذلك يمكن أن نتحدث عن التنشئة الإجتماعية لدى الكبار Adult Socialization مثلها في ذلك، مثل تعلم الكبار Adult Education .

في مرحلة الطفولة يكتسب الطفل كثيراً من قوانين السلوك من خلال تفاعله مع أعضاء أسرته[٥] . وفي مرحلة المراهقة يبدأ المراهق في التساؤل حول عدالة قوانين السلوك هذه سعياً وراء تقنيتها واضفاء الشرعية عليها وفي الغالب ما يحدث هذا النمط من التطبيع في إطار أو في نطاق المدرسة . وفي مرحلة الرشد حيث تخضع المعتقدات للتحدي ، وتحدث أنواع جديدة من الفهم ، ويحدث هذا التطبيع في كثير من المجالات كمجالات العمل أو الإندية أو قاعات المحاكم أو السجون والإصطلاحيات . فحياة الإنسان سلسلة من « التطبيعات » .

هذه هي فحوى هذه العملية ، أي التطبيع أو التنشئة الإجتماعية ، وتلك هي أهدافها ، ولكن كيف يمكن تفسيرها . لقد وضع علماء النفس عدداً من النظريات لتفسير التنشئة الإجتماعية . نعرضها عرضاً نقدياً فيما يلي :

نظريات عملية التنشئة الإجتماعية :

كيف يتطبع الناس إجتماعياً أو كيف تتم تنشئتهم إجتماعياً ؟

هناك عدد من النظريات التي وضعت لتفسير هذه العملية . ولكن هذه النظريات تختلف تبعاً لما يلي :

١ ـ وفقاً للنظر للطبيعة البشرية على أنها مضادة للمجتمع Anti social أو موالية للمجتمع Prosocial أو محايدة .

٢ ـ عما إذا كان ينظر إلى الأشخاص على أنهم يلعبون دوراً فاعلاً في عملية تنشئتهم إجتماعياً من عدمه ؟

٣ ـ تختلف هذه النظريات وفقاً للأهمية التي تعطي للعوامل البيولوجية في التنشئة الإجتماعية .

٤ ـ كما تختلف هذه النظريات من حيث التنشئة الإجتماعية كظاهرة إنمائية تتضمن تغيرات عمرية يمكن التنبؤ بها . بمعنى حدوث تغيرات في كل

مرحلة من مراحل العمر .

وسوف يلمس القارىء الكريم أن عملية التنشئة الإجتماعية لا يمكن أن تفسرها نظرية واحدة من النظريات وضعت لتفسيرها ذلك لأنهـا عملية معقـدة شـأنها في ذلـك شأن السلوك الأنسـاني Human Socialzation عملية بـالغة التعقيد ، وليست بسيطة ، لأن الإنسان حيوان أجتماعي بطبعه Social Animal تتوقف حياته على قدرته أن يعيش مع بني جنسه معاً في جماعات إجتمـاعية Social Group ولذلك لا يصلح لتفسيرها إلا إتخاذ الإتجاه المتعدد النظريات أو المتعدد العوامل ، فلا نظرية واحدة بكافية لتفسير تطبيع الإنسان إجتماعياً .

نظرية التحليل النفسي :

من بين هذه النظريات نظرية التحليل النفسي Psycho analytieal theory لقد وضع هذه النظرية سيجمند فرويد S . Freud في أوائل القرن العشرين . بعد العمل مع طوائف من المرضى العقليين وخلص إلى إعتبار نمو الشخصية عملية ديناميكية تتضمن صراعات بين رغبات الفرد الغريزية ومطالب المجتمع . هذه الصراعات ، وفقاً لهذه النظرية التحليلية، تشكل نمو ثلاثة عناصر من عناصر الشخصية هي الانا الدنيا Id والانا الوسطى Ego والانا الاعلى Superego .

الانـا الدنيـا بدائيـة في طبيعتها ، أي أنهـا تكوين أو عنصـر بدائي في الشخصية تختزن الرغبات الغريزية في الإنسان ، وهي العنصر الوحيد الموجود عند الميلاد . وتستهدف تحقيق الإشباع الآني والمباشر للحاجات والرغبات دون مراعاة لمطالب المجتمع وقواعده . وبالطبـع لا يمكن للمجتمع أن يعيش إذا تطلب كل أعضائه الإشباع المباشر لحاجاتهم ورغباتهم .

في بداية حياة الطفل يلعب الآباء والأمهات دور الضابط أو دور التحكم في سلوك الطفل لأنه لا يمتلك ذاتياً مثـل هذه الضـوابط ، بمعنى أن ضوابط السلوك لدى الطفل الصغير تكون خارجية ممثلة في الآباء والأمهات والكبار عامة أي أرباب السلطة الخارجية . ولذلك عندما يتكون الضمير الداخلي للطفل يحل محل الآباء . ويقال أن ضمائرنا بدائل عن آبائنا .

وبعد ذلك عندما ينمي الطفل ذاته الوسطى ، فإنه يبدأ في ممارسة بعض الضوابط الذاتية ـ Self Controls ويتعامل الذات الوسطى مع الصراعات بين

مطالب الانا ومطالب الآباء أو السلطة . وعلى ذلك تصبح وظيفة الذات الوسطى التوفيق بين مطالب الذات الدنيا وإشباع حاجاتها دون هدر تعاليم الآباء . ولكي تحقق الذات الوسطى هذا عليها أن تنمي في نفسها الحيل الدفاعية Defence Mehanisms .

وهي عمليات لا شعورية تقوم بها الذات الوسطى لحماية نفسها من الشعور بالقلق وبواسطة هذه الحيل الدفاعية تبقى الذات الوسطى : حتى يمكن إشباع حاجاتها بصورة مقبولة إجتماعياً وخلقياً .

وجدير بالإشارة إلى أن هذه الحيل الدفاعية كثيرة ومتنوعة نسوق منها ما يلي :

التقمص أو التوحد Identification .

العكسية Reaction-formation .

التعويض Compensation .

التبرير Raticnalization .

الإسقاط Prejection .

الإنكار Denial .

العدوان Aggression .

الإبدال ـ دلالة Sisplacement .

النكوص أو الرجوع إلى الوراء Regression .

أما الذات العليا وهي توازي الضمير الخلقي ، فهي مستودع القيم والمثل العليا والمعايير الأخلاقية والروحية والصوفية وما إلى ذلك . كذلك تتضمن القيم الخلقية Moral Values والموانع أو الممنوعات . وما أن تنمو الذات العليا حتى تتحول كثير من وظائف الضبط الأبوي أو الوالدي وضوابط المجتمع الخارجي تتحول إلى ضوابط داخلية ذاتية نابعة من ذات الطفل نفسه(٦) .

وعلى ذلك يصبح الإمتثال Conformity لقواعد المجتمع ومثله ليس ناتجاً عن الخوف من العقاب الخارجي ، وإنما يصبح خوفاً من العقاب ، الداخلي ،

عن طريق الشعور بالذنب أو بالأثم ، ذلك الشعور الذي ينشأ عندما لا تعيش وفقاً لمعاييرنا الداخلية .

لقد اعتقد فرويد أن نمو هذه العناصر الثلاثة عن عناصر الشخصية هذا النمو تنظمه جداول زمنية داخلية وأن هذه الجداول الزمنية تتحكم فيها تغيرات بيولوجية تحدث في أجزاء الجسم الذي يعمل كمصدر للإشباع الجنسي Sexual gratification ولذلك اطلق على نظرية فرويد هذه النظرية النفسجنسية الإنمائية Psychosexual Sevelopment نظراً لإعتمادها على النمو الجنسي وما يصاحبه من تغيرات .

نقد نظرية فرويد :

ولا يتفق كثير من علماء النفس مع فرويد في تركيزه على الجانب الجنسي من حياة الطفل ويهتمون بالدور النفسي الإجتماعي Psychosexual role والصراع النفسي إجتماعي في عملية التطبيع الإجتماعي وفي نمو الشخصية . والحقيقة أن معظم إدعاءات فرويد تسقط أمام المحكمات التجريبية .

النظرية النفس أجتماعية في تفسير التنشئة الإجتماعية :

من أصحاب النظرية النفسية الإجتماعية اريك اركسون Erik Erihson (٢٩٦٨) وفقاً لنظرية فرويد يفترض أن الانا العليا تأخذ في الظهور في نهاية المرحلة القضبية Phallic stage عندما يصل الطفل إلى سن السادسة تقريباً . ونحن نعرف ، الآن من خلال دراسة تطور النمو الخلقي لدى الأطفال ، إنهم ينظرون ، في هذه السن ، إلى القيم الخلقية على أنها قيم مطلقة Absolutes لا تقبل الشك أو تخضع للاستثناءات(٧) . وهم أكثر شدة في تفسير القواعد الإخلاقية عن الكبار ويوضح ذلك أن الذات العليا أكثر شدة عن الآباء . وكلما نضج الطفل كلما أصبحت ذاته العليا أكثر إنسانية أو بشرية وواقعية . ولا تحدث هذه الواقعية إلا إذا حدث النضج Maturity أما إذا بقيت غير ناضجة ، فإنه ينتج عن ذلك مشاعر بالأثم والذنب دون مبرر . ويؤدي ذلك إلى نشأة ضمير وخاذ وحاد أزيد من اللازم في الكبر حيث يلوم صاحبه على كل كبيرة وصغيرة .

وفقاً للنظرية النفسية الإجتماعية ، فإن الأم تمثل شخصية هامة في حياة الطفل منذ الصغر ، وما توفره من حب وعطف وحنان يؤثر في شخصيته .

وكذلك اسلوب تعاملها معه ومدى إستعدادها للإستجابة له ولمطالبه . وكيفية إستجابة الآباء لسلوك الطفل الذي يسعى من خلاله إلى توكيد ذاته ، كذلك فإن وجود صراعات داخل الأسرة(٨) .

وفقاً للنظرية النفسية الإجتماعية ، فإن الأم تمثل شخصية هامة في حياة الطفل منذ الصغر ، وما توفره من حب وعطف وحنان يؤثر في شخصيته . وكذلك أسلوب تعاملها معه ومدى إستعدادها للإستجابة له ولمطالبه . وكيفية إستجابة الآباء لسلوك الطفل الذي يسعى من خلاله إلى توكيد ذاته ، كذلك فإن وجود صراعات داخل الأسرة(٨) تهدد شعور الطفل بالمبادأة ويشعر بالذنب وبعد ذلك تسهم المدرسة والانداد في تكثيف المقارنات الإجتماعية بين الانداد أو الزملاء . كذلك تلعب جماعات الرفاق دوراً رئيسياً في التطبيع الإجتماعي وكذلك إختيار الأبطال في عملية بحث المراهق عن هوية ناضجة .

وفي مرحلة الرشد يلعب الأصدقاء دوراً في تكوين علاقات ذات معنى ودلالة في حياة الفرد .

فالنظرية التحليلية ترى أن الجنس هو الذي يؤثر في عملية التطبيع الإجتماعي بينما النظرية النفسية الإجتماعية ترى أن العوامل النفسية الإجتماعية هي ذات المعنى والدلالة في صقل شخصية الفرد منذ الصغر حتى مرحلة الرشد .

النظرية المعرفية الإنمائية Cognitive - development theory :

ولقد ظهرت هذه النظرية من خلال أعمال عالم النفس الشهير جان بياجيه Jean piaget (١٩٣٢) وكان مهتماً بدراسة عملية الإستدلال العقلي الأطفال Reasoning في ثنايا حل المشكلات المنطقية .

ولقد قادته مثل هذه الدراسة حول الإستدلال المنطقي Logical reasoning إلى الإعتقاد بأن العمليات التفكيرية لدى الأطفال تمر بتغيرات في أثناء النمو وأن هذه التغيرات كيفية ويمكن التنبؤ بها . فالأطفال الأكبر سناً يحلون المشاكل المنطقية أفضل من الأصغر سناً وقرر أن الأطفال ينمون ويتقدمون من خلال تتابع نرى معدلات مختلفة ، وكان يرى النمو يسير في إتجاه تقدمي دائماً وأن ما يصل إليه الطفل من تقدم لا يمكن أن يفقده ثانية . ولكن الملاحظة

تدحض هذا الرأي من حيث وجود كثير من حالات النكوص .

ويعتقد أرباب هذه النظرية أن الأطفال أنفسهم يلعبون دوراً إيجابياً وفاعلاً في عملية تطبيعهم إجتماعياً . ويعتقدون أن تأثير أي خبرة تطبيعية يتوقف على كيفية إدراك الطفل أو كيفية تفسير الطفل لهذه الخبرة . فالخبـرة الواحـدة يتم إدراكها بطريقة مختلفة لدى الأطفال أصحاب المستويـات العقلية المختلفـة . فخبرة العقاب أو المكافأة مثلاً تختلف عند الطفل الصغير منها عند المراهق . ويهتم أصحاب هذه النظرية بدراسة النمو الخلقي والإستدلال الخلقي Moral reasoning .

لقد كان بياجيه أول عالم نفس يفحص كيفية تفكير الأطفال في القضايا الأخلاقية في المراحل المختلفة . ولقد حاول أن يعرف ماذا يعرف الأطفال حول القواعد Rules ومن أين تأتي القواعد الإجتماعية ، وكيف يحكم الإطفال على أن قاعدة معينة صائبة أو عادلة من عدمه . ولقد إنتهى بياجيه إلى الإعتقاد بأن هناك تغيراً كبيرا في استدلال الخلقي يحدث خلال الطفولة الوسطى أي ما بين ٧و٩ سنوات من العمر .

الأخلاق الموضوعية والإخلاق النسبية :

وهنـا يجـدر بنـا التمييـز بين نـوعين من الأحكـام الخلقيـة : الأخـلاق الموضوعية والتي يلتزم فيها الطفـل بحرفيـه نص القانـون الخلقي أو القاعـدة الخلقية دون أية إستثناءات أو نظر إلى الظروف والملابسات أو القصد والنيـة الإرادة ، وهنـاك نوع آخـر من الأخلاق هـو الأخلاق النسبيـة التي تأخـذ في الحسبان الدوافع والنوايا والقصد في العمل الخلقي .

وأعتقد أن الأطفال يتعاملون وفقاً للون من الأخلاق أطلق عليه الإكراه أو الاجبار أو الإضطرار أو التقييد أو الحبس أو كبح العواطف والإنفعالات Moral-ity of constraont لأنهم يستخـدمون قـانونـاً ذاتياً أو متمـركـزاً حـول الـذات Egiceneric في الإستدلال الخلقي Self - Centered Mode .

فـالأطفـال ينـظرون للقـواعـد كمـا لـو كـانت خـارجـة عن ذواتهم Heteronomous أي صادرة من رموز للسلطة ، ولذلك فهي خـارجية بـالنسبة لذواتهم . فالقواعد بالنسبة للطفل الصغير عبارة عن حقائق أو وقائع غير قابلة

للتغير أو التبديل Unalterable realitites بمعنى أنها كانت كما هي وسوف تظل دائماً كما هي لا تتغير .

الأطفال الصغار يساوون بين العقاب والأطفال الخاطئة فيعرفون الأفعال الخاطئة ، ويحكمون على ضخامة الفعل اللاأخلاقي بمقدار ما يترتب عليه من التخريب أو التدمير أو الخسائر Damages بينما لا يعيرون إلا قليلاً من الإنتباه إلى القصد أو النية أو العمد في فعل الإنسان الخاطىء Intentions أما الأطفال الأكبر سناً. فإنهم يتعاملون وفقاً لأخلاق التعاون Morality of Coop-eration أنهم أكثر إستقلالية أو ذاتية ، ويستخدمون قواعد أو صيغ أو أساليب متمركزة حول المجتمع Soiocentric Mode Social Contracts تمت الموافقة عليها من قبل الجماعة الإجتماعية .

ومن خلال الإشتراك مع الغير في صنع القواعد يفهم الأطفال الأكبر سناً أن القواعد يمكن أن تصنع ، وأن تتعدل أو تتغير من خلال المناقشات ، وعن طريق عقد الإتفاقات والحصول على موافقات جديدة بين أعضاء الجماعة .

يبدأ الأطفال الأكثر تقدماً في السن في النظر للمسألة من زاوية الغير أي أن يقفوا موقف الغير أو يلعبون دور الآخرين Role tarking وأن يحكموا على مقدار خطورة الفعل الخاطىء في ضوء النية أو القصر أو الغاية أو الإرادة حوله .

ولقد تناول كوهلبرج Likohlberg (١٩٦٩) أعمال بياجيه وتوسع فيها ، ونقحها لكي تشمل هذه الأعمال الإستدلال الخلقي في مرحلة المراهقة والرشد During adolescence and adulthood وأتى بالمستوى الثالث الذي يتجاوز أخلاق بياجية التعاونية . وفي هذا المستوى الأشخاص الأكثر نضجاً More Mature يستطيعون التمييز بين القواعد الإجتماعية Social rules والمبادىء الخلقية Moral Prinpales وفي إحدى مراحله المتقدمة ، يشعر الفرد بالتزام خلقي Moral obligation لمحاولة تغيير قاعدة من خلال إجراءات الموافقة أو القبول إذا شعر أن القاعدة ليست من الناحية الخلقية ، عادلة . وفي المراحل الأكثر تقدماً فإن شعور الفرد بالإلتزام الشخصي لما يعتقد أنه مبدأ أخلاقي يصبح هذا الشعور قوياً لدرجة أن الضغوط الخارجية أو الموافقة السابقة أي العقد الإجتماعي لا تكفيان لتسمح للفرد للإمتثال للقواعد التي تخرق الإعتقاد الشخصي . ولكن الحقيقة أن الناس لا يسيرون في أحكامهم الخلقية أو في

إستدلالهم الخلقي وفقاً لهذه المراحل أو تلك المستويات فقد يستخدم الإنسان مستويات مختلفة في المواقف المختلفة . وقد يستخدم الإنسان خليطاً من هذه المستويات الخلقية .

ولقد أدت الإعتراضات التي سيقت ضد نظرية النمو المعرفي هذه إلى أن يتساءل البعض عما إذا كانت هذه النظرية فعلاً تغيرات كاملة وكيفية في أسلوب تفكير الناس أم لا ؟ كذلك تساءل بعض الباحثين عما إذا كان الإستدلال أو التفكير الخلقي يتمشى أو يترابط مع السلوك الخلقي الفعلي . فالمعرفة النظرية قد تكون شيئاً بينما السلوك الفعلي شيء آخر .

نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning Theory :

يرى أنصار هذه النظرية أن معظم السلوك الإنساني متعلم أو مكتسب من البيئة . فالناس ينمون وفقاً لما يتوفر لهم من فرص من البيئة التي يعيشون في كنفها ، وما يمرون به من خبرات . ولقد قاد هذه الفكرة البرت باندورا A. Bandura (١٩٧٧) . واعتقد أن كثيراً من أنماط السلوك مكتسب من خلال التعلم من خلال الملاحظات أو المشاهدة Observational learning وإن ما يكتسبه الفرد الملاحظ ما هو إلا تمثيل رمزي للأفعال أو لنماذج الأفعال . وما يتعلمه الإنسان يختزن في الذاكرة بشفرة معينة لكي يستخدم كمرشد أو موجه في السلوك المستقبلي . فذكريات الماضي وخبراته ترشد السلوك الراهن حيث لا يحتاج الفرد أن يقلد سلوكاً معيناً لكي يتعلمه . وعلى سبيل المثال الولد الصغير قد يتعلم وضع زينة الوجه من مشاهدة والدته وهي تفعل ذلك على الرغم من أنه لن يضع هذه المساحيق على وجهه . فالأطفال يتعلمون الدور الجنسي المنوط بكل جنس من خلال الملاحظة وفي الغالب ما يقلدون ما يتعلمونه .

هناك أربعة عمليات متداخلة في عملية التعليم بالملاحظة . فالفرد الملاحظ قبل أن يتعلم كثيراً من نموذج معين يجب أن ينتبه بفاعلية إلى سلوك هذا النموذج فالإنتباه يسبق التعلم . وهو يتأثر بخصائص كل من الملاحظ والنموذج . كذلك هناك عمليات للذاكرة والحركة في عملية التعلم على هذا النحو . فقد نتعلم كيفية اداء عمل معين ، ولكننا قد ننسى ما تعلمناه ، فهناك عنصر للذاكرة يتدخل في هذه العملية . أو أننا قد نحتاج إلى ممارسة بعض

الأفعال الحركية لكي نؤدي العمل المطلوب . ويمثل هذا عنصراً حركياً في عملية التعلم . من ذلك تعلم الصغير ركوب الدراجة أو السباحة وركوب الخيل . لقد تعلمنا هذه المناشط من خلال مشاهدة الغير . ولكن لكي نتقنها لا بد من التمرين والتدرب على آدائها . وأخيراً هناك جانب هام جداً من جوانب العملية التعليمية وهو جانب الدافعية Motivational aspect تلك القوى التي تحرك الإنسان وتدفعه إلى بذل الجهد لكي يتعلم

إن قيامنا بعمل أو عد قيامنا به يتوقفان على ما نتوقعه من جراء عمله سواء من الثواب أو العقاب أي على مقدار ما يلحق هذا العمل من التعزيز أو العقاب Reinforcement or unishment .

فالطفل الذي يشاهد والدته تضع المساحيق على وجهها قد لا يفعل ذلك إطلاقاً لأنه يعلم أن مثل هذا العمل النسائي غير مقبول من الصبية مثلاً . يتعلم الإنسان الكثير حول القواعد الإجتماعية من خلال الملاحظة ومن خلال ما نسمعه من الغير ، ومن خلال نتائج أعمال الغير . فالطفل الذكر يخبره أهله بأن الصبية لا يعملون عمل البنات . وقد يرى الصبي صبياً آخر وقد ناله العقاب لوضعه مساحيق الزينة فوق وجهه فيكف هو عن المحاولة .

النظرية الإيثيولوجية[٩] The ethological Theory :

نلاحظ أن أنصار نظرية التعلم الإجتماعي يؤكدون أن معظم السلوك مكتسب أو متعلم نجد أن أنصار هذه النظرية يقولون أن الإنسان مهيء أو مستعد بيولوجياً لكي يتعلم بعض أنماط السلوك بسبب قيمتها في التكيف مع المجتمع . والإنسان كغيره من الكائنات له تاريخ طويل في التطور Evolution-ary history ولذلك فإننا لا نستطيع أن نهمل الضغوط الخاصة بالتكيف التي وقعت علينا عبر مراحل التطور ، وإنها قد لعبت دوراً في تشكيل سلوكنا الإجتماعي . كذلك يرى أنصار هذه النظرية أننا لا نستطيع فهم الدلالة التكيفية للسلوك بملاحظة كيفية قيام الناس بهذا السلوك أو ذاك في المواقف المعملية أو المخبرية تلك المناهج التي يستخدمها علماء نفس النمو أو علماء علم النفس الإجتماعي . وبدلاً من ذلك ينبغي دراسة السلوك في مواقف طبيعية لا مخبرية أو معملية مصطنعة . ولفهم سلوك أي نوع من الكائنات الحية ، فإن أنصار هذه النظرية يدرسون هذا السلوك كما يحدث بالفعل في بيئته الطبيعية ، ويصنعون

هذا السلوك ، من خلال هذه الأوصاف الخاصة بالسلوك يستخلص أصحاب هذه النظرية أوجه الشبه بين أنماط السلوك ، وكذلك الدافعية والعمليات الإنمائية . وبعد توضيح هذه الأمور يحاولون أن يفهموا ما هي وظيفة هذا السلوك في بقاء الجنس أو النوع الذي يصدر عنه هذا السلوك. من أمثال هؤلاء العلماء الذين يتشيعون لهذه النظرية الإيثيولوجية ولسون E.O.Wilson (١٩٧٥) والذي يرى أن وصف السلوك وتفسيره في ضوء مصطلحات التطور غير كاف . وبعضهم يرى أنه لا بد من أخذ الأسباب أو العوامل المباشرة في الحسبان ، وكذلك العوامل التطورية . وكذلك العوامل التطورية . وتتأثر مناهج دراسة السلوك الإجتماعي للطفل بآراء ومصطلحات هذه النظرية من ذلك محاولة جون بولباي Join Bowlby (١٩٧٣) ربط مصطلحات نظرية الإيثولوجيا بمصطلحات نظرية التحليل النفسي لتفسير علاقات الطفل الإجتماعية ، ومعرفة طبيعة هذه العلاقة ووظيفتها ونتائجها في مرحلة الرضاعة . فالطفل الصغير يستطيع أن يحيا خلال مراحل تطوره بسبب وجود من يقوم من الكبار بتوفر الطعام والشراب والمأوى والدفء له أي أشباع حاجاته البيولوجية وتوفير الحماية ممن اعتنوا به . وذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بالقول بأن مصادر أو منابع أمراض الطفل النفسية يمكن تتبعها أو الرجوع إليها في الإضطرابات في مشاعر الحب لدى الطفل والتصاقه أو علاقاته بأسرته .

عوامل هامة في عملية التنشئة الإجتماعية :

هناك بعض العوامل الهامة التي لا بد من الإهتمام بها عند النظر في مسألة التنشئة الإجتماعية للطفل وتفسيرها ، من ذلك مسألة الطبيعة البشرية The nature of human nature .

هل نحن أصحاب دوافع ينبغي السيطرة عليها وضبطها بغية تمكين المجتمع من السير في تحقيق أهدافه ؟ وهل نحن بطبعنا كائنات إجتماعية ميالة بطبعها للمعيشة مع الجنس البشري في جماعات ونقيم علاقات إجتماعية معهم ؟ أم أننا لسنا إجتماعيين ولا ضد المجتمع بالطبيعة ولكننا محصلة أو نتاج لخيراتنا أو لما نلقاه من خبرا ت . تلك الخبرات التي قد تقودنا أما إلى الخير وأما إلى الشر ؟ أم يتعين علينا أن ننظر للطبيعة البشرية على أنها ديناميكية متغيرة ومتطورة تتغير بتغير العمر تبعاً لتغير القدرات الطبيعية ونموها بالتالي تغير من

قدرة الإنسان على فهم العالم الإجتماعي من حوله ؟

والنظريات الأربعة التي سبقت حتى الآن في تفسير عملية التنشئة الإجتماعية تنظر كل منها للطبيعة البشرية نظرة مختلفة عن نظرة الأخرى . فالنظرية التحليلية ترى أن الإنسان مزود بدوافع خطيرة يلزم ضرورة ضبطها كبحها لكي يعيش المجتمع ويؤدي وظائفه في سلام . أما نظرية التعلم الإجتماعي فترى أن الإنسان كائن معقول أو عاقل A rational being يتصرف لكي يحصل ويستفيد من أحسن ما يوجد في الحياة ويغتنم ما يتاح له من فرص لتحقيق هذه الإستفادة . وتمثل هذه النواحي الإيجابية التعزيزات أو المكافآت التي تحصل عليه ، ويقلل بقدر الإمكان النتائج غير المرغوب فيها ، ويمثل ذلك العقاب : أما أصحاب النظرية الإيثولوجية Ethologists فيرون أن الطبيعة البشرية تعمل لكي تحافظ على بقاء النوع البشري . هذا لا يعني أننا دائماً نعمل وفقاً لحاجات جماعاتنا الإجتماعية . على المدى البعيد فإن سلوكنا سوف ينتهي بالتكاثر الكافي لكي نضمن أن الجنيات الخاصة بنا سوف تنقل إلى جنيات الأجيال المقبلة .

أما المنظور المعرفي الإنمائي فينظر للطبيعة البشرية على أنها تتغير مع النمو .

مسألة التفاعل Interaction :

لا بد أن عملية التنشئة الإجتماعية ليست عملية بسيطة أو ليست طريقاً واحداً أو ممراً حادي الإتجاه . عندما نضم فرداً ما إلى عضوية جماعة معينة ، فإن هذا الفرد يتأثر ولا شك بإنضمامه وانخراطه واختلاطه وتفاعله مع هذه الجماعة ، ولكنه أيضاً يؤثر في وظائفها ، فهو يمتثل لمعاييرها ، ولكن وجوده في وسط الجماعة يؤثر ويغير من طبيعتها ومن وظائفها .

ولنتأمل في أسرة مكونة من زوج وزوجة أنجبا طفلاً فإنهما يأخذان على عاتقهما مهمة تنشئته أو تطبيع هذا الطفل . ولكن وجوده أيضاً يغير من نمط الحياة داخل الأسرة أي في حياة الراشدين ، وكأن الطفل هو أيضاً يطبع الأبوين لدورهما الجديد كآباء بالمثل كما يقوم الأبوان بتنشئة الطفل وتشبيعه بالثقافة السائدة . فالطفل يتطبع ويطبع غيره . وعلى ذلك يمكن النظر لعملية التنشئة الإجعماعية على أنها عملية تفاعل Interactive process أي أخذ وعطاء أو تأثير

وتأثر أو تأثير متبادل .

فالفرد يصبح موضوعاً للتنشئة وفي نفس الوقت أحد عواملها أو مؤسساتها .

ولا يوجد نظرية حتى الآن إستطاعت أن تلم بالطبيعة انتفاعلية لعملية التنشئة الإجتماعية . فالنظرية التحليلية ترى أن المجتمع قوة تدفع الإنسان رغم إرادته نحو الإمتثال أي أن المجتمع يمارس ضغوطاً فوق الفرد لكي يمتثل لقيمه ومعاييره ضد إرادة الفرد . وهذا غير صحيح لأن في الإنسان طبيعة خيرة . أما النظرية الإيثولوجية فترى أن الإنسان فاعل وإيجابي في عملية التنشئة الإجتماعية . ويعطون بعض الأهمية لقضية التفاعل ، وتؤكد أكثر من غيرها على الأسس التطورية والبيولوجية في السلوك الاجتماعي وترى أن الإنسان توجهه قوى خارجة عن سيطرته .

دور الأسرة في عملية التنشئة اللإجتماعية :

في سن الطفولة الباكرة تمثل الأسرة أكبر مؤسسة تسهم في عملية التنشئة الإجتماعية للطفل . ولكي يستطيع الأبوان تطبيع الطفل فإنهما يضعان عدة قواعد ويحاولان وضعها موضع النفاذ من خلال أي من العمليات الآتية :

١ ـ التعزيز أي إعطاء المكافآت .

٢ ـ العقاب .

٣ ـ توفير المثال أو القدوة أو النموذج الذي يحتذي به . ويختلف الآباء في كيفية بسط قواعدهم وكيف يصرون على الطاعة وكيف يتعاملون مع السلوك المنحرف .

جوانب عملية التنشئة الإجتماعية :

والحقيقة أن تنشئة الطفل تنشئة صالحة في مجتمعنا العربي الإسلامي تحتاج إلى إعداده في النواحي الآتية :

١ ـ النواحي أو الجوانب الإيمانية أو الروحية أو الدينية .

٢ ـ الجوانب الأخلاقية .

٣ ـ الحب والعطف والحنان .

٤ ـ النظام والطاعة والإنضباط .

٥ ـ تعلم القيام بالدور المناط بجنس الطفل .
٦ ـ الحاجة إلى تعلم الهوية والإستقلال .
٧ ـ الشعور بالإنتماء والولاء .
٨ ـ تعلم عموميات الثقافة بما في ذلك من دين ولغة وعادات وقيم ومثل واعراف وعقائد وقوانين وإنماط سلوك .
٩ ـ تعلم الضبط الذاتي Self - Contril .
١٠ ـ تعلم تكوين المفاهيم والتصورات العقلية .
١١ ـ تعلم التعبير عن الذات Self - exp ression .

ولا شك أن عملية التنشئة الإجتماعية تتم من خلال النمو اللغوي لأن اللغة هي الأداة الأساسية في تحقيق الإتصال بالطفل ومن خلال تكوين المفاهيم أو التصورات Concepts ومن خلال الأفكار أو التفكير Thiught في عملية إكتساب الطفل للغة من أبسط أنواع التعبير إلى التعبير الموازي لحديث الكبار ، فإن التقدم في ذلك يسير من الإستخدام الأدوي للغة إلى تكوين الكلمات والجمل والأشارات إلى الأشكال المعقدة من الكلام . إن أساليب الكلام تترابط مع أساليب التفكير ويرتبط تجميع الطفل للكلمات بالضبط الذاتي ولنمو التفكير المنطقي(١٠) .

كذلك تتم عملية التنشئة الإجتماعية من خلال لعب الدور Role - Playing بحيث يتخلص الطفل من أنانيته أو تمركزه حول ذاته ويتحول إلى الغيرية أو إلى الإيثار . وبنمو الطفل تنمو عنده الموضوعية Objectivitg أي إصدار الأحكام الموضوعية المستندة إلى الواقع والمتحررة من الأهواء الشخصية . ويستوعب القيم الخلقية . ومن خلال عملية التنشئة الإجتماعية يأتي الأطفال لتعلم إكتشاف ذواتهم وأدوارهم وأدوار غيرهم ولا تظل نظرة الطفل نظرة فردية إلى ذاته ، وإنما يصبح متعدد النظرات أو متطبعاً إجتماعياً . وعندما تنمو قدرة الطفل على الإتصال أو التواصل ، ويصبح قادراً على أن يأخذ وجهات نظر الغيرة في الحسبان ، فإنه يكون هذه المفاهيم في تصورات عامة معممة .

التنشئة الإجتماعية عملية شمولية :

والحقيقة أن قضية التنشئة الإجتماعية والسياسية والنفسية قضية كبرى

تشمل كل جوانب النمو الاسمي والعقلي والنفسي والإجتماعي والروحي والخلقي ، وتتناول كافة جوانب شخصية الفرد في شتى مراحل عمره ، لتحقيق تكيفه وإعادة تكيفه بإستمرار . وتختلف التنشئة الإجتماعية المطلوبة من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى عصر في ذات المجتمع بحيث تعد الفرد للحياة إعداداً صالحاً . وهنا نتساءل عن نوع التنشئة الإجتماعية الصالحة لأبناء مجتمعنا العربي والإسلامي المعاصر ؟

وقضية التنشئة الإجتماعية تثير كثيراً من التساؤلات التي نستعرضها مع هولاندر . Hillander E. P (١٩٨١)[١٠] على النحو الآتي :

تساؤلات وآفاق البحث المستقبلي في مجال التنشئة الإجتماعية :

١ ـ هل تعتبر عملية التنشئة الإجتماعية عملية مستمرة متصلة طوال الحياة ولماذا .

٢ ـ هل تتدخل فيها العوامل الوراثية Hereditary والعوامل البيئية Envitrin mental وهل تتفاعل مع بعضها البعض وعلى أي نحو يتم هذا التفاعل وأيهما له الأثر النسبي الأكبر . . . الوراثة أم البيئة ؟

٣ ـ كيف تسهم خصائص الفيزيقية كأساس لسلوكه ؟ بمعنى هل يتوقف سلوك الفرد على صفاته أو خصائصه الفيزيقية ؟

٤ ـ ما هو المقصود بالطبيعة البشرية وهل الإنسان خير محض أم شر محض أم أنه يمتلك جذور كليهما ؟

٥ ـ هل هناك أنواع من التنشئة الإجتماعية كالرسمية وغير الرسمية وما هو الفرق بين هذين النمطين من التنشئة وما هي المجالات التي يحتاج الفرد إلى التطبيع فيها ؟

٦ ـ إلى أي مدى تعتمد عملية التنشئة الإجتماعية على عملية التعلم أو هل يمكن أن يسهم الإنسان في تنشئة نفسه ، وهل يمكن أن يكون عاملاً من عوامل التنشئة وهدفاً أو موضوعاً لها في نفس الوقت أي هل في الإمكان أن يكون الإنسان طابعاً لغيره أو طباعاً لغيرة ومطبوعاً بوساطة الغير أيضاً ؟

٧ ـ هل يمكن التمييز في الوقت الحاضر بين أعمال المرأة والرجل تمييزاً قاطعاً وفاصلاً وفي حالة الإستحالة فلماذا ؟

٨ ـ هل يوجد تداخل في الوقت الحاضر بين دور المرأة ودور الرجل ؟

٩ ـ لماذا كان هناك بعض المهارات الخاصة بالذكور والإناث والتي لا تنتج عن الإختلافات البيولوجية بين الجنسين ؟

١٠ ـ لماذا حتى الآن يقل إختيار النساء كقادة في الجماعات مختلفة الجنس ؟

١١ ـ كيف يؤثر عمل الجماعة على إداء الرجل والمرأة بطريقة مختلفة ؟

وينتهي هولاندر من إستعراض هذه التساؤلات التي تدور حول عملية التنشئة الإجتماعية إلى القول بأن الأفراد لا يمكن أن يصبحوا إنسانيين دون الإختلاط والإتصال والتعامل مع الغير . فإن التعلم من خلال التفاعل الإجتماعي

يفسر إكتساب السمات الإنسانية مثل اللغة والدين والأخلاق . وعندما ينقاد الإنسان إلى أساليب مجتمعه فإنه يكون قد تطبع إجتماعياً . وتتم عملية التنشئة الإجتماعية خلال عملية التعلم في سنوات التكوين ، ولكن التكيف للمواقف الجديدة عملية مستمرة طوال الحياة .

والحقيقة إن كل من التنشئة الإجتماعية والتكيف يعتمدان على أن العوامل الوراثية والبيئية معاً تلك العوامل المتفاعلة في طبيعتها مع بعضها البعض . وينبغي أن يؤكد علم النفس الإجتماعي على القدرة الإنسانية في التكيف مع مطالب الثقافة عن طريق التعلم وخاصة التعلم الضمني أو غير المقصود . فالكائن البشري يمتاز بالمرونة والقابلية للتعديل . وتبدأ عملية التطبيع الإجتماعي في الأسرة حيث يتم إشباع حاجات الطفل والمحافظة على بقائه ، وبسبب عدم قدرة الطفل الصغير على الإختيار ، فإن للأسرة تأثيراً قوياً جداً عليه فهو يعتمد إعتماداً كلياً على أسرته في حياته . والإعتمادية هذه تؤدي إلى توحد الطفل مع أسرته أو تقمصه لشخصية الآباء والأمهات Identification كنموذج يحتذي للسلوك ، وتصبح الأسرة الجماعة المرجعية للطفل Reference group وبعد ذلك وبمرور الوقت ، يصبح إكتساب إنماط مختلفة من السلوك الإجتماعي ، بما في ذلك العدوان Aggreddion يصبح عن طريق تقليد بعض النماذج التي تبدو جذابة للطفل . وعلى كل حال ، فإن التقليد ليس آلياً أو ميكانيكياً كما يظن البعض . وليس منتشراً كثيراً كما يتصور بعض الكتّاب ، ولكنه يحتاج إلى بعض المكافآت لاظهار السلوك المقلد .

الفروق بين الجنسين :

وفيما يتعلق بالفروق بين الجنسين ، فعلى الرغم من أن العوامل البيولوجية تفرق بين الرجل والمرأة ، فإن هناك كثيراً من الفروق الملاحظة بين الجنسين في السلوك ترجع إلى تأثير المجتمع وتوقعاته Expectations Social في عملية التطبيع الإجتماعي .

ومن خصائص التنشئة الإجتماعبة ، في كثير من المجتمعات ، إنها تحث الذكور ، أكثر من الإناث ، على المنافسة وعلى إحراز النجاح ، وتؤكد الإختبارات أن هناك بعض الفروق في قدرات الجنسين ، حيث يتفوق الذكور

على الإختبارات الخاصة بالقدرة المكانية والرياضية والإدراك البصري ، بينما تتفوق الإناث على الأعمال اللفظية Verbal tasks مثل هذه الفروق ترجع إلى التعليم الإجتماعي ، وإن كانت آخذة في التلاشي ويميل سلوك الجنسين إلى التدخل ولقد وجدت فروق جنسية في السلوك الإجتماعي في النواحي الآتية :

١ ـ العدوان أو العدوانية Aggressiveness .

٢ ـ السيطرة أو التسلط Dominance .

٣ ـ مساعدة الآخرين Accommodation .

الذكور أكثر عدواناً فيزيقياً ، وأكثر تسلطاً عن النساء اللائي هن أكثر تقديماً للمساعدة للغير ، وأكثر إعتباراً لراحة الغير . ومن ناحية الفاعلية والنشاط لا يختلف الجنسان ، وأن كانت المجالات التي يكافح فيها كل جنس تختلف عن مجالات الجنس الآخر .

اسهامات النسوة أقل في الجماعات التي يوجد فيها رجال ، ولكن الرجال لا ينخفض أداؤهم أو اسهاماتهم في حالة وجود النساء ويرجع ذلك إلى طبيعة العمل الجمعي والخبرة المطلوبة فيه . وفي الجماعات المختلطة الجنس يقل إختيار النساء قادة ويقل أن ترى النسوة أنفسهن قادة . وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العمل المطلوب والذي يتجه نحو الجنس الآخر . وعندما تقوم المرأة بدور القيادة كعمل المديرة أو المديرة التنفيذية ، فإنها تتحمل بعض الصعاب بسبب الفكرة الجامدة عن دور المرأة في الإطار التقليدي[١] .

هذه فحوى عملية التنشئة الإجتماعية ومضمونها واهدافها وغاياتها ونظريات تفسيرها وأدواتها في إطار التصور الغربي وتأسيساً على هذه الحقائق نستعرض دور المرأة العربية في المجتمع العربي الراهن في هذه العملية الهامة التي يمكن أن نطلق عليها عملية صناعة المواطنين .

دور المرأة العربية في عملية التنشئة الإجتماعية :

في غياب الإحصاءات والبحوث الحقلية المطبقة علي البيئات العربية عن أيدي الباحث ، فإن الباحث لا يجد مناصاً من إستعراض وتوضيح الأدوار المنشودة التي يتعين على المرأة المعاصرة النهوض بها في مجتمعنا العربي ، وخاصة في محاولات إعادة بناء الإنسان العربي بحيث يتكيف مع ظروف العصر

ومتطلباته ، وبحيث يسهم إسهاماً فاعلاً في تحقيق أهداف أمته العربية والإسلامية . ويمكن إيجاز الأدوار التي تقوم بها المرأة العربية في قضية التنشئة الإجتماعية في المجالات الآتية :

١ ـ في الأسرة حيث تقوم بدور المربي الأول للأطفال بالتعاون مع زوجها في إعداد وتربية أبنائهما إعداداً صالحاً للحياة. وحيث تقوم بإشباع حاجات الأطفال المادية والنفسية والإجتماعية والروحية والخلقية وتشعرهم بالدفء والحب والحنان وتكسبهم قيم الإسلام والعروبة والمثل العربية العليا . ويحول هذا دون وقوع الأطفال ضحية للانحراف أو الشذوذ أو المرض .

٢ ـ دورها في المدرسة بمختلف مراحل التعليم من الحضانة إلى المرحلة الثانوية حيث تسهم في تربية النشء في هذه السن الخطرة والخطوة وخاصة في مدارس البنات حيث تمثل المعلمة قدوة حسنة ومثالاً يقتدي به أمام الكثيرات من الطالبات .

٣ ـ دورها في الحقل الجامعي حيث دخلت المرأة هذا الحقل وأبلت فيه بلاء حسناً وابلت فيه بلاءً حسناً وساهمت وتساهم في اعداد الأجيال الصاعدة من أرباب التخصيصات العلمية والمهنية المختلفة وتمثل المرأة الجامعية دور الريادة لكثير من الطالبات . وكثيراً ما تعكف المرأة على تصويب سلوك الطالبات ومساعدتهن في إعادة التكيف وحل مشكلاتهن وأزماتهن .

٤ ـ في مجالات العمل حيث المرأة العربية أدواراً قيادية في كثير من المؤسسات الإنتاجية والإجتماعية وتستطيع أن تسهم في تطبيع زملائها وأتباعها .

٥ ـ تسهم المرأة العربية ، ومن الممكن أن يزداد اسهامها ، في مجالات الخدمة العامة ورعاية طوائف مختلفة من أرباب الصعوبات في المجتمع كعضوية الجمعيات الخيرية والجمعيات الإجتماعية كالنور والأمل وما إلى ذلك .

٦ ـ تسهم المرأة العربية في النشاط السياسي في كثير من المجتمعات العربية الراهنة . فلقد دخلت الوزارة والمجالس النيابية .

٧ ـ تؤدي المرأة العربية دوراً هاماً ورئيسياً في مجال الطب والتمريض ولا يخلو دورها من تعليم المرضى وإعادة تعلمهم في كثير من جوانب سلوكهم وخاصة فيما يتعلق بالصحة والتغذية والرياضة والمعالجة والوقاية .

٨ ـ ضربت المرأة العربية بسهم وافر في مجال الفكر والإعلام والفن ، ولا شك أن الإعلام يعتبر جامعة إجتماعية تقدم الزاد الفكري لكل متعطش إليه .

هذا والمأمول أن يزداد اسهامها في معترك الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والتعليمية لأنها نصف المجتمع . ولا يمكن إغفال نصف المجتمع أو الإستغناء عن خدماته والحياة في طبيعتها مشاركة بين الرجل والمرأة ومسئولية مشتركة بينهما . وأساس هذه المشاركة التعاون والرحمة والمودة والسكينة والآخاء والحب والعطف كما يعلمنا ذلك الهدى الإسلامي الخالد .

اهتمام المجتمع العربي المعاصر بالمرأة لتقوى على النهوض برسالتها الوطنية والإجتماعية :

فيما يلي بعض الإحصاءات التي توضح مكانة المرأة المصرية وثقلها ومقدار الإهتمام بها :

	ذكور	إناث	جملة
حضر	١٠٨٧٨	١٠٢٩٦	٢١١٧٤
٪	٤٤,١٢	٤٣,٧٢	٤٣,٩٢
ريف	١٣٧٧٧	١٣٢٥٤	٢٧٠٣١
٪	٥٥,٨٨	٥٦,٢٨	٥٦,٠٨
جملة	٢٤٦٥٥	٢٣٥٥٠	٤٨٢٠٥
٪	٥١,٦٥	٤٨,٨٥	

جدول يوضح تعداد سكان مصر دون المصريين بالخارج وفقاً لتعداد عام ١٩٨٦ موزعين حسب الجنس أو النوع والريف والحضر بالألف (الكتاب الإحصائي السنوي الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء) .

ويلاحظ زيادة عدد سكان الريف عن جملة سكان الحضر مما يدعو إلى ضرورة تركيز العناية والخدمات الإجتماعية والرعاية الصحية والنفسية والتعليمية للمناطف الريفية لأنها تحتوي على غالبية السكان بالنسبة للجنسين كل على حدة .

عدد الذكور يزيد بمقدار ١١٠٥ عن جملة عدد الإناث . ولكن نسبة وجود الإناث عالية إذ تبلغ ٤٨,٨٥٪ من المجموع الكلي للسكان ومعنى ذلك أن

ال رأة تعادل نصف المجتمع من الناحية العددية الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الإهتمام بها وبتعليمها وتنشئتها تنشئة صالحة للحياة العصرية ومتفقة مع التعاليم الإسلامية .

وتدل الإحصاءات على أن المرأة معمرة عن الرجل الأمر الذي يؤدي إلى إمكانية إضطلاعها بمهام التنشئة والتربية والإجتماعية لـلاطفال حتى بعـد وفاة الرجل فوفقاً لتعداد سكان مصر عام ١٩٦٠ كانت هناك النسبـة المئويـة الآتية لأرباب كل جنس في الإعمار المتقدمة الآتية :

العمر بالسنة	رجال	نساء
٧٥ فأكثر	٠,٠٩	١,١
٧٠ - ٧٤	١,-	١,٣
٦٥ - ٦٩	١,٣	١,٣
٦٠ - ٦٤	٢,٥	٢,٧

وهناك نسبة كبيرة من النساء من المطلقات والأرامل وممن لم يتزوجن أبداً وذلك وفقاً لإحصاء ١٩٨٦في مصر حيث يتضح من التوزيع النسبي للسكان وفقاً للحالة الزواجية أو الإجتماعية الآنية :

	ذكور	إناث	الفرق ٪
لم يتزوج أبداً	٣٢,١	٢٠,-	١٢,١
متزوج	٦٤,٨	٦٤,٨	—
عقد قران	١,١	١,٢	٠,١
مطلق/ أرامل	٢,-	١٤,-	١٢

هناك نسبة مئوية قدرها ٣٤٪ من الإناث لم يتزوجن أبداً ومطلقات وأرامل وهذه النسبة تحتاج إلى رعاية خاصة من ناحية وتفرغها من أعباء الأسرة يتيح لها الفرصة للإشتراك في أعمال الخدمة العامة بما في ذلك أمور التنشئة والتربيـة والرعاية التي تقدم للأطفال والشباب .

وتبلغ نسبة النساء العاملات وفقاً لتعداد ١٩٨٦ بالنسبة لمجمـوع القوى العاملة كلها ١٠,٧١٪ أي نحو عشر القوة الوطنية العاملة في مصر . وتسهم هذه النسبة في أعمال مختلفة منها ما يتصل بالأعمال الخـدمية التي تتصـل بتنشئة

الأجيال الصاعدة . أما بالنسبة الباقية وهي نحو ١٥,٣٧ من غير العاملات فهي ترعي ولا شك شئون الأطفال في المنزل .

ومما يدل على تحسن وضع المرأة واستقرار الحياة الزوجية أن معدلات الطلاق كانت في عام ١٩٥٢ هي ٣,٣ في الألف واصبحت في عام ١٩٨٧هذه المعادلات ١,٦ بالألف .

وهناك إهتمام متزايد في عالمنا العربي بالأسرة والأطفال فقد كان إجمالي عدد مراكز رعاية الأمومة والطفولة واقسام رعاية الأمومة والطفولة بالمجموعات الصحية وبالوحدات المجمعة واقسام رعاية الأمومة والطفولة بالمراكز الإجتماعية وبالوحدات الصحية الريفية كان هذا العدد في ١٩٨٢ عبارة عن ٢٧٩٦ وحدة وزاد هذا العدد ليصبح ٣٠٠٠ في العام ١٩٨٧ . وزاد عدد الوحدات الإجتماعية من ١٢٩٠ وحدة في عام ١٩٨٢ ليصبح ١٤٥٠ وحدة في عام ١٩٨٦ . وزاد المبلغ المخصص للضمان الإجتماعي من حوالي ثمانية ملايين جنيه في عام ١٩٨٢ إلى ٩٤ مليون جنيه في عام ١٩٨٦ . وزاد عدد دور الحضانة من ٢٠٩٣ في عام ١٩٨٢ إلى ٣١٤١ في عام ١٩٨٦ . وزاد عدد مراكز الشباب من ٢٦٥٦ مركزاً في عام ١٩٨٢ إلى أن يصبح ٣٣٨٥ في عام ١٩٨٦ .

ولقد خطت البلدان العربية جميعاً تقريباً خطوات واسعة في مجال التوسع في تعليم البنات واعدادهن الأمر الذي يساعد المرأة على القيام بدورها في تنشئة الإجتماعية . ومعروف أننا لكي نطالب المرأة بالقيام بأعباء التنشئة الإجتماعية للأطفال لا بد أن نعمل على تنشئتها هي نفسها لتصبح قادرة على الوفاء بمطالب هذه الرسالة الخطيرة ألا وهي إعداد الشباب . وفيما يلي بيان بنصيب الأنثى المصرية من التعليم في مختلف مراحل التعليم في العام ١٩٧٦/١٩٨٧ .

المرحلة	طلبة ٪	طالبات ٪	الفرق ٪
الابتدائية	٥٦,٣	٤٣,٧	١٢,٦
الاعدادية	٥٩,٧	٤٠,٣	١٩,٤
الثانوية	٦٣,٣	٣٦,٧	٢٦,٦
المعلمين والمعلمات	٣٩,٣	٦٠,٧	٢١,٤
الجامعة	٦٦,٧	٣٣,٣	٣٣,٤

نسبة الطلاب الذكور تزيد في جميع مراحل التعليم ما عدا في المعلمين والمعلمات . فالإنـاث نسبتين أكبر . ولكن لـلأنثى نصيباً كبيـراً في مجالات التعليم وفرصة تتراوح هذه النسبة ما بين ٦٠,٧٪ إلى ٣٣,٣ وهي نسبة عالية ولكن المأمول أن تزيد هـذه النسبة مـع النهضة العلميـة التي تشهدهـا البلاد العربية .

وتطور التعليم الجامعي بالنسبة للمرأة فزاد زيادة كبيرة فلقـد كان هنـاك ١٩٥٧٥٢ طالبة في عام ١٩٨٢ وأصبح هذا العدد ٢٠٩٨٩٢ في سنة ١٩٨٦ بزيادة قدرها ١٤١٤٠ طالبة بنسبـة قدرهـا ٧,٢٢٪ وبلغ اجمالي عـدد البنات الخريجات في عام ١٩٨٦ ما يساوي ٣٩٩٠٤ طالبة في مقابل ٢٧٩٦٨ طالبة في عام ١٩٨٢ . بينما بلغ عدد الطلبة في عام ١٩٨٦ ما يساوي ٧٥١٥٢ طالباً أي ما يعادل ٣٤,٦٨٪ من مجموع الخريجين اي ما يعادل ثلث عدد الخريجين كان من الطالبات . ومعنى ذلك اذا افترضنا ان خريجي الجامعة يسهمون في نشاط المجتمع ، كان نصيب المـرأة الثلث في هذا العمـل الذي يقـوم به خـريجو الجامعات[١٥] .

ولذلك ان تعليم المرأة يساعدها على ان تسهم اسهاماً فاعلاً في النهضة العربية المنشودة . وقديماً أدرك الشاعر هذه الرسالة ونادى بتعليمها كما يتعلم الفتى .

ربـوا الفتـاة على هـوى الاوطـان ان الـفـتـاة شـريكـة الـفـتـيـان

ولم تحظ المرأة بهذه الرعاية التعليمية في مصر وحدها وانما في مختلف البلدان العربية والاسلامية .

تعليم الفتاة في السعودية :

وعلى سبيل المثال لقد حظيت الفتاة في المملكة العربية السعودية باهتمام كبير في اعدادها واتاحة الفرصة امامهـا لاكتساب العلم والمعـرفة وروعى في مناهج تعليمها التعاليم الاسلامية وتزويدها بالتراث الاسلامي وخيـر من يصف النهضـة التعليمية للبنـات هـو احـد الـوزراء السعـوديين حيث يقـول الاستـاذ عبد الوهاب احمد عبد الواسع عن تعليم الفتاة السعودية[١١] :

« تعليم البنات »

المرأة في الاسلام هي الأم ، وهي مصنع الرجال ترعاهم بحدبها وتغذيهم بطيب عاداتها ، وتيسر لهم النشأة الاولى في صفاء وحب وتيسر لهم المعرفة الاولى وتعلمهم لغة المهد . لهذا كان من واجب المجتمع الاسلامي بذل كل رعاية لها بما يصون عفافها ويحفظ عزتها ويرعى تقاليدها وقد اوصى النبي الكريم بواجب تعليمها في قوله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وفي تعليمها بما يتفق وتراثنا ما ييسر لها سبل المعرفة ويمكنها من رعاية مقومات الأمة التي يكون عمادها الأسرة وهي كما تحفظ امانة رجلها ترعى ابناء الأمة الذين هم عماد المستقبل ، فالبيت قبل المدرسة هو المعلم الاول وهو الذي يستطيع ان يغرس العزة والكرامة والفهم الصحيح ويقدم للمجتمع إبناء خالين من التعقيد النفسي والاجتماعي ولن تستطيع الأم ان تحقق ذلك حتى يقدم لها المجتمع وسائل التربية والتعليم التي تمكنها من ذلك ، ولما انطلق مجتمعنا نحو التعليم الشامل للمرأة تجاوبت مع المجتمع فأقامت ادارة خاصة لتعليم البنات تتبع سماحة المفتي الأكبر آنذاك ، وقد استقلت بذاتها فيما بعد وسميت (الرئاسة العامة لتعليم البنات) تتعاون مع وزارة المعارف في كل امر فني يتصل بالخطة والنهج والتخطيط . ولقد كان هذا التعاون خيراً وبركة على البلاد اذ أسفر عن ازدواج واقعي او محتمل الوقوع . ولست اعني بما ذكرته انه قبل قيام الرئاسة لم يكن هناك تعليم للنصف الثاني من أمتنا . ذلك أن الفتاة السعودية كانت تحقق طموحها في التعليم عن طريقة المنزل والكتاتيب والمدارس الاهلية كما كانت وزارة المعارف تسهل من جانبها انتساب الفتيات لامتحاناتها من المنازل مما أدى الى تمكين عدد كبير منهن من النجاح في كل مراحل التعليم العام ، وكان قيام الرئاسة العامة لمدارس البنات ايذاناً من الدولة بتوجيه كل البنات للمعرفة الشاملة على ضوء من تيسير العلم لهن واشاعة

المعرفة بينهن ، وقد هدفت الرئاسة في اعداد البنت السعودية ومن تزويدها بالتعليم والمعرفة الى اهداف عدة أجمل اهمها فيما يلي : ـ

الاسس العامة :

١ ـ اعداد الفتاة لتمارس مسؤولياتها كأم للاجيال الصاعدة على ضوء من المفاهيم الصحيحة والعلم السليم لتكون سيدة بيت وربة اسرة تعرف من شؤون بيتها ما يمكنها من تثبيت دعائم السعادة العائلية وييسر لها ادارة مملكتها الصغيرة ويحقق لها تربية النشء .

٢ ـ سد حاجة المجتمع السعودي بما احتواه من تقاليد وتراث المثقفة والمتخصصة في مختلف العلوم والمعرفة دون الخروج على هذه التقاليد .

٣ ـ سد حاجة البلاد الى المتخصصات في شئون التعليم والتربية وبقية الحقول المماثلة .

٤ ـ تيسير التعليم للراغبات منهن في ضوء امكاناتهن للحصول على أعلى الدرجات العلمية الجامعية .

وفي ضوء هذه الاهداف ومن الآمال الكبار في ايجاد مجتمع نسوي مسلم يربط حاضره بماضيه ويبني مستقبلة على فهم صحيح لمعنى الحرية واستخدام المعرفة ، بحيث يكن قدوة يستمددن واجبهن من نساء الاسلام يعرفن الواجب ويحفظن التقاليد ويصن المجتمع ويرعين الحرية الفكرية والعلمية ، وضعت الرئاسة العامة لمدارس البنات برامجها وخططها في ضوء تجارب وزارة المعارف التي سبقتها في هذا المضمار بحيث تنأى عن الزلل وتتجنب خطأ التجربة ، واستشعر الناس في ذلك المنهج ثقة دفعتهم الى التزاحم على ابواب مدارس الرئاسة يدفعهن بناتهم اليها ويرجون لهن الخير ، وما يؤكد ذلك ان تعليم الفتاة في هذه المملكة تطورت موازنته بين عامي ٦٠ و١٩٦٨ م ما يقرب من خمسين ضعفاً ، اذ بلغت موازنة هذه المدارس عام ١٩٦٨ م (٩٣,٧٠٣,٣٣٨) مليوناً من الريالات السعودية واهتمت الرئاسة العامة لمدارس البنات بعد ان قامت بواجبها في المرحلة الابتدائية وايجاد عدد من مدارس المعلمات كي تحقق لمدارسها الاكتفاء الذاتي وتمدها بالسعوديات من المواطنات تواجه بهن مسؤولية تعليم البنات ولكي يرددن الجميل كأحسن ما يكون الرد ، وقد تم في الوقت

الحالي بالمدارس الابتدائية الاكتفاء الذاتي من المعلمات السعوديات وفقاً للخطة التي وضعت لذلك ، وفي عام ١٩٦٣ م كان انشاء اول مدرسة متوسطة ثم تكاثرت الى مدارس عديدة وفي عام ١٩٦٥ م كان انشاء اول معهد ثانوي لتعليم الفتاة وفي نفس العام انشىء معهد اعداد المعلمات الذي روعى في منهجه دعمه بالكثير مما يتصل بالتدبير المنزلي واشغال الابرة والصحة العامة والامومة والعناية بالطفل وتكاثرت بعد ذلك المعاهد المختلفة . وفي سنة ١٩٦٩ م - ١٩٧٠ م تم بحمد الله تعالى انشاء كلية البنات . وبهذا يكون النمو التعليمي لتعليم البنات قد قارب تمامه - وغير خاف ان جامعات المملكة تسمح للفتيات بالانتساب لجميع الكليات وكذلك الانتظام اليها - حتى لا يبقى باب أي نوع من انواع المعرفة مقفلاً أمامهن .

وقد امتد ذلك الى الكليات العملية حيث عملت ترتيبات تمكينهن من العمل ومن الافادة من المكتبات في وقت خاص بهن .

وقد قامت وزارة المعارف بتيسير ابتعاث اعداد منهن تمشياً مع قرارات الدولة المنظمة لبعثاتهن وفي امريكا منهن اليوم حوالى مائة وتسعة وخمسون طالبة يدرسن في المراحل الجامعية المختلفة بكليات وجامعات امريكا وهناك نسبة كبيرة يدرسن لمرحلة ما بعد الجامعة (الماجستير والدكتوراه) وذلك لكي يقمن بالواجب التعليمي في الكليات والحقول النسوية .

ونحن اذ نرفق هذا السلم التعليمي لتعليم الفتاة مقروناً ببعض الاحصائيات عن تطور ونمو هذا التعليم لا يفوتنا ان نذكر ان الخطة والمنهج لمدارس البنات تسير متناسبة مع تعليم البنين فيما عدا ما هو ضرورة للفتاة كالتربية المنزلية واشغال الابرة وما يتصل بالامومة والطفولة وبتركيز بعض المواد كالتاريخ على مشاهير سيدات الاسلام بما يعرفهن على التراث المجيد ويشعرهن بالعزة والكرامة ، وتعتمد وزارة المعارف الشهادات العامة الصادرة من الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد ان قامت بمعادلتها .

والتاريخ الاسلامي حافل بأمجاد المرأة ونشاطها واسهاماتها وحافل بالقدوة الحسنة والمثال الذي يهتدى به . ولنا نحن المسلمين أسوة حسنة في امهات المؤمنين اللائي قيل في حق احداهن رضوان الله تعالى عليها خذوا نصف دينكم

عنها . ولقد اشتركت المرأة المسلمة في صدر الاسلام في الغزوات وساهمن في الاعمال الطبية واسعاف الجرحى واشتغلن بطب الرمد أو ما يعرف باسم الكحالة . ومنهن من اشتغلن برواية الحديث الشريف وبقرض الشعر . فتاريخ المرأة الاسلامية حافل بالاسهامات الوطنية والعلمية والادبية وجدير بالمرأة العصرية ان تحذو حذو جداتها .

تنشئة المرأة ورعاية الطفل في الاطار الاسلامي :

ويحرص الاسلام على تربية المرأة تربية صالحة على العفة والايمان والصدق والصبر والخشوع والتقوى والورع والبر والاحسان والصوم والصلاح كما في قوله تعالى : ﴿ **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما** ﴾ سورة الأحزاب (٣٣) .

ويدعوها الاسلام للمحافظة على فرجها وعلى عفتها ويدعوها لذكر الله الذي بفضله تطمئن القلوب .

كذلك يربي الاسلام الرجل والمرأة على الطاعة وعدم العصيان فطاعة الله وولي الأمر والزوج واجبه في اسلامنا الحنيف كما في قوله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً** ﴾الأحزاب ٣٣ والمسلمة منهية عن الكفر والشرك والزنا والسرقة وقتل الاولاد وخاصة خوفاً من الفقر والحاجة وتحاشي البهتان والضلال : ﴿ **يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم** ﴾ الممتحنة (١٢) .

وتقوم العلاقة الاسرية في الاسلام على اساس من المودة والسكينة والاستقرار والمحبة والتآلف والرحمة . فالأسرة محاطة في الاسلام بسياج من الفضائل .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الروم (٢١) .

ويجد المسلم في زوجته وأولاده الصالحين قرة عينه كما في قوله تعالى : **﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين ﴾** الفرقان (٨٤) .

ويدعو الاسلام الرجال للرحمة مع النساء والتلطف معهن فالرباط الزوجي رباط مقدس في الاسلام يتم بكلمة الله تعالى . وضرب المرأة لتعليمها مباح في الاسلام كما جاء في خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع التي رواها مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله (اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكن عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح . ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) حيث يفيد النص ان الضرب ابيح في مثل هذه الحالة .

والاسلام يثق في المرأة ولكنه لا يضعها في منزلة الرجل من حيث قواها الادراكية وقوة ذاكرتها ولكنه يعتمد على شهادتها : **﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾** النساء (١٥) .

ويدعو الاسلام المرأة للصلاة والقيام بكافة العبادات التي يقوم بها الرجل ورأى أن صلاتها في دارها خير من صلاتها في المسجد . وعن السائب مولى أم سلمة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » (١٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لأن تصلي المرأة في بيتها خير من أن تصلي في حجرتها ، ولأن تصلي في حجرتها خير من أن تصلي في الدار ، ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد .

وبر الوالدين والاحسان اليهما والعطف عليهما واجب على كل مسلم في الاسلام وخاصة الأم التي يكرمها الاسلام اعظم تكريم وعن البخاري قال : « حدثنا أدم قال : حدثنا شعبة قال : « حدثنا سعيد بن أبي بردة قال : سمعت أبي يحدث انه شهد ابن عمر ورجل يماني يطوف بالبيت قد حمل أمه وهو

يقول : اني لها بعيرها المذلل اذ ذعرت ركابها لم أذعر حملتها ما حملتني اكثر اني لها مطية لا أذعر ثم قال : يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟ قال : لا ولا برفرة واحدة » .

قال البخاري : وحدثنا عبد الله بن صالح باسنادها الى ابي مرة مولى عقيل أن أبا هريرة كان في بيت وأمه في بيت فاذا أراد أن يخرج وقف على بابها وقال : السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته فتقول : وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما ربيتني صغيرا فتقول : رحمك الله كما بررتني كبيرا ثم اذا آن يدخل صنع مثله .

ويكرم الاسلام المرأة ويقدر دورها النسائي في الحمل والانجاب . عن ابن عمر رضي الله عنه قال : أراه عن النبي ﷺ قال : ان للمرأة في حملها الى وضعها الى فصالها من الأجر كالمنشحط في سبيل الله . فان هلكت فيما بين ذلك فلها أجر الشهيد .

ويوصي الاسلام بالنساء خيراً والعطف عليهن والتلطف معهن واحتمالهن وتذكر اعمالهن الخيرة دائماً حتى لا يصيب النفور الحياة الزوجية او الحياة بين الرجل والمرأة في المجتمع بصفة عامة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء » (متفق عليه) . ص ١١٩ رياض الصالحين .

ويضع الاسلام قواعد بناء الاسرة على اسس عادلة ومتوازية بين حقوق الرجل والمرأة .

وعن عمر بن الاحوص الجشمي رضي الله عنه انه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : « الا واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا أن يتأتين بفاحشة مبينة . فان فعلت فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا إلا أن لكم على نسائكم

حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذي (ص ١٢٠ رياض الصالحين) .

والمسلم مدعو لكي يكون خيراً من نسائه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذي (ص ١٢١ رياض الصالحين) .

ويقدر الاسلام المرأة الصالحة ويعتبرها خير متاع في هذه الدنيا .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : ان رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم . ص ١٢٢ رياض الصالحين .

ويضع الاسلام المسؤولية على المرأة ويربيها على الايجابية وتحمل المسؤولية وحسن التصرف في امور بيتها .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والامير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه (ص ١٢٣ رياض الصالحين) .

وعلى الزوجة في الإسلام واجب طاعة الزوج والحصول على رضاه لتنعم هي بالجنة في الآخرة وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أيما امرأة باتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة » رواه الترمذي .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على احد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة رضي الله عنها وما رأيتها قد ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها اعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا الا خديجة فيقول انها كانت وكان لي منها ولد » متفق عليه (ص ١٤٢ رياض الصالحين) .

والأم الصالحة أحق الناس جميعاً بصحبة الانسان ويليها في ذلك الأب .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » متفق عليه (ص ١٣٣ رياض الصالحين) .

ويدعو الاسلام لصلة الارحام لضمان تماسك الاسرة ووحدتها .

« وعن اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت على أمي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : نعم صلى أمك » متفق عليه (ص ١٣٥ رياض الصالحين) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ان رجلاً أتاه فقال : ان لي امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد اوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه » رواه الترمذي (ص ١٣٨ رياض الصالحين) .

ويوصي الاسلام المسلم بوالديه والاحسان اليهما والعطف عليهما ويكرم الأم لحملها الطفل ورضاعته كما في قوله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير ، وان جاهداك على ان تشرك بما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ لقمان ١٤ ـ ١٥ .

﴿ ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة قال : رب أزعني ان شكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾ (الأحقاف ١٥ ـ ١٦) .

ويدعو الاسلام الامرأة للصلاح والتقوى .

﴿ الصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ ٤ سبأ .

ويحدد الاسلام حقوق المرأة كما يحدد واجباتها بحيث تتضح امامها وأمام المجتمع الرؤية **﴿ ولهن مثل الذي علهن بالمعروف ﴾** البقرة ٢٢٨ .

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أن أباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن او اخواتهم او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الا ربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ النور ٣١ .

ويضع الاسلام آداباً رفيعة للنكاح تبعده عن البهيمية والشذوذ .

﴿ نساؤكم حرث لكم فآتوا حرثكم انى شئتم وقدموا أنفسكم ﴾ (البقرة ٢٢٣) .

ولقد كره الاسلام ان يكره الرجل ان ينجب الانثى .

﴿ ويجعلون الله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى في القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ النحل ٥٧ .

﴿ ام اتخذهما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذ بشر أحدهم بها ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسودا وهو كظيم ﴾ الزخرف ١٦ .

ويدعو الاسلام للعدالة في التعامل مع كافة الناس وخاصة الطوائف الضعيفة في المجتمع كاليتامى والعجزة والنساء ، وكتاب الله هو دستور المسلمين ومصدر تشريعهم وجامع كلمتهم .

﴿ ويستفتون في النساء قال الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحونهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى القسط ﴾ النساء ١٢٧ .

ويحرم الاسلام الزواج من المشركات صيانة لايمان الاسرة وصلاحها

وسوائها واعتدال ذريتها كما في قوله تعالى : .

﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ﴾ البقرة ٢٢١ .

ويحرم الاسلام قتل الاولاد خشية الفقر ويطمئن الله المسلم بأنه يرزقه ويرزق اطفاله معاً وإن رزقه على الله تعالى :

﴿ قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم قل : تعالوا أتل كما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ الأنعام ١٤٠ .

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى أيضاً في قول الله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ﴾ الإسراء ٣١ .

والأطفال هم قرة أعين الآباء في الاسلام وهم زينة الحياة الدنيا ولذلك وجبت العناية بهم عناية شاملة .

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾ الكهف ٤٦ .

ونظرة الاسلام تمتاز بالواقعية وبإدراك ما قد يوجد من شذوذ في الطبيعة البشرية .

﴿ يا أيها الذين أمنوا ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ التغابن ١٤ .

﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا ﴾ سبأ ٣٧ .

ورعاية الطفل وإرضاعه حق لا بد من كفالته وتحقيقه .

﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن

تعاسرتم فتسترضع له أخرى ﴾ الطلاق ٦٥ .

ويكفل الاسلام حضانة الطفل ورضاعته وطعامه وكسوته ويجعل ذلك بين الوالدين كل بنصيب .

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة . وعلى المولود له رزقهن وكسوتهم بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم ان تسترضوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ (البقرة ٢٣٣) .

ولقد اهتم الاسلام بتعليم المرأة وإن كانت فرصتها في التعليم أقل من فرصة الرجل[١٢] .

وكانت المرأة العربية تتلقى تعليمها في الكتاب كما كانت تتعلم في داخل الدار بل أن الجوارئ وجدن طريقهن في التعليم في الاسلام .

ويروي بعض المؤرخين أنه عندما جاء الاسلام كان هناك خمسة من نساء العرب يقرأن ويكتبن وهي :

١ ـ حفصة بنت عمر .
٢ ـ ام كلثوم بنت عقبة .
٣ ـ عائشة بنت سعد .
٤ ـ كريمة بنت المقداد .
٥ ـ الشفاء بنت عبد الله العدوية .

التي كانت تعلم حفصة .

ويروي الإمام البخاري أن النساء طلبن من الرسول ﷺ أن يخصص لهن يوماً يتعلمن فيه كالرجال .

ويحفل التاريخ الاسلامي بالعظيمات من النساء منهن أسماء بنت أبي بكر أم عبد الله بن الزبير وموقفها الشجاع منه .

ولقد أخذت المرأة المسلمة حظها من الثقافة الدينية والتفقه في الدين . ولقد قيل في عائشة رضي الله عنها :

« خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء » رواه البخاري .

ويروى عنها أنها روت عن الرسول ألف حديث .

ونبغت المرأة المسلمة في الأدب والشعر كما نبغت في الموسيقى والغناء والحروب والطب . ويقول بعض مؤرخي الغرب أن النساء المسلمات قمن في الحرب بالدور الذي تقوم به في العهد الحاضر منظمات الهلال الأحمر . فيروى عن أمية بنت قيس الغفارية قالت : أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا وهو يسير إلى خيبر فنداوي الجرحي ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : على بركة الله ، (سيرة ابن هشام) .

وتقول الربيع بنت معوذ : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة .

ولقد ترجم ابن أبي اصيبعة في طبقات الاطباء لهن وكذلك جاء ذكر النساء الطبيبات في تاريخ الحكماء للقفطي وفي الاحاطة للسان الدين بن الخطيب وإليك النماذج الآتية : - .

١ - زينب طبيبة بني أود واشتهرت بالكحالة ومداواة العيون .

٢ - أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي . اجادت علوم الطب .

٣ - اخذت الحفيد بن زهر وابنتها . كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة وخاصة مداواة النساء وكانتا تداويان أهل المنصور دون سواهما .

واشتركت المرأة في كثير من الأعمال الحربية في غزوة أحد وغيرها من المعارك الحربية ، كموقعة اليرموك وفي موقعة صفين .

المراجع

١ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، سيكلولوجية التنشئة الاجتماعية ، دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية ، مصر ، ١٩٨٦ م .

٢ ـ Drever, J., A dictinary of psychology, penguin Books, 1964. P. 274.

٣ ـ Englich, H. B and English, A.C., A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms, Longmans, London, 1958, P. 508.

٤ ـ Perlman, D. and Cozly, P. C., Social Psychology, Holt - Rinehart and Winston, N. York, 1983, P. 43.

٥ ـ عبد الرحمن العيسوي ، سيكلوجية المراهق المسلم ، دار الوثائق ، دولة الكويت ، ١٩٨٧ م .

٦ ـ Lindes mith, A. R., and strauss, A. L., Social psychology, Holt, New York, 1968, P. 254.

٧ ـ Hollonder, E. P., Principles and methods of social psychology, fourth ed, Oxford university press, New York, 1981, P. P. 173-210.

٨ ـ عبد الرحمن العيسوي ، سيكلولوجية النمو ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م .

٩ ـ يشير مصطلع الـ Et-hologyالى معاني مختلفة ومتعددة من بينها أنها علم دراسة الأخلاق وقد تكون دارسات مقارنة للنظم الأخلاقية أو محاولات ايجاد نظام أخلاقي على اسس علمية . ومن معانيها أنها الدراسة التجريبية للسمات الإنسانية أو دارسة العادات والتقاليد ، والمعايير . ومن معانيها كذلك دراسة السلوك المقارن أو دراسة العوامل البيئية من السلوك ، ولذلك يتعلم أصحاب هذا العلم « علم الحيوان » ويدرسون سلوك الحيوانات الدنيا ، ودراسة سلوك الحيوان في البيئات الطبيعية للحصول على الملاحظات الدقيقة والكاملة . ولا يستخدم هذا المصطلح مفاهيم عقلانية ولكنه يتضمن متغيرات وسيطية كما في ذلك الغرائز أو سلوك ، الأجناس ، والأنواع .

١٠ ـ Hollond, E. P.

١١ ـ عبد الوهاب أحمد عبد الواصع ، التعليم في المملكة العربية السعودية : بين واقع حاضرة واستشراق مستقبله ، الطبعة الثانية ، تهامة ، جدة ، السعودية ، بدون تاريخ .

١٢ ـ أحمد شلبي ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية : التربية الاسلامية نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٨٢ م . ص ٣٢٧ .

١٣ ـ جول لابوم ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، تفصيل آيات القرآن الحكيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ م .

١٤ ـ عبد الرحمن العيسوي ، النمو الروحي والخلقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية ، مصر ، ١٩٨٠ م .

١٥ ـ الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائي السنوي ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

الفصل العاشر
خصائص شخصية المتعلم في الإطار الاسلامي

ـ مفهوم الشخصية .
ـ مرونة الشخصية الانسانية وقابليتها للتعديل والتغيير .
ـ كيف تتكون سمات الفرد
ـ العوامل التي تؤثر في نمو الشخصية .
ـ منهج البحث في سمات الشخصية .
ـ تأثير الوراثة والبيئة في نمو الشخصية .
ـ الأسباب المؤدية لإصابة الشخصية بالاضطرابات .
ـ لماذا نؤمن بأثر الوراثة .
ـ التأكيد على العوامل والمؤثرات البيئية .
ـ أهمية مرحلة الطفولة .
ـ كيف تنمو سمات الشخصية .
ـ تنمية سمة التعاون في شخصية المتعلم المسلم .
ـ تنمية سمة الاعتدال والتوسط في الشخصية المسلمة .
ـ تنمية سمة الإيجابية في الشخصية المسلمة .
ـ تنمية سمة القوة في الشخصية المسلمة .
ـ تنمية روح المسؤولية في شخصية المسلم .
ـ سمة التوازن والتكامل في الشخصية الاسلامية .

خصائص شخصية المتعلم في الاطار الاسلامي

مقدمة :

الشخصية هي ذلك الكل المعقد أو ذلك التنظيم الدينامي المعقد الذي ينفرد به شخص ما ويتميز عن غيره من الناس . والحقيقة على هذا النحو ان الشخصية لا تتكون من فراغ أو لا تنمو من تلقاء نفسها بصورة تلقائية عفوية أو إتجالية ، وإنما لا بد لها من عوامل تؤثر فيهل وتصقلها وتكونها وتنميها ، ومن أبـرز هذه العوامل التراث الاسلامي بما فيه من شريعة سمحة وعقائد مستنيرة تنظم حياة الفرد والمجتمع تنظيماً حضارياً راقياً .

وتغرس التعاليم الاسلامية في شخصيـة المتعلم كثيراً من القيم والمثـل العليا والمبادىء وأنماط السلوك الحميد ، ولذلك تنمـو فيه كثيـر من القدرات الايجابية والاخلاقية والروحية والجسمية والعلمية أو المهنية وغيرها مما يخلق منه مواطناً صالحاً مؤمناً بربه وعروبته ووطنه وقادراً على دفع عجلة التقدم والانتاج والازدهار المنشود قدماً الى الأمام . وفوق كل ذلك القادر على إعلاء كلمة الله ورفع شأن الحق والعدل والخير والانصاف ، وعلى الاسهام الايجابي الفعال في خير الوطن ، والقادر على الدفاع عنه وإعلاء شأنه واثبات وجوده تحت الشمس في عالم لم يعد يعترف الا بالأقوياء .

والمعروف أن لكل نمط من المجتمعات نوع التربية التي تناسبه ، فالتربية في المجتمع الاغريقي القديم لا تصلح للمجتمع الحديث ، والتربية في مجتمع رعوى لا تصلح لمجتمع صناعي .

واذا كنا نسلم بأن التربية تستهدف اعداد المواطن الصالح ، والقادر على المعيشة في كنف مجتمع معين والتكيف وإياه والامتثال لقيمه ومثله ومعاييره ، فـإننا نتسـاءل عن خصائص الشخص الصـالح للمعيشـة الناجحـة في مجتمع

اسلامي تظله ظلال الاسلام وشريعته السمحة وقيمه ومثله العليا .

وفي هذا البحث المتواضع نستعرض ، مع القارىء الكريم ، خصائص الشخص المتعلم في الاطار الاسلامي أي ذلك الشخص الذي تستهدف التربية ذات الطابع الاسلامي اعداده وتخريجه وصقل شخصيته ، وسوف نرى أن الاسلام وهو حركة تربوية عالمية وحركة اصلاح شاملة يستهدف تكوين كثير من السمات الايجابية النافعة في الانسان المسلم من ذلك ما يلي : -

١ - التكامل
٢ - التوازن
٣ - الواقعية
٤ - الايمان
٥ - القوة بمعناها الشامل
٦ - التوسط والاعتدال
٧ - الايجابية
٨ - الحيوية والنشاط
٩ - التعاون
١٠ - الاخاء
١١ - العدل
١٢ - الانصاف
١٣ - الحمد والشكر
١٤ - الموضوعية وعدم التحيز
١٥ - الايمان بالعلم وبالمنهج العلمي
١٦ - حب العمل والاكل من كد اليد
١٧ - الايمان بالتوحيد
١٨ - القيام بالعبادات
١٩ - سلامة القلب والنفس والجسم
٢٠ - قوة الضمير
٢١ - حب الحياة الاجتماعية
٢٢ - حب الطبيعة واستثمارها
٢٣ - الاشباع من الحلال والطيبات
٢٤ - الامانة
٢٥ - الصدق
٢٦ - الاخلاص
٢٧ - الصبر
٢٨ - الجهاد
٢٩ - العفة
٣٠ - الشجاعة
٣١ - الرضا
وغير ذلك

ويتطلب البحث في بناء الشخصية المسلمة التعرف على مظاهر النمو في كل مراحل الحياة ، وتحديد متطلبات النمو وفقاً للمنهج الغربي والمنهج الاسلامي على ان يخضع اشباع المسلم ونموه الى القيم والمعايير الروحية والخلقية والضوابط المستمدة من الايمان الديني . ويتطلب استكمال الصورة عن الشخصية المسلمة التي تعدها المؤسسات التربوية التعرف على المعوقات

والمشكلات التي تحول دون تكوين الشخصية المعاصرة على النمط الاسلامي الخالص ثم اقتراح الحلول التي تتصدى لهذه المعوقات .

وسوف نتناول في هذا البحث المتواضع جانباً من هذه المهمة الكبرى فنعرض لمفهوم الشخصية في الفكر الغربي والعوامل الوراثية والبيئية التي تؤثر فيها والنظريات التي وضعت لتفسيرها . ثم نتناول بالعرض والتحليل النموذج الاسلامي في الشخصية التي تنشدها المؤسسات التربوية الاسلامية .

مفهوم الشخصية The concept of personality .

هناك معان كثيرة لمصطلح الشخصية لدرجة أن عالماً من علماء النفس هو جوردون البورت جمع ٥٠ تعريفاً للشخصية ، وقال عنه إنجلش انه ترك بالتأكيد بعض التعريفات وأغفلها .

وفقاً لتعريف جوردون البورت Gordon Allport الشخصية هي التنظيم الديناميكي الموجود داخل الفرد لتلك النظم السيكوفيزيقية التي تحدد سماته وخصائص وسلوكه وفكره[١] .

ويعتنق الباحث تعريفاً اكثر سهولة ووضوحاً يصف الشخصية بأنها مجموع صفات الفرد الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والروحية والاخلاقية والعلمية . . . الخ تلك الصفات التي لا توجد مرصوصة بعضها فوق بعض ، ولكنها توجد بصورة متفاعلة بمعنى ان كل صفة تؤثر وتتأثر بصفات الفرد الاخرى ، فالذكاء مثلاً يؤثر ويتأثر بمستوى طموح الفرد ، والقوة الجسمية تؤثر وتتأثر بسمات الفرد الخلقية وهكذا .

وهذا الكل الموحد والمتفاعل مع بعضه بعضاً ، يتفاعل بدوره مع عناصر البيئة الاجتماعية والفيزيقية التي يوجد فيها الفرد ، فالبيئة تؤثر في الفرد وتتأثر به . فالانسان ليس مجموعة من الخصائص أو السمات الجسمية والعقلية يغلفها غلاف رقيق من الجلد ، وإنما هو كل موحد متفاعل متغير متطور نام . وهذا ما عبر عنه البورت بالدينامية أي التغير والتطور والتحرك وعدم الجمود أو السكون أو الثبات المطلق . وتوجد عناصر شخصية الفرد في شكل منظم ومتناسق ومنسجم وهادف وينطبق هذا في حالة السواء أو الصحة والتكيف ، أما في حالة المرض

أو الاصابة باضطراب في الشخصيـة Personality disorder فإن هـذا التنظيم وذلك النموذج يخرق أو يتكسر ، ويبدو هذا في سلوك الفرد حيث يصبح مفككاً وغير متسق وغير منظم وغير هادف .

مرونة الشخصية الانسانية وقابليتها للتعديل والتغيير :

والحقيقة أن الشخصية الانسانية تمتاز بالقابلية للتغيير نتيجة لما يمر بـه الانسان من خبرات وتجارب ، وما يتولد لديه من اهداف ، ولكن هذه التغيرات لا تقضى على وحدة الشخصية اذا كانت الشخصية سليمة من الاصل . ويلاحظ ان الشخصية ليست كلية عقلية أو كليه جسمية ، ولكنها عقلية وجسمية معاً . فهي ظاهرة يؤثر فيها العقل mind في الجسم Body والعكس صحيح . وقديماً قالوا العقل السليم في الجسم السليم Sound mind in sound تدليلاً على وجود التفاعل بين الجسم والعقل ونفياً لفكرة الثنائية الحاسمة بين الجسم والعقل . وتؤكد أن العلاقـة بين الجسم والعقل إنمـا هي علاقـة تفاعـل بمعنى التأثير المتبادل[٢] أو التأثير والتأثر .

كيف تتكون سمات الفرد ؟

وتنظيم الشخصية يتضمن عمليات العقل والجسم معاً بما في ذلك السلوك والفكر . مثل هذا السلوك النمطي اذا استمر يكون صفات الفرد . ويشير تعريف البورت الى الشخصية بأنها « في إطار شخص معين » في مقابل وصفها في إطار موقف معين كما فعل ولترمسكيلWalter Mischel بقوله ان الشخصية هي نماذج السلوك الواضحة أو المميزة والتي تتضمن التفكير والانفعـالات وتلك النماذج التي تحدد أو تصف تكيف الفرد لمواقف حياته[٣] .

ويـركز هـذا التعريف على نمط الشخصيـة في التكيف لمواقف الحيـاة الاجتماعية والفيزيقية ، فـالتأكيـد هنا على البيئـة وظروفهـا التي تؤدي بالفـرد لاكتساب الافكار وأن يبدي بعض مظاهر السلوك . ولكن هذا التعريف لا يظهر الطبيعة الدينامية ولا فكرة التنظيم النفسفسيولوجي والسعي وراء تحقيق الاهداف التي كانت واضحة في تعريف البورت . وفي هذين التعريفين يوجد درجة من الخصوصية uniqueiness فالشخصية هي التكـوين الفريـد الذي يميـز شخصاً معيناً .

ولا يستخدم مصطلح الشخصية للإشارة للسمات الايجابية أو المقبولة اجتماعياً وحسب ، ولكن هناك الشخصية المضادة للمجتمع والشخصية المفككة أو المريضة والشخصية المتعاونة أو المسالمة والعدوانية والشخصية السيكوباتية فلكل شخصيته .

الشخصية بين الثبات والتغير :

ولكن هل تمتاز السمات الشخصية بالثبات المطلق أو الاستقرار ؟ لقد قررنا أن للشخصية طبيعة دينامية متغيرة ، ولكن هذا التغير يحدث بصورة نسبية مع بقاء درجة من الثبات ، فثبات الشخصية ليس مطلقاً ، وإنما هو أيضاً ثبات نسبي يستمر على امتداد فترة معقوله من الزمن ، فالمفروض أن تتسم الشخصية بالثبات والديمومة Consistency of personality .

هذه صورة مبسطة عن مفهوم الشخصية ، ولكن موضوع الشخصية من الموضوعات الواسعة في الدراسات النفسية الحديثة الى الحد الذي أصبح في كثير من الجامعات يشكل مادة دراسية أو مقرراً دراسياً كاملاً للطلاب ومجالاً خصباً للبحوث الحقلية ، فإلى جانب التعاريف المتعددة هناك دراسة النظريات المختلفة التي وضعت لتفسير الشخصية كنظرية السمات ونظرية التحليل النفسي ، وهناك دراسة سبل وتقنيات قياس سمات الشخصية ، ثم هناك دراسة الاضطرابات والامراض التي تصيب الشخصية . ومن الموضوعات الهامة ذات القيمة في بحثنا الحالي دراسة العوامل التي تؤثر في نمو الشخصية .

العوامل التي تؤثر في نمو الشخصية :

وهنا تتسائل هل تتأثر الشخصية بالعوامل الوراثية أم بالعوامل البيئية ؟

هل الانسان ابن البيئة Environment أم انه ابن الوراثة Heredity ؟ .

الوراثة يقصد بها التأثيرات التي تنقل بيولوجياً من الآباء والاجداد والتي تحدد الطرق التي سوف يستفيد بها الانسان من بيئته فهي مجموع الصفات والخصائص التي تنتقل من الآباء والاجداد الى الذرية The Transmission from parents to offispring ذلك الانتقال الذي يؤدي الى ظهور بعض الصفات في الفرد الاخير . ويتم نقل هذه الخصائص عن طريق ناقلات الوراثة المعروفة

باسم الجين[٤] Genes هذه الجينات تحمل الكروموزونات chromosomes .

ولكن حدير بالملاحظة أن نتعرف على المنهج الذي يستخدمه علماء النفس وغيرهم في تحديد ما هو وراثي وما هو وراثي وما هو مكتسب أو متعلم من البيئة والاحتكاك بها والتفاعل وإياها .

منهج البحث في سمات الشخصية :

يحتاج الباحث لكي يتعرف على أثر الوراثة أن يأتي بأناس اصحاب وراثة مختلفة ممن لا تربط بينهم أو أصر القرابة مثلاً أو صلات الدم ، ويضعهم في بيئة يتلقون فيها معاملة متشابهة أو متماثلة جداً كما يوجد في الملاجىء والمؤسسات الاصلاحية والمدارس الداخلية أو السجون . ويتركهم لفترة يعيشون تحت ظل هذه الظروف الموحدة ، ثم يقيس ذكائهم أو سمات شخصياتهم الأخرى . فإن وجد فروقاً فردية بينهم دل ذلك على تأثير العوامل الوراثية لأن الظروف البيئية موحدة بالنسبة لهم جميعاً .

أما اذا أراد أن يتعرف على أثر البيئة ، فإنه يأتي بأناس أصحاب وراثة واحدة أو متشابهة جداً كما هو الحال في التوائم Twins وخاصة التوائم العينية Identical Twins تلك التوائم التي تتكون من بويضة واحدة تنشق أو تنشطر في الرحم ، ثم يضع كل فرد من هذه التوائم في بيئة مغايرة تماماً لبيئة الآخر ، كأن تكون بيئة غنية ثقافياً وتعليمياً والأخرى فقيرة من هذه الناحية ، ثم يقيس ذكاء أو سمات هؤلاء بعد البقاء لفترة ما في هذه البيئات المتباينة ، فإن وجد فروقاً دل ذلك على تأثير البيئة . ذلك لأن نقطة البداية كانت واحدة ، وهي الوراثة أو الاستعدادات الوراثية المتشابهة أو المتماثلة[٥] .

ولقد درس عالم النفس ايزنك Eysenek سمتي الانطواء Intraversion والانبساط Extraversion ووجد أنهما يرجعان ، بصورة نسبية ، إلى الوراثة . أي أن بعض جذورها يولد الانسان مزوداً بها عند الميلاد . والحقيقة أن الاطفال الرضع يولدون ولديهم بعض السمات المزاجية الخاصة Temperamental characteristies فهناك الطفل الذي يمكن أن نصفه بأنه طفل سهل : يحب أن يحمله الناس ، سعيد ، يحب أن تلبسه ملابسه ، وأن تطعمه ، وعموماً يستجيب ايجابياً للخبرات الجديدة . وهناك الطفل « الصعب » اذا صح التعبير والذي

يميل الى الاستجابة السلبية للخبرات الجديدة . ولكي يجد اساساً بيولوجيا أو أساساً وراثياً Genetic قرر ايزنك أن الانطوائيين لديهم مستوى عال من الاثارة في الدماغ وفي الجهاز العصبي المركزي عموماً أكثر مما يوجد لدى الانبساطيين . وعلى ذلك فالعقاقير تقلل من يقظة الجهاز العصبي أو اللحاء الدماغي cerebral cortexفي الانطوائيين من هذه العقاقير الكحول حيث يقلل من يقظة اللحاء الدماغي ويجعل الانطوائيين أكثر انبساطاً أو يقلل من كمية القمع عندهم . ولعل انخفاض معدلات الاثارة هو الذي يساعد الانبساطيين على التعبير الحر الطليق عن انفعالاتهم .

ومن المجالات التي يدعي تأثيرها بالعوامل الوراثة حالات الاضطراب التي تصيب الشخصية .

الاسباب المؤدية لاصابة الشخصية بالاضطرابات :

هناك شك منذ أمد بعيد بين العلماء بأن القابلية susceptlbility للإصابة بالمرض العقلي mental illness موروثة أو وراثية inherited أي منقوله بالوراثة من الآباء والأجداد . ففصام الشخصية مثلاً وهو أكثر أنواع الذهان العقلي Schizophrenia شيوعاً وأكثرها شدة أو حدة ، تم بحثه كثيراً للوقوف على أسبابه الوراثية أو البيئية . الفصام يحدث في كل أجزاء العالم في المجتمعات البدائية والمتحضرة على حد سواء . وهناك أدلة تؤكد انتشاره أكثر بين الجماعات المحرومة اجتماعياً واقتصادياً أي الفقيرة في المجتمعات المتحضرة .

ولكن ليس هناك أدلة على ارتباط هذا المرض بالضغوط الثقافية التي تفرضها المدنية التكنولوجية الحديثة . ويتساوى الجنسان ، أي الذكور والإناث ، في معدلات الإصابة بهذا المرض . وتبلغ قمة عدد الذين يدخلون المستشفيات العقلية لأول مرة من الذكور في السن من ٣٠ ـ ٢٥ سنة بينما هذه السن تصبح ٣٠ ـ ٣٥ سنة بالنسبة للإناث . فالإناث لا تصيبهن الأمراض العقلية الا بعد سن متقدمة نسبياً عن الرجال . ويبلغ انتشار هذا المرض في المجتمعات الاوروبية نحو ٣ في كل الف من السكان . وتصل الى ٣ ٪ في المجتمعات الأخرى . وفي الولايات المتحدة الامريكية هناك فرصة تبلغ نحو ١ ٪ لاصابة الفرد بالفصام طوال حياته . ونحن نستدل على أنه وراثي اذا كثر انتشاره بين

الاقارب أو إذا استأثر به بعض الاجيال المتعاقبة من الأسرة الواحدة ، وكلما زادت درجة القرابة زاد احتمال الاصابة . حيث يبلغ معامل الاتفاق بين اصابة المريض واصابة قريبة ٤٥ بالنسبة للتوأم وشقيقه بينما هذا المعامل يبلغ ٢ ـ ٤ فقط بين ابناء العم . ففي دراسة تناولت ١٧ توأماً عينياً تربوا منفصلين بعيدين عن بعضهم البعض reared separately وجد أنه إذا أصيب أحد الاخوة بالفصام أصيب الأخ الآخر ، وبلغت نسبة ذلك ٥٦٪ .

ولكن هذه الارقام لا تمنع من امكانية وجود عنصر بيئي هام ذلك لأن الاشخاص الذين يعيشون في كنف امهات أو آباء فصاميين من المحتمل أن يصابوا هم أنفسهم بالفصام من جراء المعاملة أو التقليد والمحاكاة . ويؤكد العامل الوراثي ما يلاحظ من تشابه أقوى بين الطفل المتبنى وآبائه الحقيقيين عن آبائه في التبني الذين يعيش معهم . adopted children and Their biological relatives .

والحقيقة أن هذه النسب ليست عالية بحيث تجعلنا نقصى كل أثر للبيئة . فالبيئة تلعب دوراً هاماً جداً في حياة الفرد وفي تكوين شخصيته واكتساب صفاته . الامراض العقلية أو النفسية لا تحدث نتيجة لعامل واحد وإنما ، في الغالب ، المسؤول عنها مجموعتان من العوامل هما : ـ

١ ـ مجموعة العوامل الاستعدادية أو المهيئة .

٢ ـ مجموعة العوامل المهيرة أو المفجرة أو المعجلة بحدوث الانهيار .

فالوراثة تهيىء predisposes للإصابة بالمرض ثم تأتي الظروف البيئية ، فإذا كانت غير مؤاتية حدثت الإصابة ، وإذا كانت غير ضاغطة استمر الاستعداد في كمونه ولم تظهر علامات المرض .

لماذا تؤمن بأثر الوراثة ؟

ولكن ما هي فائدة إقرار وجود سبب وراثي في الإصابة بالفصام ؟ .

من أبسط الفوائد أن اطفال الأباء الفصاميين ينبغي أن نوفر لهم عناية علاجية ووقائية خاصة حتى لا يصابوا . ويمكن تعليم الكبار المعرضين للإصابة بتجنب الضغوط ، وأن يسترخوا كما يراعي ذلك في وظائفهم وأعمالهم وكل ما

يقومون به من نشاط ، بحيث لا يمثل قوة ضاغطة عليهم . كذلك هناك السعي لمعرفة الجين الذي يسبب الاصابة والوظائف التي يقوم بها في الدماغ ، وذلك بغية التدخل لوقف هـذه العمليات . ولا يعني هـذا أن الاصابـة لا يمكن أن تحدث إلا إذا كان الفرد مهيئاً وراثياً لها ، ولكن الصدمات البيئية العميقة قد تؤدي إلى حدوث الانهيار في الشخصيات السوية كالإفلاس الاقتصادي أو فقدان الزوجة أو خيانتها أو فقدان الوظيفة .

وقصارى القول في قضية الوراثة والبيئة ان الانسان محصلة للتفاعل بين مجمـوعة العـوامل الـوراثية والبيئيـة . فالـوراثـة تقـدم البـذور أو الجـذور أو الاستعدادات الأولية أو المادة الخام تلك التي تتولاها البيئة بالتغذية والتربية . والصقل والتقويم والعلاج . فالبيئة لا تصنع من عدم وإنما لا بد لها من الجذور أو الاصـول الوراثيـة ، والبيئة تعمـل ، ولكن عملها لا يتعـدى اطار الـوراثـة وحدودها . فنحن لا نستطيع أن نحيل الأقزام إلى عمالقة ولا البلهاء إلى عباقرة ولا الأبيض إلى أسود . ولكن للبيْئة دوراً لا ينكر في تنمية الاستعدادات الوراثية وصقلها وإظهارها ، وفي حسن توجيهها ، فالذكاء وإن كان وراثياً إلا أن البيئة هي التي تساعد إما على طمسه وذبوله واضمحلاله أو تساعد على نموه وازدهاره وتقدمه . والبيئة هي التي تحدد الوجهة التي يأخذها أو المسار الذي يسير فيه ذكـاء الفرد ، فـأما إلى النبـوغ والعبقريـة في العلم أو الفن ، وإما إلى الشـر والجريمة والجنوح .

التأكيد على العوامل والمؤثرات البيئية :

ونحن كتربويين لأبد أن نؤكد على العوامل البيئية لأننا نستطيع أن نعدلها ونتحكم فيها ونطوعها ونحسنها ومن ثم يتحسن السلوك . أما القول بالوراثة فإنه يغلق الأبواب أمامنا في الاصلاح والتقويم والتربية والتأهيل والعلاج .

وإلى جانب هذين العاملين وأعني بهما الوراثة والبيئة والتفاعل بينهما ، هناك عامل ثالث وهو العوامل الميلادية أي تلك التي يولد الإنسان بها ولكنها ليست منقولة إليه من الآباء والأجداد ، من ذلك تأثير صدمات الميلاد وصعوباته وما تعرضت لـه الأم في أثناء الحمـل من الانفعالات والحـوادث والأمـراض كالحصبة الألمانية ، وما تناولته من خمور أو تدخين كل هذا يؤثر في الجنين لأن

رحم المرأة إنما يمثل بيئة للطفل . كذلك يتوقف سلوك الفرد على مجموعة من العوامل منها :

١ ـ العوامل الوراثية (H) .

٢ ـ العوامل البيئية (E) .

٣ ـ عامل مرور الزمن (T) .

٤ ـ مقاومة الفرد للانهيار (R) .

وعلى ذلك يمكن صياغة القانون أو المعادلة الآتية :

الكائن الحي وسلوكه وأمراضه = $$\frac{H \times E \times T}{R}$$

فإذا زادت ضغوط الوراثة متفاعلة مع البيئة عبر فترة زمنية طويلة من عمر الفرد ، إذا زادت هذه الضغوط عن مقدار احتمال الفرد أو مقاومته للضغوط حدث الانهيار[٦] .

واستمراراً في سعينا لفهم طبيعة الشخصية الإنسانية ومحدداتها نستعرض مرحلة الطفولة ونبين أهميتها .

أهمية مرحلة الطفولة :

يجمع علماء النفس على أن لمرحلة الطفولة أهمية بالغة في تشكيل شخصية الفرد فيما بعد[٧] فما يحدث لنا من أحداث وما نمر به من خبرات يؤثر فينا في مرحلة الكبر . فخبرات الطفولة وتجاربها تترك بصماتها قوية في مرحلة الرشد ، ذلك لأن حياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات يؤثر فيها السابق في اللاحق والحاضر في المستقبل . وعلى ذلك فإذا وفرنا طفولة سعيدة موفقة لأبنائنا كانوا ، الأكثر احتمالاً ، راشدين أسوياء خالين من العقد والاضطرابات . فمرحلة الطفولة هي المرحلة التي تتكون فيها جذور الشخصية وأصولها الأولى . ولمرحلة الطفولة أهمية ، على هذا النحو ، لأنها مرحلة التكوين والإعداد والصقل ، ولأن الطفل فيها يتسم بالمرونة وقلة الخبرة . فخبرات الطفولة تؤثر في مقدار قوتنا أو ضعفنا في الرشد strengths and weaknesses as adults .

وإن كان هناك قلة من علماء النفس من امثال كارل يونج Jung وكارل روجرز C. Rogers يؤكدان على التغيرات التي تحدث للإنسان في مرحلة الرشد Adulthood أكثر من اهتمامهما بمرحلة الطفولة والنمو الأولى ، ولكنهما أيضاً يعترفان بأن خبرات الطفولة تؤثر في سماتنا التي تظهر في مرحلة الرشد[٨] .

كيف تنمو سمات الشخصية ؟

إذا تتبعنا نمو الشخصية منذ الميلاد birth حتى النضج maturity فإننا نجد أنفسنا أمام السؤال الآتي الذي يفرض نفسه منذ أمد بعيد : **هل شخصية الإنسان مجرد انعكاس للعوامل الداخلية المزاجية والمعرفية ؟**
أم أنها أي الشخصية نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته الخارجية ؟

حتى الآن لا يوجد في التراث إجابة صريحة لهذا التساؤل ، وذلك نظراً لتعقيد الشخصية وتعدد أبعادها وجوانبها .

هناك تجارب أجريت على الحيوان أجراها هاري هارلو H. Harlaw أكدت وجود تفاعل بين القوى البيولوجية والقوى الاجتماعية في تحديد سمات القردة . لقد اكتشف عرضاً ، هو وزوجته وبقية فريق البحث ، ظهور بعض مظاهر السلوك الشاذ عند أطفال القردة التي تربت في أقفاص من الأسلاك منعزلة بسبب الضبط التجريبي في الدراسة بقصد منع الخبرة الاجتماعية المبكرة للقرد الصغير . وكشف ذلك عن احتمال وجود حاجة للراحة والاتصال مختلفة عن الحاجات الأساسية في الطعام والشراب ، حيث كانت تقدم هذه الأشياء من قبل المجرب . وقد استخدم هذا الباحث وزملاؤه المثيرات اللمسية في الرضع من القردة للحصول على سلوك سوي . فالرضيع في حاجة إلى لمس جسمه مثل حاجته إلى الطعام .

ولذلك للأب والأم أهمية كبيرة وتأثير كبير على شخصية الطفل . وخبرات الطفل مع المعلمين والأصدقاء والكبار عامة أما تعزز أو تعدل خبرات الطفولة . ويذهب أنصار المدرسة السلوكية في علم النفس إلى اعتبار الشخصية نتاج للمكافآت أو العقوبات المرتبطة بالسلوك في البيئة الاجتماعية . لا يستطيع أحد أن ينكر خبرات البيئة في صقل وتشكيل أو الاحتفاظ بأنماط التفكير والسلوك تلك التي تكون ما نسميه بالشخصية . ولكن يلاحظ على صغار الأطفال الرضع

أن لديهم انماطاً خاصة في التعبير عن ذواتهم قبل أن يكتسبوا أية خبرة اجتماعية أو بيئية . هناك بعض السمات التي تحددها الوراثة أو العوامل البيولوجية من ذلك الحالة المزاجية Temperament وردود الفعل الانفعالية وبعض الاستعدادات aptitudes ولون البشرة وطول القامة وشكل الشعر . وخضوع الطفل أما إلى الإحباط Frustration أو الإشباع Gratification وغير ذلك من الخبرات يؤدي إلى ظهور الفروق الفردية بين الأطفال في شخصياتهم . وخبرة الفطام المبكر Early weaning قد تؤثر في شخصية الفرد بعد ذلك ، كذلك فإن ما يتلقاه الطفل من تدريبات خاصة بالإخراج Toilet training قد يترك آثاره على شخصية الطفل . وهناك دراسات أيدت وجود سبب وراثي ، إلى حد ما ، في القدرات وسمات الشخصية والميول المهنية وما إليها .

أما أنصار البيئة فيؤكدون أن الخبرة التعليمية أو المتعلمة هي المصدر الرئيسي في نمو الشخصية في الطفولة . فمثلاً التغذية في أوقاتها قد تؤدي إلى حيوية الطفل ونشاطه أو إلى خلق سمة الحيوية والنشاط ، بينما خضوع نظام الأكل لجدول زمني صارم قد يؤدي إلى تكوين سمة البلادة . وفرض العقاب في أثناء التدريب على قضاء الحاجة قد يؤدي إلى خلق صراع الاقدام والاحجام في الطفل approach - auiodance conflict في علاقة الطفل بوالديه . وهناك دراسات كثيرة أوضحت أن هناك كثيراً من مظاهر السلوك يمكن تعليمها للأطفال الرضع عن طريق التشريط أو الاشتراط أي التعلم الشرطي Conditioning من ذلك الامتصاص والابتسامة(٩) .

أما السلوك الإدراكي أي الذي يؤدي إلى إدراك الحقائق والموضوعات وكذلك المهارات الحركية motor skills كالمشي ، فيدخل فيها تأثير الوراثة والبيئة ، وبالمثل التعبير الانفعالي Emotional expression والتعرف على الانفعالات Emotions .

أما الاتجاه البيئي فيفسر اكتساب اللغة أو الاكتساب اللغوي عن طريق التشكيل أو التعديل التدريجي للأصوات وتحويلها إلى كلمات عن طريق التعزيز المباشر أو التعزيز الثانوي أي عن طريق تقديم المكافآت reinforcement أو عن طريق التقليد الناجح للآباء . ولكن « **الاتجاه الاستعدادي** » يعارض هذا الرأي

بالقول بأن هناك دافعية في الإنسان خاصة لتعلم واستعمال اللغة وفقاً لقواعد محددة . ويؤيد هذا الاتجاه فشل المحاولات التي أجريت لتعليم القردة استخدام اللغة ويعارض هذا الاتجاه الاتجاه البيئي .

الاتجاه السلوكي ينظر للتفكير على أنه لغة أو كلام ضمني صامت ، ولكن نظرية بياجيه في النمو المعرفي تذهب إلى القول بأن التفكير يرتبط بعمليات داخلية نضوجية مستقلة عن اللغة .

التفكير يبدأ من بداية الاحساس أو على مستوى الاحساس أو على المستوى الحسي حركي ، ويتقدم إلى أن يصل إلى مستوى التجريد (١٠) والترميز اي استخدام المعاني المجردة والرموز abestract . وعندما يحدث هذا الانتقال يصبح الطفل قادراً على استعمال اللغة وعلى تعلمها . والدراسات الحديثة التي أجريت على الدماغ توحي بأن القدرة اللغوية والمنطقية أو العمليات اللغوية والمنطقية تقع في النصف الأيسر من لحاء الدماغ Brain cortex . أما النصف الأيمن فيبدو أنه متخصص في القدرات المكانية بما في ذلك التعرف على الوجوه والتعبير عن الانفعالات والتفكير الحدسي أي الطفرى أو الفجائي أو الإلهامي والذي يختلف عن التفكير الاستدلالي الذي يتسير فيه الذهن من المقدمات إلى النتائج بعد أن يترك الطفل الرضيع مرحلة الرضاعة Infance فإن قدرته على التكيف مع الضغوط تصبح هامة في تحديد نمو شخصيته في المستقبل . ولقد كان الفريد آدلر Adler يعتقد أن ترتيب ميلاد الطفل له تأثير على هذه السمات . وأن الطفل الأول في ترتيب الميلاد سيكون من النوع الذي يسعى للحصول على موافقة الغير وسوف يتجه للتحصيل والإنجاز . أما الطفل الثاني فسيكون أما متمرداً أو متبلداً ولكن هذا ليس أمراً وراثياً .

فيما يتعلق بالتربية الخلقية وتدريب الطلاب على السلوك الموالي للمجتمع ، فيمكن دراسة هذا السلوك أما على مستوى المعايير الداخلية أو الذاتية للفرد أو الاستعدادات الداخلية أو على المستوى البيئي . وكان فرويد يعتقد أن المعايير الداخلية تنبع مع ظهور الذات العليا(١١) superego في حوالى سن الخامسة من العمر عندما يحل الطفل عقدة أوديب(١٢) oedipus complex

من خلال تقمص شخصية الوالد من نفس جنس الطفل . أما جان بياجيه piaget وكوهلبرج Kohlberg فكانا يريان أن عملية امتصاص أو استدخال المعايير الخلقية internalization of moral عملية نمو معرفي حيث يتم دفع الطفل بقوى بيولوجية أو بالنضج البيولوجي . أما هوجان Hogen فلقد أسس نظرية في النمو الخلقى قائمة على أساس التعلم الاجتماعي social learning والنضج الخلقي الكامل ، في نظره ، يتكون من درجة عالية جداً من التطبيع الاجتماعي(١٣) socialization والتعاطف أو المشاركة الوجدانية والاستقلالية أو الذاتية مع وضع معقول على قياس اخلاق المسؤولية في مقابل أخلاق الضمير .

وبالنسبة لدراسة العدوان Aggression أو السلوك العدواني فهو السلوك الذي يستهدف إحداث ألم أو جرح نفسي أو فيزيقي لشخص أو لكائن حي أو هو استهداف التدمير الفيزيقي لموضوع ما .

وترى المدرسة التحليلية أن السلوك العدواني المسئوول عنه دافع غريزي يثير ويدفع هذا السلوك أي أن العدوان سلوك غريزي . ولكن القول بالغرائز قول مردود أيضاً ولا يقبله علماء النفس المعاصرون مثله مثل كثير من أقوال فرويد .

أما تفسير المدرسة السلوكية للسلوك العدواني فيرجعه إلى الاشتراط أو التعلم الشرطي ، ولذلك ينتقد علماء النفس البرامج التليفزيونية لأنها تعرض كثيراً من نماذج العنف للمشاهدين(١٤) ، ولكن هذا الموضوع ما زال في حاجة لمزيد من البحث التجريبي . وهناك فرض يرجع العدوان إلى الإحباط ويعتبر هذا الفرض العدوان وراثياً أو جبلياً لأنه يعتبر هذا السلوك سلوكاً فطرياً . ومن الانتقادات التي توجه الى فرض الاحباط أن الإحباط قد لا يؤدي في جميع الحالات الى العدوان وذلك عندما يكون الإحباط مناسباً أو ملائماً أو مؤقتاً أو بسيطاً بحيث يمكن احتماله أو عندما يكون مصدر الإحباط قوياً لا نستطيع ممارسة العدوان عليه . بينما يرى آخرون أن الاحباط يثير انفعال الغضب ذلك الغضب الذي يؤدي إلى العدوان إذا كان هناك بعض العوامل المساعدة في البيئة المباشرة ، ولكن تبين أن الآباء الذين يعتمدون على العقاب البدني في تطبيع ابنائهم يعملون على تغذية روح التسلط أو الدكتاتورية والعدوانية في أطفالهم . ومعروف أن الشخصية السيكوباتية تفتقر إلى الشعور بالتعاطف أو المشاركة

الوجدانية أو الشعور بما يشعر به الآخرون مع فقدان الشعور بالذنب من جراء إيلام الآخرين وهي شخصية عدوانية ، وقد ينظر إلى العدوان ضد مصدر الاحباط على أنه نوع من التفريغ أو التطهير أو التصريف الانفعالي .

هذه صورة عن طبيعة الشخصية وخصائصها والعوامل المؤثرة في نموها وتطورها في إطار الفكر الغربي الذي يدعي لنفسه فضل السبق في اكتشاف هذه التصورات وصياغتها ، ولكن المتأمل في التراث الإسلامي الخالد يلمس لتوه فضل سبق إسلامنا الحنيف في إدراك كثير من التصورات الخاصة بالشخصية والوراثة والبيئة والطبيعة البشرية . وليس هناك أدل من قوله تعالى : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ البلد ١٠ .

خصائص شخصية المتعلم في الإطار الإسلامي

بعد استعراض طبيعة الشخصية والعوامل المؤثرة في تكوينها وفي تكيفها وسوائها في الإطار الغربي ، نستعرض مع القارىء الكريم خصائص الشخصية الإسلامية أي تلك التي تتربى في كنف الإسلام وتحت ظلاله . والمعروف أن الشخصية مفروض أن تتمشى مع نوع ثقافة المجتمع السائد ، ولذلك فالشخص الشيوعي لا يتكيف في مجتمع رأسمالي ، ولذلك المفروض أن تستهدف مؤسساتنا التربوية إعداد الشخص الصالح للمعيشة في المجتمع الإسلامي المعاصر . ولا شك أن الاسلام يطبع شخصية أبنائه بطابع معين ، ويغرس فيهم قيماً ويكون في شخصياتهم سمات وخصائص لا تتكون إلا في إطار التعاليم الإسلامية الخالدة ، وفيمايلي نستعرض السمات والقيم التي تغرسها التربية في الشخصية إذا سارت على هدى من الإسلام الحنيف .

١ ـ تنمية سمة التعاون في شخصية المتعلم المسلم :

يحض إسلامنا الحنيف أبناءه على التعاون في مجال الخير والنفع والبر والتقوى والإحسان ، والخوف من الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ المائدة ٢ .

والمسلم منهى عن صداقة الكفار لقوله تعالى : ﴿ **الذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً كبيراً** ﴾ الأنفال ٧٣ .

٢ ـ تنمية سمة الاعتدال والتوسط في الشخصية المسلمة :

يحرص الإسلام على تربية أبنائه على التوسط والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفريط ولا مغالاة ولا إسراف ، ولا تقتير ولا بخل ولا شح ، وإنما التوسط بين هذا وذاك ، كما في قوله تعالى: ﴿ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ لقمان ١٨ .

فأمة الإسلام جاءت بعيدة عن التطرف والمبالغة ، وإنما اتسمت بالتوسط والاعتدال لتكون شهيدة على غيرها من الأمم ومصداقاً لقوله تعالى :
﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء ﴾ البقرة ١٤٣ .

ويحث الإسلام على التوسط وعدم الإسراف كما في قوله تعالى : **﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾**الإسراء ٢٩ .

ويكره الإسلام الإسراف اهتداء بقوله تعالى : **﴿ يا بني خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾** الأعراف ٣١ .

٣ ـ تنمية سمة الايجابية في الشخصية المسلمة :

الشخص المسلم لا يتربى على السلبية والتواكل أو الانعزالية والبعد عن عن الانخراط في معترك الحياة الاجتماعية ، وإنما هو إنسان ايجابي يقف من الأحداث موقفاً فاعلاً مؤثراً في كل ما يدفع إلى الخير والنفع . وكل ما يبعد الشر والفساد والطغيان والمنكر والخبث والخبائث والفحش والفواحش ، فهو مسؤول وراع لنفسه ولأسرته وهو مصلح لذاته وغيره ، وذلك انطلاقاً من التعاليم الإسلامية السمحة عملاً بالمبدأ الإسلامي التربوي البليغ .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون للخير ويأمرون بالمعروف ﴾ آل عمران ١٠٤ ، وكذلك قوله تعالى : **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ﴾** آل عمران ١١٠ .

٤ ـ تنمية سمة القوة في الشخصية المسلمة :

يحب الإسلام أن يتربى أبناؤه على القوة بمعناها العام أي الجسمية والعقلية وقوة الإيمان ، ولكنها القوة المشروطة بالخير والنفع والمحاطة بسياج من الأخلاق الإسلامية كما في قوله تعالى : **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفِ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾** الأنفال ٦٠ .

ووفقاً للهدى النبوي المطهر « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (المؤمن القوي خير

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستعن با لله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو إني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل فإن« لو » تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم .

تنمية روح المسؤولية في شخصية المسلم :

الإسلام مدرسة جامعة وحركة إصلاح عالمية كبرى تستهدف بناء الفرد على أسس سوية وقويمة ، بحيث يشب مواطناً صالحاً يتحمل المسؤولية ولا يتهرب منها ، ويقوم بواجبه من وازع ضميره الخلقي الداخلي وذلك استرشاداً بقول رسولنا الكريم :

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته) رواه مسلم .

وكما في قوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ الإسراء ١٣ .

ومبدأ المسؤولية في الإسلام يسير وفق التدرج والواقعية فكل إنسان مسؤول في حدود إمكاناته وقدراته ودائرته وفي ذلك تنظيم للحياة الاجتماعية بمختلف مستوياتها ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها . ومبدأ مراعاة الفروق الفردية من المبادىء السيكولوجية الحديثة التي تؤكدها التربية وعلم النفس .

والمسؤولية في الاسلام محددة والجريمة عقابها لفاعلها كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ الأنعام ١٦٤ .

٦ - تنمية سمتي الواقعية والموضوعية في الشخصية المسلمة :

يوجه إسلامنا الحنيف الفرد للابتعاد عن كل مظاهر الشعوذة والخرافة والسحر ، وكل أنواع الأباطيل والضلال والبدع والخزعبلات والأهواء والنزعات الشخصية المتطرفة أو المتعصبة التي لا تستند إلى واقع أو إلى منطق سليم ومستساغ . فالواقعية تعني إيمان المسلم بالواقع لا بالخرافة أو الأهواء الوهمية ،

والموضوعية تعني أنه يلتزم في أحكامه بالوقائع والحقائق الثابتة البعيدة عن الأهواء الذاتية أو الشطحات والتعصب . فالمسلم الحق يؤمن بالتجربة والخبرة ولذلك يتخذ الحيطة والحذر كما في قول الرسول الكريم (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) رواه البخاري .

ويدعو الإسلام إلى التفكير والتأمل والتبصر والتدبر في مخلوقات الله ومعجزات الكون وفي أنفسنا لترسيخ وتأصيل إيماننا . والعلم يبعد الإنسان عن التحيز والتعصب واتباع الهوى والشعوذة ، فالعلم موضوعي والإسلام حركة عقلانية علمية يخاطب العقل والقلب والحس والوجدان والشعور .

وتكرم العلم والعلماء وتدعو إلى نشر العلم والتفقه في الدين ويعد هذا من قبيل الواقعية المعتدلة وذلك اهتداء بقوله تعالى : ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ طه ١٤٤ .

وقوله كذلك : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ الذمر (٩) .

وقوله تعالى في تكريم العلماء : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات** ﴾ المجادلة (١١) . وقوله عز وجل : ﴿ **إنما يخشى الله من عبادة العلماء** ﴾ فاطر (٢٨) .

وعن رسول الله قوله : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) رواه البخاري .

وقوله كذلك : (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة) رواه مسلم . وقوله في تكريم العلماء (العلماء ورثة الأنبياء) .

وفي الدعوة لنشر العلم يقول الحديث النبوي الشريف : (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) رواه الترمذي . وسمة الصدق التي يدعو إليها الإسلام تمنع قول الزور والغش والبهتان والنصب والاحتيال .

٧ ـ سمة التوازن والتكامل في الشخصية الإسلامية :

ينمي الإسلام سمة الوعي والإدراك والفهم والتبصر فالمسلم يعني قوله

تعالى : ﴿ ولا يستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ فصلت ٣٤ .

وتجتمع في الشخصية المسلمة وتتكامل كل الفضائل كالبر والإيمان والتقوى والورع والخشوع والرحمة والمودة والإخلاص والولاء والحمد والشكر والعفة والطهر والطهارة والزهد والصدق والصبر والصلاح والرضا والتوكل على الله وسلامة النية وصفاء السريرة ، والأحسان وحب السلم والسلام والمسالمة وحب الرفق والنظافة والطهارة والإيمان والقوة والعدل والإنصاف والأمانة والهدى والفلاح والسعادة والمودة والمسلم اجتماعي بطبعه وفطرته كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ النساء ٨٦ .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا ﴾الأحزاب ٧٠ . ويؤمن المسلم بالإخاء لقوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ آل عمران ١٠٣ .

وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ الحجرات ١٠ .

ففي الشخصية الإسلامية تكامل بين مختلف قواها النفسية والعقلية والإيمانية والجسدية والاجتماعية وتكامل بين العقل والروح والعقل والقلب . فالتراث يحدثنا عن البعد عن الهوى ويدعونا أن نعمل لآخرتنا كأننا نموت غداً وأن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبد الدهر . ويرشدنا بأن لبدننا علينا حقاً ويدعونا للصلاة والصوم والذكر والحج وفي نفس الوقت يدعونا للعمل والتجارة والكسب الحلال كما في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ الجمعة ١٠ .

ينظر الإسلام للإنسان على أنه مزيج من القوى الروحانية السامية والقوى المادية أو الجسدية ، ولا يغفل جانباً من هذين الجانبين ، وإنما يهتم بهما معاً في تناسب وتناسق ويجعل القوى الروحانية السامية تعلو القوى المادية وتسيطر عليها وتنصاع لها في الإنسان[١٥] .

ويدرك الإسلام الطبيعة الإنسانية إدراكاً جيداً ، فيعرف أن الانسان ضعيف أمام القوى الأخرى ، ولذلك يخفف الله عنه ضغوط البيئة : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً** ﴾ النساء ٨ .

ويراعي الإسلام قدرات الإنسان المحدودة فلا يكلفه بأزيد من طاقته حتى لا يشعر بالفشل والاحباط ويفقد ثقته في ذاته ويكره الأمور التي يفشل فيها . ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ البقرة ٢٨٦ .

وتتوخى التكاليف الإسلامية الاعتدال والتوسط في طلب أدائها وتتوخى التيسير على الناس ، بحيث يستطيع الإنسان المتوسط القيام بها دون معاناة أو مشقة .

وللتوازن أهمية كبيرة في حياة المسلم وله مجالات كثيرة ، فهناك توازن بين قوى الانسان نفسه ، وهناك في التشريع ، توازن بين الفرد والمجتمع ، وبين الحاكم والمحكوم وبين الرجل وزوجته، وبينه وبين أبنائه . فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا إهمال . فالإسلام يعترف بقيمة الفرد ودوره في الحياة الاجتماعية : ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** ﴾ مريم ٩٥ ، وكل إنسان في الإسلام راع ومسؤول عن رعيته بل هو مسؤول عن نفسه فلا يلقي بها إلى التهلكة . والإنسان مسؤول عن المجتمع الذي يعيش فيه وعن عمارة الكون وخلافة الله في الأرض وإعلاء كلمته ويحافظ على حقوقه ويوضح له واجباته .

ويحافظ الإسلام على حياة المجتمع ووحدته وتماسكه وبقائه كما جاء في الحديث النبوي الشريف : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم يؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » رواه البخاري(١٦) .

فالفرد عضو في جماعة عليه أن يحافظ على وحدتها ولا يدمرها . وهناك توازن بين أن يسلم المرء نفسه لله تعالى الخالق الرحيم وبين أن يتحمل هو المسؤولية أيضاً . وهناك توازن بين أداء العبادات والسعي على العيال اهتداء بقول رسولنا الكريم : « إن من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الصيام

ويكفرها السعي على العيال » مسلم[١٧] .

ومن ذلك أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصح وعيادة المرضى والمشي في الجنائز ورد السلام وتشميت العاطس والتزاور في الأعياد بين المسلمين والدعوة للجهاد في سبيل الله والوطن[١٨] .

فالإسلام يربي أبناءه على الإيجابية والتربية الإسلامية كما يعبر عن ذلك الأستاذ علي القاضي « تأخذ الإنسان كما هو فتعنى به من الناحية الجسمية ومن الناحية الروحية ومن الناحية العقلية حتى يكون صالحاً لأداء رسالته في الأرض لأنه خليفة الله وبذلك يكون صالحاً للاتصال با لله تعالى صالحاً للتعرف على أسرار الكون وصالحاً لعمارة الأرض واستخدام هذه الطاقات كلها يحدث توازناً في الإنسان ومقوماته » ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ البقرة ١٤٣ .

وتتضمن الشخصية في الإسلام جوانب الخير والشر ، والإنسان يختار طريقه ويعمل الوعظ والإرشاد والتوجيه والتربية على تزكية جانب الخير ﴿ « **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ الشمس ١ ـ ١٠ .

ويغرس الإسلام في أبنائه كثيراً من الخصال والخلال الحميدة ، ومن بينها المودة كما في قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ الروم ٢١ .

ـ من سمات الشخصية الإسلامية الإحسان :

فالمسلم مدعو إلى التعود على الإحسان لغيره كما جاء في الهدى القرآني الكريم : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ النحل ٩٠ .

ومن مزايا التربية في الإسلام أنها تستهدف بناء النفس من الداخل ، وبعد أن أتم الإسلام هذا البناء بدأ في بناء المجتمع على أسس أخلاقية . فحقق الإسلام سعادة الفرد وطمأنيته وكفل للمجتمع وحدته وترابطه . فالتربية في الإسلام تستهدف إرهاف إحساسات الإنسان وانفعالاته وتنظيمها .

- تنمية سمة التمايز في الشخصية الإسلامية :

يسعى الإسلام إلى تكوين شخصية المسلم بصورة متمايزة عن غيره من أرباب الأمم الأخرى . وينهي الإسلام عن التشبه باليهود أو التمسك بعاداتهم ويتضح ذلك من الصورة التي تؤدى بها العبادات والعادات والتقاليد كما في قوله ﷺ : (خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) البخاري ذلك لأن المشابهة في الظاهر تورث المحبة والموالاة في الباطن .

وإلى جانب هذه السمات فالإسلام يربي المسلمين على مجموعة من السمات الإيجابية الأخرى التي نوجزها إيجازاً فيما يلي لضيق المجال :

١ - العدل والمساواة
٢ - التسامح والعفو
٣ - الرفق
٤ - الإحسان
٥ - الصدق
٦ - الزهد
٧ - الأمانة
٨ - المرابطة
٩ - الشكر
١٠ - الشورى
١١ - الصبر
١٢ - الجهاد
١٣ - حب العمل
١٤ - الطهر
١٥ - العفة
١٦ - الإخاء
١٧ - الاستقامة
١٨ - التقوى
١٩ - الخشوع
٢٠ - الورع
٢١ - التوكل على الله
٢٢ - الإيمان
٢٣ - النظافة
٢٤ - اليسر والتساهل
٢٥ - الحمد
٢٦ - القسط
٢٧ - التضرع
٢٨ - التواضع
٢٩ - التوبة
٣٠ - الرحمة والشفقة والعطف
٣١ - السلام
٣٢ - الرشد والارشاد
٣٣ - الصلاح
٣٤ - العزة والكرامة
٣٥ - الفلاح
٣٦ - النظام
٣٧ - صفاء النية ونقاء السريرة
٣٨ - الطاعة في غير معصية الله
٣٩ - الأمل والرجاء والتمني

خاتمة :

هذا وينهى الإسلام عن أضداد هذه الصفات . وهكذا يتضح لنا من خلال هذا البحث أهمية أن تنحو التربية في المتجمعات العربية نحواً إسلامياً ، وأن تصبغ العلوم الحديثة بالصبغة الإسلامية ، وأن يتم اختيار عناصرها وموادها وغربلتها بحيث يتم إقصاء ما يتعارض مع الدين الإسلامي ونربط في تدريسنا بين العلوم الحديثة وأصولها الإسلامية وتطبيقاتها العملية في حياة المسلم . وإذا استطاعت التربية أن تتجه وجهة إسلامية استطاعت أن تعيد بناء المواطن المسلم وأن تصقل شخصيته وأن تجعله قادراً على الإنتاج وعلى ممارسة الإيجابية والديمقراطية وعلى أن يسهم في خير نفسه وخير مجتمعه وأن يعلي كلمة الحق ويرفع من شأن الإسلام ففي الإسلام صلاح الفرد والمجتمع .

مراجع وهوامش :

(١) Samuel, W., personality, Mc Graw - Hill, Interntional Book Co., London, 1981. P. 3.

(٢) د . عبد الرحمن محمد العيسوي ، دراسات في علم النفس الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . ١٩٨٦ .

(٣) Citedin samuel, W., P. 3.

(٤) English, H. B., and English, A. C.k A comphehensive Dictionary of psychological and psychoanalytical Terms, Longmans, London, 1958.

(٥) د . عبد الرحمن محمد العيسوي ، علم النفس في الحياة المعاصرة ، دار العلوم العربية بيروت ، ١٩٩٠ .

(٦) د . عبد الرحمن محمد العيسوي ، أمراض العصر ، الأمراض العقلية والنفسية والسيكوسوماتية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨ .

(٧) د . عبد الرحمن محمد العيسوي ، سيكولوجية النمو ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ .

(٨) مرجعه السابق Samuel, W.

(٩) التعلم الشرطي ضرب من التعلم يتم فيه تعليم الكائن الحي الاستجابة للمثيرات الشرطية أي الصناعية كصوت الناقوس بدلاً من الاستجابة للمثير الطبيعي كالطعام أو اللحوم وذلك بعد اقتران المثير الشرطي بالمثير الطبيعي عدة مرات . ويتم هذا التعلم من جراء توفر التعزيز أو المكافأة التي يتلقاها الكائن الحي . فالاستجابات المعززة تدوم وتترسخ وتثبت في خبرته ، والاستجابات أو السلوك غير المعزز يتلاشى ويكف عن الظهور . وللتعلم الشرطي كثير من التطبيقات التربوية والعلاجية .

(١٠) التجريد واحد من العمليات العقلية العليا وفيه يقوم الذهن بحذف الصفات العرضية من الشيء ويستبقي الصفات الجوهرية فيه وبذلك يكون الطفل المفاهيم والتصورات المجردة كالخير والشر والعفة والفضيلة والحق والجمال والانسانية .

(١١) الذات العليا في التصور الفرويدي هي أحد عناصر الشخصية الثلاثة وهي الذات الدنيا Id والذات الوسطى Ego . ولكل وظيفته . فالذات الدنيا مستودع الشهوات والدوافع الحيوانية والبدائية والغريزية والعدوانية وتسير حسب تحقيق مبدأ اللذة . والذات الوسطى منطقية تسير وفقاً لمبادىء المنطق ومطالب المجتمع وتحاول التوفيق بين مطالب الذات الدنيا والذات العليا . أما الذات العليا فهي مستودع القيم الخلقية والروحية والمثالية وتمثل الضمير بوظائفه في الردع والعقاب والتعور بالذنب ومنع وقوع المعاصي قبل حدوثها وتعادل في الفكر الإسلامي النفس اللوامة وللإسلام فضل السبق في هذا المضمار .

(١٢) عقدة أوديب أو الموقف الاوديبي وفيه يتعلق الطفل الذكر بأمه ويحبها ويرغب في إقصاء الأب الذي يعتبره منافساً قوياً له . ويقابلها عند الانثى عقدة الكترا وتعني تعلّق الفتاة بأبيها وحبها إياه ورغبتها في إقصاء الأم . ومثل هذه الأمور فروض لم يقم عليها الدليل التجريبي ومن الأخطاء التي ارتكبها فرويد حين شكك في صفاء ونقاء أرق المشاعر الانسانية .

(١٣) التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يمتص الطفل من خلالها قيم المجتمع

ومعاييره ومثله العليا وأنماط سلوكه ويستدخلها بحيث تصبح جزءاً من ذاته ومن كيانه .

(١٤) د . عبد الرحمن محمد العيسوي ، الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ . اسكندرية .

(١٥) على القاضي ، أضواء على التربية في الإسلام .

قاموس مصطلحات علم نفس الطفل

_A_

Achievement:	تحصيل ـ إنجاز
Activity Level:	مستوى النشاط
Aggression:	العدوان ـ الاعتداء
Anger:	الغضب
Anorexia:	فقدان الشهية ـ عدم الرغبة في الطعام
Anxiety:	القلق ـ الحصر
Assertiveness:	نزعة التوكيد
Assessment:	قياس ـ تقويم ـ تقرير
Asthma:	مرض الربو
Attachment:	ارتباط ـ تعلق ـ الحاق ـ اتصال
Attention:	انتباه
Attribution:	إنتساب ـ إغراء
Autism:	ذاتية
Autistic:	ذاتي ـ حول ذاته
Auxiliary:	مساعد ـ معاون ـ إضافي ـ احتياطي

_B_

Baseline measures:	مقاييس خط الاساس أو الخط القاعدي
Bedwetting:	بل الفراش ـ التبول اللاارادة
Behavior:	سلوك
Behavior Checklist:	قائمة السلوك
Behavior disorders:	اضطرابات السلوك
Behavior therapy:	العلاج السلوكي
Behavioral style:	الاسلوب. السلوكي
Biofeedback:	التغذية الرجعية البيولوجية
Brain damage:	تدمير الدماغ ـ إصابة الدماغ ـ تلف الدماغ

_C_

Catharisis:	تصريف ـ تفريغ ـ تطهير
Checklist:	قائمة
Childhood schizophrenia:	فصام الطفولة ـ ذهان عقلي
Children:	اطفال
Classical conditioning:	الاشتراط الكلاسيكي
Cognitive behavior therapy:	العلاج السلوكي المعرفي
Cogntitve processes:	العلمليات المعرفية
Conditioning:	الاشتراط ـ التشريط ـ التعليم الشرطي
Conduct prblems:	مشاكل الاخلاق
Constitutional factors:	العوامل الجبلية ـ التكوينية
Contracts:	عقود ـ اتفاقيات

_D_

Depression:	الاكتئاب ـ الكآبة ـ الغم ـ الهم ـ الحزن
Desensitization:	سلب الحساسية
Developmental disabilities:	العجز أو العجوزات الانمائية
Differential reinfocement:	التعزيز الفارقي
Difficult children:	الاطفال المشكلين
Discrimination learning:	التعلم التمايزي
Distractibility:	النزعة للهدم أو التدمير أو التحطيم
Drugs:	العقاقير ـ المخدرات ـ الادوية

_E_

Early infantile autism:	الذاتية الطفلية المبكرة
Echolalia:	ترديد الالفاظ لا ارادياً . ظاهرة مرضية
Emotional disturbance:	آضطراب انفعالي
Emotions:	انفعالات
Encopresis:	العجز على التحكم في الاخراج لدى الطفل
Enuresis:	التبول اللاارادي
Environment:	البيئة
Epilepsy:	مرض الصرع
Ethical issues:	مسائل اخلاقية
Explanations in science:	التأويل أو التفاسير في العلم
Extinction:	انطفاء ـ انقراض ـ تلاشي ـ زوال ـ خمود

_F_

Factor analysis:	التحليل العاملي
Fading:	خفوت ـ خبو ـ همود ـ تلاشي ـ ضعف
Fantasies:	خيالات ـ أوهام
Father:	الأب ـ الوالد
Fears:	المخاوف
Follow-up studies:	الدراسات التتبعية
Food refusal:	رفض تناول الطعام
Frustration	الاحباط
Functional analysis:	التحليل الوظيفي

_G_

Gender disorders:	الاضطرابات الجنسية
Generalization:	التعميم
Genetic and constitutional:	العوامل الوراثية والجبليَّة
Gratification:	الاشباع
Guilt:	الذنب ـ الأثم ـ لوم الذات

_H_

Hairpulling:	جذب الشعر ـ نتف الشعر
Hyperactivity:	النشاط الزائد عن الحد . فرط النشاط

_I_

Identitiy problems:	مشاكل الهوية أو الذاتية
Imitation training:	تدريب التقليد
Implosion:	انفجار داخلي
Impulsive behavior:	السلوك الاندفاعي أو المندفع
Intelligence tests:	اختبارات الذكاء
Interview:	المقابلة الشخصية

_J_

Juvenile delinquency:	جنوح الاحداث

_L_

Labels:	لوحات ـ لافتات
Language:	لغة
Learning:	التعلم ـ التعير الذي يطرأ على أداء الحي

Learning disablility:	تعلم العجز أوفقدات القدرة
learning potential:	امكانية التعلم

_M_

Maintenance of treatment effect:	المحافظة على استمرار اثر العلاج
Marital conflict:	الصراع الزواجي
Medication:	العلاج ـ التطبيب
Mental age:	العمر العقلي
Mental deficiency:	الضعف العقل
Mental retardation:	التاخر العقلي
Mental subnormality:	الضعف العقلي
Minimal brain dysfunction:	العجز الوظيفي للدماغ البسيط
Modeling:	النمذجه
Moral development:	النمو الخلقي
Multiple baseline designes:	التصميمات المتعددة القاعدية

_N_

Negative reinforcement:	التعزيز السلبي
Negativisim:	السلبية نزعة النفسية في الأطفال
Neurological impairment:	العجز العصبي
Normality:	السواء ـ االطبيعة ـ حالة السواء

_O_

Obestity:	السمنة ـ البدانة
Observation of behavior:	ملاحظة السلوك
Observation data, presentation of:	استعراض معطيات الملاحظة
Observational learning:	التعلم بالملاحظة
Operant learning:	التعلم الأدوي

_P_

Parent- child interaction:	التفاعل بين الطفل ووالديه
Parents:	الآباء ـ الوالدين
Pathological bulge in IQ-score distribution:	وجود نتوء مرض في توزيع درجات نسبة الوفاء
Perceptual- motor difficulties:	صعوبات ادراكية حركية
Personal constructs:	تصورات أو تكوينات شخصية
Personality:	الشخصية
Personality problems:	مشاكل الشخصية

Phenylketonuria:	حالة البوال الناتجة عن الضعف العقلي
Phobias:	المخاوف الشاذة
Physiology:	الفسيولوجيا علم وظائف الاعضاء
Placebo:	دواء وهمي
Positive practice overcorrection:	ممارسات الاصلاح الزائد الايجابية
Pregnancy, complication of:	تعقيدات أو مضاعفات الحمل
Premack principale:	المبدأ القبلي
Preservation of sameness:	المحافظة على المثلية
Private events:	الاحداث الخاصة
Pronominal:	ضميري ـ ذو علاقة بالضمير
Psychological disorders:	الاضطرابات النفسية
Psychophsiological disorders:	الاضطرابات النفسية الفيسولوجية
Selective attention:	الانتباه الانتقائي
Self- control:	الضبط الذاتي
Self- fulfilling prophecy:	تحقيق الذات
Self- guidance:	التوجيه الذاتي
Self- injurious behavior:	السلوك الجارح للذات
Self- stimulatory behavior:	السلوك المثار ذاتياً
Sensory extinction:	الانطفاء الحسي
Separation anxiety:	قلق العزل أو الانفصال
Sex differences:	الفروق الجنسية
Sex role:	الدور الجنسي
Shaping:	التشكيل ـ التنميط
Social competenece:	الكفاءة الاجتماعية
Social isolation:	العزل الاجتماعي
Social reinforcement:	التعزيز الاجتماعي
Social skills:	المهارات الاجتماعية
Socialization:	عملية التنشئة الاجتماعية
Psychosomatic:	الاضطرابات النفسجيمية
Psychotic behavoir:	السلوك الذهاني (المريض)
Punishment:	العقاب ـ المعاقبة

_Q_

Questionnaires:	الاستخبارت ـ الاستبيانات

_R_

Rage- reduction:	خفض الانتقام

Reading:	القراءة
Recidivism:	العودة للجريمة أو الاجرام
Recording of observations:	تسجيل الملاحظات
Reinforcement:	التعزيز
Respondent conditioning:	الاشتراط الاستجابي
Response cost:	تكلفه الاستجابة
Response style:	نمط اسلوب الاستجابة
Reversal design:	التصميم المعكوس

_ S _

School phobia:	فوبيا المدرسة الخوف الشاذ من المدرسة
Socioeconomic:	المكانة الاجتماعية الاقتصادية
State- dependent learning:	التعلم المعتمد على الدولة
Stimulus complexity:	تعقد المثيرات
Stimulus control:	ضبط المثيرات
Systematic desenstitization:	سلب الحساسية المنتظم

_ T _

Television:	التلفاز
Temperament:	المزاج
Therapist:	المعالج
Theray:	العلاج ـ المعالجة
Thoughts and feelings:	الأفكار والمشاعر
Toilet training:	التدريب على قضاء الحاجة
Treatment:	التعزيز بالصكوك العلاج

_ V _

Values:	القيم (الاخلاقية او الروحية أو الاقتصادية او السياسية)
Vomiting:	التقيء ـ الاستفراغ ـ القيء

_ W _

Withdrawn behavior:	السلوك الانسحابي

١ - قائمة بالمراجع العربية

١ - أبو بكر جابر الجزائري ، **منهاج المسلم** ، مكتبة الدعوة الإسلامية - شباب الأزهر ، القاهرة مصر ، ١٩٦٤ م ١٣٨٤ ه .

٢ - أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، **كتاب المصباح المنير** ، ١، ٢ نظارة المعارف العمومية، ط ٣ ، القاهرة مصر ، ١٩١٢ م .

٣ - أحمد زكي بدوي ، **معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية** ، مكتبة لبنان ، بيروت لبنان ، ١٩٨٦ م .

٤ - أحمد شلبي ، **التربية الإسلامية** ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط ٧ مصر ، ١٩٨٢ م .

٥ - أحمد عزت راجح ، **أصول علم النفس** ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٦ - أسعد رزوق ، **موسوعة علم النفس** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٧ م .

٧ - البخاري ، للعلامة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري بحاشية السندي** ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م .

٨ - بركيان بركي القرشي ، **القدوة ودورها في تربية النشيء** ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٩٨٤ م ، ١٤٠٥ هـ .

٩ - الترمذي ، **صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١٠ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، **الكتاب الأحصائي السنوي** ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ،١٩٨٨ م .

١١ - جول لابوم ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، **تفصيل آيات القرآن الحكيم** ،

دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ م .
١٢ ـ حامد عبد السلام زهران ، قاموس علم النفس ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ١٩٨٧ .
١٣ ـ حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ،ط ٢ عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧ م .
١٤ ـ حسن الشرقاوي نحو تربية إسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٣ م .
١٥ ـ سعد مرس أحمد ، وسعيد إسماعيل علي ، تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
١٦ ـ سعيد إسماعيل علي ، تدريس المواد الفلسفة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٢ م .
١٧ ـ شاكر قنديل ، معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
١٨ ـ صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس ، دار المعارف بمصر ، ج ٢ ، ط الحادي عشرة ١٩٧١ م .
١٩ ـ صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد ، التربية وطرق التدريس ، جـ ١ دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٢ م .
٢٠ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، سيكولوجية الجنوح ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، بدون تاريخ .
٢١ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، أمراض العصر ، الإمراض النفسية والعقلية والسيكوسوماتية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرة ، مصر ، ١٩٨٤ م .
٢٢ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، العلاج النفسي ، دار المعرفة الجامعية بالأسكندية ، مصر ، ١٩٨٨ .
٢٣ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، سيكولوجية النمو ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م .
٢٤ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، النمو الروحي والخلقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بالأسكندرية ، مصر ، ١٩٨٠ م .

٢٥ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **علم النفس في المجال التربوي** ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ م .
٢٦ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **دراسات في علم النفس الإجتماعي** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٤ م .
٢٧ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **القياس والتجريب في علم النفس والتربية** ، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية ، مصر ، ١٩٨٥ م .
٢٨ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **علم النفس والإنسان** ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مر ، ١٩٨٠ م .
٢٩ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **سيكولوجية الشباب العربي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٥ م .
٣٠ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **العدوان والتسلط** ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت بدون تاريخ .
٣١ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **علم النفس في الحياة المعاصرة** ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٠ م .
٣٢ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **الآثار النفسية والإجتماعية للتليفزيون العربي** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٠ م .
٣٣ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر** ، دار الوثائق ، ط ١ الكويت ، ١٩٨٧ م .
٣٤ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **سيكولوجية التنشئة الإجتماعية** ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٦ م .
٣٥ ـ عبد الرحمن محمد العيسوي ، **الإرشاد النفسي** ، دار الفكر الجامعي ، إسكندرية ، مصر ، ١٩٨٨ .
٣٦ ـ عبد العزيز القوصي ، **علم النفس** ، **أسسه وتطبيقاته التربوية** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
٣٧ ـ عبد الله عبد الدايم ، **لتربية التجريبية والبحث التربوي** ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٧٩ م .
٣٨ ـ عبد المنعم الحنفي ، **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي** ، مكتبة

مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
٣٩ ـ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع **التعليم في المملكة العربية السعودية : بين الواقع والحاضر واستشراق مستقبله** ،ط ٢ ، تهامة ، جدة ، السعودية ، بدون تاريخ .
٤٠ ـ علي حسن حجاج وعطيه محمود هنا ، **نظريات التعلم : دراسة مقارنة ، سلسلة عالم المعرفة** ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، العدد ٧٠ ، ١٩٨٣ م .
٤١ ـ علي خليل مصطفى ابـو العينين ، **الفكر التربوي في الإسلام** ، مجلة رسالة الخليج العربي ، مستله العدد ، ١٧ السنة السادسة ، ١٩٨٦ م ، ١٤٠٦ هـ .
٤٢ ـ علي القاضي ، **أضواء على التربية في الإسلام** ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
٤٣ ـ عمر السعيد رمضان ، **دروس في علم الإجرام** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢ م .
٤٤ ـ القرآن الكريم .
٤٥ ـ محمد الهادي عفيفي ، **في أصـول التربيـة** ، مكتبة الأنجلو المصـرية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٠ م .
٤٦ ـ محمـد عـاطف غيث وآخـرون ، **المرجـع في مصطلحـات العلوم الإجتماعة** ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، بمصر ، ١٩٨٥ م .
٤٧ ـ محمد فؤاد عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨١ م .
٤٨ ـ محمد لبيب النجيحي ، **الأسس الإجتماعية للتربية** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ط ٨ ، ١٩٨١ م .
٤٩ ـ محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد اللطيف السبكي ، **المختار من صحاح اللغة** ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٣٤ م .
٥٠ ـ مسلم ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٢ م . بيروت ، لبنان .

٥١ ـ مصطفى العوجي ، **التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الإنحراف** ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض ، السعودية ، ١٤٠٦ هـ .
٥٢ ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ، **الإصلاحات التربوية** ، السعودية ، ١٩٨٤م .
٥٣ ـ مكدونالدلادل ، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد ، **قاموس مصطلحات علم النفس**، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
٥٤ ـ منير وهيبة الخازن ، **معجم مصطلحات علم النفس** ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
٥٥ ـ النووي ، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، **رياض الصالحين** ، دار التراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
٥٦ ـ النووي ، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، **مختصر كتاب رياض الصالحين** ، من كلام سيد المرسلين ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م .
٥٧ ـ وزارة الداخلية ، مصلحة الأمن العام ، **تقرير الأمن العام** ، لأعوام ١٩٦١ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٩٨١ ، المطابع الأميرية القاهرة ، مصر .

77 - Laing, R. Dk, The divided selft, Pelican Books, 1965.
78 - Lewis, D. J., Scientific principales of psychology, prentice- Hall, Engle- wood, 1963.
79 - Lindesmith, A, r, and Strauss, A. L, social psychology, Holtm New York, 1968,.
80 - Morley, M. E., The Developement of disorders of speech in childhood, Baltimore the Williams and Wilkins Co. 1957.
81 - Mussen, P. H., The psychological Developemend of the child, Prentice- Hall, New jersy, 1936.
82 - Old field, R. C., and mar Shall, j. c. Langauage, penguin Books, 1968.
83 - Partnov, A. A., and fedotov, D. D. Psychiatry, :ir publishing, Moscow, 1969.
84 - Perlman, D. And Cozly, P. C., social Psychology, Holt- Rinehart and Winston, New York, 1083.
85 - Plaget, J., play, dreams and Imitation, in childhood, New York, Norton, 1951.
86 - Piaget, J., the language and thought of the childm New York, Meridian Books, 1955.
87 - Ross, A. O.m Psychological disorders of children, Magraw- Hill Kogakusha, L T D. Tokoyo, sydney, 1980.
88 - Samuel, W., Personality, Macgraw - Hill International Books Co., London, 1981.
89 - Shanmugam, T. E., Abnormal Psychology, Macgraw- Hill publishing Co. Limited, New Delhi, 1981.
90 - Smith, M, An investigation of the developement of the sendence an the extent of vocabulary in young childern, University of Iawa icued in child werfar 1926.
91 - Sperling, A., Psychology made simple, W. H. Allen, London, 1967.
92 - Strange, J. R., Abnormal Psychology. Mcgraw- Hill Books Co., 1965.
93 - Summerscale, j., the penguin encyclopedia, books, 1295, penguim.
94 - Toch, Hand., violent men, an inquiry into the psychology of vioence, a plecan book, 1972.
95 - Wolpe, J, and A.A. lazarus, behaviour therapy, techniquex, pergamon press, oxford, 1963.
96 - Ziman, E., Jealausy in childern, London, victor Co. 1950.

٢ - « قائمة بالمراجع الأجنبية »

58 - Bowlb, J. Separation: Anxiety and Anger, New York, Basic Books, 1973.

59 - Bromlly, D. B., the Psychology of Aging, Penguim Books, 1966.

60 - Chaplin, J. P. and Krawiec, T. S., Cystems and theories of psycology, London: Holt, Rinehart and Winston, 1970.

61 - Clouston, T. S., The Hygiene of the mind. Metuen and Co., London, 1926.

62 - Crowcroft, A., The psychotic, elican hooks, 1967.

63 - Darlaand, S., Pocket edical dictionary, oxford and IBH publishing Co Bombay.

64 - Donld, J., Scientific Princpales of psychology, prentice- Hall, Inc., Newyork, New jersy, 1936.

65 - Drever, J. A dictionery of psychololgy, prnguim Books, 1964.

66 - English, H.b. and English, A. C, A Comprehensive Divtionary of psychological and psychoanalytical, terms, longmans, London, 1958.

67 - Gallatin, J., Abnormal psychology, Concepts, Issues, Trends, Macmillan Publishing Co., NewYork, 1982.

68 - Garmansway, G. N., The penguin English, Dictionary, 1965.

69 - Goodenough, F, L. and Ty ber, L. E., Developental psychology, Third Ed. Appleton - Centuris - Crofts, New York, 1959.

70 - Dadfield, J. A. Childhood and adpescence, Penguin Books, 1959.

71 - Hamilton, M. Abnormal Psychology, Penguin Books, 1967.

72 - Herbert, A., Mental Hygiene: the dynamics of adjustment, prentice-Hall, New jersy, 1947.

73 - Hilgard, E. r., Introduction to psychology, Rupert Hart- Davis, 1962.

74 - Hollonder, E. P., Principales and methods of social psychology, fourth ed, Oxford University Press, New York, 1981.

75 - Johnson, W, The upset of stuttering: research findings and implications, Minneapolis, University of Ninmesota Press, 1959.

76 - Klineberg, O. Social psychology, Holt, Rinehart and Winston, New York 1954.

« اقرأ للمؤلف »

١ ـ مشكلات الشباب المعاصر ، منشورات لجنة مكتبة البيت ،الصفاة ، شركة الشعاع . الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، ١٤٠٦ هـ .

٢ ـ التوجيه التربوي والمهني : مع دراسة ميدانية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠٥ هـ .

٣ ـ سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ١٩٨٣ م .

٤ ـ الأحصاء السيكولوجي التطبيقي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ م .

٥ ـ طبيعة البحث السيكولوجي ، دار الشروق ، ط ١ ، القاهرة ١٩٨٩ م .

٦ ـ الإسلام والتنمية البشرية ، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ، ط ٢١ ، ١٩٨٨ م .

٧ ـ سيكولوجية الإبداع : دراسة في تنمية السمات الإبداعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٨ ـ علم النفس العام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م .

٩ ـ قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ، الدار الجامعية ، بيروت ، لبنان الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٧ م .

١٠ ـ الإسلام والعلاج النفسي ، دار الفكر الجامعي ، إسكندرية ، مصر ، ١٩٨٦ م .

١١ ـ مقومات الشخصية الإسلامية والعربية ، دار الفكر الجامعي إسكندرية ، مصر ، ١٩٨٦ م .

١٢ ـ دراسات في السلوك الانساني ، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر ، بدون تاريخ .

١٣ ـ دراسات سيكولوجية ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨١ م .
١٤ ـ علم النفس علم وفن ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٠ م .
١٥ ـ العصاب والأنبساط والكذب في عينات عربية لبنانية : دراسة حقلية منهجية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
١٦ ـ سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلامية ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، ١٩٧٢ م بالإشتراك مع د . جلال شرف .
١٧ ـ إتجاهات جديدة في علم النفس الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ م .
١٨ ـ علم النفس بين النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ م .
١٩ ـ معالم علم النفس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ م .
٢٠ ـ علم النفس المهني ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، مصر ، ١٩٨٨ .
٢١ ـ علم النفسي الفسيولوجي : دراسة في تفسير السلوك الإنساني ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، مصر ، ١٩٨٥ م .
٢٢ ـ علم النفس ومشكلات الفرد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، بدون تاريخ .
٢٣ ـ صحتك النفسية والجنس ؟ مطبعة التأليف ، إسكندرية ، مصر.
٢٤ ـ مناهج البحث في علم النفس : أساليب تصميم البحوث وطرق جمع المعلومات مع دراسة حقلية مقارنة ، منشأة المعارد بالإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٩ م .
٢٥ ـ علم النفس في المجال التربويَ ، دار العلوم العربية ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٨٩ .

الفهرس

هذا الكتاب

يكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة يستمدها من أهمية مرحلة الطفولة . في حياة الإنسان. فهي المرحلة التي توضع فيها الجذور أو الأصول الأولى لشخصية الإنسان.

ولا شك أن هناك كثيراً من التغيرات الإجتماعية التي طرأت على المجتمع والتي تستوجب توجيه العناية والبحث والدرس في قضايا الطفولة والمراهقة ، من ذلك نزول المرأة الى ميدان العمل خارج المنزل. الى جانب تفشي بعض الأمراض الإجتماعية كالادمان والعنف والتعصب والتزمت، والتطرف.

ويعالج الكتاب موضوعات شتى في مجال الطفولة والمراهقة من بينها:

بيان حقوق الطفل في ضوء الدراسات النفسية الحديثة. وبعض المشكلات السلوكية كالكذب. ويتعرض كذلك لتفسير السلوك الإنساني من الناحية الفسيولوجية، والوراثية ويتصدى الكتاب للنمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام عند الأطفال. ويوضح دور الأم في عملية التنشئة الإجتماعية. وكذلك علاج اضطرابات الطفولة. واساليب التربية الشمولية في الإسلام. ودراسة مشاعر الإحباط والعنف والجنوح والجريمة، وعقدة اوديب ، وعقدة الكترا، ومشكلة السرحان، وشرود الذهن، ونزعة النرجسية . ويتعرض الكتاب لبيان الأسلوب الأمثل في الإستذكار وطرق التفوق. والتربية النفسية للطفل وأصولها الإسلامية والإنفعالات ومثيراتها ، الخ....

دار العلوم العربية للطباعة والنشر
بيروت – شارع الجامعة العربية – بناية عنان
هاتف: ٣٠٧١٧٣ ص.ب: ٩٥٣٥ - ١١ بيروت – لبنان